

كولين ولسون

طقوس

ضي الظلام



دار الآداب



كولين ولسون

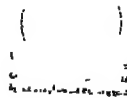
١٩٦١

طهوس في الظلام

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية
رقم التسجيل ١١٩ ٨٤٢
١٥٠٠
١٩٨٠٣

نقد الى العربية

فاروق محمد يوسف



General Director of the Alexan-
dria Library
Director of the Library

منشورات دار الآداب - بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الخامسة

١٩٨٦

الفصل الاول

غادر النفق الارضي من زاوية هايد بارك ، خفيض الراس ، متجاهلا الناس الذين كانوا يتزاحمون حوله ، تاركا لهم امر الابتعاد عن طريقه . لقد كره الجموع لانها كانت تتحداه . كان اذا سمح لنفسه بملاحظتهم يواجهه في نفسه افكارا مثل : كم تضم هذه المدينة الدموية من الناس ، اننا لفي حاجة الى مذبحه للتقليل من عددهم . وكان حين يكتشف في نفسه مثل هذه الافكار يشعر بالفثيان . لم يكن يميل الى قتل احد . ولكنه لم يستطع التحكم في كرهه للجموع . لقد تجنب للسبب عينه ان ينظر الى الاعلانات التي تحفل بها المدرجات المتحركة الهابطة الى انفاق لندن . ولكن النظرة العارضة جدا كانت كافية لتزيل كثيرا من الاحقاد . لقد كانت الصور نصف العارية التي تعلن عن ملابس النساء الداخلية وجواربهن كقيلة بان تبعث باحساس لاهب الى حلقومه ، وبهزة مفاجئة تشبه القاء عود من الثقاب على قطعة من القماش منقوعة بالبتروول .

وانهمر رذاذ خفيف داكن ، وكانت السيارات العابرة تنثر حولها رشاشا من الماء الطيني . واحكم ازرار معطفه ورفع اياقة حول رقبته ، ثم فتح مظلة نسائية كان يعلقها من حمالتها حول راسه ، وتضاءل عدد الناس حين كان يعبر كروسفينسر كريسنت ، وراح يبطيء في السير ، مستمتعا بصوت المطر على المظلة .

ووقف خارج البوابات الحديدية المذهبة وراح يبحث في جيوبه عن النقود . كان مدخل المحل يختفي خلف خيمة ملفعة بالشرائط تتوجها قبة روسية مبصلة ، وينهض الى جانبها تمثالان يمثلان زنجيين ضخمين يستندان الى القوس الرموي الذي كان يشكل مدخل الخيمة . وخفض مظلته وهزها قليلا ليخلصها مما علق بها من قطرات المطر ، ولاحث له جدران المحل خلف

الخيمة سوداء مهجورة .

كان مدخل القاعة يتنفس برائحة الملابس المبللة . وكان هناك خط من المنتظرين الذي كانوا يعدون حوالي الستة اشخاص، يقفون قرب نافذة البطاقات . اما الجدران الداخلية في الخيمة فقد كانت مغطاة بشرائط حمراء ومذهبة من الورق . كان بيع البطاقات قد تأخر قليلا ، وكان هناك رجل في منتصف العمر ، يحتج بصوت ذي لكمة اجنبية قائلا :

— ومع ذلك ، فأنا تلميذ في مدرسة لندن للاقتصاد . كل ما في الامر هو انني نسيت بطاقة الهوية . ولكنني احمل ايضا بطاقة هوية خاصة بغرفة مطالعة المتحف البريطاني اذا كانت تنفع
واخرج سورم كتابا من جيب سترته الجانبي ومضى يقرأ . وتقدم خط المنتظرين قليلا .

وشعر بان الرجل الواقف امامه ينظر الى كتابه ، محاولا ان يقرأ عنوانه من صفحة الغلاف . ورفع عينيه وراى العينين الضيقتين البنيتين اللتين انصرفتا عنه مباشرة بشيء من العرج . ولكنه استطاع في تلك اللحظة ان يسجل وجها نحيفا طويل الفك لاح له مألوفاً بصورة غريبة . كان قبيحا ولكن بصورة لطيفة ، تغطيه حفر صغيرة تشبه اثار الجدري . ومرت لحظة اخرى ، واشترى الرجل تذكرته ، وصار في وسع سورم ان يلاحظ بصورة اتم . ولكن تفحصه له لم يتح له ان يتعرف عليه . كان اطول من سورم رغم ان سورم كان يزيد على الستة اقدام قليلا . كانت بذلته الرمادية القامقة انيقة . وكان لوجهه النحيف عظمتان عاليتان عند الخدين ، وعينان تطلان من الزوايا . لقد كان وجهه مألوفاً الى درجة ان سورم ظل يحملق فيه طويلا ، واكتشف نفسه فجأة يحملق في العينين البنيتين المظلتين من الزوايا مرة اخرى وابتسمتا له قليلا ، ثم استدار الرجل وسار في طريقه . وفجأة تأكد لسورم انه لم يكن قد رآه من قبل . كانت بائعة التذاكر تسأل : تلميذ ؟
— نعم .

— شلن وستة بنسات من فضلك . المنهج ؟

كانت المدرجات التي تقود الى خارج الخيمة تدور حول جدارها المصنوع من القماش وتكشف عن المساند الصدفية التي كانت تدعمها . وسار مسرعا ، كارها الذكريات المزعجة التي بعثتها المساند الى نفسه . وادت به المدرجات الى مدخل كان قد انشئ في محل نافذة في الطابق الاول ، واستخدم بابا للمعرض . وسرعان ما بددت الغرفة الاولى مشاعر الكره في نفسه . كانت قد صممت لتلوح كشارع من شوارع باريس . وكانت هناك قضبان حديدية ومنظر لنهر

السين بين البيوت . وكانت هنالك تحت افصان شجرة عالية لوحة كتب عليها : ملهى الشانزليزيه . الباليه الروسية . وكانت هنالك لوحة كبيرة لنجنسكي تمثله « شبح الزهرة » . وكانت ممضاة من قبل كوكتو .

كان المكان دافئاً ، ولم يكن هنالك احد آخر في الغرفة . وتبدد في نفسه الشعور المتوتر الذي كان قد خلفه المطر والجموع . وانبعث من غرفة أخرى صوت موسيقي . ووضع الكتاب في جيب سترته ، ودفن يديه عميقاً في جيوب معطفه واستسلم تماماً للشعور بالحنين الذي اثارته الغرفة في نفسه . ووقف هنالك بضغ لحظات دون ان يتحرك . حتى سمع وقع أقدام بعض الناس وأصواتهم من ناحية المدرجات ، وسار مسرعاً مخلفاً وراءه لوحة بافلوفا التي كانت تواجه لوحة نجنسكي ، وارتقى السلم الخشبي الضيق الى الطابق الثاني كانت الموسيقى عالية هنالك ، وقد عرف فيها الرقصة الاخيرة في « طبر النار » ، صوت البوق الخافت المطول . وبعث ذلك الصوت بهزة دافئة من القبضة في عضلات ظهره وكتفيه ، وكذلك في جلدة رأسه . كان الناس يرقون السلم الآن خلفه . وهرع الى الغرفة الفارقة في الثور - كان هنالك شخص واحد فقط : الرجل الذي كان يقف امامه في خط الانتظار . وساقته الاصوات ووقع الخطى التي كانت تأتي من ناحية السلالم الى الغرفة التالية . وثار في اعماقه شعور عنيف بالكره لاولئك الذين كانوا يثرثرون عواطفهم بالكلمات . كان هنالك صوت بطيء منمق يقول : وكذا ان نلتقط صورة له . كان هنالك على الشاطئ ، يرتدي ملابس الاستحمام . وامسكت ليتي بالة التصوير ، ولكنها لم تكن سريعة تماماً اذ انه اتم ارتداء الملابس . كانت ستكون صورة ممتازة - صورة ليكاسو وهو عار

وتوقفت الموسيقى ، وخفت الصوت بعد ان اربكه الصمت . وفجأة عادت الموسيقى ثانية ، قوية عنيفة غير منسجمة ناشزة . بحيث انها اغرقت جميع الاصوات الأخرى . وعرف فيها (مقطوعة سيديا) لبروكوفيف ، وابتسم . وكانت ضوضاء الموسيقى تهز المعرض الزجاجي في داخل الغرفة ، وتعزله عن الناس تماماً كما يفعل الصمت . وراح يتفحص برضى تصميمالبيينوا لم تكن الغرف مزدحمة ، واستطاع ان يتفحص محتوياتها ببطء ، عائداً الى الغرفة الاولى حين التقى بالناس الذين كانوا خلفه - ضابط عسكري تصحبه فتاتان .

* * *

ومرت ساعة ، وكانت مكبرات الصوت تذيع (القبعة المثلثة) ، وكان هو ما يزال في الطابق الاول ، في معرض الصور . وكانت الحرارة تثير فيه

النحاس ، وكان الجو مثقلا برائحة غريبة لاح له انها قد تكون مخدرا . وبينما كان يمعن النظر في لوحة تصور سترافنسكي ، لاحظ التمثال النصفي . وكان ينهض على قاعدة مكعبة من الممر تقبع مباشرة تحت لوحة زيتية لراقصة باليه ترتدي بذلة بيضاء . وكانت الكتابة المحفورة عليه تقول : نجنسكي ، صنع اونا تراوبرج ، وهنا تذكر وجه ذلك الغريب . لقد كان يشبه نجنسكي . كان قد رأى في مكان ما منذ زمن بعيد صورة فوتوغرافية كانت تصور ذلك التعبير نفسه ، وكان ذلك الوجه النحيف ، الذي يشبه وجه اله الغاب اللاتيني ، قد ترك في ذهنه اثرا عميقا . وبينما كان يحملق في التمثال ، بدا الشبه يختفي رويدا . ونظر حوله بصورة اوتوماتيكية ليرى اذا كان الرجل قريبا منه . ولكنه لم يره . وخمن في خمول : ترى هل انه احد اقرباء نجنسكي ؟ او ربما ابنه . ولكنه لم يتذكر انه كان لنجنسكي ولد ، وانما كانت له ابنة . لم يكن التمثال يشبهه تماما ، على كل حال . بل انه لم يكن يشبهه نجنسكي نفسه . كان يصوره بطريقة مثالية .

كان الرجل في غرفة شيريكو في اعلى السلم . وكان يقف متكئا على مظلة ، يتفحص احد التصميمات . وعبر سورم الغرفة ووقف قريبا منه ، بحيث كان يستطيع ان يراقب وجهه من زاوية عينه . كان الشبه موجودا بالتأكيد ، ولم يكن الامر تخيلا من جانبه . وادار راسه نحوه اكثر قليلا ، وكأنه كان يتفحص التصميم المعروض الى يساره ، واثيح له ان يتفحص الوجه جانبا .

ولم ينظر الغريب اليه ، وانما قال فجأة :

— كان عليه ان يصنع تصاميم اخرى للباليه .

ومرت لحظة ، حسب فيها سورم ان الرجل كان يتحدث الى احد يقف في الناحية اليسرى ، ولكنه ادرك ، بسرعة ايضا انهما كانا وحيدين في الغرفة . ولم يحول الرجل بصره عن التصميم الذي كان يتفحصه . وقال سورم :
— المعلقة ؟

— شيريكو لم يصنع شيئا افضل من هذا التصميم لـ : «حفلة الرقص»
(le bal) الا توافقني على هذا ؟

واجاب سورم قائلا : — لست اعرف ، اذ انني لا اعرف اعماله .

ونظر الغريب اليه ، وابتسم . وادرك سورم ان الغريب كان يرقبه في الزجاج الذي كان يغطي التصميم ، منذ ان دخل الغرفة . وبدأ يشعر بشيء من الضيق والخرج . كان في صوت الرجل ما يشير الى انه كان شاذا جنسيا كان صوتا باردا مطولا قليلا .

وقال الرجل : - كان في وبسي أن أقسم أنني كنت أعرفك ، حين دخلت
الغرفة ، فماذا تظن ؟

- لست أظن ذلك .

واستقرت العينان عليه بلا اكتراث . وكان يلوح كمن يتفحص حصانا .
وفكر سورم في نفسه : اللعنة - انه يتصور أنني شاذ أيضا .

وقال الرجل : - حسبت أنك كنت تعرفني . لقد نظرت الي وكأنك
كنت تعرفني .

وفاض صوته فجأة بنغمة من الاعتذار . وتلاشى ضيق سورم .
وخفض عينيه وابتلع ريقه ليقول :

- الحق أنني تصورت فعلا أنني عرفتك . ولكنني لا أظن ذلك ممكنا .

- ربما . أن اسمي هو أوستن ن. وقد لاح لي بالتأكيد أنني عرفتك .

- أوستن ن ؟ هل الفت كتابا عن الباليه ؟

وشعر سورم بشيء من الحماسة والقبطة ، حين استعاد الذكرى :
صورة نجنسكي الفوتوغرافية .

- أنني اتذكرك بالطبع . لقد قرأتها معا . اذن هذا هو السبب الذي
جعلني أتصور أنني كنت أعرفك .

- أنك تدهشني . لقد كانت صورة فوتوغرافية سيئة ، صودتي
على الفلاف .

- كلا ، لم أرها ، وإنما رأيت صورة تمثال نجنسكي النصفي . ألم يكن
ذلك في كتابك ؟

- اتعني أونا تراوبرج ؟ لقد وجدتتها كارسارفيينا في دكان للكتب القديمة
في زقاق سنت مارتن ، ولم أكن أعلم بوجود مثل هذه الصورة من قبل .
ولكنني أعرف ماذا تعني . صورة نجنسكي في l'après - midi (1) .
الرأس والكتفان ؟

وهنا شعر سورم فجأة بالضيق والكآبة . وأحس بان حماسه قد
وضعت في مكان المعجب ، مجرد من هوة الشخصيات . وفي تلك الاثناء استدار
ن ، قائلا بصوت يفيض بالسأم :

- على كل حال ، فإن الصورتين معا لا تمثلان نجنسكي تماما . والواقع
أنني استخدمت صورة l'après - midi لأن بعض الاصدقاء أخبروني

(1) الكلمات باللغات الاخرى الموضوعة مقصودة لتعيين طريقة المتحدث في الكلام - المترجم

بانها تشبهني .
 ونظر سورم الى ساعته وقال : - حسنا، ارجو الا يكون قد ضايقك سؤالي .
 - مطلقا . هل انت على عجل من امرك ؟ ترى هل رأيت كل شيء هنا ؟
 - كلا ، وانما قضيت هنا ساعة ونصفا ، ولست اعتقد انني ساقضي وقتا اطول .
 - انك محق بلا شك . هذه هي المرة الرابعة التي اطوف فيها المكان .
 لقد رأيته حين تم افتتاحه في ادنبره .
 وقال سورم بشيء من الضيق : - يجب ان اذهب .
 - اسمع - لماذا لا تأتي معي وتشرب شيئا؟ سيحين موعد الافتتاح (١) قريبا .
 وتردد سورم ، وفي الوقت ذاته اغضبه ان يجد في نفسه هذا التردد .
 لقد كان يستمتع بمشاعر الميل والكره التي اثارها نن في نفسه . ولم يكن يكره الشواذ جنسيا بصورة خاصة ، وانما كان يدرك ان نتائج كون المرء بصحبة احدهم قد تكون صعبة . وقال دون ان يثق بما كان يقول :
 - لست اعرف اية حانة قريبة هنا .
 - اما انا فاعرف . بل هناك الكثير . هيا معي لتشرب كأسا سريعة .
 انني احب دائما ان اقابل الناس الذين يبدون ولعا في الباليه . اي طريق ستتبع ؟ النفق ؟
 - اجل .
 - هذا ينهي كل شيء . فالانفاق مزدحمة في هذه الساعة ، والافضل لك ان تقضي بعض الوقت هنا وهناك .
 وتبعه سورم الى اسفل السلم ، وقال نن عبر كتفه :
 - لم تخبرني باسمك .
 - جيرارد سورم .
 - سورم ؟ انه اسم غريب ، هل هو فرنسي ؟
 - لست اعرف . ان عائلتي هي من يوركشاير ، ويعتقد والدي ان هذا الاسم في لهجة يوركشاير تحوير لسومز .
 كانا يعبران معرض الصور . وسأله سورم :
 - هل تلاحظ هذه الرائحة الغريبة ؟
 - اجل . اتعرف ما هي ؟

(١) موعد افتتاح مشارب لندن .

— كلا .

— انها تدعى «متسوكو» . لقد كانت الرائحة المفضلة عند دياكيليف .
شرقية . ستشمها بصورة أشد هنا .

كانا يعبران غرفة تضيئها مصابيح زرقاء ، صممت لتلوح كمسرح مسحور ، وكانت الرائحة شديدة هناك . ولاح انها كانت تنبعث من أزياء الباليه القديمة التي كانت معلقة في فضاء الغرفة الأزرق ، تحيط بها مناظر المسرح الخلفية ، وتبعتهما الرائحة الى مدخل قصير ، ثم الى غرفة حافلة بالكاريكاتور ، ثم الى الخارج نحو مدرج مزوق بلوحة تمثل اسطوره «الجمال النسائم» . وصافحت اذانهما ضوضاء الموسيقى حين هبطا المدرج ، وكان نين يسير في مرح وهو يؤرجح مظلته . كان يتميز بعشية الراقص البديعة ، وكانت طريقته في هبوط السلام تتميز بطابع مسرحي . وسأل سورم :

— ماذا جعلك تقرا كتيبي ؟ هل انت مولع بالباليه ؟

— كنت كذلك حينما من الزمن ، ولكنني لست كذلك الان .

— واين تدرس ؟

— ما الذي يدفعك الى الاعتقاد بانني تلميذ ؟

— انك تحمل بطاقة تلميذ في جيبك العلوي . وعلى كل حال فانك

تلوح تلميذا .

وصارا في الخارج مرة اخرى ، وتوقفا عند تماثيل الزوج الضخمة ، وكان الرذاذ يهطل باستمرار .

وقال سورم : — لست تلميذا ، ولكن الجميع يعتقدون انني تلميذ ، لسبب من الاسباب . اعتقد ان ذلك يرجع الى وجود النمش على بشرتي .

كان يتساءل كيف سيكون في وسعه ان يخبر نين ، بسرعة ، وبلفظ ، بانه لم يكن شاذاً جنسياً . وبدأ يحاول أن يرفع المظلة ، ولكن نين منعه :

— لا تكلف نفسك هذا العناء ، ان سيارتي هناك . هيا بنا نهرع اليها .

كانت سيارة سبورت حمراء طويلة ، ذات سقف من القماش . وفتح نين الباب بدون المفتاح ، ودخل سورم وراء عجلة المقعد الى المقعد الجانبي .

واستدارت السيارة نصفدورة متقنة ثم انطلقت نحو ويلنكتن . وشكا نين قائلاً :
— اعتقد انه سيكون هناك توقف كثير في حركة المرور من هنا الى

بيكادلي سركس .

ومضى سورم يحملق في الريشات التي كانت تتحرك على الزجاج الامامي ، وفي الضوء الاحمر المنبعث من اشارات المرور ، الذي كان يتألق عبر القطرات الحمراء في المنطقة التي لم تكن تصل اليها الريشات على الزجاج الامامي .

وبدا نن يغني بصوت خافت ، بينه وبين نفسه :
« قطط على السطوح ، قطط على البلاط ... »
وانجهت السيارة نحو شارع دوفر ، وقال نن بنعومة :
- انه ليوم سعيد ، هيا تحرك ايها الولد العجوز .
كانت هنالك سيارة تحاول مغادرة الرصيف امام سيارتهما . وقاد نن
السيارة بعناية نحو المكان الخالي وضغط على الفرامل فجأة ، وقال :
- ثلاثة انخاب - لقد وصلنا . افتح بابك .
وخرج سورم الى الرصيف ورفع المظلة مباشرة . واغلق نن الباب ،
وقال متضحكا :
- بالله عليك دع هذا الشيء جانبا . سيطن رجال شرطة المنطقة انك
تستوقف المارة .
- استوقف المارة ؟
- سيطنون انك تحاول الاعلان عن جنسك بين المنحرفين المحليين .
فقال سورم بجفاء :
- انا لست بمنحرف .
ثم خفض مظلته . فقال نن ضاحكا :
- لا تكن احمق ، فلم اكن جادا ، ولا اظنك كنت جادا ايضا .
ثم عبرا الطريق ، متجنبين سيارة تاكسي ، واتجها ثانية نحو بيكاديللي
وقاده نن نحو باب مضاء .
- ها قد وصلنا . انت اولا .
كان دفع الهواء ممتعا، ونضا سورم عنه معطف المطر بمعونة رجل يرتدي
بزة حمراء ثم سلم المعطف والمظلة الى خادما غرفة الملابس ، واحنى الرجل
رأسه لئن كما لو كان على معرفة جيدة به .
- طاب مسأؤك ، يا سيدي .
- انعمت مساء ، جورج .
كان في الحانة شخصان اخران فقط . واثار نن الى سورم ان يجلس
على مقعد في احد اركان الحانة . كان مقعدا عميقا مريحا .
- ماذا ستطلب ؟
- بيرة ؟
- لا يقدمون البيرة بالاقداح هنا ، يمكنك ان تأخذ بيرة خفيفة .
فقال سورم بضيق : عظيم . كان يحاول ان يتذكر ما عنده من النقود ،
والدة التي يجب عليه ان ينفقها خلالها ، ثم عقد ركبتيه وشعر برطوبة في

سرواله وراح يحرق في حافة السروال المتهراة وفي الشرائط الجلدية المخاطة في اكمام سترته . لم يكن مظهره الزري ليضايقه ولكنه لم يفقد تماما احساسه بمساوئ ذلك . واخذ يفكر في نفسه : هل تراهم يسمحون لي بالدخول الى هذا المكان لو جئت لوحدي ؟ ثم استقر رايه على ان ذلك غير محتمل .

ووضع ن قذح البيرة امامه ، وجلس مواجهها سورم على كرسي وثير حشي ظهره بالتبين ، ثم سكب كل محتويات زجاجة الجعة في قذح وسكي كبير وابتلع جرعة كبيرة منه واعاده الى مكانه وقال متنهدا :

— آخ ، ستكون سببا في موتي ، كما كانت سببا في موت ابي .

هل لك في سيكارة يا جيرارد ؟

— كلا شكرا ، لا ادخن .

— الا يضيرك ان ادعوك جيرارد ؟

— كلا بالطبع .

— حسنا . اسمي اوستن .

وذاق سورم البيرة . كانت مثلجة .

— قل لي ، يا جيرارد . اذا لم تكن طالبا ، فماذا تعمل ؟

— لا اعمل شيئا يذكر . اني اقوم بتأليف كتاب .

— ولكن كيف تعيش ، بالصحافة ؟

— كلا ، كان لي دخل خاص صغير جدا منذ ان كنت في الحادية والعشرين

— اي قبل . . . ؟

— خمس سنين . ولدي فقط ما اشق به طريقي في الحياة . ولهذا فانا

حقا من الاغنياء الكسالى ، ما عدا انني لست غنيا .

— هل انت من الكسالى ؟

— تقريبا .

— انت مثلي اذن . اعتقدت بانني اكتشفت روحا تواما لروحي حالا

رايتك . وبالنسبة ماذا كنت تقرأ ؟

فسحب سورم من جيبه كتابا معقوف الغلاف ، وقال متضاحكا :

— مدخل الى الجنس ، تأليف فرانك هاريس .

— « حياتي وگرامياتي » ، لم اقرأ شيئا لهاريس . اهو كتاب جيد ؟

— انه كتاب مدهش .

— كيف ؟ ومن اية ناحية ؟

— اكاد لا اتمالك ابدا ان افتح فاهي ذهولا للطريقة التي ينتقل بها بين

الفراش وخارجة . اعجب هل يوجد امثال هؤلاء الرجال .

— لم لا ؟
— اعني الرجال الذين تكون لهم هذه الشهوات المتنوعة . ان ذلك
يذهلني . فنجنسكي ، ان تذكر ، اضطجع مع زوجته ليالي عديدة
قبل ان يبدأ بمغازلتها . ذلك امر طبيعي . ذلك ما يجب ان تكون عليه الامور
— هل يعجبك نجنسكي ؟

— اجل .
— لماذا ؟ انك لم تره يرقص ابدا ؟
ومضى سورم يتفرس في قدحه ، محاولا ان يهتدي الى الكلمات التي
تعبر عما يشعر به بدقة . ولكن ذلك لم يكن ممكنا . فلم يكن يعرف نين المعرفة
الكافية ، وقال :

— من الصعب ان اشرح ...
— انتظر ، لنطلب شيئا اخر من البيرة اولا .
— ليس لي ، فلا أستطيع ان اتناول أكثر مما شربته من البيرة الان .
— اطلب وسكي ، اذن .
— حسنا ، ولكن دعني ...
— لا ، لا ، لا . اجلس حيث انت ولا تتحرك .
وأوما الى الخادم صائحا :
— ما اشوقك الى حملي على الكلام . ترى ، ما الذي اعرفه مما قد
يعجبك ؟

— اشياء كثيرة على ما اتصور . اعرف الان بعض الاشياء الملدة عنك .
— مثلا .

— انك في السادسة والعشرين ولك دخل صغير مستقل ولا يعجبك
العمل ، وهذا بحد ذاته ملد . ان الفراغ الزائد يفسد اكثر الناس وفي وسعك
ان ترى ذلك في وجوههم . غير ان وجهك لطيف لا ينم عن الانجراف في تيار
الملذات . بل انه ليخامرني العجب : ما الذي تفعله بفراغك ؟ فليس لديك ما
يكفيك من المال لتبده في قيادة الطائرات او السفر الى الاقطار الاخرى كما
افعل انا . فما الذي تفعله بفراغك ؟ فاجاب سورم :

— لا افعل الكثير . احاول الا افعل شيئا .
ثم وضع الخادم المشروب على المنضدة والتقى نين بباون على الصينية .
وقال نين بالالمانية وهو يرفع القدح :
— نخبك . واجاب سورم :
— نخبك .

وناول الخادم نون الباقي ، فالقى نون قطعة من النقود على صينيته ورشف سورم جرعة كبيرة من الوسكي سالت لها دموعه . وتناول منديله وتمخط فيه بقوة وبعد أن لاحظ لون المندبل دسه على عجل في جيبه . ورفع نون بصره من الكتاب الذي كان على الطاولة ثم القى به الى سورم .
- لا يمكنني أن أتصور كيف تستهويك مثل هذه الأشياء .
فهز سورم كتفيه وافرغ زجاجة الجعة في قدح الوسكي . وشمر بتحسن كبير .

- لقد قرأت الكثير .

وابتسم نون لهذا التملص من الإجابة ، واحتسى الخمر وهو غارق في التأمل يحدق باتجاه رأس سورم . وسأل ببطء .

- ما هو موضوع الكتاب الذي تكتبه ؟ فاجاب سورم :

- أحزر .

- نجسكي ؟

- بالضبط .

- حقا ؟ هل يعالج نفس موضوع كتابي ؟

- ليس تماما . انه قصة .

وشرب نصف قدح الوسكي والجعة ، وتأكد له انه كان يحس بالانبطا والرضى . ولم تعد تضايقه طريقة نون في الاهتمام به ، بل بدأ يميل اليه . وقال نون :

- حدثني عن قصتك

- لا يسعني ذلك . انها ليست عن نجسكي بالضبط وانما عن حالته العقلية .

- ماذا تعرف عنها ؟

- كان يؤمن بنفسه ، واكثر الناس لا يؤمنون بانفسهم .

ودخل الحانة حفنة من الرجال ، كلهم من رجال الاعمال . ودخل ايضا شاب تصحبه امرأة ملفعة بالفراء .

واحس سورم بالكلمات تحتشد في أعماقه ولكنه ما لبث أن خنقها رغبة منه في ألا يضجر نون . ومال الى الامام قليلا وهو يقول :

- عندما افكر في نجسكي ومن ثم انظر الى هؤلاء الناس اكاد لا اصدق ناظري . اتدري ، يقول نجسكي في يومياته أن الحياة صعبة لان احدا لم يدرك اهميتها . واني لاتخيله يطوف في الشوارع ليلا وهو أشبه بمرجل عالي الضغط يكاد أن ينفجر .

وتوقف سورم عن الكلام . كان يبدو على وجهه ن الأهتمام التام ، وهو يصفي بجدية اكسبته شيئا من الظرف .

— تلاحظ ، اني انظر الى المسألة بهذه الطريقة . هب انك رأيت في نهاية حياتك رؤيا الهية . ذلك يبرر كل شيء . فلو استطعت ان تختبر رؤيا كهذه ستجعل العالم مختلفا . ستعيش كالشيطان ، كإنسان مأخوذ . ذلك لانك ستعلم بانها تعني شيئا ما ، بانها لم تكن خلوا من المعنى . انظر . لا يعيش واحد من هؤلاء الناس حياته كاملة . انهم يعيشون بضعة ايام متفرقة فقط كل مرة . ومثلهم مثل الذي لا يتناول وجبة كاملة من الطعام مطلقا ، بل لقمة في كل بضعة ساعات ، او مثل الذي لا يصفي الى سنفونية كاملة في جلسة واحدة ، وإنما يسمع نغمتين او ثلاثا في كل مرة مقسمة على عدد من الأشهر . تلك هي الطريقة التي يحيون بها . وعلى كل حال فهناك من لا يعيش على هذ الصورة .

وقاطعه ن بنعومة قائلا :

— ما الذي يجعلك واثقا الى هذا الحد بان نجنسكي لم يعيش بهذه الطريقة ؟

— كلا انه لم يعيش بهذه الطريقة .

وقدم اليه ن علبة السجائر المفتوحة ، فمز سورم رأسه قائلا :

— كلا ، شكرا .

— واشعل ن سيجارة ، وهو ينظر الى سورم من فوق المقدحة ، ثم اطلق نفثة من الدخان وهو يقول بارتياح :

— انك حقا لإنسان غريب يا جيرارد .

وشرب سورم بقية الوسكي وهو يحدج ن بنظرة قاسية . ثم اوما ثانية الى الخادم مشيرا بيده الى القدحين . واستطرد بتمهل :

— ليس في هذا غرابة ، اذ اني مقتنع بأن الحياة يمكن أن تعاش ... بطريقة ما ، عشرين مرة اكثر تركيزا مما هي عليه الآن ، وأني لاقضي حياتي بطولها مفتشا عن السبيل الى ذلك . كم احسد المجانيسن . ولكني لسبب أجهله لا أجد السبيل اليها . غير اني اعلق بالرموز ، وليس نجنسكي الا واحدا من رموزي .

ووضع الخادم على المائدة كأسين كبيرتين من الوسكي ، وقال سورم :

— سادفع ثمنها انا .

— كلا ، كلا ارجوك

فسأل سورم ، بعد ان ابتعد الخادم :

— لم تدفع انت ثمن ما اشربه ؟

— لان والدي ذو ثراء فاحش .

— آه

— تبدو كما لو صعقت ؟

— كلا . قل لي . ماذا تفعل انت بوقتك ؟

— اه ، انك لتمس موضوعا حساسا . لقد خلقت خمسين طريقة مختلفة لتبديده . اؤلف الكتب — وهي ليست جيدة جدا . احضر جميع الحفلات الموسيقية والاورا والباليه ، بحيث اني اطيّر الى فيينا وميلانو وبرلين لحضور الحفلات الموسيقية . لو كنت اكثر تفاهة مما انا عليه الان بقليل لتجرحمت زجاجتين من شراب البيرنو في اليوم وقضيت على نفسي في سنة واحدة . اما والحالة هذه ، فاني امتطي الطائرات ولي شغف بالسيارات السريعة .

فقال سورم بخبث ؟

— انت غير متزوج طبعاً ؟

— كلا . لم اجد ابداً من ارغب في الاستقرار معها ، والسبب من الاسباب

فاني افضل البغايا . لا اظنك تفهم ذلك ؟

— كلا في الواقع . اني اكره البغايا — من كلا الجنسين .

— من الواضح انك مفتقر الى الاتجاه المازوكي .

— اني اكره الالم مهما كان نوعه — بالنسبة لي وللآخرين .

— ها ، جيرارد ، انت تتحدث كالاخلاقي . ينبغي الا يكون المرء اخلاقيا

— انت لا تفهم . المسألة ليست مسألة اخلاق ، انها ما سبق وقتله —

عليك ان تعمل على فرض ان هناك رؤيا من الممكن حدوثها تجمع معنى الحياة

بكليتها . ولو امكن ذلك ، فينبغي على كل انسان ان يعيش كما لو كان هذا

هداه .

— اذن فانت اخلاقي فعلاً يا جيرارد . يجب ان اقدمك الى عمتي

فستروق لك .

— لماذا ؟

— هي ايضاً اخلاقية . انها غير راضية عني ، وهي من شهود يهوه .

وتعتقد ان يوم الحساب الاخير وشيك الوقوع في أية لحظة . وهذا ما تريده

انت ، اليس كذلك ؟ اناس يؤمنون بيوم الحساب الاخير .

— انك لعلّى حق ، ذلك ما ارومه بالضبط .

- اتود أن تعلم ما أريده أنا ؟
 — ماذا تريد ؟
 — شيئاً آكله . هل نذهب لتناول وجبة ؟
 — أين ؟
 — في أي مكان . مطعم ليوني أو فكتور أو أي محل آخر .
 — ينبغي أن أذهب .
 — أوه ، كلا . هل أن ما يقلقك هـ والنقود ؟ عندي الكثير منها . انظر .
 وأخرج من محفظة نقوده وأخذ يلوح بها تحت أنف سورم ، ووقع بصر
 سورم على حشوة من الدنايبر . وأدرك أن الخمر أخذت تلعب برأس نن ،
 كما ساوره الشك في أن يكون تصرفه هو كما لو أنه كان أشد سكرًا مما هو
 عليه في الواقع .
 — كلا ، لا أفضل البقاء هنا .
 — ولكن يجب أن تبقى ، لا أريدك أن ترحل الآن . أنك لا تريد الذهاب
 اليس كذلك ؟
 — كلا ولكن ...
 — حسناً ، لا يمكننا أن نستمر في الشراب على معدة خالية ، كما أن
 الخمر أخذت تلعب برأسي إلى حد القرف ، ولم أتناول طعام الفداء . وعليه
 فيجب بنا أن نأكل . هلم أيها الخادم .
 وبينما كان الرجل ذو البذلة الحمراء يعاون سورم في ارتداء معطفه —
 هتف نن :
 — أرجو أن تكشف لي سرا يا جيرارد . ما الذي يدموك إلى حمل مظلة
 نسائية ؟
 وتناول سورم المظلة من الرجل ودس في يده شلنا .
 — أنها ليست لي ، أنها تخص ابنة صاحبة البيت وقد الحت أن تعطيني
 إياها عندما هممت بالخروج اليوم .
 وخرجا إلى المطر ثانية . وشعر سورم بأنه قد تحصن ضد المطر ، وأنه
 سعيد . لم يكن قد شرب إلى حد الثمالة منذ سنتين عديدة . ولقد أبهجه
 هذا الاحساس . وأمسك نن بعرقه وضغط عليه سائلاً :
 — هل تحوم حولك هذه الفتاة ؟
 — اعتقد ذلك . أمها على الأقل تفعل ذلك ، وقد ارتابت في أنني استغل
 الموقف . أو أكاد ، فأخطرتني بمفادرة المكان في الأسبوع القادم .
 وقاد نن السيارة إلى الخلف قليلاً ، ثم انطلق بها بمهارة .

- اني منتقل الى محل آخر غدا صباحا .
 - اين ؟
 - كنتش تاون . اني اسكن في كولنديل في الوقت الحاضر .
 - يا الهي ، انها تقع في نقطة بعيدة على طريق بدفورد .
 - ليست بهذا البعد . انها بالقرب من مكتبة الصحف - وهذا امر مفيد
 غير ان المحل الجديد سيكون اكثر ملائمة لقربه من المتحف البريطاني .
 - وهل ستنتقل الابنة معك ايضا ؟
 - لا تخف . انها فتاة حلوة ، ولكني لا اريد ان اضطجع معها .
 - يا لك من انسان عفيف - ابتعد عن طريقها ايها النغل البليد .
 كانت هذه الكلمات موجهة الى سائق تاكسي كان يحاول الاستدارة
 بسيارته من منتصف الطريق في شارع « برور » . وضغط ن من مرتين على
 جهاز التنبيه الذي كان يخرج نهيقا نحاسيا . وحينما مر بهما التاكسي
 صرخ سائقه :
 - هلا صبرت قليلا ؟
 فقال ن بهدوء :
 - ايها القرد . لو كنا نعيش في العصور الوسطى لشقته وجردته على
 الارض ومزقته اربا اربا لهذه العبارة .
 وانطلقت السيارة الى الامام حتى كادت ان تدهس شخصا خرج من
 بين سيارتين كانتا واقفتين عند الرصيف . فصرخ ن :
 - ايها المجنون .
 - كان الاولى بك ان تقود عربة الاله الهندي جوغونوت ، انها اكثر
 ملائمة لسلوكك .
 فهتف ن حائقا :
 - ينبغي ان يكون سواق السيارات كافة اكثر طيشا لينخفض عدد
 المارة المهملين ولكي لا يبقى في النهاية الا المتشدون منهم .
 - ولنفرض انك احد هؤلاء المارة ؟
 - كنت ساحمل معي بندقية . على المارة ان يحملوا بنادق رشاشة
 لاطلاقها على السائقين الطائشين . ما ابداع ان تكون لندن بهذا الشكل .
 وانسابت السيارة على شارع « دين » ، وقال ن :
 - لا تجد محلا واحدا لوقوف السيارة في سوهو . آخ ، ما اسعد
 حظنا الليلة . فقد تحركت سيارة من نوع (انكليا) من بين صف من السيارات
 الواقفة . وانزلق ن بسيارته متخطيا الفراغ ثم رجع بها الى الراء داخل

المجال الخالي ، ثم أطلق المحرك .

— أنك حسن المزاج يا جيرارد . يبدو أنك لا تكره الناس بقدر كرههم
فابتسم سورم وقال :

— يبدو أنك لا تعرفني بقدر معرفتي لنفسي .

طلبه فن خدمة جيدة . وأقبل مدير المحل الى مائدتهما وتنفوه بكلمات
مؤدبة معبرا عن سروره لرؤية ن . أما الخادم فكان ييدي تدلا ويدوب رغبة
في ادخال الرضا الى نفسيهما .

— يبدو أنك معروف في هذا المكان .

لم يكن سورم مكتنزا لما كان يقول ، وانما قال ذلك لجرد الكلام .

— لقد غيرت مطعمي عشر مرات خلال عامين . ولم اتردد الى هذا
المحل منذ اسبوعين ولهذا فربما اعتقدوا بانهم سوف لن يروني ثانية .

— لماذا تغير المطاعم ؟

وطفق ن يمزج الطعام في فمه وابتلع اخر لقمة من سمك
السلمون المشوي . واطلق زفرة وقال :

— انه مجرد سوء الطبع يا جيرارد . تجرحني اصغر الاشياء . انني
ادرك تمام الادراك حماقة ذلك غير اني احس بالاساءة مع هذا .

ونظر اليه سورم بارتياح يخالطه شيء من الخيبة . لقد شعر وكان ن
اعترف له برغبته في تسديد اطلاقة مسدس الى صدور النساء العجائز . اما
ن فيبدو انه لم يلحظ ذلك . وحينما ملا الخادم قدحه بنبيذ « الكيانتى »
افرغه في جوفه دفعة واحدة .

وطلب ن بطا مشويا مطبوخا بالفلفل الاحمر والجبن . وعندما حضرت
الاطباق كف ن عن الكلام وركز كل اهتمامه في الطعام ، عدا بعض الكلمات
التي كان يرد بها على تحيات معارفه الذين كانوا يمرّون بالقرب من المائدة .
ولم يرفع سورم بصره في اثناء ذلك ، فقد كان يشعر بالعيون تراقبه في فضول
وكان يحس بما كانت تنسج حوله من الظنون ، وشرع يأكل بعجلة وبحركات
آلية ليخفي امتعاضه . وقد وجد مشقة في اقناع ن في أن يعدل عن طلب
زجاجة خمر ثانية ، وكانت دوافعه لذلك انانية صرفة ، اذ كان يعلم ان كمية
اخرى من الشراب ستفسد عليه الليلة قبل نهايتها .

وانقطع المطر قبل مغادرتهما المطعم . كان سورم يسير وهو يشعر
بالرضى الى جنب ن ، وهو يحس بسعادة اكبر وهو ضائع مغمور بين
الجموع التي تزدهم في سوهو . وكانت مشاعره نحو ن مختلطة . كان
يحسب ان الوجبة التي فرغ منها توا هي أعلى وجبة تناولها في حياته . وقد

افزعه منظر الجنيهاات الستة التي القى بها ن في صحن الخادم . كانت بالنسبة اليه تمثل ايجار اسبوع مع الطعام ، وكان اكبر مبلغ دفعه لوجبة واحدة عشرة شلنات فقط . واخذ يحس بخشيء من الامتنان للكرم الذي اسبغه عليه ن ، بعد ان تلاشت شكوكه في دوافعه . غير ان شعورا باهتا بالبفض له كان يعاوده بين الحين والحين ، اذ كان هنالك في ن ما يثير الامتعاض والاشمئزاز ، شيء يتصل بذلك المزيج من الخشونة والانوفة فيه . كان شعره البني طويلا كالحرير ، جميلا كشعر امرأة . وكانت اسنانه غير منتظمة تميل الى الصغرة وقد تدببت اثنتان منها كانياب الكلب . وحين تفرس بدقة في وجهه لم يجد اثرا للندب فيه . كان يصعب عليه تحديد سبب شعوره بانه كان في وجهه ما يشبه اثار الجدري .

وعندما استفسر عن ذلك وهما يحتسيان القهوة والفودكا ، اجاب ن باقتضاب : حادث سيارة . ومر باصبعه فوق خط ضامر يكاد لا يتميز ، يشق خده الايسر موازيا لدقنه .

— ما الذي تود ان تفعله الان ، جيرارد ؟

— اتظنني سأطلب شرابا لك انت الان ؟

— لا اجد سببا يمنعك من ذلك ايها الصديق العزيز . لندخل محل (فرينتشي) . هلا دخلناه ، أمني ، اذا استطعنا الجلوس .

كانت الحانة مكتظة بالرواد ، وهب لتحيته على الفور رجل ثمل قصير القامة لون وجهه بلون الجلد المدبوغ . وقال ن :

— كارل كاسترنك ، أقدم لك جيرارد سورم .

وامسك الرجل بيد سورم ، وراح ينظر في وجهه بعينيه النديتين

المخمورتين .

— انك رجل وسيم جدا يا جيرارد . الا تعتقد يا اوستن انه يشبه

رامبو ؟ الا تعتقد ذلك ؟

وترك سورم يده لتداعبها كفان رطبتان ، ومن ثم سحبها .

وسأل ن :

— ماذا تشرب ؟

— وسكي مركز .

وسأل سورم الرجل السكران :

— هل تشرب شيئا ؟

فالتفت اليه الوجه الجلدي بدلال :

— ان ذلك في غاية اللطف منك . نعم اشرب ، وسكي وماء .
واستطاع سورم أخيرا أن يجتذب اهتمام فتاة البار . وناول قدحين
من الوسكي الى نن وصديقه ، اللذين وقفا سوياً بعيداً عنه لشدة الزحام
وهما يمسكان بقدحيهما بقوة . وقال نن :

— كارل من احسن المصورين الفوتوغرافيين في لندن ، يا جيرارد .
فكشر كاسترنك عن اسنائه ضاحكا ضحكة بشعة في وجه سورم ، غير
أنه سرعان ما ارتسمت في محياه نظرة جدية وقال :

— اتعني لو انك تجلس لآخذ صورة لك يا جيرارد ، هلا فعلت ذلك ؟
— فقال نن مازحا :

— شريطة أن يكون ذلك بحضوري .
— لم ؟ الا تأتمنني معه وحدي ؟ فاجاب نن :

— كنت امزح . ثم قال لسورم :

— انه قدحك ولنبحث عن محل أقل زحاما .
فابتلع سورم كأسه طائعا ، ولم يعد ألوسكي يجعل الدموع تطفرف الى
هيئته .
ولما صارا خارج الحانة ، قال سورم متسائلا :

— هل ان كارل من اصدقائك ؟ فقال نن باختصار :

— خنزير ، مازوكي ، ولكنه مصور جيد .
واخذما يتمشيان ببطء في شارع اولدكومبتن وقد تلاصقا لكي لا تفرق
بينهما حشود الناس ، ولما اصبحا خارج مبنى (السينراما) حيا نن الرجل ذا
البزة الذي كان ينظم صف المنتظرين .

— يبدو انك تعرف الجميع .
— كان يعمل اجيرا لطرده من يحدث الشغب في محل كنت اعرفه .
وتوقفا عن السير ليتفرجا على الصور الملونة المعروضة خلف الزجاج
والتي كانت تبرز مشاهد من الفلم ، ولح سورم حين وقع بصره على نن ، نظرة
تنطق بالاشمئزاز والاستغراق . كان نن يتفرس في صورة احدى سيارات
النزهة المستعملة في المعارض ، وكانت هنالك صورة غادة جميلة مكتنزة الجسم
تتطلع الى عدسة الكاميرا يرتفع طرف ثوبها فوق ركبتها وتحركه الريح
فيكشف عن جوربها وكلاياتها . ولوى نن براسه فجأة قائلا :

— لنذهب يا جيرارد .
فضحك سورم وقال :

— لم اكن احسب انك مولع بالنساء .

فقال نن :

— ماذا تقصد ؟

— لا شيء ، كنت تحمق في تلك الفتاة كما لو انها قد خلبت لبك .
فاجتاحت تلك النظرة وجه نن ثانية ثم اختفت وقال مبتسما :

— لقد خلبتني فعلا . هيا نذهب .

وقفلا عائدين الى السيارة .

— والان الى اين يا جيرارد ؟ فقال سورم مترددا :

— اود ان نذهب الى مكان هادى .

— وكذلك انا . ما رأيك في شقتي ؟

— اين تقع ؟

— بالقرب من محطة شارع بورتلاند .

— افضل ان نجلس في مكان قريب من طريق عودتي الى البيت . فعلي

ان افكر في العودة .

— اين تسكن ؟

— في هندن . وسيكون يوم غد آخر ايامي فيها .

— طبعاً . اذن ، فلنأخذ ذلك الطريق . أعرف حانة صغيرة غير انها

جيدة نوعاً ما وهي تقع في شارع همبستيد ، ويمكننا الذهاب اليها . انها
هادئة .

— همبستيد ؟ هل هي في طريقنا ؟

— بالتأكيد . يمكننا ان نأخذ الطريق مباشرة الى هندن واي . فالشارع

مستقيم .

وتحركت بهما السيارة ببطء في شارع اولد كومبتن ، وضغط نن على
نفير السيارة الذي كان يخرج صوتاً رقيقاً محذراً . وقال وهو يكشر مبتسماً :

— ما اروع هذا الاختراع ، يمكنني ان أغير شد الصوت ونوعيته ، صوت

عال مدو في الطرق الخارجية ، او رقيق مداعب لجمهور لندن . تحركوا ، ايها

التغول البلقاء ، والا استعملت كاسحة العوائق — هذا هو الجزء الوحيد من

لندن الذي يذكرني بالبربربان في هامبرغ . هل زرت هامبرغ ؟

فاجاب سورم وهو شارد الدهن : — كلا .

كان يحمق في ساعته مدة نصف دقيقة دون أن يفقه الوقت . كانت

الساعة تشير الى التاسعة والدقيقة العاشرة .

وقال نن فجأة وهما يمران بمحطة تشوك فارم :

— عرفت . لنذهب الى بيت عمتي ، فستقدم لنا الشراب .

— من هي عمّتك ؟
— ستعجبك . اسمها جيرترود ، وهي ليست عمّتي تماما ، ولكنها في غاية العذوبة وتعيش وحدها في منزل في فيل أوف هيلث ولا تقابل احدا مطلقا وهي تود أن أزورها ألا إذا كانت تعقد احد اجتماعاتها .

— أي نوع من الاجتماعات هذه ؟
— شهود يهوه ، تلك هي وذيلتها الوحيدة ، ولكنها لطيفة .

فقال سورم بخيبة :

— لا أخالك جادا .

— لم لا ؟

— بشأن كونها من شهود يهوه .

— بلى ، اني جاد في قلبي .

— امني انهم يكادون أن ينقرضوا .

— لا يسعني الاجابة ايها الصبي . لا أعرف شيئا واحدا عنهم . فلم تحاول عمّتي يوما أن تجعلني أهتم اليهم . على كل لسنا مرغمين على البقاء اذا لم نستطع أن نحتملها ، كما ستقدم لنا الشراب على أية حال .

واسترخى سورم في مقعده ، وخامره الشعور بأنه لن يستطيع العودة الى بيته مبكرا وكان سكره اشد من ان يجعله يكثرث جدبا لذلك . كما ان عزمه على تغيير مسكه لم يعد مهما بالنسبة اليه بعد ان أقلقه طوال الاسبوع المنصرم . وأغلق عينيه وراح يحاول ان يحصي عدد الكؤوس التي احتساها ، واذا بالسيارة تقف فجأة ملقبة به الى الامام . وقال لن :

— آسف ايها الصبي ، انني معتاد على سيطرة السيارة الاخرى التي تعمل فراملها برفق أكثر من هذه . لقد حطمتها في الاسبوع الماضي .

كان الشارع مقفرا تماما ، وقد ارتفعت الأرض ارتفاعا مفاجئا على أحد جانبي الطريق . وترجل سورم من السيارة ووصفق الباب خلفه . وأيقظه الهواء البارد بعد ان كادت مدفأة السيارة تدفع به الى النوم . اما لن فقد أخذ يبحث في جيب السيارة الجلدي وأخرج المصباح اليدوي . وتبعه سورم الى داخل البوابة حتى اكتنفهما الظلام . وعلى بعد حوالي خمسين ياردة كان هنالك نور يشع في مدخل الدار وكانت الاشجار تنفض المطر من أوراقها كلما هزتها الرياح . فرفع سورم وجهه الى الأعلى ليتلقى القطرات الندية ، وقال وهو كالحالم :

— هل تجد عمّتك متعة في السكن في وسط المجهول ؟

— انها تكرهه في الواقع . وهي تهدد دائما بالانتقال الى مكان قريب مني

المدينة لولا ان هذه البعثة تكون جميلة في الصيف .
وكان الضياء في الزواق ينبعث من فانوس مربع ، في داخله مصباح
كهربائي مدبب . وقرع ن جرس الباب .
وبعد هنيهة لاح نور خلف الزجاج الذي كان يغطي النصف الاعلى من
الباب . وهتف صوت امرأة : من هناك ؟

— اوستن .

— اوستن !

وفتحت الباب امرأة صغيرة الجسم رشيقة القوام .
— اقدم لك جيرارد سورم ، جيرارد . ان جيرارد مؤلف
— هلم بالدخول . كنت افكر بالذهاب الى الفراش توا .

— لا تخشي ، فلن نبقي طول الليل

— لم اكن اعني ذلك . ابقيا ما شئتما .

وتقدمتهما الى غرفة للجلوس طويلة مريحة التاثيث .

— هل انتما جائعان ؟ اتناولتما طعام العشاء ؟

— نعم ، شكرا ، منذ ساعة .

— هل لكما في مشروب ؟

— لا ياس .

— انت تعرف محل زجاجات الشراب ، فاذهب وهيئة لنفسك . اما انا

فساخذ الكاكاو .

واشعلت المدفأة الكهربائية وخرجت . وفتح ن أحد الدواليب واخرج
منه زجاجة وسكي ، واطل سورم بنظره على الزجاجات المصفوفة داخل
الدولاب ، وسال :

— هل لعمتك الكثير من الضيوف ؟

— ليس الكثير ، فهي تختلط بطائفتين من الناس — الاولى زمرة من

جمهور همبستيد الذي يتذوق الادب — افزع ما رايت من المتطفلين على

الادب — والثانية اولئك الذين ينقلدون روحها ، ولا يقل هؤلاء سخفا عن اولئك

وهي تحرص على الا تدعو كليهما الى بيتها في نفس الامسيات .

— لماذا ؟

— حينما يزورها منقذو الروح ، تعلق لافتة كتب عليها : « حذار من

شيطان الخمر » ، تعلقها على الدولاب . وحينما يهبط عليها الجمهور المتأدب

تضطر الى تأجير عامل ليسوقهم في عربة دفع الى بيوتهم .

ودخلت المرأة ثانية وهي تحمل فنجانا موضوعا على صينية ، وسالت :

— كيف حال امك يا اوستن ؟
— على احسن حال ، شكرا ، انها آتية الي لندن في الاسبوع القادم .
— هل ستنزل عندك ؟
— ستنزل في بيتي ، غير اني سوف لن اكون هناك . انا ذاهب الى سان موريتز لالحق ببعض الاصدقاء .

وجلست العمة في مواجهتهما واستشعر سورم فيها جاذبية خاصة وخمن انها في حوالي الأربعين . كانت طريقتهما في اللباس تضفي على مظهرها اناقة لا تبدو متكلفة . وكانت تنورتها الصوفية جيدة التفصيل غير ان السلسلة كانت مفتوحة عند خصرها وكان فمها وذقتها متوترين ، ينمان عن مظهر مديرات المدارس . ولكن كان يحيطها جو غريب لا يمكن تحديده . انها من النوع الذي لم يكن ليثير انتباهه لو وقع بصره عليها وهي جالسة امامه في قطار النفق .

— لم اسمع اسمك
— سورم ، جيرارد سورم .
فقال نن :
— ظننت ان اسمك سورمز .
— كلا .
— اي نوع من الكتب تؤلف يا مسر سورم ؟ فاجاب سورم متضايقا :
— ما كان ينبغي علي نن ان يقدمني كمؤلف . فلم يسبق لي ان نشرت شيئا عدا بضع قصائد في المجلات .
— هل انت كاثوليكي ، فاجاب مندهشا :
— كلا ، لماذا ؟
— كنت اتساءل . . .
فقال نن :
— انه ملحد حر الفكر ، يميل الى المذهب الكاثوليكي . اليس كذلك يا جيرارد ؟

— اوستن ، اصلح سلوكك !
فابتسمت العمة لسورم وقالت وكانها تريد أن تخرج نن عن الحديث :
— انت لست حر الفكر ، اليس كذلك ؟
— كلا . . . لا اعتقد ذلك .
فقال نن :
— فما انت اذن ؟

فقال العمة زاجرة اياه :

- اوستن ، أصلح سلوكك . هل كنت تشرب ؟
- بالطبع لا . على كل حال لم أشرب الكثير . هل لك في كأس آخر يا جيرارد ؟
- كان نن قد ناوله قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي المركز وكان سورم يرجو ان تتاح له الفرصة ليسكبه في القنينة ثانية .
- من رأيي الا تشرب انت يا اوستن . انه يؤذي معدتك .
- فانتصب نن واقفا وقد اضطرب توازنه قليلا :
- لا شك أنك على حق يا جيرنرود . اسمحوا لي بان اغيب قليلا يا اعزائي .

- وخرج من الغرفة ، ولح سورم العمة تلاحقه بنظراتها . ثم سأله :
- انه نمل اليس كذلك ؟
- أجرؤ على القول انه سكران بالفعل ، أما انا فقليلا .
- لست تبدو كذلك . هل أنت معتاد على الشراب .
- كلا .
- لم اظن ذلك . هل تعرف اوستن منذ مدة طويلة .
- ولسبب من الاسباب استبد به شعور بالخجل منعه من ان ينبئها بحقيقة الامر ، فقال :

- ليس لمدة طويلة .
- ينبغي الا تدعه يدفعك الى عادات سيئة .
- لا اتوقع ذلك .
- ما هي الديانة التي نشأت عليها ؟
- لا ادري . الكنيسة الانكليزية ، على ما لظن ، غير اني لم أكن يوما ما مضطرا للذهاب الى الكنيسة او مواعظ ايام الاحاد . كنت أمقت كليهما .
- وهل لك عقائد دينية ؟
- اقل حد منها .
- وما هو الحد الاقل هذا ؟
- وسمع سورم وقع خطوات نن خارج الباب . وقال وهو يتسهم :
- ساخبرك في وقت آخر .
- ودخل نن وقال مبتهجا :
- كنت اظن ان يوم الجمعة هو يوم اجتماعاتك .
- هو كذلك ، وقد ارفض الاجتماع .

- ما ، وكيف حال اخينا الرهيب ؟
- عمن تحدث ، يا الهي ؟
- ذلك البدين . طارطوف ذو بشرة القصاب ، ما اسمه ؟
- حقا، اوستن ان حالك لتسوء . ما يدفعك الى الحقد على الاخ روبنز ؟
- وجلس نن الى جانب سورم ثانية ، بعد ان ملا القدح . وقال وهو يغمز بعينيه :
- انه يلاحقك يا جيرترود .
- يا لهذا اللغو !
- قرأت ذلك في عينيه . انه يفكر بك تفكيره في صفقة جميلة . ..
- ولحظ سورم لدهشته ان وجهها بدأ يمتقع ، فهب واقفا وقال :
- ارجو العلوة . فقال نن :
- انها في الطابق العلوي ، الباب الثاني الى اليسار .
- كانت الصالة والسلم يكسوهما الوبر الازرق مما لم يجعل لوقع اقدامه صوتا . وكان على جدار السلم صورتان فوتوغرافيتان للوحتين زيتيتين للرسام (مونش) . وقد بدا له البيت وهو غارق في عالم الخمر الضبابي الدافئ اجمل بيت وقع عليه نظره في حياته .
- واشعل النور . فالتقى نفسه في غرفة نوم صغيرة تحتوي على سرير واحد . وابصر على طاولة الزينة اطارا يضم صورة لفتاة شقراء ، فاطال النظر في الصورة باهتمام وارسل لها قبلة بشفتيه . وتراجع من الباب ليدخل الحمام ، وكان على بابه حبل تتدلى منه بعض الملابس المبتلة . فتمتم بصوت خافت :
- يجب ان اغوى هذه المرأة حتى يكون في وسعي ان اعيش معها في هذا المكان فظروف العمل رائعة هنا .
- وغسل يديه في الطشت ، وهو يردد لحنا ما بصوت خافت . وعندما استدار وجد منشقة فمسح وجهه ومد يده ليلمس مشد خصر من النايلون ، فتدحرجت قطرات الماء داخل كفه . واخذ يلحن بصوت واطيء .
- ولما عاد الى غرفة الجلوس ثانية ، قال نن :
- اعتقد اننا يجب ان نرحل يا جيرارد ، فجيرترود تريد النوم .
- بالتأكيد .
- الا تنهي قدحك ؟
- لا اظن ذلك ، فقد شربت الكثير .
- توقعت ذلك ولذا فقد شربته نيابة عنك .
- فقالت جيرترود ضاحكة :

- أنك شائن حقًا ، يا أوستن . لا ادري كيف ستدبر سياقة السيارة .
هلا أخذت حذرك .
- صه ، هل عرفت لي حادثة واحدة ؟ فقلت :
- تلك هي المعجزة .
- ونفض نن على قدميه ، وامسك بجيرترود وزرع قبلة على جبينها ،
ونظر إليها سورم وهو يبتسم . كان يود لو يفعل مثل صديقه . وقال نن :
- طابت ليلتك ، أيتها العمة العزيزة . اقفلني الابواب الان ، وتيقني الا
يكون اخونا ذو البطن التي تشبه البرميل مختبئًا تحت السرير .
- فالتفتت الى سورم قائلة :
- ستزورنا ثانية اليس كذلك ؟ يمكنك ان تجد طريقك الى هذا البيت .
فاجاب مبتسما :
- لست واثقا تماما اني استطيع ان اجد طريقتي .
- ساعطيك العنوان .
- واقطعت ورقة من دفتر رسائل يحمل اسمها اخرجته من مكتبها
وكتبت عليه بضع كلمات . فدسها في جيبه الخلفي .
- وداعا ، حاول ان تجعل أوستن يقود السيارة بتأن ،
وهز سورم يدها ، كانت قبضتها قوية كقبضة رجل . وصاحت من
عتبة الباب الامامي :
- خذ جانب اليمين من الطريق ، فهناك بركة ماء .
- وكان الضياء المنبعث من مصباح نن اليدوي يزقص بشرود على الارض
والتصق سورم به لكي يقي نفسه التعثر ، وعندما خرجا الى الخارج ، قال نن :
- انها تميل اليك ، ايها الصبي . وقد لقنتها محاضر من كيفية افسادك
اعتقد انها تريدك ان تحضر دروسها الدينية .
- وليس الامسيات الادبية ؟
- لا ادري ، ربما ، اوه ... اعتقد من اسئلتها انها ... وتلكسات
الكلمات ولم يتم نن كلامه ، وفتح باب السيارة وتكوم على مقعد القيادة .
- اوف ، هكذا .. افضل ... حسنا ، اين وجهتنا الان ؟ الساعة هي
العاشرة والدقيقة العاشرة بعد فقط . لدينا متسع من الوقت لكأس آخر .
او ان شئت ذهبنا الى شقتي لنشرب كأسين .
- كلا ، حقًا ، من المستحيل . يجب ان أعود . اية ليلة اخري ما عدا
هذه الليلة .
- آه ، نعم . عليك بالانتقال من مسكنك في الصباح . كيف ستقوم بذلك ؟

- استاجر تاكسي .
- اتحتاج الى معاونتي ؟
- لا ، لا . لا تزعج نفسك .
- واشعل نن سيكارة ، وقذف بعلبة الثقاب من الشباك . واضاءت مصابيح سيارته الطريق ، واندفعت السيارة الى الامام وتوقفت فجأة وانطلق محركها فقال نن :
- عليها اللعنة . لم اسحب الفرامل اليدوية .
- وقال سورم :
- اسمع ، دعني انزل في شارع (اجوير رود) ، ساخذ الباص من هناك او الافضل أن تدعني انزل في همبستيد لآخذ قطار النفق .
- كلا ، بل ساوصلك الى البيت . لا تدع تعليقات جيرترود حول سياقتي تقلقك ، ها ؟
- لا ...
- طيب . انا سائق مأمون الجانب تماما ، حتى عندما لا أرى طريقي من فرط السكر .
- وماذا وقع لسيارتك الاخرى ... ؟
- اه ، لم يكن الخطأ خطئي .. كان احدهم قد شيد جدارا في عرض الطريق .
- من حسن حظي لم أكن ثملا . تلك هي المأساة ، وقد شعرت في الصباح التالي بحالة سيئة جدا .
- لم تبد سياقة نن للسيارة احسن او أسوأ نتيجة السكر . وأوقف ماكينة السيارة لجعلها تتدحرج تلقائيا هابطة الطريق المنحدر المؤدي الى (كولدرز كرين) ، وهو يفني وفي صوته جرس حزين :
- قطط على السطوح ، قطط على البلاط .
- وقال سورم : - هل كانت عمته متزوجة ؟
- انها ليست عمتي .
- هل كانت متزوجة ؟
- كلا . ان قضية جيرترود في منتهى الغموض . ليس هنالك من يعرف جميع الحقائق عنها . كان لها أب .
- لها ماذا ؟
- أب . فأنك تعلم ان لبعض الفتيات اما لا ترخي لهن اللجام ليصلن ويجلن . على كل حال ، كان لها أب .

— وكيف يكون ذلك سببا في منعها من الزواج ؟
— وكيف لي ان اعلم ، ايها الصبي العزيز ؟ استخدم خيالك ، فان كان لك خيال متألق مثل خيالي ففي امكانك التوصل الى انواع العلل والاسباب . وكبت سورم التعليقات التي طفرت الى شفتيه ، ولم يكن نن الشخص الذي يستجيب لها . وادهشه نن بقوله فجأة :

— على كل حال ، فلا اظنها تسوى شيئا في الفراش .
وحدجه سورم بنظرة ، وكانت السيكرة تتدلى متراخية من فمه ، وقال :
— لا أجرؤ على القول انك على حق .
واخذ المطر ينهمر ثانية . واخذ سورم يصفي وهو في مجلسه الى تكتكة فرشاة الزجاج الرتبية ، وقال فجأة :
— وبالنسبة ، من هي تلك الشقراء اللذيذة في الصورة ؟
اية صورة ؟

— دخلت غرفة للنوم عندما كنت ابحت عن المرحاض ، الغرفة الاولى الى اليمين . كانت هناك صورة فوتوغرافية على المنضدة لفتاة شقراء لطيفة .
— اه ، هي كارولين ، ابنة عمتها . لم اعرّف عليها . لماذا ؟
— انا مولع بكل شقراء صغيرة .
— انك لبقرة ، الست كذلك ؟ تبحث ابدا عن الجنس .
وضحك سورم ، وكانا في تلك الاثناء يمران بمطار (هندن) . وقال
يغير الموضوع .

— انبثني ، هل قلت انك تقود الطائرات ؟
— اجل . لدي واحدة في مكان قريب من (ليدرهييد) ، ينبغي ان ترافقني في يوم من ايام نهاية الاسبوع ، فاذهب بك في رحلة .
— طيارتك الخاصة ؟

— انها تخص والدي ، ولكنه لا يستعملها ابدا .
— استدر الى اليمين ، رجاء . يقع مسكني قرب عمود المصباح ذاك .
ووقفت السيارة بهزة ، ولكن سورم كان قد تهيأ لها هذه المرة . وقال :
— حسنا ، انا مدين لك بالكثير هذه الليلة .
— لا ابدا ، انا مدين لك بالكثير . فلو كنت وحيدا لقتلني الضجر . هل عندك مشروب في غرفتك ؟

— كلا مع الاسف . لدي بعض البيرة على الاقل .
— رائع . هيا نحسبه اذن ، ام انك متعب جدا ؟
وقال سورم :

- كلا على الإطلاق . فلنصعد .
- وعندما فتحا الباب الامامي ، قال سورم بصوت خافت :
- لا تصدر ضوضاء حتى نصل الى غرفتي .
- هل الجميع نيام الان ؟
- لا ، ربما يشاهدون التلفزيون الان .
- وارتقيا السلم على اطراف اصابعهما ، وكان نن يتقدم سورم . وانفتح
- باب تحت ، وصدر صوت نسائي يقول :
- اهلا انت يا مستر سورم ؟
- نعم
- آه .
- واتفلق الباب ثانية . وفتح سورم الضياء واغلق الباب .
- انت لا تعلم كم انت محظوظ اذ لا تشكو من صاحبة بيت . اني
- ابغض صاحبة البيت .
- واشعل المدفأة الغازية وادارها الى نهايتها . كانت الغرفة صغيرة
- تزدحم بالاثاث ، وكانت بالقرب من الباب حقيبتان للملابس مربوطتان الى
- بعضهما بسلك . وكانت الطاولة مغطاة برمتها ببقايا طعام ودرج فارغ . وكان
- على طشت الفسيل في الزاوية صندوق صابون كبير من المقوى مليء السى
- منتصفه بالكتب . وخلع سورم معطفه وعلقه في دولاب الملابس . وجلس
- نن على السرير واشعل سيكارة .
- كانت لي صاحبة بيت غاية في اللطف في هامبورغ .
- وتناول سورم الدرج الفارغ ودفعه في مكانه في دولاب الادراج .
- كان لدي الكثير من صاحبات البيوت . كان لدي الكثير بحيث
- اضحيت امقت حتى السيدات الظريفات منهن . ومن اهم مزايا المكان الجديد
- هو ان صاحبة البيت لا تسكن في البيت نفسه . ان اكثر السيدات حشمة
- ينتهين ناضطهادي .
- لا تكن عصيبا يا جيرارد .
- لو كنت في موقف من هذا العدد الكبير منهن لثارت اعصابك انت
- ايضا . ما استخفهن ، قطط مسنة تافهات العقول يتركن لك قصاصات الورق
- في غرفتك بعد ان يكتبن عليها انه لا يعجبهن استقبال الضيوف بعد الساعة
- العاشره . ولا تدري متى يفيظن امر تافه فيندرنك بترك المكان . لو كنت
- دكتاتورا لفتحت مراكز اعتقال لصاحبات البيوت . نفايات قديمة ، وضيعات،
- تافهات يسعين وراء المادة .

وتقل صندوق القوى الى الارض ، وفتح صنوبر الماء الحار ، وغسل قدحين ، ومسحهما بمنشفة يد .

— مسكين يا جيرارد . ينبغي ان تبحث لك عن شقة مؤثثة .
واخرج سورم زجاجة بييرة من أسفل دولاب الملابس ، واخذ يسكب المحتويات في القدحين ، وناول احدهما الى نن قائلا : — نخبك .

— ورشف نن قليلا من البييرة ووضع القدح على الطاولة ، وقال :
— يؤسفني ان اغادر في اللحظة التي بدانا نتعرف فيها على بعضنا .
وجلس سورم على كرسي خشبي بالقرب من النار ، وقال نن كمن يتفوه بقبول ماثور :

— سيكون لدينا متسع من الوقت .
— لا ريب في ذلك . اعطني عنوانك الجديد ، وساعطيك عنواني .
وتبادلا دفترتي العناوين ، وابتدا كل منهما يكتب بصمت لحظة من الزمن . واشاعت الحرارة في قديمي سورم اللتين لم يخلع جوربيه عنهما حرارة شديدة . وكبت رغبة في التثاؤب . وسحب نن نفسه الى طرف السرير حيث امكنه ان يرى النار ومد يديه اليها .

— جيرارد . كنت تتحدث قبل قليل عن البحث عن طريقة اخرى للحياة — نعم ؟

— ينبغي ان ترى احد اصدقائي وهو يدعى الاب (كارائرز) ويعيش في منزل في شارع (روزبري) .

— يجب ان يكون في المكان الذي يسكن فيه الاخ (مونسيل) ، فهناك يسكن عدد من القسيس . هل تعرفه ؟

— كلا لست اذكره .

— انت لست كاثوليكية ، ام انك كذلك ؟

— كلا . امي كاثوليكية . كارائرز احد اصدقائها في الواقع ولكني واثق من انه سيروق لك .

واحتسى سورم البييرة على مهل ، فلم يكن يرغب فعلا في تناولها . كانت مرة المذاق لا يستسيغها تماما .

— ما الذي يستطيع الاب كارائرز ان يفعله ، في رأيك ؟

— لا اعلم ، ولكنني اميل اليه ، فهو حاد الذكاء ، متعمق في علم النفس ، كان صديقا لادلر .

— ذلك ينذر بالخطر .

— لماذا ؟

- لا يمكنني ان اتصور ان الكنيسة تقر ذلك . هل يتحدث عن الاضطراب العصبي بدلا من الخطيئة ؟
- نعم .. او ، لا ، ليس تماما . ينبغي ان تذهب لرؤيته . لقد السف كتابا عن تشيخوف .
- ودفع سورم كرسيه الى الخلف ، كانت النار شديدة الحرارة ، وقال رغبة منه في الكلام :
- ربما سآزوره . .
- ورفع ن قذح البيرة وشرب كل ما فيه . فدفع اليه سورم بالزجاجة . وسكب ن البيرة في قذحه ، تاركا الزبد يطفح على الحافة ويسيل الى غطاء الطاولة . فمال الى الامام ورشف الزبد بملء فمه حتى كف عن التدفق . ورفع بصره بفتة الى سورم من فوق حافة القذح وهو يقول بلا مبالاة استشف سورم خلالها محاولة شديدة لضبط النفس :
- يبدو انك تحمل ضغينة هائلة للمنحرفين جنسيا يا جيرارد .
- فاجاب سورم وقد غمرته انتفاضة :
- كلا ، بل على العكس . انا انسجم دائما معهم .
- ولكنك لا تميل اليهم .
- ليس السبب اني لا اميل اليهم ، وانما انا لا اقر بعقليتهم الشاذة .
- ماذا تقصد بحق السماء بالعقلية الشاذة ؟
- ينبغي الا اجيب .
- ارجوك ان تجيب ، لا تكثر بي ، فلن اعتبرها تمس بي شخصا .
- اؤكد لك ذلك .
- حسنا . اكثر من خالطتهم من الشواذ شديدا والتركيز على انفسهم ، فكل شيء بالنسبة اليهم ممعن في الانانية ، وذلك يعتمد على الناس . لا يمكنني ان اتصور ان شخصا يرى الرؤى ، او ان نيوتن او بيتهوفن يمكن ان يكون منحرفا جنسيا . اذ يبدو ان المنحرفين جنسيا يفتقرون الى الاندفاع العقلي — القابلية على ان يكون الشخص منغمسا بعنف في المسائل العقلية الصرفة . فهؤلاء يشبهون النساء وهم ينظرون الى كل شيء من الزاوية الشخصية ومن زاوية العواطف .
- انت تتفوه بالسخافات ولا شك ، ايها الصبي كيف عرفت ان نيوتن وبيتهوفن لم يكونا منحرفين جنسيا ؟ فلم يكن ايهما متزوجا . ثم ما قولك في شوبرت ، ومايكلانجلو ؟
- طيب ، اسف لاني تكلمت .

- كلا ولكن اجبني ، اود سماع ارائك .
 - لا ، انا شديد التعب . عندما تغادر الليلة ، سابقي لاحزم امتعتي .
 وعلي ان انهض غدا في الصباح الباكر للشروع في الانتقال .
 وحدجه نن بنظرة : كانت عيناه جادتين ، تكادان تنطقان بالالام . وهز
 رأسه فجأة وابتلع ما تبقى من البيرة . ثم انتصب واقفا وهو يقول :
 - حسنا ، ساتركك .
 - لا داعي ان تغادر الان ، فلم تتعد الساعة الحادية عشرة ، يمكنك
 البقاء ساعة أخرى .
 فقال سورم : - كلا ، بل ينبغي ان اذهب . علام هذه الابتسامة ؟
 - اراك تتململ قليلا . فلم لا تجلس ساكنا قليلا ؟
 لم يكن ذلك هو السبب الحقيقي لابتسامة سورم . فقد كان يفكر في
 نفسه : لقد اعتبر نن الامر يمسه شخصا ، وهكذا فيأخذ امثاله كل شيء
 مأخذا شخصيا . ولكنه مع هذا شعر بالسرور لان نن سيفادر .
 - طبت مساء يا جيرارد .
 - اين انت ذاهب ؟
 فتلمل نن وقال :
 - الى البيت ، ربما ، او ربما الى احد النوادي في بادنفتون . وداعا .
 - وداعا يا اوستن . اشكرك على هذه الامسية .
 وقال نن : لا تتعب نفسك بالنزول .
 وخرج من الغرفة مسرعا واغلق الباب خلفه . وبقي سورم واقفا حتى
 سمع الباب الخارجي يصفق ، فصاحت صاحبة البيت على الفور .
 - من هناك ؟ فقال مخاطبا الباب بغضب : - آه ، اخرسي .
 وسمع باب السيارة يصفق . وما ان اطل من الشباك حتى كانت انوار
 السيارة الخلفية تختفي في الظلام .
 وسكب سورم ما تبقى من البيرة في القدح وغسل القدحين ، وراح
 يغسل بعناية بقية الفخار الذي كان ملقى على الطاولة . كان صادقا حين اخبر
 نن بانه كان يريد ان ينهي حزم امتعته ، غير انه اخذ يحس بالنعاس والسكر
 كانت الغرفة شديدة الحرارة ، خائقة الجو . فاطفا المدفاة وفتح النافذة .
 وقبل ان يخلع ملابسه ابتلع ثلاث حبات هاضمة مع قدح من الحليب . وشعر
 بالفراش باردا لطيفا . واخذ يفكر في نن وهو يطير الى سويسرا ، وشعر
 بشيء من الحسد له غير انه اخمد هذا الشعور على الفور . وسرعان ما
 غاب في نوم عميق .

الفصل الثاني

وامعجبتة غرفته الجديدة ، رغم انها لاحت اصفر مما كان يتوقع حين فرغ من فك الصناديق وصف الراديو والفرامافون على الدولار . وكان هنالك سلم للحريق يمر من امام النافذة التي كانت تطل على قطعة من الارض الخربة وكنيسة . وقد الحق بالغرفة مطبخ صغير يبدو انه كان اصلا غرفة مهملات ، يقع في نهاية سلم ضيق في الطرف المقابل لباب غرفته . وكان يشاركه في هذا المطبخ رجل فرنسي يسكن الغرفة المجاورة . كانت عملية الانتقال الى مسكنه الجديد قد انهكت قواه . كان قد افاق صباحا دون ان يشعر بالصداع ، ولكنه احس بالتعب وبجفاف في حلقه . وبعد ان اتم تنظيم غرفته كان العرق يتصبب على جنبه ويسيل الى فخذيه ووضع اناء ماء ليغلي على الموقد الغازي . وكان يسمع دقات قلبه ، وصخب المرور في شارع كنتش تاون . وكان السرير تحت النافذة المفتوحة مباشرة فانعشه النسيم الداخل منها . وكاد ان يغلبه النعاس لولا صغير ابريق الماء الذي يقظه فجأة .

وهيا الشاي في قدح ترمس كبير وسكب محتوياته خلال مصفاة ، ووضع اسطوانة على الفرمامفون وجلس الى الطاولة وهو يتفرس في السنة النار المتوهجة في المدفأة الغازية ، واخذ يرشف الشاي . وتقر احدثهم الباب ، فصاح : ادخل .

وقال الرجل الذي فتح الباب :

- علمت اننا اصبحنا جيرانا ، وعلينا ان نشترك في المطبخ . فقال سووم :
- تفضل . هل لك في قدح شاي ؟
- اجل اشكرك .

لم تكن اللكنة الفرنسية في حديث الرجل قوية ، ولكنها كانت ظاهرة .
ونفض سورم ومد يده :

— اسمي جيرارد سورم .

— آدمون كاليه . كيف حالك ؟

— هل اضع بعض الحليب المعقم في الشاي ؟

— افعل .

ورفع غطاء زجاجة الوسكي الذي كان يتوج قنينة الحليب المعقم التي جلبها معه من كولنديل . وكان الحليب يعود الى ما قبل ثلاثة ايام . واخفض صوت الغرامافون . وقال الرجل الفرنسي :

— اي موسيقى هذه ؟ بروكوفيف ؟

— نعم ، السمفونية الخامسة . هل تحب الموسيقى ؟

— احبها جدا . كنت اعزف آلة الاوبوا في الفرقة الموسيقية في المدينة

التي اقبلت منها ، مدينة ليل .

— ولكنك لست موسيقيا محترفا ؟

— كلا ، انا مهندس .

وكان فمه ، عندما يبتسم ، يتكشف عن اسنان بيضاء منظومة بانسجام .
كان وسيم الوجه ، ذا فك عريض قوي . وقد شعر سورم بأنه مال اليه في الحال . وجلس كاليه امامه على الكرسي ذي المساند .

— علمت انك مؤلف .

— نعم ، من قال لك ذلك ؟

— كارلوتة ، الفتاة التي تنظف المكان . لدينا بعض النزلاء من لهم اطوار

غريبة . افظعمهم هو الشخص الذي يسكن غرفة فوق غرفتك .

— افظعمهم ، لماذا ؟

— انه مجنون ، ويعزف الاسطوانات طوال الليل .

— يا للسماء ، هل يحدث ضوضاء ؟

— كلا ، لا اظن ذلك . انه يعزف الاسطوانات فقط . ولن تراه اثناء

النهار ، اذ يقضيه بالنوم .

— لا يهم ، فاني اعمل احيانا طول الليل ايضا . هل يزعجك صوت

الالة الكاتبة ؟

— كلا . لدي واحدة ايضا . الشخص الوحيد الذي قد يعترض فتاة

في الغرفة السفلي .

— فهمت . ومن هم « غريبو الاطوار » الآخرون ؟

فعبس الفرنسي كمن اصاب بذهول وقال سورم شارحا سؤاله : —
قلت ان هنالك عددا من النزلاء ممن لهم اطوار غريبة ؟
— اه نعم ، الرجل العجوز الذي يسكن فوق غرفتك هو افظعهم . وهناك
اثنان من الشواذ جنسيا يسكنان في الطابق الارضي ، ولكنهما لن يسببا لك
قلقا ولو انهما يتخاصمان طول الليل . لا ضرر فيهما الا عندما يكونان في حالة
من السكر ، فيبدأ حينئذ ضجيجهما .

— الا تعترض صاحبة البيت ؟
— كلا . فهي لا تسكن هنا . ومن المفروض ان الفتاة الالمانية تقوم
بمراقبة المحل . اسمها كارلوتة وتسكن في السرداب .
وانتهت الاسطوانة ، فاقف سورم الغرامافون ، وسمعا مباشرة
طرقا على باب الغرفة المجاورة . ففتح الفرنسي الباب هاتفا : — اهلا .
فاجاب صوت فتاة :

— تلفون للمسيو كاليه .
— قد اراك فيما بعد . شكرا على الشاي . فقال سورم :
— على الرحب والسعة .

وصب سورم قنجانا اخر من الشاي ، وادار الغرامافون ثانية . كانت
الحرارة تبث فيه النعاس ، ولكي يوقظ نفسه ، طفق يعيد تصفيف الكتب في
المكتبة المستندة خلف الباب . واخذ يسوي قطع المقوى التي رزم بها الكتب
ورفعها ليقرشها على سطح دولاب الملابس فاصطدمت بعائق ما ووقعت ثانية .
فتسلق كرسيه وتفحص سطح الدولاب . كانت هناك اربعة مجلدات ممزقة
من تاليف ب. ج. و ودهاوس وثلاثة مجلدات من سلسلة « محاكمات
بريطانية شهيرة » . وكان داخل احد هذه المجلدات ختم : مكتبات ايريث
العامة . اما التاريخ المختوم فيعود الى سنين عديدة .

فتناول الكتب وتفتح عنها الغبار المتراكم عليها ووضعها على الطاولة
ليتفحصها . وبقي ربع ساعة وهو ما يزال يقرأ الجزء الاول الذي فتحه
وهو (محاكمة برك وهير) . وجعله الكتاب يحس بمرض خفيف . طرق
احدهم الباب ، فصاح : تفضل .

فاطل الرجل الفرنسي براسه من خلف الباب .
— مرحبا ، طلبت لوتة (١) ان اخبرك بان احدهم طلبك على التلفون صباحا
— اوه . ترك لي نبا ؟

— نعم . لم تستطع ان تتبين اسمه ، ولكنه اعطاها رقم تلفون . اليك به

(١) تصغير لاسم كارلوتة

وتناول سورم المظروف الممزق وقال :

— شكرا . ساتصل به الان . اين التلفون ؟

— لسوء الحظ ، قال ان عليك ان تتصل به قبل الثالثة واضاف انه سيفادر لندن في الساعة الثالثة .

ونظر سورم الى ساعته : كانت تشير الى النصف بعد الرابعة .

— اه . . اشكرك على كل حال .

فسأل الفرنسي على سبيل التحدث : — ماذا تقرا ؟

— اوه ، كتاب عن جرائم القتل .

— هل قرأت عن جريمة القتل التي وقعت الليلة الماضية ؟

— كلا .

— لقد حدثت في (وايتسابل) ، اذ عثر على فتاة اخرى كانت قد فارقت الحياة من اثر الضرب . كان الخبر في جريدة الظهرية . هل تريد ان تراه ؟ فاجاب سورم مقهقها :

— لا تكلف نفسك . اريد ان اتناول وجبة كاملة اليوم . امور كهذه تدخل في نفسي المرض .

وعندما اغلق الباب ثانية رمى سورم بمجلد « محاكمة برك وهير » على السرير وفتح احد كتب وودهاوس .

— وافاق اثناء الليل وتذكر عمة نن ، فقد كان نسيها تماما حتى تلك اللحظة ، ومد يده الى سرواله واخذ يتحسس الجيب الخلفي في الظلام . كانت الورقة ما تزال في مكانها . فاشعل عود ثقاب واخذ يقرأ : جيرترود كوينسي ، لوريلز ، فيل اوف هيلث ، وتبع ذلك رقم تلفونها . فوضع الورقة على الكرسي المجاورة لسريره ليتذكر ان يتصل بها تلفونيا في الصباح . ورقد ثانية وغمره ظلام الليل الذي كان مختنقا في ذلك الحين برائحة الكبريست المحروق ، وراح يفكر في هذه المرأة . كانت رشيقة القوام جذابة المظهر ، في سلوكها حشمة مثيرة ولاح له انها لا بد وان تكون اكبر منه بخمسة عشر عاما ، او اقل ، او ربما عشرة فقط . واخذ يتأمل في الفوائد التي سيجنيها لو اقنعها بان تصبح خليلته ، او حتى ان يتزوجها . ما اجمل ان يكون هناك من يعتني به . ولكن ماذا سيؤول اليه الوضع بعد عشر سنوات ، او خمس عشرة ؟ كما ان هناك مسألة انتمائها الى شهود يهوه . وشعر ، لسبب ما بان هذه المسألة لا تتناسب والموقف الذي يتصوره . كان يظن ان النسوة اللواتي ينتمين الى شهود يهوه هن من الطبقة العاملة ويرتدين ثيابا رثة .

كان يلد له ان يكتشف مدى الجدية الذي تأخذ به مواعظ الكتاب

المقدس ، وهل ان عقائدها تحتم عليها العفة . وقد علم بيقين مفاجيء انه لا يملك اية رغبة في الزواج منها . فالزواج يعني التخلي عن كل شيء وقد احس بيقين في اعماقه بان الاستقرار الذي يشتره بهذا التخلي غير ضروري على الاطلاق . وراح يفكر في مغازلتها عوضا عن ذلك . وماقته هذه الفكرة الى النوم وقد حاول في مساء اليوم التالي ان يتصل بها تلفونيا ، فلم يتلق جوابا ، فضبط على حمالة السماعة وادار رقم اوستن . فاخبره صوت فتاة من البدالة ان المستر ن قد سافر لبضعة ايام . فعاد الى غرفته وهو يحس بالخيبة الى حد غريب .

وبعد نصف ساعة بينما كان يطالع كتابا تناهى اليه وقع اقدام ترقى السلم الى غرفة الرجل العجوز . وسمع طرقات على الباب ، وهتف صوت فتاة : مستر هاملتون ، ولم يجب احد . وهبطت الاقدام السلم ثانية . وسمع نقرأ على بابه . فصاح : تفضل .

فقال الفتاة التي كانت تقف عند الباب :

— آسفة لازعاجك . . فقال سورم :

— هل انت كارلوتة ؟

— نعم ، هناك احد رجال الشرطة عند الباب الخارجي .

— يريد مقابلتي ؟

— اوه ، لا . قال ان احدهم رمى بزجاجة الى الشارع . واعتقد ان

الفاعل هو مستر هاملتون ، ولكنه لا يجيب . فماذا افعل ؟

— ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه الفاعل ؟

— لا بد انه هو . مسيو كاليه في الخارج ، فمن يكون غيره ، يا ترى ؟

— ماذا تريد مني ان افعل ؟

— هل يمكنك ان تذهب بطريق سلم الانقاذ ؟ ربما سيرد عليك .

— اين الشرطي ؟ — تحت .

فتسلق سورم الى النافذة وخرج الى سلم الحريق ، ووقع بصره على

حزمة من الضياء تنبعث من باب مفتوح في الاعلى . اما في الغرفة ، فجلس

الرجل العجوز القرفصاء على الارض ، ظهره الى الباب ، عاري الجسد .

وسمع اغنية دينية تغنيها جوقة كنسية باللغة اللاتينية: نجمة الصباح . الخ .

ووقف هناك ، مترددا ، لا يدري هل يعود الى غرفته بهدوء . فلما

توقفت الاسطوانة ، سعل وطرق على الباب . كان يتوقع ان يلتفت العجوز او

ان يباغته الشعور بالذنب ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، وانما رفع الرجل

الاسطوانة من الفرامافون والتقط اسطوانة اخرى من بين الكومة الملقاة امامه

وقال سورم : - عفوا ... فقال الرجل من فوق كتفه :
 - ادخل ، لا تظل واقفا هناك . فتقدم سورم الى داخل الغرفة :
 - آسف لازعاجك ، ولكن هناك شرطيا تحت يسال عن زجاجة كان
 احدهم قد القى بها الى الشارع .
 - والتفت الى النافذة ، فيما هو يتكلم ، فالفاهها مفتوحة ، وكانت تطل
 على الشارع . فقال له الرجل العجوز :
 - انت الماني ، اليس كذلك ؟
 - كلا ، انا انكليزي ، ولهذا هلا ...
 - نعم ، طيب ، طيب ، هل تعجبك مراسيم الصلاة الرومانية .
 فثارت اعصاب سورم ، ولكنه احس بالعجز ، فقد كان الرجل يضع بين
 فخذه زجاجة ينكفيء فوقها قدح . كان الفرامافون صندوقا خشبيا كبيرا ،
 وقد تدلت قطعة القماش الخضراء على القرص الدوار ، وامتدت الاسلاك
 منه عبر الغرفة الى جهاز راديو على رف الكتب . واحس بالبرد يلسه من
 تيار الهواء الذي يهب في الغرفة ، ولكنه لاحظ لهشته ان الرجل كان
 يتصب عرقا .
 - جئت لاخبرك فقط ان الشرطي يبدو عليه الامتعاض ، فالقاء القناني
 من الشبابيك يسبب متاعب جمّة ..
 - قل لي ، ايها الصديق الشاب ، هل تعتقد بموت الجسد ؟
 واحس سورم فجأة انه كان يغلي من الغضب ، وانه يتمنى ان يمسك
 بالفرامافون ويهشمه على هذا الرأس الاصلع الذي يرشح عرقا . احس انه
 ضحية انسان عجوز سكران . فعبر الغرفة الى الباب وحاول ان يفتحها ،
 لكنها كانت مقفلة وقد نزع المفتاح منها .
 فقال العجوز بسماجة :
 - اجلس وخذ شيئا من الخمر . من اي جزء من المانيا انت ؟
 واخذ سورم يتلفت حوله ، لقد روعه واقرفه فجأة هذا الجسد العاري
 القدر ، وصعد الفتيان الى حنجرته . وسكب العجوز شراب الجن في قدح
 كبير ، ثم كفا القدح على رقبة الزجاجة ثانية . وهز الزجاجة فاخذ القدح
 يصلصل . فابتسم :
 - لا يمكنك الخروج من ذلك الطريق . ومد يده اليمنى الى الامام ،
 مشيرا وتبع سورم اتجاه اصبعه الى دولااب في الجدار . كانت بابه مفتوحة .
 - هل تعلم ما هو ذلك ، ايها الصديق الشاب ، ايها الصديق الالماني
 الصغير ؟

— كلا .

— انها خارطة اليس كذلك ؟ خارطة . ولكن هل تعلم ما هي ؟

— كانت هنالك خارطة مثبتة الى الباب من الداخل تبدو وكأنها

مرسومة بالحبر .

— لا شك انك لا تعلم . وسوف لن اخبرك . انها سر خاص بي .

فعبّر سورم الغرفة ثانية وخرج مسرعا عن طريق سلم الحريق واخذ الرجل العجوز ينادي : هي ، انتظر لحظة ، وهبط سورم عن طريق سلم الحريق وعاد الى غرفته ، وقالت الفتاة :

— حسنا ؟

— لا ينفعه شيء ، انه سكران . عليك ان تخبري الشرطي ان ذلك لن

يحدث ثانية . فهو لا يستطيع الاصغاء من فرط السكر .

فاستدارت وتركت الغرفة دون ان تنبس بكلمة . فافلق النافذة وجثا على ركبتيه قرب مدفأة الغاز ليدفئ يديه . وتناهى اليه من اسفل صوت رجالي خشن . وكان الغرامافون فوق غرفته يعزف ثانية . واذله عصف غريزة القتل التي اثارها فيه هذا العجوز ، وحتى في تلك اللحظة كان يشعر برغبة شديدة في ان يقف في مدخل الغرفة ويفرغ الرصاص في ذلك العري الكريه وادهشته قوة هذا الشعور بالكراهية .

وكانت يده ملوثتين من لمس قضيب سلم الحريق ، ففسلهما في المطبخ ، واخذ يشعر بالانبساط تدريجيا وهو منحني على طشت الفسيل مغمور اليدين في الماء الدافئ . وعندما عاد الى الفتاة تنتظره في غرفته . كانت تنظر الى صندوق الكتب ، والتفتت اليه عندما دخل :

— او ، آسفة . ارجو الا يزعجك دخولي ...

— كلا ، أبدا ما الخير ؟

— يقول انه مضطر الى اخبار السلطات ، هذا كل ما في الامر .

— هل لك في كأس من النبيذ .

ونظرت وكأنها تريد ان ترفض ، غير انه اخرج الزجاجاة من الدولاب وقال : — سأخذ انا قدحا .

— حسنا ، قليل جدا ، رجاء .

كانت تلك الزجاجاة هي نفسها التي فتحتها في اليوم السابق ، وكانت ما تزال مليئة تقريبا . وسكب الشراب في قدح ناوله اليها .

— تفضلي بالجلوس .

— اشكرك .

وجلست على كرسي الى جانب النار . كان لها وجه مدبب قوي ، وكانت عظام وجنتيها عالية . وكان فمها ممتلئا ، غير انه لم يكن شهوانيا . لو كانت اكثر رشاقة لكادت ان تكون جميلة . وكانت تتكلم بلهجة انكليزية تامة .
- ماذا تعتقد انه ينبغي علينا ان نفعله بهذا الشخص ؟
فقال :

- انا مستعد لقتله . انه يشير اشمزازي .
- ماذا قال لك ؟
- لم يقل شيئا واضحا . كان غارقا في السكر ، جالسا على الارض عاري الجسد .

- عاري الجسد ؟
- نعم .
وسحب كرسيها وجلس في مواجهتها :
- اكاد لا افهمه . فمن القريب انه لم يقتل نفسه . انه يشرب طول الوقت .

- من هو ، الا تعرفينه ؟
- كان يعمل مهندسا ، وقد ماتت زوجته . اعتقد ان لديه مالا . وهو يخطب ، في بعض الاحيان ، في حديقة هايد بارك عن الدين .
- ماذا يقول عن الدين ؟
- لا اعلم . انه يتحدث عن طائفة من الطوائف الدينية الروسية التي تؤمن بالرقص حول النار . وهو يثرثر كثيرا عندما يكون مخمورا . ويتحدث عن القتل ايضا .
- القتل ؟

- نعم . يدعي ان لديه سرا عظيما . . حول - ما اسمه ؟ . . جاك لا فانترير .

- جاك . . جاك القاتل ؟ آه ، تعنين جاك السفاك . ماذا يقول عنه ؟
- لا اعلم . انه يتكلم كثيرا عندما يكون سكرانا .
- ترى لماذا تحتمله المسز ميلر ؟ لم لا تلقي به خارجا ؟
- ولم تفعل ذلك ؟ انها لا تعيش معه في نفس المسكن . وهو ينقدها ثلاثة جنيهات في الاسبوع اجرا لتلك الغرفة . لا يدفع اي انسان اخر مثل هذا المبلغ .

وانهى قدح الشراب ، وسكب لنفسه قدحا اخر . اما هي فلم تكن قد شربت جرعة واحدة . وقالت : انه يخيفني . لقد سرق مني مرة زوجا من الاحذية .

وسمعت في هذه الاثناء جرس الباب الخارجي . فقفزت على الفور .
— يجب ان اذهب . انه لي .
— هل استرجعت الاحذية ؟
— نعم . وجدتها في دولابه . وداعا . اشكرك على الشراب .
— لا شيء . تعالي في احدى الامسيات يوم لا تكونين مضطرة الى المغادرة
وجلس وهو يحملق في النار القازية . ثم انحنى ليلتقط قدحها الذي لم
تلمسه . كان دافئ المذاق . وقال بصوت عال : يجب ان احصل على امرأة .
لقد اخذ الجوع الجنسي يعصف بي . وراح يفكر في النساء الواقفات خارج
محطة النفق في كامدن ، وعبونهن تلاحق من يمر بهن من الرجال . ولكنه
ادرك في الحال انه لم يكن يرغب في المومسات . فانهن يهدمن شهيته ، كوجبة
طعام في (روتن هاوس) . وجرع ما في القدح من الشراب ، وجلس الى الالة
الكتابة .

* * *

وفي تلك الليلة ، حدثت له رؤيا التشتت مرة اخرى . وافاق وهو
يشعر بالحرارة وبقليل من السكر . كان ما يزال مرتديا كل ملابسه ، وهو
يرقد على السرير . وكان جهاز الراديو القابع مقابل عينيه يئن بهدوء ، فقد
داهمه النوم بينما كان يصغي الى حفلة موسيقية متأخرة . كانت الغرفة
تسبح في الظلام الا من بصيص ينبعث من واجهة الراديو ، ومن الوهج الاحمر
الصادر من مصابيح الثيون التي كانت تضيء احد السينمات على الجانب الاخر
من الشارع . وبينما كان يجول ببصره في ارجاء الغرفة ، طاف في ذهنه هذا
السؤال : ماذا افعل هنا ؟ فقد بدا وجوده هنا وكأنه لم يكن معنيا بذاته ، كان
من المحتمل ان يكون في اي مكان او ان يكون اي شيء .
وضيق عليه هذا الاحساس بالغربة ، فحاول ان يركز اهتمامه عليه ليستقصي
طبيعته بصورة ادق . ولكن سرعان ما عصرت قلبه رعشة من الخوف ،
وافرغت كل ما في ارادته من القوة . لقد ادرك ان وجوده لم يستطع ان
يفصل نفسه عن الوجود للعام ليفحص ماهيته . وواجه الوجود كالجدار
الاصم واحس بانه مدفوع برغبة فطرية لان ينفذ خلال الجدار ، ليؤكد
حقيقة ما وراء الجدار ، واستبد به الرعب الذي صاحب ادراكه بانه واقع
في فخ الوجود ، وان لا سبيل الى الانفصال عنه . وكان الرعب الذي اصيب
به كرهب الذي بترت ذراعه : اعنف من ان يؤلم .
وعاد الى وجوده وهو راقد على السرير ، بهزة من الارتياح . وقفز
من الفراش واجتاز الغرفة ليطفئ الراديو ، وهو يفكر : عبث او غير عبث ،

فانني اختار ان اكون هنا .
وما ان عاد الى السرير ثانية حتى اخذ يحاول ان يخلق من جديد هذا
الخوف ، والادراك الذي ولده ، ولكنه عجز عن ذلك . فقد استنزفته ، كاشباع
الرغبة الجنسية ، وراح ذهنه يصوغ الكلمات بسدلا من الاحاسيس . ان
الشعور الوحيد الذي استطاع ان يثيره ثانية في نفسه هو الاحساس بالغربة ،
الشعور : باني لا انتمي الى هذا المكان . واخذ يتساءل بغموض ، وقد خسر
المحاولة ليبقى متيقظا ، ليست البصيرة نوعا من الحارس ، من الروح الخيرة
التي تتميز بالعدم ؟
وافاق ثانية اثناء الليل ، وشعر باشمئزاز غريب من جسده ، كان
جسده قطعة من اللحم الميت . ثم ادرك فجأة ما الذي اثاره الغثيان في نفسه
فكرة عدم وجوده .

* * *

واستيقظ مرة اخرى وداهمه احساس بان هناك شيئا يحدث . فنظر
الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد العاشرة . وكان احدهم يضرب باب
الرجل العجوز . وهتف صوت الفتاة الالمانية :
- افتح الباب ، رجاء . يريد احدهم التحدث اليك .
ورد العجوز بعبارة غير متميزة ، كانت كلماته مخنوقة ، وتكرر الطرق
على الباب . وصاح العجوز ثانية ، بصوت اوضح هذه المرة : - من هو ؟
- فقال صوت رجالي :
- ضباط الشرطة . ارجو فتح الباب .
واعتدل سورم في فراشه ، وتذكر الزجاجاة حالا . وسمع جلبة فوق
راسه ، وحركة قدمين عاريتين على ارض الغرفة . ثم تحرك شيء ثقيل ،
قطعة من الاثاث . وصاح الصوت الرجالي ثانية :
- ارجو السماح لنا بالدخول رجاء .
لم يجب احد ، وتزحزح شيء اخر على الارض . واشتد الطرق على
الباب واصبح اكثر الحاحا . وفجأة صاح الرجل العجوز ، بصوت حاد لاهت
- ماذا تريدون ؟
فاجابت الفتاة الالمانية مهدئة :
- مجرد بعض الاسئلة . - عم ؟
فقال الشرطي - افتح الباب ، لتتحدث .
كان صوت الرجل العجوز اجش ، يكاد لا يفته ، وصرخ :
- اعرفكم ، اعرف الاعيبكم .

وكانت في صوته مسحة من الهستيريا . واخذ الشرطي يناقش الفتاة بصوت منخفض . ومشت الاقدام العارية على ارض الغرفة ، وسقط شيء على الارض محدثا قرقرة . وصرخ الشرطي :

— اذا امتنعت عن فتح الباب ، فسنقتحم الباب بالقوة .
وقفز سورم من السرير وارتدى سرواله . وفتش حوله عن نعليه ، ثم تذكر انه تركهما في المطبخ . وفتح باب غرفته فجأة ، واطلت الفتاة الالمانية .
كان ما يزال على الارض ، يبحث تحت السرير . وسمعها تقول :
— لا يوجد احد هنا ، يمكنك الدخول .
واعتدل سورم بينما دخل الغرفة رجل ، فهمست الفتاة : اوه ، اسفة ، ظننت انك في الخارج .

فشعر سورم بالحرج ، وكان منشور الشعر ، ما يزال مرتديا سترة منامته . وسأل : — ما الخبر ؟

— شش ، لا نريده ان يسمعنا . هذا السيد شرطي ويريد ان يصعد من سلم الحريق . هل لديك مانع من ان يمر خلال غرفتك ؟
— لا . بالطبع لا .

فاجاب الشرطي الذي يرتدي الملابس المدنية بصوت فظ :
— اشكرك يا سيدي .

ورفع سورم الجزء الاعلى من اطار النافذة ، فانزلت بصيرير من جراء عدم تزييت البكرات . وقطبت الفتاة . والتقط الشرطي صحيفة من جريدة كانت على الطاولة ، وقال بهدوء : هل تسمح يا سيدي ؟ ثم فرشها على السرير ووضع قدمه عليها ليتسلق خارجا من الشباك . كان رجلا قصير القامة ، له وجه مدبب يشبه رأس الطير . وبقي في موقفه هنيهة محدقا في القرفة العليا ، ثم تسلق سلم الحريق بهدوء . واخفض سورم النافذة قليلا ليقلل تيار الهواء .

وسأل الفتاة : ما الخبر ؟

فتململت وقالت : لا بد ان يكون معنوها . يريدون ان يوجهوا اليه بعض الاسئلة فقط .

— حول رمية القنينة ؟

— لا ، ليس لهذا السبب .

— ماذا فعل هذا المعجوز ؟ فقالت بغموض :

— الامر يتعلق بجريمة قتل ، يعتقدون انه قد يعرف شيئا عن الموضوع وتناهى اليهما صوت ضربة مفاجئة على الباب كمن يريد ان يقتحمه .

وصرخ الرجل العجوز .
- لا يمكنك ان تدخل .
فهرعت الفتاة الى الشباك واخذت تنظر الى الاعلى . وصاح الشرطي :
- اخبري برت ان ياتي للمعاونة . فلا بد ان تكسر الباب .
واسرع سورم الى الباب . ولكنه قبل ان يصل اليه دخل الشرطي
الاخر الى الغرفة راكضا ، ورفع الشباك وتسلق خارجا .
فقال الفتاة :
- ماذا يبغي هذا المجنون ؟ لا يريد احد ايلءاءه .
والقت بنفسها على السرير ثانية واشرابت بعنقها خلال النافذة .
وانطلق الباب مفتوحا بدوي عنيف . وصدر صوت الرجل العجوز يائسا :
- لا تقتربا مني .
فالتفتت الفتاة وحملت في وجه سورم . وسمعا صرخة الم مفاجئة
اجمدت الدم في عروقهما . فقال سورم :
- يا الهي ، ماذا فعل ؟ اعتقد انه من الافضل ان اذهب للمساعدة .
وحالما تسلق الى النافذة رأى الدخان الاسود المنبعث من خلال الباب .
وتسلق السلم مسرع الخطوات . لم يتمكن ان يرى ما في داخل الغرفة لشدة
الدخان واللهيب . وصاح احد الشرطيين : افتح النافذة ، وخبت السنة
اللهيب برهة من الزمن ، فاستطاع ان يرى ان النار كانت عند الباب فقط .
فتقهقر الى الخلف متكئا على قضيب سلم الحريق ثم القى بنفسه في الغرفة
وكان الدخان قد ملأ الغرفة كالضباب البني . كان العجوز يتلوى من الالم
على الارض . وكانت النار مشتعلة فيه . وكان الشرطيان يحاولان اخماد
اللهيب بالاغطية . وفتح سورم النافذة على الجانب الاخر من الغرفة ، وتنشق
الهواء النقي وهو يحس بالامتنان . وحينما ادار رأسه الى داخل الغرفة
استطاع ان يتبين ان النار كانت تندلع من علبة زيت ملقاة بالقرب من المدفأة ،
والزيت ما يزال يتدفق منها . فركض نحوها وسدد لها ضربة بقدمه اطارتها
خلال الباب الى باحة الدار . وتدحرج الرجل تحت قدمه وهو ما يزال يصرخ
وسقط سورم على السرير ولكنه استرجع توازنه ورفع الفراش من السرير
والقى به وسط اللهيب . فصغرت حالا مساحة اللهيب الى بقعة صغيرة ،
واخذت تتطاير حول اطراف الفراش . وصاح احد الشرطة بصوت خشن :
احسنت صنعا ، وتوقفا عن الضرب بالاغطية والقيام بها فوق النار . وفتح
سورم دولاب الملابس ورمى بكل ما استطاع ان يجده من الثياب . وتخذشت
عيناه وحنجرته من الدخان . واخذ يطأ بقدمه على السنة اللهيب التي بقيت

متأججة ، وهو يرتطم بالشرطيين في ترنحه كالثمل ، ويسعل في غمرة الدخان وكان الرجل صامتا ، على الأرض .

وشتت تيار الهواء القادم خلال الغرفة سحب الدخان . وترك سورم الشرطيين ليظلا اللهب ومضى ينتزع الصندوق والكراسي التي وضعها العجوز خاف الباب . وادار المفتاح وفتح الباب . وكاد ان يسقط على الدرج من شدة شوقه ليتنفس الهواء الطلق .

وقاوم رغبته في ان يغلق الباب خلفه ليعزل نفسه عن الدخان ورائحة الزيت الكريهة . وجلس على اعلى السلم متكئا على الافريز ، واخذ يتنفس تنفسا عميقا . وبعد قليل ، تلاشى الألم في عينه ، وشعر بالسخام يغطيه من قمة رأسه الى قدميه ، وبعد ان ذهب شعوره بالاختناق عاد الى الغرفة مرة اخرى . كان الشرطيان يقفان خارج الغرفة على سلم الحريق يلهثان . وقد انطفت النار . وكان الرجل العجوز يرقد بلا حراك تماما في وسط الغرفة واستدار سورم وهبط السلم ثانية . فوجد ثلاثة اشخاص في غرفته يتأملون من خلال النافذة . فشعر بالغثيان ولوى رأسه وسار نحو المطبخ . وفتح صنبور الماء ووضع رأسه تحته . وخلع عنه المنامة واخذ يمسح جسده بالسفنجة مبللة ، فهذات الحرارة التي كانت تضطرم في جسده وأحس ببرودة رقيقة . كان جسده يتوجع ويرتعش كمن تعرض لضرب مبرح . فمسح بالسفنجة والصابون على وجهه وصدره ثم اخفض سرواله ، وراح يمسح جزءه الاسفل وبعد ان جفف نفسه شعر بتحسن . واخذ الماء يقطر من شعره الذي تشرب بالماء فانساب على كتفه ورقبته . واخذ يمسح شعره بعنف ، ثم راح يسرحه وهبط السلم ثانية ، حاملا بيده المنامة .

كان باب غرفته مغلقا ، وقد جلس فيها الشرطيان ونزعا معطفيهما . وستريهما . وكان الرجل العجوز راقدًا على الفراش ، يثن بصوت خافت فنظر اليه الرجلان عند دخوله وانفرجت شفقاتهما عن ابتسامة . وقال احدهم معلقا :

— اللعنة ، اعتقدت اننا قضي علينا اليس كذلك يا جاك ؟

ورمق المدعو جاك السرير ، قائلا :

— ايها النفل البليد . لم يفعل كل ذلك ؟

فنظر الاخر الى سورم وقال :

— شكرا للمساعدة .

— لا شيء . هل تلقيان القبض عليه ؟

— كنا نبغي ان نوجه اليه بعض الاسئلة فقط .

- كان راساهما وايديهما مسودة مع القذارة ، وكانا يتصببان عرقا .
فقال سورم سائلا :
- هل لكما بشيء من الشراب ؟
فقال المدعو جاك :
- بل انها لفكرة بديعة .
فقال الاخر :
- ماذا ؟
- شراب او بيرة .
- بيرة لي .
- ولي ايضا .
وفتح زجاجة الجعة الخفيفة وسكب منها في قدحين وانا من الخزف
وشرب حصته جرة واحدة طويلة . ودفع الزجاجة اليهما قائلا :
- تفضلا واشربا .
- شكرا .
- اين كارلوتة ، الفتاة الالمانية ؟
- لقد ذهبت لطلب سيارة الاسعاف تلفونيا .
وفي اثناء ذلك دخلت الفتاة الى الغرفة وقالت :
- سيحضرون بعد قليل . كيف حاله ؟
فهز المدعو جاك كتفه وقال :
- لا يمكننا الجزم وهو بهذه السن . ان اصابته بالحروق ليست بليغة
ولكنه اصيب بصدمة .
كان الرجل العجوز يرقد على السرير ، مفتوح العينين ، يتنفس بصعوبة
وطفق يئن . وقال سورم :
- سأذهب لارتداء ملابسي ، عن اذنكم .
واخرج سرولا مكويا بعناية من الدرج ، وثوبا وربطة عنق . ومبلا
الشرطيان قدحيهما ثانية حتى افرغا الزجاجة ، وتجاهلا الرجل العجوز .
فتبعته الفتاة خارج الغرفة وقالت له :
- يمكنك الانتظار في غرفتي ان اردت . وستصل سيارة الاسعاف
بعد قليل .
كاد ان يرفض ، ولكنه غير رايه :
- شكرا ، اين هي ؟
- تعال ادلك .

وسبقته في الهبوط على السلم ، فقال لها سائلا :
— ماذا فهمت من الوضع كله ؟ ما هي حقيقة الامر ؟
— لا أدري ، لا أعرف أكثر مما تعرفه أنت .

وكان يتوقع لسبب ما أن يجد غرفتها موحشة ، غير أن غرفة الجلوس كانت واسعة وثيرة الأثاث . وكانت أرض الغرفة مغطاة بالسجاد . وفتحت نورا عاليا للقراءة ينتصب الى جانب الأريكة ، نشر ضياء وديا دافئا . وكانت هناك مدفأة كهربائية مثبتة في الجدار تشتعل . وحينما تركته منفردا ، ارتدى ملابس وسرح شعره ، ثم راح يجيل بصره في الكتب المصفوفة على الرف ، كانت جلها باللغة الألمانية . ولفت نظره أن سريرها في الزاوية كان واسعا ، فخطر له بصورة تلقائية : يسع شخصين ، ثم فكر : لا ، ليس من الحكمة في شيء أن تكون لك خلية في بيتك ، يمكنها أن تراقبك بدقة . ومع هذا ، فقد طاف ببصره باهتمام على الصور المرتكزة فوق الدولاب ولم يجد بينها صورة رجل شاب . كانت هناك صور تمثل عائلتين وصورة فتاة تبدو في سن أصغر بعشر سنوات ، ذراعها يلتف حول خصر فتاة شقراء ، وكانت ترتديان الملابس البافارية .

وفتحت الباب من خلفه . كان يتوقع الفتاة ، وإذا به الشرطي المدعو جاك يدخل .

— هل أوجه لك بعض الأسئلة ؟

— تفضل . عن ماذا ؟

— تفضل بالجلوس أولا .

وأخرج من جيبه دفتر ملاحظات وقلم حبر جاف . وجلس سورم على الأريكة .

— والان ، لنر . أنك تسكن هنا منذ يوم السبت فقط ، فلا أتوقع منك

أن تعرف الكثير عن هذا العجوز ؟

— لا شيء على الإطلاق ، في الواقع .

— ولكنك صعدت الى غرفته يوم أمس ؟

— لبضع دقائق فقط .

— طيب . ألم تتكون لديك أية فكرة عن أوراق يحفظها عنده ؟ شيء

قد يريد اتلافه حرقا ؟

— لا اعتقد ذلك ، فلم أمكث عنده غير دقيقة ونصف فقط .

وتنهذ الرجل وقال :

— طيب حسنا . هلا شرحت لي ماذا حدث في الليلة الماضية .

ووصف سورم مقابلته مع الرجل المعجوز ، واخذ يعيد ، ما استطاعت
ان تسعفه به ذاكرته ، كل ما جرى بينهما من حديث . ولم يقطعه رجل
الشرطة الا مرة واحدة حيث قال :

— هل اتيح لك ان تلقي نظرة على الخارطة ؟

— كلا ابدا . لقد مررت من هناك فقط .

— هل كانت خلف باب الدولاب ؟

— نعم .

— خارطة شوارع ؟

— اعتقد ذلك .

— هل يمكنك التعرف على خارطة وايتشابيل لو رأيتهما ؟

— لا اعلم . ربما استطيع . من المحتمل جدا انها خارطة وايتشابيل .

— اعتقد ان كارلوتة حدثتك عن فكرته المضحكة ، قضية جاك السفاك .

فاجاب الرجل باكتئاب : اجل . واغلق دفتر الملاحظات واعاده الى

جيبه ثم قال : — حسنا ، اعتقد ان هذا هو كل ما اردت ان اسالك عنه .

وقال سورم :

— هل ان القضية سر ، ام يمكنك ان تحدثني عن ماهية الامر ؟

— انه مجرد تحقيق روتيني في قضية جرائم القتل التي حدثت في

وايتشابيل . اخبرنا احدهم عنه انه احد المشبوهين . ونحن مدزمون بأن

نقوم بهذا التحقيق .

— ما هي جرائم القتل في وايتشابيل هذه ؟

— الا تقرأ الصحف ؟

— كلا ، الا عندما اكون مضطرا ، ولست مضطرا على الغالب .

واشعل الشرطي سيكارة وانتصب واقفا وهو يبحث عن نفاضة سكاير

وقال : — انت ، رجل محظوظ . اقرأ صحف اليوم فتجد كل ما تبغيه عنها .

— كيف نفدت هذه الجرائم ؟ اقصد ما هو السلاح المستخدم ؟

— عدة انواع : مطرقة ، مقص ، سكين .

— وكم عدد القتلى الى الان ؟

— اربعة .

وقال سورم متسائلا :

— ولكن كيف علمت ان الذي اقترف هذه الجرائم كلها هو شخص

واحد ؟ طالما كانت وسائل القتل مختلفة حقا ..

وقاطعه الشرطي بقوله :

- اصغ ، سؤالك لي لا يجديك شيئا ، اقرا جريدتك ، فلست المسؤول
 عن هذه القضية . اني اقوم بعمل روتيني وحسب .
 - من المسؤول اذن ؟
 - المفتش ماكردو ، سكوتلانديارد .
 وفجأة رن الجرس في الشقة ، وهتف الرجل :
 - آه ، لا شك انها سيارة الاسعاف .
 وراح يخطو نحو الباب ، وقبل ان يبلغ عتبتها ، سمعا وقع اقدام تهبط
 السلم بسرعة ، ففتح الباب وتوقف هناك واخذ يسترق السمع . وقال سورم :
 - اتعلم ، الغريب انه ...
 - ماذا ؟
 - الطريقة التي تصرف بها . يظهر انه كان يعتقد انكما كنتما تبغيان
 توقيفه .
 - غريب جدا . اود ان اعرف سبب ذلك .
 - اعتقد ان به لومة في عقله .
 - ينبغي ان ارحل الان . شكرا على المساعدة .. والبيرة .
 - لا ابدا .
 ووجد جريدة الصباح على مائدة المطبخ . وقد كتبت الجريدة بعناوين
 بارزة في صفحتها الداخلية : اكبر قضية تحقيق حتى الان . وتناول الجريدة
 وحملها الى غرفة الجلوس واقتعد الكرسي وانشأ يقرأ . وكانت الصفحة
 الاولى تحمل صورة فتاة مكتنزة الجسم ، ممثلة الشفاه ، كتب تحتها :
 « البحث مستمر عن القاتل المجنون في لندن . جرى يوم امس تسخير
 جميع من توفر من رجال في اكبر ملاحقة عرفتها العاصمة حتى الان عن مجرم
 سدّد أربع ضربات خلال احد عشر شهرا . وقد قال المحقق ماكردو في وقت
 متأخر من الليلة الماضية في حديث له الى الصحفيين ان الشرطة قد حصلت
 على ما يكفيها من الادلة للاعتقاد بان قاتل كريتشن ويدمان الموديل السابقة
 البالغة من العمر خمسة واربعين عاما والتي وجدت مصابة بطعنة مميتة
 صباح يوم السبت ، هو نفسه قاتل مارثا ترنر (٦ كانون الثاني) ، وخوانيتا
 ميلر (٣ نيسان) وكاترين ايدوز (١٧ اب) .
 « قتلت مارثا ترنر بضربة مطرقة في شارع جورج ، سبتايلفدز . اما
 خوانيتا ميلر ، فطعنّت بمقص . وكاترين ايدوز ، مثل لاحقتها كريتشن
 ويدمان طعنّت بسكين .
 « يكاد يكون اعتقاد رجال الشرطة جازما بانهم يلاحقون الان قاتلا

مجنونا ذا ميول سادية ، تعاوده بين الحين والاخر شهوة القتل . ويجري رجال الشرطة ، منذ صباح يوم السبت ، تحقيقا من بيت الى بيت في كل ناحية من انحاء وايتشابل .

« وقد حقق البوليس كذلك مع اصحاب الاكشاك في سوق « بيتسي كوت لين » حول رجل يحمل موسى حلاقة يمزق بها ملابس النساء الداخلية المعروضة للبيع هناك .

« وقد وصل مساء يوم امس الى غرفة التلفون في مبنى سكوتلانديارد حوالي مائتي نداء من اناس يظنون ان لديهم معلومات عن القاتل .

« وتحدث المحقق ماكمرودو في الليلة الماضية قائلا : ليست هناك نظورات جديدة في الموضوع ، ولم يزل رجال الشرطة يأملون في القاء القبض على القاتل في اقرب وقت . »

ودخلت الفتاة في اللحظة التي انهى فيها قراءة الخبر ، وقالت :

— غرفتك خالية الان .

فقام على قدميه وهو يقول :

— اوه ، شكرا .

— هل لك في قدح شاي ؟

— نعم . شكرا جزيلا .

وصاحت من المطبخ :

— اخبرني رجال الشرطة انك قمت بعمل عظيم .

فاجاب متضاحكا :

— لا تحدث دائما حوادث مثيرة كهذه قبل الفداء .

ووقف عند مدخل الباب ، يراقبها تضع الشاي بالملعقة داخل الاناء ،

ثم ترفع ابريق الماء الذي كان يصخب بازيزه . وقال :

— الا تسخين ابريق الشاي ؟

— كلا ابدا ، واني لعلى يقين من ان المذاق لا يتغير ابدا ، يقول اصدقائي

من الانكليز انه يتغير ، ولكني لا اشعر به .

فاجاب بلامبالاة : — يجوز .

فرمقته بنظرة ودية مفاجئة . وقالت :

— حسنا ، عندما اهيبء لك الشاي في المرة القادمة ، ساسخن ابريق

وارتسم الجد على محياه وقال :

— هل تعتقدين ان هناك اي امل في عودة هذا المعجوز ؟

فقالت بلهجة مؤكدة :

- آمل الا يعود .
 - هل قرأت جريدة الصباح ؟
 - بعد .
 - تذكر الجريدة أن الشرطة تلقت اكثر من مائتي نداء حول قاتل وايتشابل هذا . يبدو ان احد هذه النداءات يتعلق بالمجوز .
 وناولته الشاي في اناء خزفي رقيق الصنع . فقال سورم :
 - شكرا ... لا ريب انه من المستحيل ان تكون لهذا الشخص علاقة بجرائم القتل هذه ، اليس كذلك ؟
 - اظن ذلك .
 وعادا ثانية الى غرفة الجلوس ، فجلست هي على الاركة :
 - اعتقد انه يمكنه ان يثبت انه لم يكن في محل الجريمة ، فهو يلعب الاسطوانات طوال الليل .
 ووضع قطع السكر في قدحه ، واخذ يدير المعلقة ، وهو يقول متأملا :
 - ومع هذا ، فمن الممكن ان يجعل من ذلك خدمة . فكل ما يحتاجه هو غرامافون اوتوماتيكي وكومة من الاسطوانات . ما اروعها قصة بوليسية ، الا تعتقدين ذلك ؟ رجل يوقظ الجيران ليبرهن كونه بعيدا عن محل الجريمة . وفي احدى الليالي ، يضع كومة من الاسطوانات في الغرامافون ويتسلل خلال سلم الحريق ليقترف جريمة ويعود ادراجه بعد ساعتين . عقدة محكمة .
 - لم لا تفتاح الشرطة بذلك ؟
 فاجاب :
 - سأفعل ، اذا ما تبين لي ان هذا النفل المجوز سيعود . سأضع الخطة لادانته . وأعلن بانني رأيت يتسلق سلم الحريق بخذاء من المطاط وهو يحمل باحدى يديه فاسا ملطخة بالدماء ، فيتقرر بذلك مصيره .
 فانفجرت الفتاة بحنان غير متوقع ، قائلة :
 - مسكين هذا المجوز . كان ينبغي ان تكون له عائلة ترعى شؤونه . واغضبه ما كانت تبطنه في كلماتها من لؤم لصلابته . وقال وقد طفح وجهه بالبشر :
 - أجرؤ على القول بان له عائلة بالفعل ، ولكنها تختفي لتتفاداه . هيا تألمي في الامر .
 - يجب عليك الا تكون بهذه القسوة تجاهه .
 - ألم يوظفك طوال الليل باسطواناته الملعونة .
 واحتسى الشاي . كان رديئا جدا ، خفيفا ، لم يبق المدة الكافية على

النار . فاضاف اليه كمية اخرى من الحليب ليلطف من مذاقه ، ثم افرغه في
جوفه جرعة جرعة . وقالت له : المزيد من الشاي ؟
- كلا ، اشكرك . يحسن بي ان اذهب . وبالناسبة ، هل القيت نظرة
في تلك الغرفة ؟
- كلا ، لم ؟

- لا ادري هل الحروق فيها جسيمة ؟
- لماذا ؟ هل تريد ان تنتقل اليها ؟ فقال :
- قد تكون فكرة معقولة ، في حالة رغبة النزول الاخر في ان يقوم
بحركات بهلوانية طول الليل ، او ان يدرب حصانا على الرقص .

الفصل الثالث

- وهتف من كان على الطرف الثاني من خط التلغون :
- مكتب الاخبار .
- هل المستر بيل موجود رجاء ؟
- يتكلم .
- هلو ، بيل . جيرارد يتكلم .
- هلو ، ايها الزميل ، كيف الحال ؟
- انتبه يا بيل . لقد وقع شيء غريب في المحل الذي اسكن فيه . لقد حاولت الشرطة القاء القبض على رجل عجوز باعتباره مشبوها في قضية وايتشابل .
- هل وصل الخبر الى اية جريدة اخرى ؟
- لا اظن ذلك .
- ماذا حدث ؟
- وضع العراقي خلف باب غرفته واشعل فيها النار .
- يا للسبباء ! وماذا وقع بعد ذلك ؟
- حطموا الباب . وهو الان في المستشفى يعاني من الحروق .
- ابق على الخط . . . طيب ، اعطني العنوان ، كولنديل ، اليس كذلك ؟
- كلا فقد انتقلت الى كيننتش تاون .
- حسنا . طيب . هل يمكنك المجيء الى هنا .
- الى المكتب ؟
- نعم ، كلا ، بل الى مقهى « جو » في شارع كارملات ، تلك المقهى التي قصدناها يوما مع كريت ؟

- مضبوط . سأذهب هناك في الحال ، وارجو ان اراك خلال نصف ساعة .

- انتظر . ابق على الخط . اعطني العنوان ، سنوفد شخصا الى هناك حالا .

- حسنا . ولكن ارجو ان تسلي لي معروفا، لا تذكر اسمي، فقد تستنكر ذلك صاحبة البيت . اوص من ترسله ان يقول لها انه علم بذلك من الشرطة او ان احد الجيران اوصل الخبر الى مكتبكم ، مفهوم ؟
- نعم اعطني العنوان .

ومشى عائدا الى مسكنه مسرع الخطى دافنا يديه في جيوب معطف المطر . ولاحت السماء في شهر تشرين الثاني هذا مقرورة داكنة .
واسند دراجته الى شباك المقهى في شارع كارمليت ، ووضع القفل في العجلة الخلفية . كانت تجرى في الشارع بعض الاصلاحات وكان ضجيج المثقب الهوائي قد غمر الهواء باهتزازات عنيفة طمست ضوضاء مكائن الطباعة في الجهة المقابلة . وبدأت المقهى تغص بالجموع التي تتدفق وقت الغداء . ولم يجد اثرا لبين في كلا الصاليتين . وخلع معطفه والقاه على طاولة خالية في احدى الزوايا ليحجزها ، ثم ذهب الى طاولة البار ليعين طلبه . وحينما عاد الى محله وجد رجلا يجلس هناك . فقال سورم بفتور :

- هلو ، بوبي . فاجاب الرجل :

- انني بخير يا جيرارد ، كيف انت ؟ ارجو الا يزعجك وجودي هنا ؟
والقى نظرة قلقة بعينه النديتين . فقال سورم :
- كلا . اني بانتظار بيل بين .

- لا بأس . سارحل عندما ياتي . حسنا ، انك تبدو بخير ، ايها الصبي ومضى سورم يتأمل ذلك الوجه المجهد ، غير الحليق ، وندم للفظاظة التي عامل بها الرجل . وبدأ له هذا الرجل الاسكتلاندي ، وكأنه لم يلدق الطعام او النوم لايام عديدة . فقال له سورم :
- هل اقدم لك فنجانا من الشاي ؟

- كلا اشكرك يا جيرارد . فقد شربت توا . ولكن هل ادلك على ما يمكنك ان تفعله . اني اكاد اموت ظمأ لثغثة من الدخان ، ولا املك غير بعض القروش ، فهل يمكنك اقراضي شلنا او اثنين ، شلق واحد يكفي .
وقال سورم متضايقا :

- لا ادري . اظن ذلك .

واخرج محفظة نقوده وسلخ منها ورقة بنصف جنيه كانت مطوية

وناولها الى روبرت دروموند .

- اذا استطعت ان تصرفني هذه الورقة ، يمكنك ان تأخذ منها شلنين .

- اشكرك ، ايها الرجل . لقد انقذت حياتي حقا .

ونظر سورم الى ساعته ، كانت النصف بعد الثانية عشرة . وعاد دروموند وقذف ببقية الشلنات امام سورم ، وقدم علبة السكاير المفتوحة اليه ، فهز سورم رأسه قائلا :

- اشكرك ، لا ادخن .

- انت سعيد الحظ .

ولاحظ سورم اليد المرتعشة التي كانت تشعل السيكارة .

وجلس الاسكتلاندي واطلق من فمه نغمة من الدخان ، ثم بصق بقطعة من التبغ كانت قد علقت بشفته السفلى ، واغمض عينيه وقال :

- آه ! . هذه اول سيكارة ادخنها اليوم .

وفتح عينيه ، ورمق سورم لأول مرة بنظرة مباشرة :

- حسنا ، ايها الصبي ، ماذا كنت تفعل منذ اخر مرة رايتك فيها ؟

- لا شيء . اخبرني يا بوبي ، هل تعرف شيئا عن حوادث القتل فسي وايتشابل !

- ما قرأته في الجرائد فقط . لماذا ، هل تعرف انت شيئا عنها ؟

- كلا . الا يوم امس . لم اكن قد سمعت بها مطلقا . فلم اقرأ الصحف فقال دروموند :

- هل اخبرتكم يوما عن حادثة القتل التي الفيت نفسي مشتبكا بها في كلاسكو ؟

- كلا .

- طيب . لم تكن لي علاقة بها تماما ، ولكن الفتاة التي تسكن الغرفة المجاورة وجدت مخنوقة في احدى الليالي . وما يضحك في القضية هو اني سمعتها تصرخ ، ولكنني بقيت راقدا ولم افعل شيئا .

- لماذا ؟

- لماذا ؟ من الصعب الاجابة .

وراح يتطلع الى سيكارتة الثانية وهو ساهم . وصاحت المرأة : معلق وبطاطة . فالتقط سورم الصحن من الطاولة ودفع الثمن . وعندما جلس ، قال الاسكتلاندي على مهل :

- نعم ، بل يمكنني ان اخبرك السبب . هل حدث لك يوما ان احتجت شيئا بشدة ؟ احتجت اليه اكثر مما يستحق ؟

فاجاب سورم : احيانا . وراح يرش عصير الطماطة في الصن .
 - كانت الفتاة بديعة الشكل ، هل تدرك ما اقصده ، ليست جميلة .
 ولم يكن لها اصدقاء دائمون من الرجال ، ولكنها ، حسب ما كنت أعلمه ، لم
 تكن نقية عفيفة الى هذا الحد . فقد كان يحدث احيانا ان يقضي معها احدهم
 ليلة ، وليس نفس الرجل في كل مرة ، تلاحظ ؟ وكثيرا ما كنت اشعر برغبة
 في أن أطرق الباب عليها واختلق عذرا ما واقول لها : ما رأيك في الامر ، يا
 عزيزتي ؟ لا اعتقد انها كانت سترفض - لا اعتقد ابدا .
 فقال سورم ، وهو يمزغ قطعة المعلق في فمه :
 - لم لم تفعل اذن ؟
 فهز كتفيه وهو يطفئ عقب السيجارة :
 - لا ادري . كنت اصغر سنا في ذلك الحين ... خجولا .
 ونظر الى سورم واشرق وجهه بابتسامة مفاجئة . كانت ابتسامة تنم
 عن البساطة والاخلاص الى حد غريب .
 - وحدث في تلك الليلة ان سمعتها تصرخ واعتقدت انها رأت كابوسا .
 وفكرت في نفسي : لم لا اغتنم الفرصة الان ؟ وكدت اصل الباب . ولكنني
 اخذت ارتعش وكان العرق يسيل مني ، وبالرغم من انني كنت افكر منذ
 مدة طويلة في المسألة الا انني لم اكن متهيئا لان افعل فعلتي بهذه الصورة
 المفاجئة . ولبثت مستلقيا على السرير ، احس بقلبي يخفق ، وكنت احاول
 ان ابعث الجراة الى نفسي . وسمعت حركة ، وفكرت : لا تستطيع النوم ..
 ولم اذهب . وفي اليوم التالي وجدوها جثة لا حياة فيها .
 - هل قبضوا على القاتل ؟
 - نعم . القوا القبض عليه . كان جنديا ، قتلها طمعا في ثلاث باونات
 كانت في حقيبتها .
 فقال سورم :
 - اوف ايها الحقير . يا لها من فتاة مسكينة .
 وقال الاسكوتلاندي :
 - هوذا بيل .
 والتفت سورم في اللحظة التي دخل فيها بين الغرفة . فلوح له بيده
 فنهض دروموند واقفا وهو يقول :
 - سأرحل .
 فقال سورم :
 - اذا لم تتوقف عن التدخين المستمر ، فستحتاج الى علبة سكاير

اخرى بعد نصف ساعة .

— انك على حق يا جيرارد . اشكرك على القرض .

وشد دروموند بيده غير المفسولة التي كانت تغطيها شعيرات حمراء على ذراع سورم . وصاح بين قرب طاولة البار .

— شاي لكليكما ؟ فقال دروموند :

— ليس لي ، فاني مغادر . وداعا يا عزيزي ! وقال سورم : — وداعا .

اقبل بسين يحمل فنجانين من الشاي . وقال : ماذا اراد ؟

— لا شيء ، جاء ليتحدث فقط .

— يتحدث ؟ الم ينصب لك شركا ؟

— شلثنين فقط .

— علمت ذلك . فهو يحاول ان يستنزف المال مني كلما رأيته . علمت انه قد اقتطع منك شيئا .

وقال سورم :

— تبدو مريضا .

كان وجه بين شاحبا . كان وجهها نحيفا بارز التقاطيع ذا ذقن منفلق الى نصفين ، وكان عندما يظهر عليه الاعياء تصطبغ بشرته بلون مخضر كزلال بيضة البط .

— اني مريض فعلا . اكاد احتضر من النعاس . لقد بقيت ضعف ساعات الدوام في المكتب ، لان زميلي مصاب بالانفلونزا .

— هل ارسلت مخربرا ؟

— نعم ، هو في طريقه الى هناك الان . قلت له ان الحادثة بلغتنا عن طريق الشرطة .

اخبرني ما حدث .

وكرر سورم القصة ، مبتدئا بها من حادثة قذف القنينة . واخذ بين يحتسي فنجان الشاي على مهل ، وهو يصفى الى القصة من غير ان يقطع . ثم قال متسائلا :

— هل تعرف الى اي مستشفى نقلوه ؟

— لا .

— لا يهم . يمكننا ان نحقق عن ذلك . كما ان القصة تلوح مثيرة . قلت انه كان يحاول اتلاف شيء — اوراق ؟ يظهر ان رجال الشرطة كانوا يراقبونه ولكنني اشك في ان يكون هو الرجل الذي يبحثون عنه .

— لماذا ؟

- قلت ان الرجل كان ضئيل الجسم ؟ يشير تقرير الطبيب الى ان الذي
 طعن الفتاة هو رجل طويل القامة . يمكنهم معرفة ذلك من زاوية الطعنة .
 - لم اقرأ الصحف ابدا . حدثني بكل ما تعرفه عن القضية .
 - لا يعرف احد الكثير ، الا ما تذكره الصحف في عناوينها .
 - ولكنني لم اقرأ حتى عناوين الصحف . ولم أسمع بهذه الجريمة الا
 في ذلك اليوم .
 - عليك بقراءة الصحف ، يا جيرارد . لا يمكن للمؤلف ان يستغني عنها
 فاجاب سورم بتردد :
 - اظن ذلك .
 ثم احتسى بقية الشاي وراح يتفرس في قطعة السكر اللصقة بقعر
 الفنجان وقد اجتاحتها حالة من التأمل ، وقال :
 - حدثني عن هذه الجرائم .
 - الم تقرا شيئا مطلقا ؟
 - فيما يخص الفتاة ، يوم الجمعة ، فقط . اين قتلت ؟
 - في احدى نواحي وايتشابل . ولم اكن مسؤولا عن مكتب الاخبار
 مساء الجمعة .
 وكان بين ينظر عبر رأس صاحبه باتجاه الباب . وفجأة لوح بيده هاتفه :
 مارتن ! ثم التفت الى سورم قائلا :
 - هوذا الرجل الذي يمكنه ان يخبرك .
 وتحول بين الى كرسي جانبي ليفسح المجال لمارتن الذي كان يجتاز
 الغرفة وقال :
 - اظنك تعرفت بمارتن ميسن ، يا جيرارد ؟ فقال سورم :
 - كلا . تشرفنا .
 كان للرجل وجه نحيف يشبه المنقار وعينان كعيني الطير . وكان
 كتفاه صغيرين متهدلين . واحنى رأسه قليلا لسورم ، وهو يضع قبعته تحت
 الكرسي بعناية .
 - مارتن ، يريد جيرارد ان يعرف عن هذه الجرائم . فهيا اعطه الخلاصة
 - الا يقرأ الصحف ؟
 فقال سورم بصبر :
 - كلا ، الا عندما اكون مضطرا . فقال ميسن :
 - انت من الذين لا يتقيدون بما هو مألوف ، ها ؟
 كان صوته ناعما يصدر من أنفه ، رتيبا ، صوت يبدو معدا اعدادا تاما

للسخرية .

وابتسم سورم ليخفي اشمئزازه ، وقال :

— علمت انك كنت في مكان الحادث في احدى هذه الجرائم ؟

فقال ميسن وهو يحرك الشاي :

— اجل ما الذي تريد ان تعرفه عنها ؟

— الى اية جريمة تشير ؟

— الثالثة — كاترين ايدوز .

فقال بين :

— ظننت انها الثانية .

— كلا . كانت الثانية مقتل الراقصة الاسبانية خوانيتا ميلر . كان

جمي وسام المسؤولين عن استقصاء اخبارها . . كانت امرأة رائعة .

وقال سورم :

— وماذا عن القضية الاخرى ؟ هل حضرتها ؟

— نعم ، ولكن فيما بعد ، في معرض الجثث وكانت مغطاة ، ولم

يكن من المستطاع مشاهدة شيء منها . كانت امرأة صغيرة الجسم في متوسط العمر .

وتسأل سورم :

— هل كانت من الجرائم الجنسية ؟

— لا يمكن الجزم بذلك . .

— لم لا .

— كانت عاهرة .

— والمرأة الاخرى ؟

فقال ميسن :

— كانت كذلك ايضا .

وابتسم ، كالحاوي الذي نجح في عرض لعبة . اما سورم فقد وجد

ان كراهيته لهذا الرجل كانت تتركز في انفه المبقع الذي كان يشبه منقار الطير .

وقال بين معترضا :

— لم تكن الفتاة الاسبانية من البغايا .

فقال ميسن محدقا :

— لم تكن افضل من العاهرة ، لقد اضطجعت مع عدد كبير من

الرجال حتى تعسر احصاؤهم .

فقال سورم :

– قل لي . هل تأكد ان الجرائم الاربعة اقترفها رجل واحد ؟

فقال ميسن :

– ليس من المؤكد . لقد ماتت خوانيتا ميلر وكاترين ايدوز بطعنات
سكين ، ولكنها لم تكن نفس السكين . كما ان السكين وجدت ملقاة
بالقرب من الجثة في كلتا الحالتين . كانت الاولى سكين صيادين ، اما
الثانية فكانت سكين مطبخ اعتيادية . غير ان ما يدعو الى الدهشة هو
ان القاتل لا بد وان تطلق بالدماء ، ومع هذا فمن المعتقد انه عاد الى لندن
وقت الفجر .

فقال بين :

– ليس ذلك بالامر العسير ، فلندن تكون مهجورة نوعا ما في تلك
الساعات . فقال سورم :

– هناك تفسيرات ثلاثة لذلك . من المحتمل ان الشخص هو من
ابناء الحي نفسه ، فلا داعي في هذه الحالة ان يبتعد كثيرا ، او ان تكون
لديه سيارة ، او انه كان يحمل معطفا كان قد خلعه عن نفسه حين قتل
الفتاة ثم ارتداه ليخفي بقع الدم .

فقال ميسن :

– اوه ، هناك تفسيرات اخرى . لقد نشرنا رسالة بعث بها احدهم
يعتقد فيها ان القاتل هرب عن طريق مجاري المياه القذرة .

فقال بين :

– من المستحيل .

وقال ميسن :

– اظن ذلك ايضا . وعلى اية حال ، فانهم اذا لم يمسكوا بالقاتل فلن
يعرف احد بصورة قاطعة .

قال ذلك ، واستقرت عيناه على سورم ، ثم ساله فجأة كأنه يحاول
ان يباغته :

– لماذا تريد ان تعرف ؟

فالتفت سورم الى بين الذي قال :

– لا تهتم ، انه يعمل لنا .

فقال ميسن :

– ذلك هو السبب اذن ؟

– ليس تماما . المسألة هي ... على كل حال ، لقد انجرفت الى
هذه القضية .

- فالتفت سورم الى بين متمما الشرح :
- حاول رجال الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن نفس البيت الذي اسكنه حول هذه الجريمة، فاعتصم الرجل بفرفته واشعل فيها النار.
- هل عرفوا سبب اشعاله النار ؟
- كلا . اعتقد ان الرجل مخبول .
- فقال ميسن :
- قد لا يكون مخبولا .
- كلا ، اعتقد انه مخبول .
- قد تكون على حق . ولكني اقول لك شيئا واحدا . لا بد ان لدى الشرطة سببا معقولا يدفعهم الى التصريح باعتقادهم ان الجرائم الاربعة اقترفها شخص واحد . غير ان هذه ليست سياسة حكيمة ، فهي تجر اهتمام الناس الى التركيز على فكرة « القاتل الطليق » ، فيأخذ الناس بكتابة الرسائل الى جريدة التايمس وتوجيه الاسئلة في البرلمان حول كفاءة الشرطة . فلا شك ان هناك سببا قويا يدفع الشرطة الى الاعلان عن هذا الاعتقاد .
- فسال بين :
- ما هو رأيك الخاص ؟
- اعتقد ان الشرطة قد توصلت الى معرفة الرجل ، وتريد الان ان تشعره بان الفخ يضيق حوله وذلك لارهابه وحمله على تسليم نفسه .
- فقال بين :
- ربما .
- هل يمكنك اعطاء سبب اخر .
- فقال بين وهو يهز براسه :
- لو كانت لديهم فكرة عن القاتل ، لاحكموا الفخ حوله بهدوء . كانوا سيراغبونه حتى يقوم بمحاولة اخرى . ان القتل الجنسيين يكررون محاولاتهم دائما .
- فقال سورم :
- تلك الفتاة — تلك التي رايتها ...
- تعني المرأة التي في متوسط العمر ؟ كاترين ميدوز ؟
- نعم ، كيف قتلت ؟
- بسكين ، كما بينت لك .
- ولكن كيف ؟ هل ذبحت من حنجرتها ، ام طعنت في قلبها ام ماذا؟

- لقد احصوا حوالي الستين طعنة في جسدها .
 وابتسم ميسن . لقد سر للصعقة التي ارتسمت على وجه سورم .
 - انه مجنون ولا ريب ! وماذا عن بقية الحوادث ؟
 وابتلع ميسن نفثة طويلة من سيكارتة ، وهو يبتسم :
 - لم يكن المشهد بهذه الاثارة .
 فقال سورم :
 - لا حاجة ان يكون كذلك .
 والتفت ميسن الى بين :
 - هل سمعت الاشاعة المنتشرة عن جانيت وكين ؟
 - اية اشاعة ؟ سمعت ان زوجته صرخت بوجه جانيت اثناء
 مخابرة تلفونية .
 فنهض سورم واقفا :
 - ينبغي ان ارحل يا بيل ، فانكما ترغبان في التحدث عن الاعمال .
 - حسنا يا جيرارد . ولكن على كل حال علي ان اصود الى مكنتي
 ثانية . قد نبعث اليك بصك بعد قليل . فقال سورم :
 - سينفعني ولا شك .
 ثم صافح ميسن قائلا : آمل ان اراك قريبا .
 - وداعا يا جيرارد .
 ووقف عند طاولة البار ليدفع ثمن وجبته . وكان ضجيج الثقب
 الهوائي في الخارج يصم الاذان . وفتح القفل عن الدراجة ، ثم امتطأها
 واتجه نحو فليت ستريت ، حيث توقف عن السير وتردد في القرار هل
 يذهب نحو آلدويج او بلاكفرايرز ، واخيرا تذكر ان صاحبة البيت قد
 تكون هناك في تلك اللحظة ، فقرر الا يعود الى البيت ، واتجه نحو شارع
 فارينغتون . وشعر بان معدته كانت ثقيلة متقلبة من جراء الحديث عن
 حادثة القتل ، فقد التصقت هذه الحادثة بحواسه كفضاء من السخام
 ينبعث من موقد ، كستها بلون داكن من الكآبة . كما لاحظ انه لم يكن
 يقود دراجته بثقته المعهودة . وولدت له هذه الكآبة احساسا بان جسده
 بدأ يخونه . وراح يحدق في كنيسة سانت بول من طرف لودغيت هيل ،
 وهو يفكر : لندن في شهر تشرين الثاني تبدو معدومة النهار - لا شيء
 غير نور الاصيل الباهت ، على حين ان لندن في تموز تلوح اكثر اشراقا
 من اللازم غير حقيقية ، او بالاحرى حقيقية اكثر مما يجب .
 كان مكتوبا على لافتة بائع الصحف : البحث عن القاتل المجنون .

واتجه نحو شارع روزبري . لم كل هذا الاهتمام بالجريمة ؟ قد يكون هذا
المجنون المسكين مصابا بالبارانويا ، قتله الضجر والقلق ، فاقترف جرائم
القتل على سبيل الاحتجاج .

* * *

كانت واجهة منزل شارع روزبري مبنية بالصخر الرمادي الذي
يبعث في النفس قشعريرة باردة . وضغط سورم على زر الجرس ، وفي
هذه الاثناء انزلت الدراجة التي كان سورم قد اسندها خلفه على الرصيف
فجأة وظلت المجلة الخلفية تدور . وفيما كان يرفعها ليسندها الى
الجدار ، انفتح الباب . فصاح سورم :

— هلو ، روين ! كيف الحال ؟

— جيرارد ! يا للسماء ! ماذا تفعل هنا ؟

وامسكت به يد نحيفة ندية ، هي يد روين مونسل الذي سحبه
برفق الى عتبة الباب . فقال سورم :

— كنت مارا من هنا . لا شك انه وقت غير مناسب للزيارة ؟

— كلا ، بالطبع ، كلا . تفضل بالدخول . هل تناولت غداءك ؟

— نعم شكرا .

— ما اجمل ان اراك !

واخذ ينظر في وجه سورم مبتسما . وسحب سورم يده ، وهو
يحس بشيء من السرور للتوتر الذي سيطر عليه . ودفع مونسل بابا
زجاجيا وتقدم سورم الى الصالة وجلبابه يخشخش برفق .

— هل لك في قدح من الشاي ؟

— نعم اشكرك ، اود ذلك .

— اشعل النار اثناء غيابي واهتم بامرها .

وبحث سورم في جيبه عن علبة الثقاب ، ولما لم يجدها مشى بصورة
لا شعورية نحو خزانة الكتب واخذ يتفحص العناوين . كانت جميعها
مؤلفات في الدين من تأليف كتاب لم يسمع بهم قط . وكانت الشبائيك
ذات الزجاج الداكن تطل على الشوارع ، وكان الناس يمرون عبرها كالأشباح .

— ألم تشعل النار ؟

— آسف ، لا املك علبة ثقاب .

— اوه ،

واخرج مونسل علبة الثقاب من جيب صدره ، وانحنى على ركبتيه
واشعل النار الغازية .

- دعني اخلع معطفك . اجلس . كيف حالك ؟ وكيف حياتك الجنسية المخزية ؟
 فقال سورم متضاحكا :
 - انك تهتم بخطاياي اهتمام الاخ .
 - بالطبع ، لا اريد ان ارى اللعنة تنزل عليك . ولكني اعتقد انك ترغب في ان تنزل عليك اللعنة ، الست محقا ؟
 فقال سورم :
 - بلى . اننا جميعا كذلك .
 - امل الا تكون كذلك .
 وجلس على الكرسي بسرعة رشيقة وشبك كفيه في حضنه .
 وقال سورم :
 - اعتقد انك تقترب خطاياي نيابة عني ، يا روبيين .
 - وباه ، كلا . في الواقع اني اكره من كل قلبي ان احيا طريقتك في الحياة ، ثق ! ولكن انبثني ، كيف حال ... 1 . . 1 ، تلك التي اضطجعت معها في المرة الاخيرة التي رايتك فيها .
 اخذ سورم يحدق في النار ، وقال بلهجة وقورة :
 - مانت ، مانت بمرض الكزاز - وتشنج المفاصل .
 - حقا ؟ يؤسفني ذلك . اوه ، انك تمزح ! الست تمزح ؟ كلا ، كن جديا . اذا كنت لا تود ان تحدثني عن حياتك القرامية فلنتحدث عن شيء اخر .
 - بل جئت لاتحدث عن شيء اخر ، في الواقع . اخبرني عن الاب كارائرز .
 - لماذا ؟ اين سمعت به ؟
 - حدثني عنه احد الاصدقاء - صديق لي يدعى اوستن ن ، هل تعرفه ؟
 - كلا ، بل اعرف سيدة تدعى مسز ن تتردد الى هنا ، قد تكون قريبتة ؟
 - بل هو ابنها ، وقد اقترح علي ان اتحدث الى الاب كارائرز .
 فماذا تعتقد انت ؟
 - عم ؟
 - اود ان التقى به فقط، هذا كل ما في الامر. يظهر انه لطيف المعشر .
 - هو كذلك . انه في غاية الذكاء ، وقد الف بضعة كتب . لقد الف كتابا عن تشيخوف واخر عن دانتي . وهو يعكف الان على تأليف كتاب

عن مارسيل .

— هل تظن انني استطيع ان اقابله ؟

— بالطبع ، فليس من الصعب تدبير ذلك . ولكن اصغ ، هل تعذني بشيء ؟ على كل حال اترك المسألة .. سأذهب لاحضار الشاي .

وكف سورم عن التطلع الى عناوين الكتب ، بعد ان تحقق له ان ليس هنالك ما يستحق القراءة ، بل انه اخذ يندم على هذه الزيارة ، فقد نسي ان روبين مونسيل يمكن ان يثير اعصابه الى ابعد الحدود . كما ان فكرة التحدث مع الاب كارثرز اخذت تفقد حداثتها وبريقها لسبب لا يعلمه . وطفق يتشاءب .

وفتحت الباب واطل من خلفها قسيس شاب ، وقال :

— ارجو المَعذرة ، هل تنتظر احدا ؟

فقال سورم :

— وددت ان التقى بالاب كارثرز .

— اعتقد انه نائم ، سأذهب لارى .

واراد سورم ان يقول : لا تزعج نفسك ... واغلقت الباب ثانية

وبعد لحظة ، رفس احدهم الباب ، فقام سورم ليفتحه ، ودخل مونسيل

يحمل صينية مليئة :

— ايها الصبي الطيب ، كم يسرني ان اراك ثانية يا جيراود . غير

اني ارى وجهك شاحبا هل كنت تتعب نفسك بالعمل ؟

— هل يمكنك ان تتصورني انا اعمل ؟

— بالطبع ، فانت لست من الصنف المدلل ابدا . ينبغي عليك ان

تعمل . لم لا تبحث عن وظيفة ؟

— ولماذا ابحت عن عمل ؟

— لكي تطرد عنك الضجر . انك تشعر بالضجر ، اليس على حق ؟

— اجل ، اشعر بالضجر .

— اذن ، فابحت عن عمل .

وصب مونسيل الحليب في الاكواب من الاناء الخزفي وازفاده

قطع السكر .

— لم ابحت عن عمل ؟ طيب ، اني احس بالملل ، فعلى ماذا يدل

ذلك ؟ يدل على انني لا احسن التصرف بما لدي من الوقت . فماذا

تقترح ؟ ابدهه بالعمل . اليس ذلك من المنطق في شيء . وبالمناسبة ، قبل

ان انسى ، اطل احدهم براسه من وراء الباب وسألني عن اريد ان ارى ،

فاجبته : الاب كارائز ، فذهب لبحث عنه . قسيس يتكلم برطانة اجنبية ، صغير جدا .

— اه ، انه الاب راكوسي — لاجيء هنغاري . ما اشد بلادتك !

— على كل حال ، قال ان الاب كارائز نائم .

— اظن ذلك . فهو لا يستيقظ الا نادرا ، اذ انه يعاني من الم في معدته لا اعرف طبيعته — ما كان ينبغي ان تدع الاب راكوسي ليذهب لينحقق من ذلك .

— ولماذا ؟

— كنت انا ذاهبا لاثقق بنفسي .

— اوه ، آسف . بيد انه ذهب قبل ان اتمكن من ايقافه . ناولني

السكر رجاء .

وطرق احدهم الباب ، ودخل القسيس الهنغاري ثانية ، وارتسمت

على وجهه الدهشة عندما الفى مونسيل .

— عفوا ظننت انك كنت في انتظار الاب كارائز ؟

فقال سورم :

— آسف . . .

وقال مونسيل :

— هل وجدته مستيقظا ؟

— نعم ، يقول انه يتمكن من مقابلة الناس بعد ساعة .

— يحسن بك ان تذهب الى غرفته على الفور ، يا جيرارد . يمكننا

ان نتم حديثنا فيما بعد .

وابتسم القسيس، ثم انحنى لهما وترك الغرفة. فهتف سورم: اشكرك.

— انك احمق ، يا جيرارد . لم لم تنتظرنى ؟

— مع الاسف . لم اعلم انه سيرتب المقابلة بهذه السرعة .

— لا بأس . يحسن بك ان تقابله الان .

— اريد ان اشرب الشاي هنا ، الا تستطيع ذلك ؟

— لا ، بل خذ الكوب معك . هلم . تعال ادلك على الطريق .

وتبعه سورم على السلم المكسو بالسجاد ، وراى في عطفة السلم

الاولى كوة فيها تمثال ازرق للعدراء وهي ترفع ذراعيها في ابتهاج. وطرق

مونسيل الباب برفق عند نهاية الرواق ، ودفعه ليفتح وترك سورم

يدخل اولاً .

— اقدم لك جيرارد سورم ، ايها الاب . انه صديق للمسر ن .

كان القسيس جالسا في الفراش ، تحيط به الوسائد . وكان يرتدي جلبابا من قماش خشن أزرق . واغلق مونسيل الباب وتركهما وحيدين . وقال سورم :

— لست صديق المسز ن ، وانما انا صديق ابنها .
— اه ، اوستن . لم اره منذ وقت طويل . كيف حاله ؟ تفضل بالجلوس .

كان وجهه اقيح وجه رآه سورم في حياته ، لم يكن مشوها ، وانما كان قبيحا فقط . تفوص فيه اخايد واضحة المعالم ، كان له فك كبير جدا ، يبدو انه كاد ان يخل بتوازن الراس لولا الجبهة الواسعة التي كانت بارزة ولها طية راسية حادة الى وسطها كما لو ان احدا كان قد ضربه بقضيب حديدي . وكان انفه الغليظ مفلطحا قليلا ، وكان فمه عريضا يمتد عبر وجهه كالخندق . وكانت عيناه صغيرتين لا لون فيهما ، ولو سلط فوق رأسه مصباح لاختفت العينان تماما في ظلال حواجبه . وحاول سورم جاهدا ان يتذكر اين رأى هذا الوجه من قبل ، او اين رأى وجهها يشبهه . واخيرا تذكر : انه التمثال النصفي لتشارلي بيس الموجود في غرفة الفطائع في متحف الشمع . وجعلته هذه الفكرة يبتسم ، وابتسم القسيس بدوره ابتسامة ودية . وجلس سورم على كرسي قرب النار وقال :

— اوستن صبي ممتاز ، ايها الاب . وقد اقترح علي ان آتي لزيارتك .

— ماذا قلت ان اسمك كان ؟

— سورم ، ايها الاب ، جيرارد سورم .

— سورم ؟ سورم ... انني اعرف هذا الاسم . انه اسم نادر ، اليس كذلك ؟

— لم التق باي شخص يحمل هذا الاسم ، خارج عائلتي ...

— آه ، تذكرت ! الاب غراي في كومبتون هاوس . هل تعرفه ؟

وانتاب سورم شعور الملذب ، وقال :

— نعم . كان يقوم بتدريسي يوما ما .

— حسنا !

وكان القسيس يبتسم ثانية ، وتظهر على وجهه مخايل البشر ، ثم اردف :

— انا لا انسى الاسماء . اجل . تحدث الي الاب غراي عنك مرة . لم انقطعت عن الدراسة ؟

— لم ... لم انسجم مع الاب غراي ، قبل كل شيء .

— لماذا ؟

— يلوح انه كان يريد اقناعي بان الكاثوليك بالرغم من كل شيء قوم محترمون ، هل تعرف ما اعنيه ؟ اكل لحم البقر وشرب البيرة ... الخ ، ولم يكن لديه الوقت للتصوف . وانفق ثلاث محاضرات ليقتنعني بان القديس بطرس كان في الحقيقة اول بابا . فملت تلك المحاضرات . فقال القسيس وقد ادرك احساس سورم :

— فهمت . ان الاب غراي لا يحمل الفكرة التي يحملها كل واحد عن الكاثوليك ... رغم انها لا تختلف كثيرا .

وابتسم سورم ، وهو ينتظر . وكانت العينان الزرقاوان الشاحبتان ترقبانه بثبات . ثم قال القسيس وهو يبتسم :

— اذن ، فانك تعود الينا دائما ، لماذا ؟

فقطب سورم وهز كتفيه . كان من الصعوبة ان يجد الجواب . فاضاف القسيس بصوته الهادئ :

— هل تعتقد بانك ستصبح كاثوليكيًا في يوم من الايام ؟

— اعتقد ان ذلك ممكن .

— ولكن هل تتوقع ذلك انت ؟

— كلا ، في الحقيقة ، ايها الاب. ولكني لا اعني انه من المستحيل .

— تماما . ولكن هل تعرف بالضبط ماذا انت باحث عنه ؟

— كلا ، ايها الاب ، كلا في الواقع .

— لا تعرف على الإطلاق ؟

— اعتقد ان لدي فكرة فقط ...

— هل يمكنك ان تحدثني عنها ...

— في الواقع ، اني ابحث عن شخص استطيع التحدث معه .

— عن ماذا ؟

— لا اعرف ما لم اجد الشخص الذي استطيع التحدث معه .

واحس بان جوابه كان سخيًا ، وحنق على نفسه . اما القسيس فقد استقر نظره على سورم بهدوء ، وكأنه يختتم امتحانا تتألف اخر مراحل من النظر الى سورم . واحس بالرغبة في ان ينهض ويترك الغرفة . ولكن القسيس ابتدره بالسؤال :

— هل لك معرفة جيدة باوستن ؟

— ليست معرفة جيدة . التقيت به للمرة الاولى يوم الجمعة الماضية

ولم اره منذ ذلك اليوم .

- كيف التقيت به ؟
- في معرض دياغلييف . وتكلمت معه .
- اكنت البادىء بالكلام ؟
- كلا ، هو الذي ابتدا الكلام معي . وتحدثنا عن نجنسكي ، ثم خرجنا وتناولنا العشاء معا .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟
- ثم عدت الى مسكني ، وعاد هو الى مسكنه . لم توجه هذه الاسئلة الي ايها الاب ؟
- حب الاستطلاع فقط .
- وثارت ثائرة سورم ، وهو ينظر الى هذا الوجه الجامد . ان ما اسنفز اعصابه هو احساس غريب بالخجل من هذه الحادثة ، كلما عااد بذاكرته الى الوراء ، متأملا ايهاا .
- وقال بصراحة :
- كنت اتساءل هل حدث شيء اخر بيننا . كنت اود لو تسألني ذلك بصراحة .
- فتململ الاب وقال :
- هل حدث شيء اخر ؟
- كلا .
- ان المسألة لا تثير اهتمامي بصورة خاصة ، كما تفهم . وان ما تفضيه الي انها هو من شأنك ، ولست ارغب في ارغامك على ان توليني ثقتك . ولكني ، كما يمكنك استنتاجه ، على معرفة تامة باوستن .
- وفهم سورم حالا ما كان يقصده الاب :
- بالضبط . ولذلك افضل ان تسألني عن اي شيء تريد معرفته بصراحة تامة . فمعرفة باوستن ليست وثيقة على الإطلاق . فلم يحدث بيننا غير ان تناولنا العشاء سوية وتحدثنا بعض الشيء . ولكني لا اشاركه في نزعاته . أية منها .
- ومال القسيس براسه . وقال :
- تعجبني صراحتك . فقل لي اذن ، عندما تحدث اليك اوستن وخرجتما معا ، هل كانت لديك فكرة عن .. ميوله الجنسية ؟
- خمنت انه منحرف ، نزاع الى الجنس المشابه ، وقد ازعجني ذلك قليلا ولكنني لم اشعر بانني كنت شخصا اصطاده اوستن .
- هل اخبرك فيما بعد انه ينزع جنسيا الى الجنس المشابه ؟

- كلا .
- طيب . وهل تحدث عن اي شيء آخر ؟
- وركر سورم نظرته في وجه الاب ، بعد ان غاب عليه المعنى .
- اي شيء آخر ؟ ما هو ؟
- طيب . كان مجرد فضول .
- وجد سورم ان القس كان يريد تغيير الموضوع ، ولكن فضوله كان قد استثير .
- تعني ان له ميولا جنسية اخرى ؟
- ليس من شأني ان اجزم بذلك . الست على حق ؟
- وحدق سورم ثانية في وجهه لفترة قصيرة ثم قال :
- طيب .
- فابتسم القس مباشرة وقال :
- ارجو الا يتبادر الى ذهنك اني اعنفك . كل ما في الامر ان اوستن وربما تعلم بذلك ، جاء الي قبل عام ولديه بعض المشاكل الخاصة . واذا به يرسلك الان ، ومن الطبيعي ان اسالك هل ان مشاكلك هي من نفس النوع الذي شغل باله . ولكنني لاستطيع التحدث عن مشاكل اوستن ، فيمكنه ان يحدثك هو عنها ان اراد . كما انه من المفروض انك جئت لتبحث مشاكلك انت وليس عن اوستن .
- وقال سورم وقد احس بالحرج :
- لا ادري اذا كان لدي ما يمكنني تسميته بمشكلة ، ايها الاب .
- طيب ، لا . ليس هذا ضروريا . انني اتفق معك . ما هو عمك ؟
- التأليف .
- تعيش من التأليف ؟
- كلا . عندي مورد صغير ، يكفي لسد رمقي .
- ما اسعد حظك ! ماذا تكتب ؟
- اكتب قصة ، في الوقت الحاضر .
- هل لك اهتمام بالسياسة ، على الاطلاق ؟
- فاجاب سورم بدهشة :
- كلا ابدا .
- هل تذهب الى الكنيسة ؟
- اذهب الى الكنائس احيانا - وافضل الوقت الذي لا يكون فيه هناك احد آخر .

- هل عندك اصدقاء تتحدث معهم في شؤون الفكر ؟
 — كلا ، في الحقيقة .
 — وابتسم له القس ، وتغير شكل عينيه عندما لاح عليهما السرور .
 وشعر سورم بالارتياح للانبساط الذي ارتسم فيهما . وقال الاب :
 — يلوح ان قضيتك صعبة ، اليس كذلك ؟
 — لماذا ، ايها الاب ؟
 — انك لا تعمل شيئاً اخر عدا الكتابة . وهذا يترك لك المجال الهائل للاستبطان ، ثم تأتي لرؤية القس كمن لم يمارس الرياضة في حياته ويذهب لعيادة الطبيب . هل خطر لك ان تذهب لرؤية عالم نفسياني ؟
 كانت اللهجة الساخرة تجعل الكلمات تبدو وكأنها غير مقصودة ، ولكن سورم قرأ فيها جدية القصد . وقال :
 — لماذا ؟ انا لا اعاني من اي مرض . بالإضافة الى ذلك ، فاني اشك في ان جميع الاطباء النفسيين هم مجانين او دجالون . لا اعتقد ان بي اي مرض ، ليس بي شيء لا يعاني منه الجنس البشري بأكمله على اية حال .
 — فلماذا اذن تريد التحدث مع قسيس ؟
 — واخذ سورم يتأمل في الوجه المضحك كأنه وجه عفريت وراح يبحث عن جواب ، وقال اخيراً :
 — لا لاني مريض ، على اية حال .
 فضحك القس وقال :
 — حسناً . جواب مقبول . اذن ، فانك لست مريضاً ولكنك تحس بانك فاشل ، بطريقة ما . اذلك صحيح ؟
 — نعم . ولكنني لست فاشلاً من الناحية الشخصية او الجنسية .
 واغاظ سورم شعوره بعدم امكانية التفاهم والفشل في التعبير عما يجول في نفسه . والواقع ان ما ازعجه هو الفرضية التي استندت عليها المحادثة : ذلك انه يشكو من شيء .
 — عندما تقول من الناحية الجنسية ، تعني من الناحية الجسمية ؟
 — نعم ، اعتقد ذلك .
 — طيب ...
 — واحنى القس راسه واخذ ينظر الى يديه المقودتين .
 — حسناً ، حسناً . الان فهمت ما الذي حير الاب غراي فيك . من العسير ان نتعلم شيئاً منك .
 — انا آسف ، ايها الاب .

– دعني احاول سؤالاً اخر معك . ما الذي يتركز عليه اهتمامك في الحياة ؟ ماذا تريده في الحقيقة ؟

واشتد شعور سورم بعدم امكانية التفاهم ، ولم تكن لديه على الإطلاق اية رغبة في التعبير عن نفسه للقس . واجتاحه ، وهو يدرك ان هناك عينين شاحبتين تراقبانه ، احساس بالتمرد والامتعاض . وطفق يحاول ان يتناسى القس والفجوة التي تفصل بينهما ، ويركز على الافكار التي يريد التعبير عنها فقط . واخذ يحرق في النار ، وقال ببطء .
– استطيع القول ان حياتي تتركز حول فكرة واحدة ، هي فكرة الرؤيا . ولا اعني بذلك .. الرؤيا التي يراها القديسون . ليس ذلك النوع ، بل اعني ضرباً اخر من الرؤيا .

– هل يمكنك التعبير عن فكرتك بوضوح اكثر ؟
– استطيع ... استطيع ان اقدم لك مثالا على ما اعنيه . استيقظ في بعض الاحايين ليلاً واجد ان هناك بعض الهواجس تخالجنني ، فاحس ان وجودي لا يخضع لقانون ، انه عيب بطريقة ما . وينتابني الشعور : من انا ؟ وماذا افعل هنا ؟ اشعر اننا نأخذ الحياة اكثر من اللازم كشيء مفروغ منه . اننا نأخذ وجودنا على علاقته . على حين قد لا يكون من الطبيعي ان نوجد . وقد حدث لي ذلك قبل مدة . يدرك الانسان كم من الاشياء الكثيرة التي يأخذها على علاقتها ، فيحس بالخوف المفاجيء من ان ليس له الحق في اخذ اي شيء على علاقته . هل تفهم ما اعنيه ايها الاب ؟ واخذ ينظر الى كارائز ، واحس على الفور انه استحوذ عليه فاخذ يشعر بتحسن ، وقال القس :
– نعم ، امض في كلامك .

– هذا جانب واحد من شعوري . وهناك جانب اخر اعتقد انه يختلف تمام الاختلاف .

قبل شهرين التقطت فتاة ما من احدى المقاهي . كنت على معرفة بسيطة بها – كانت طالبة في مدرسة (سليد) للفن . وقد ذهبت واضطجعت معها تلك الليلة ، ومضى كل شيء على ما يرام . بيد انه عندما اضطجعت معها ، حدث شيء غريب . احسست فجأة بانني لا اربح فيها . لم اكن اعرف بالضبط . كل ما حدث اني كنت مستلقيا الى جانبها لا تدفعني اية رغبة لمغازلتها .

وقال القس بلطف :

– موقف محرر ولا شك .

— اجل ، وذلك هو وجه الغرابة . كنت راقدًا بقربها احس بالاحراج والتمس السبب . واحسست بالخجل والضيق . ولم يكن السبب اني لم ارغب في الفتاة ، بل شعور اخر يتعارض معه . وهكذا بقيت مستلقيا، محاولا ان اتبين حقيقة هذه العاطفة الجديدة وفجأة شعرت بهيجان عنيف في نفسي . كان شعورا قويا جدا حتى احسست بانني لن ارغب في النوم ثانية . ودفعني ذلك الى التفكير في الرياضيات . واخذت افكر : اني ارقد هنا في وسط مدينة لندن ، وهناك ما يقرب من ثلاثة ملايين من الناس يرقدون حولي ، وهناك الماضي الذي يمتد الى الخلف الى الزمن الذي شيد فيه الرومانيون هذه المدينة على مستنقع ينشر الحمى . . . لا يمكنني التعبير عما احسست به . كان شعورا بالمشاركة في كل شيء . اردت ان اعيش اكثر مما عاشه اي انسان بملايين المرات . هل تفهم ما اعنيه ايها الاب؟ — اظن ذلك .

— لقد احسست بالهيجان ، اتلاحظ ؟ وفجأة ادركت كم من الناس وكمن من الاماكن توجد خارج نفسي .

— لقد ذكرت الرياضيات ؟ ماذا تعني بالرياضيات ؟

— حسنا . . لانني فكرت فعلا في الرياضيات . على الاقل ، اني لم ابدا بالتفكير في الرياضيات . كنت احس بالمضايقة من الفتاة ، ومن فكرة انها تريدني ان اغازلها . ثم انتقل تفكيري الى موضوع كنت قرأته في ذلك اليوم عن السحر — حول امرأة تدعى ايزوبيل غودي وكانت تدعي ان لها صلات جنسية مع الشياطين بينما يرقد زوجها الى جانبها . . . — ما الذي جعلك تفكر في ذلك ؟

— الفتاة التي كنت اضطجع معها . كانت فتاة افسدها التدليل تماما مريضة الاعصاب ، عندها ظما للجنس . لقد احسست فجأة بان نفسي كانت تجيش من طريقة هندامها الباهت ، ومن رغبتها الجنسية التي لا سبيل الى اشباعها . كانت تتعاطى الجنس لنفس الدوافع التي تدفعها الى التدخين المتواصل . انه الضجر . ثم تذكرت ايزوبيل غودي ، التي كان الجنس يعني شيئا بالنسبة لها على الاقل . كانت تريد ان يفتصبها الشيطان . فربما كان الضجر قد قتلها وهي في مزرعة اسكوتلاندية في وسط المجهول . ولهذا فقد اخترعت هذه الشياطين والعفاريت . كان هناك طرق خفيف على الباب . وجفل سورم بعنف . ودخلت امرأة ترتدي صدرية .

— لقد وصل المستر برايس والمستر جيننغز ، ايها الاب .

- ماذا ، بهذه السرعة ؟ حسنا ، لينتظرا قليلا ، رجاء .
 وحالما خرجت ، نهض سورم وقال :
 - يحسن بي ان ارحل ، ايها الاب .
 - بل اجلس قليلا . لقد بكرا في المجيء ، ويمكنهما الانتظار . يطيب
 لي ان اسمع ما كنت تحدثني به . هل تحدثت الى شخص اخر بهذا الموضوع ؟
 - كلا ايها الاب .
 - اود ان تزورني ثانية لتحدث . انا لا اطلب اليك ذلك لظني انك
 بحاجة الى الكلام معي - ، رغم انك قد تحتاج الى ذلك فعلا ، ولكن لان ما
 تحدثني به يثير اهتمامي جدا . هل قرأت كتابي عن القديس يوحنا ذي الصليب .
 - كلا ، ايها الاب .
 - هو ذاك ، هناك . على الرف السفلي ، خذ معك ، واقراه اذا لم
 يدخل السأم في نفسك . لا بد ان يثير اهتمامك الفصل المتعلق بالرؤيا
 الالهية . فهذه التجارب التي تتحدث عنها ... اني اميل الى الاعتقاد
 بانها جذور جميع الرؤى .
 وفتح سورم ابواب المكتبة الزجاجية ، ووجد الكتاب الصغير ذا
 الغلاف الاسود . وثارت في نفسه ثانية الرغبة في الهروب ، ولكن لسبب
 اخر هذه المرة . وما لبثت الشكوك ان ساورته حول طبيعة الارتياح الذي
 اخذ يحس به اثناء حديثه مع القس .
 - هل يمكنك المجيء غدا ؟
 - اظن ذلك ، ايها الاب .
 - حسنا . سأكون في انتظارك . بلغ اشواقني الى اوستن اذا رأيته .
 وامسك سورم بيد القس التي مدها له ، وادهشه ما كان فيها من
 دفء ، فقد كان جسده يلوح باردا جافا .
 - بلغ المسز داوتي ان تدخل الرجلين رجاء .
 - سمعا . وداعا ايها الاب .
 - وداعا .
 ووقف خارج الغرفة ساكنا بضع لحظات ، وهو عابس الوجه يحلق
 في تمثال العذراء عند نهاية الرواق ذي النور المعتم . ثم تذكر الكتاب
 الذي كان ممسكا به ، فدسه في جيبه وهو شارد الذهن . واجفله خروج
 الخادمة فجأة من باب جانبية على يمينه . وقالت له باقتضاب :
 - هل هو مستعد الان ؟ - نعم . يريد ان تدخلني عليه الرجلين .
 وهبط السلم على عجل . كانت الباب الخارجية مفتوحة . وخرج

- وهو يبحث في جيبه عن مشبك الدراجة . وسمع صوتا يهتف خلفه :
- جيرارد !
- هلو روبين ! آسف ، لقد نسيتك .
- لا داعي للعجلة .
- فقال سورم مختلقا العذر :
- ينبغي ان اذهب خلال دقائق قليلة .
- على كل حال ، ابق قليلا .
- وتبع مونسيل الى غرفة الاستقبال . كانت النار ما تزال تشتعل .
- واغلق مونسيل الباب بان دفعه بظهره ، وسال :
- والان ، كيف كانت المقابلة ؟
- اوه ، لا بأس بها .
- هل حدثته عن حياتك الجنسية المخجلة .
- قليلا . وتحدث عن القديس يوحنا ذي الصليب . ثم قاطعنا احدهم :
- لا بد وانه اطال الكلام عن القديس يوحنا ، فقد مكثت عنده نصف ساعة !
- انا لا اخفي عنك شيئا .
- لا تخفي شيئا ؟ حقا ؟ حسنا ، اني اصدقك .
- قل لي ، يا روبين . تقول انك لا تعرف اوستن نون البتة ؟
- ليست معرفة جيدة . التقيت به مرتين .
- اوه ، الا تعرف شيئا عنه ؟
- كلا . لا شيء يذكر ، على اية حال .
- هل تعرف انه منحرف جنسيا ؟
- نعم . . . اعتقد ذلك . لماذا ؟ الا تعرف انت ؟
- بلى . اظن ذلك . كنت اتساءل . . .
- انتظر . لدي شيء اريد ان اقوله . لا تخبر به احدا .
- كلا ، بالطبع .
- اعتقد ان له ميولا سادية
- كيف عرفت ذلك ؟
- سمعت عرضا حديثا للاب كراتزر الى الدكتور شتاين في يوم من الايام
- بعد مغادرة المسز نون .
- ماذا قال — هل تتذكر ؟
- كلا ، ولكنه مجرد انطباع . فقد اكون مخطئا . ولكن ارجوك الا تفشي ذلك لاحد . اذا اتهمني يوما احد بانني اخبرتكم فساؤلكم .
- سوف لا اخبر احدا بالطبع . من هو هذا الدكتور شتاين .

- اوه ، انه صديق للاب كراثرز . كانا معا في المدرسة الدينية . وشتاين
 طبيب نفسي . لماذا ؟
 - لا شيء . كل ما هنالك هو انني اشعر بالفضول يدفعني الى البحث
 في قضية اوستن ، وعن كل من يهتم به .
 - طبيب . هل وقعت في غرامه ام ماذا ؟
 - بحق المسيح ! هل انك جاد ؟
 - حسنا ، لست ادري . اجروء على القول ان لك شيئا من هذه النزعة
 الجنسية الى الجنس المشابه ، وستنفجر يوما ما ، وسيد هتشك ذلك .
 - انك لاحق !
 - ادركت ؟ اراهنك اني على حق .
 - دعنا من ذلك .
 فقال مونسيل مقهقهة : ولهذا ترى . . . اراهن اني على حق .
 - ينبغي ان ارحل .
 - انك لبقرة حقا . متى تزورنا ثانية ؟
 - ربما غدا . طلب الي الاب كراثرز ان اعود .
 - آه ، انه يضعك تحت رعايته !
 - ربما .
 - طبيب . تعال مبكرا لتلقاني اولا . هلا جئت ؟
 - حسنا . قد لا آتي ابدا . سأتصل تلفونيا اولا .
 - هذا حسن ، فانا الذي اجيب على نداءات التلفون .
 ووقف سورم ويده على مزلاج الباب . وسأل :
 - هل تتذكر ماذا قال الاب كراثرز بالضبط لهذا الرجل المدموشتاين ؟
 وبدا الانزعاج في نظرة مونسيل :
 - لا ! بالله عليك ! لا تذكر الموضوع لاي شخص . قد اكون مخطئا .
 فمن المحتمل جدا انه كان يتحدث عن شخص آخر .
 وادرك سورم ان مونسيل ندم لافضائه بالخبر ، فقال بلا مبالاة :
 - لا تقلق . فالامر لا يهمني . سأراك غدا .
 - حسنا . تعال مبكرا .
 ورافقه مونسيل الى خارج الباب قائلا :
 - وداعا يا عزيزي .
 ورفع سورم قدمه الى قضيب الدراجة ليشبك سرواله . واحس فجأة
 بانه خائب منهوك القوى .

الفصل الرابع

وابتدا المطر ينهمر بينما كان سورم يقود دراجته الى ساحة الدار ،
فالقى عليها غطاء من القماش المشمع . كان الضياء في الشقة الارضية مفتوحا ،
وفيما هو يستدير ليترك الساحة تحركت ستارة النافذة واطلت الفتاة .
فأبتسم وهز راسه بتحية قصيرة ، فاخفى وجه الفتاة فجأة . وفيما هو
يدخل مفناحه في الباب الخارجي ، اذا به ينفج ، فقال :
- شكرا لك يا كارلوتة .

- يسرني انك اتيت ، فأنتي ساخرج . هناك رسالة لك . صحيح ؟
- طلبك احدهم تلفونيا من سويسرا ، وسيعيد المكالمة مساء هذا اليوم .
- سويسرا !
- وصلت المخابرة حالما خرجت . سيتصل بك ثانية في حوالي الساعة السابعة .
- اشكرك جدا . هل عاد الهدوء الى هذا المكان ثانية ؟
- اجل . ما عدا ان اثنين من المخبزين الصحفيين كانا هنا .
- مخبرين ؟ ماذا ارادا ؟
- بعض التفاصيل عن الحريق . وتحدثت اليهم المسز ميلير ، اعتقد
انها مغرمة بان يظهر اسمها في الصحف .

- ممممم . . . جميل جدا . هل حدثتهم عني ؟
- لا اظن ذلك . لماذا ؟
- كنت عازما على ان احصل على ميدالية جورج .
ولاحظ سورم ، من التعبير الذي ارتسم على وجهها انها لم تفهم ما كان
يعنيه . واحس ان تعبه كان اشد من ان يمكنه ان يشرح لها ما يعنيه ، وسأل
وهو يضع قدمه على السلم :

- اين المسز ميلر الان ؟
- عادت الى بيتها . لماذا ؟
- لا شيء . اشعر بالانشراح فقط .

فضحكت هذه المرة . ولاحظ ان ثدييها يرقصان وهي تمر من امامه ، فشعر بالاضطراب ، وطفق يفكر : لم احتاج دائما الى المرأة عندما تكون اعصابي منهوكة ؟ وكانت ساقاه تؤلمانه وهو يرتقي السلم . ودخل غرفته وفتح موقد الغاز ووضع عليه ابريق الماء ثم القى بنفسه على الكرسي وهو يتثائب . وراحت افكاره تحوم حول الفتاة الالمانية ، واخذت فكرة ان يجعل منها خليلته تجذبه اكثر من ذي قبل ، ولكنه عزا ذلك الى الاجهاد الذي اصابه ، وقال لنفسه : التعب الجسمي يوقد الخيال .

اخذ الماء يغلي ، ومد يده الى الطاولة وتناول الترمس فوجده مليئا السي منتصفه بالشاي البارد ، وشعر انه اكسل من ان يقوم ليغمر محتويات الترمس في المرحاض ، فامسك به واخذ يهزه ثم فرغه في طشت الماء وفتح صنوبري الماء ليفسل اوراق الشاي المتصقة .

بحق السماء ماذا يبغي اوستن من مخابرته هذه ؟ وكيف حصل على رقم التلفزيون ؟ ساكتشف ذلك . سريعا . ونظر الى ساعته : كانت تشير السي الدقيقة العاشرة بعد الخامسة . ساعتين . يجب ان اتناول شيئا . احس بالجوع ، ولكن بعد ان اشرب الشاي واخذ قليلا من الراحة . وتساعد البخار من قدح الترمس عندما كان يسكب الماء فيه . مثل فاسلاف (١) . اني اله . هل هو سادي ؟ انهم يحسون بالحاجة الى ضرب احدهم . ينبغي ان اسأله . كانت حرارة الشاي وحرارة النار الغازية اكثر مما يمكنه احتماله .

فسحب نفسه الى الفراش . واخذ يشعر بالتعاس فيما هو يشرب الشاي ، ولكنه اخذ يتأمل بضيق : لم اجس بالتعاس ؟ اني لم استيقظ حتى الساعة الحادية عشرة . من المحتمل ان تكون صدمة عصبية . واخذ يقاوم الرغبة في ان يستلقي ويغلق جفنيه ، ولكن سرعان ما طفت عليه الرغبة في النوم . فنهض واقفا ، وراح يجيل ببصره في الغرفة ليجد شيئا يفعله . كان هنالك على دولااب الملابس صندوق لم يفتحه بعد ، فوضعه على السرير وفتحه واخذ ينظم المناديل والربطات . ووجد في قعر الصندوق ثلاث صور لفان غوخ وقد تغضنت قليلا بسبب الرطوبة ، وهي الصور التي كانت معلقة على جدران غرفته السابقة . فاختر المجال فوق الموقد ليعلق صورة (حقل السنابل الخضراء) ، وعلق صورة (الليلة ذات النجوم) على رأس سريره ، في موضع بحيث يقع نظره عليها كلما استدار نحو الجدار . اما صورة (حقل القمح والغربان) فعلقها في وسط الجدار المقابل بالقرب من الباب . ووقف في مواجهة صورة (حقل السنابل الخضراء) واطال الوقوف وهو يحاول عبثا

(١) فاسلاف : الاسم الاول لنجنسكي - المترجم -

ان يستعيد حالة معينة . واخذ يركز تفكيره وهو يحدق في الصورة :
ليجدد الفرح المضطرب ويفجر السطح الصخري
فان كل ما يحيا مقدس ، والحياة تبتهج للحياة .
وماذا عن زن . وذلك الرجل العجوز . والقاتل السادي الذي قتل
اربع نساء . ليس جسمي المريض - ان روحي هي المريضة . يا للاذراء .
هل هناك شعور اخر احس به ؟ ليس لجسمي ، وانما لروحي . مسكين يا
فاسلاف . لقد مات .

وعاد اليه الناس ، ولكنه اوقفه . القدرة . التعب . وهذه الغرفة . لا
يحيط بها الغموض ، انها سجن . ودفعت الرياح بعاصفة من المطر على زجاج
النافذة . مريض ومنهوك القوى ، ولكني اختار ذلك . انا اختاره . انسه
اختياري . العنف . ذلك هو بالضبط . اني انطوي على العنف . لا اريد ان
يهدئني احد . ان العنف يكمن في عضلاتي ، في حنجرتي . وحينما ينفجر
هذا العنف ، اكون قد اصبحت ذاتي . ان كل ما يحيا هو مقدس .

ولاحظ ان الحرارة في ساقيه تتلاشى . كانت النار الغازية قد خفتت .
واخذ يبحث في جيب سرواله عن شلن . فوجد في الجيب الخلفي ورقة مطوية
كتب عليها بخط نسائي جميل : جرتروود كوينسي ، يمكنك الاتصال تلفونيسا
في اي يوم بعد الساعة الخامسة . وبحث في جيب سترته فلم يعثر على شلن .
فتناول معطفه وهبط السلم . وحينما عاد الى البيت ثانية ، بعد خمس
دقائق ، توقف عند التلفون الموجود في الصالة ، وبسط الورقة على صندوق
النقود . واجاب صوت جيرتروود حالا : فضغط على الزر (آ) . وقال :

- الو . جيرارد سورم يتكلم .

- جيرارد ماذا ؟ اوه ، صديق اوستن ! الو ! كيف حالك ؟
- بخير ، فكرت في ان انقل وعدي بزيارتك يوما حين لا تكونين مشغولة .
- اجل ، افعل ذلك ارجوك . هل تود ان تزورني في وقت تناول الشاي ؟
- حسنا ... ربما . هل ستكونين في البيت هذا المساء .
واستشعر سورم ترددا واضحا . وقالت اخيرا :
- نعم ... في اي ساعة ؟

ودهش سورم لهذا التردد ، وشعر بان عزمته ثبتت :
- لا يهم ، لكن امسية اخرى اذا كانت هذه الليلة غير مناسبة . هل
تفضلين الاسبوع القادم ؟
وكان قد قرر حالا انها اذا كانت ستؤجل الموعد فلن يتصل بها ثانية .
ولكنها اجابت سريعا :

— لا ، بل تعال هذه الليلة . كنت احاول ان اذكر هل سيزورني شخص
اخر ، ولكنني لا اظن ذلك . تعال في حوالي الساعة ، ان اردت .
— شكرا . لا استطيع ان آتي في الساعة ، فان اوستن سيتصل بي
تلفونيا .

— كنت اظنه في الخارج ؟

— نعم هو في الخارج . سيتصل بي من سويسرا .

— حقا ! تعال فيما بعد اذن . سأنتظرك .

واغلقت التلفون وهو ما يزال ينطق بكلمات الشكر . ووجد من العسير
عليه للمرة الثانية ان يكظم غيظه . وصعد الدرج وهو يشتم بصوت خافت .
الناس جميعهم خنازير . ولما صار الى غرفته ، وضع شلنين في صندوق الغاز
واشعل النار ثانية . وصب قدحا اخر من الشاي واخذ يتذوقه ، كان
مركزا . ووضع على الغرامافون اسطوانة السمفونية الخامسة لبروكوفيف
واستلقى على السرير . وقبل ان تبلغ الموسيقى منتصف الوجه الاول من
الاسطوانة كان قد غلب عليه النوم .

* * *

واستيقظ فجأة وسط الظلام ونظر الى ساعته . وامعن النظر في
العقارب المضيئة . ان الساعة تشير الى الثامنة ، فمد يده الى زر المصباح ،
ووجد ان الساعة كانت تشير الى الثامنة تماما . كان الجو حارا في الغرفة .
ودس قدميه في خفيه وهبط السلم مسرعا . لم يكن هناك احد . ونزل الى
الرداب وطرق الباب ، ولما لم يرد عليه احد فتح الباب قليلا . كانت الغرفة
تسبح في الظلام . فاطلق شتيمة بدئية . وعندما كان يصعد الدرجات ثانية
اخذ جرس التلفون يرن . فاخطف السماعه قبل ان يرن ثانية . وقال
صوت امرأة :

— المستر سورم موجود رجاء ؟

— يتكلم .

— اوه . جيرترود كوينسي تتكلم . هل ستأتي ؟

— نعم . ولكنني آسف جدا ، فقد اخذني النوم . اعتقد ان اوستن قد

اتصل بي ولم يرد عليه احد . يبدو انه لا يوجد احد في البيت .

— يا للسماء ...

— لا تهتمي . سأتي حالا . سأراك خلال نصف ساعة .

— طيب . ساهيء لك بعض الطعام .

— شكرا جزيلا . سأراك حالا .

واعاد السماعة ، واخذ يتفرس في ساعته . كان شعره اشعث واحس
بلزوجة في فمه من النوم . ورن جرس التلفون على الفور . وهتف صوت امرأة:
- هل المستر سورم موجود ؟

- يتكلم .

- ابق على الخط لحظة . لديك نداء شخصي من سويسرا .
- شكرا .

كان صوت نين يبدو صافي النبرة قريبا الى حد مدهش .
- الو ، جيرارد !

- الو اوستن .

- ارجو الا اكون قد جعلتك تنتظر . كنت احاول الاتصال منذ ساعة .
- كلا ، ابدا ، فقد استيقظت توا .

- طيب . كيف حالك ايها الصبي العزيز ؟

- على ما يرام . ما الذي يدعوك ان تبذر المال في مكالة تلفونية بعيدة .

- ليست المسألة مهمة جدا . ولكنني اريدك ان تسدي لي معروفا .

- بالتأكيد . ماذا فعلت ؟ نسيت فرشاة اسنانك ؟

- ليس الامر بهذا السوء ! هل يمكنك سماعي بوضوح .

- نعم ، بوضوح جدا .

- طيب . يبدو صوتك بعيدا . اسمع ، جيرارد . اني افكر في العودة

الى انكلترا ..

- حسنا ...

- ولكنني اريدك ان تفعل شيئا من اجلي اولا . ارجو ان تذهب الى شقتي

وان تسأل البواب هل سال عني احد اثناء غيابي .

- طيب . هذا كل ما في الامر .

- هذا كل ما في الامر . تحقق فقط اذا سال عني احد ، ومن الذي سال .

- حسنا . وبعدئذ ؟

- اذا لم يسأل عني احد ، فابعث لي ببرقية رجاء ، اكتب فيها : لم

يسأل احد ، فقط اما اذا سال عني احد فاكتب : ارجو الاتصال تلفونيا ،

وسا كلمك غدا . مفهوم ؟

- نعم . هل تريد تفاصيل كل من يسأل عنك ؟

- نعم .

- من تحاول ان تتجنب ؟

- اجل ، اني احاول ان اتجنب احدا . شخصا غير مرغوب فيه . هل

يمكنك ان تقوم بذلك ؟

— نعم .

— هل لديك عنوان الشقة ؟

— نعم . متى ستتصل ثانية ؟

— في نفس الوقت غدا مساء . اذا كان قد سأل عني فعلا شخص ما ،
ارجو ان تحصل على كل تفاصيله . يمكنك ان تسأل ايضا فتاة البدالة .
هل يمكنك ؟

— نعم .

— طيب ، ولكن اذهب انت بنفسك هناك ، لا تكف بالاتصال تلفونيا .

— كلا ، سأذهب .

— طيب ، لنفحص الموضوع : اسأل البواب هل سأل عني احد . واسأل
فتاة البدالة ، فاذا

— اذا لم يسأل احد فأبعث لك برقية اكتب فيها : لم يسأل احد . واذا
سأل احد فأحصل على التفاصيل وابرق لك : ارجو الاتصال تلفونيا . حسنا؟
والان اعطني عنوانك .

— اوه ، نعم . بانسيون فيفي ، سان موريتز . اني امكث في هذا الفندق
باسم اوستن ، المستر ب. ج. اوستن .

— انك لرجل غامض !

— كلا في الحقيقة . لا تعط عنواني الى اي شخص .

— يا للسما ، لا ! ولماذا اعطيه لاي احد ؟

— ما اطيعك من انسان ...

وانتهى الوقت ، وقال نن :

— وداعا يا جيرارد . عرفت العنوان جيدا ؟ بانسيون فيفي .

ف. ي. ف. ي. مفهوم ؟

— نعم وداعا يا اوستن .

* * *

انقطع المطر عن الهطول . ولكن الطريق لم يزل مبتلا زلقا . كان سورم
يكره ركوب دراجته في الطرق المبتلة ، لان واقيات الطين لم تكن على ما يرام ،
وقد بلل المطر اسفل سرواله . وانحنى بكل جسمه على عجلة القيادة ، اثناء
صعوده في طريق هافرستوك هيل . كانت التلال تتبعه ، وكان يبدد فيها
من الطاقة في السباب اكثر مما يصرفه في الضغط على قضبان السير . ومرت
بقربه سيارة ، ورشته بالماء الملوث بالطين ، فظل يحدق فيها بغضب وحسد .

ودقت احدى الساعات نصف الساعة فيما هو يستدير من ويل وك
باتجاه شارع ايسن هيث . فترجل واخذ يمشي صاعدا التل .
ودق جرس الباب ، واستند الى الحائط ، وهو يلث ويتصب عرقا . ولاح
ضوء على الجانب الاخر من الزجاج . كانت تقف هناك وهي تبسم اليه
تبدو منعشة ساحرة .

— هلو ، ادخل . قطعت المسافة بسرعة .

— يؤسفني جدا ان اتأخر . . .

— لا تهتم . لحسن حظك اني هيات عشاء باردا . نعم ، علق معطفك هناك .
كانت ترتدي بدلة لونها اسود واخضر من قماش لماع ، كشفت عن الجزء
الاكبر من ذراعها . كان قوامها كقوام فتاة رشيقة في مقتبل العمر . ونظر
اليها باعجاب وهي تتقدمه الى المطبخ .

— الا يضايقك ان تأكل في المطبخ ؟ انه اسهل .

— كلا ، ابدا .

— الم تأكل شيئا ؟

— كلا . فقد نمت في حوالى السادسة . واتصل بي اوستن بعد
مخابرتك حالا .

— حقا ؟ ماذا كان يريد ؟

— اوه . . . طلب غريب . يريد مني ان اتحقق له هل وصلته اية
رسائل الى شقيقته .

— من الغريب حقا . فلم لم يتصل بهم مباشرة ؟

وجفف سورم يديه بغوطة صغيرة ، ثم جلس الى الطاولة . وسالت :

— شوربة ؟

— نعم ، رجاء .

واخذ يتفحص تقاطيع جسمها بحرية بينما وقفت هي الى الموقد وقد
ادارت له ظهرها . كان ردفاها يفتقران الى بعض الانحاء ، حتى كانا يشبهان
عجز صبي . غير ان رشاقة خصرها راقته . وبينما كان يحاول ان يتخيل
كيف تبدو وهي عارية ، التفتت اليه فحول بصره عنها بسرعة . ووضعت
صحن الشورية على القرص الفاييني ، وانحنت بجسمها امامه اثناء ذلك ، حتى
انه لو انحنى الى الامام قليلا لاستطاع ان يقبل الجزء الاعلى من ذراعها . كانت
رائحة جسدها نظيفة ، غير معطرة .

— هل تسكنين هنا وحدك تماما ؟

— نعم .

— ليس هناك احد ابدا ؟
فقلت وهي تبتسم :
— من النادر ان اكون وحدي . فهناك زوار دائما . ان اعضاء الجمعية يزوروني ثلاث او اربع مرات في الاسبوع ، كما ان لي قريبة كثيرا .
تمكث معي .

— من شهود يهوه ؟
— نعم . ولدي كذلك اصدقاء من هامبستيد .
والتهم ملقعة من الحساء ، وادرك انه كان يتضور جوعا . وشعر بامتنان حسي ينبعث من معدته كان يجعله يبتسم لها . وجلست في مواجهته ، واخرجت تنورة صوفية لم تتم خياطتها من كيس ورقي ابيض كتب عليه — محلات هارود . وسحبت ابرة كانت مغروزة في القماش وراحت تخط بعناية .
فسألها بعدم اكتراث :

— ماذا تخطين ؟
— تنورة .
— هل اعتدت على خياطة ملابسك بنفسك ؟
— نعم .
وانهى الحساء ودفع الصحن بعيدا .
— كان رائعا .
— طيب .
ونهضت بصمت وفتحت الثلاجة . كانت اطول منها .
— هل انت نباتي ؟
فاجاب بحماس :
— لا بالتأكيد .
كان الصحن يحتوي على فخذ دجاجة وثلاثة شرائح من لحم الخنزير .
— خذ شيئا من السلطة .
— شكرا .
— هل لك في قدح بيرة ؟
— اود ذلك جدا .

واخذ يأكل بشراهة ، وتناول كمية كبيرة من البيرة . وراح يستمتع بمنظرها وهي تجلس امامه وقد احنت راسها منشغلة بالخياطة . وتناول كمية اخرى من السلطة ، وهو ينتقي بعناية اوراق الشكوريا وقطع الفلفل الاخضر . وسألها فجأة :

- السم تنزوي مطلقا ؟
 كان يعرف الجواب ، ولكنه اراد ان يعرف رد فعلها لهذا الموضوع .
 ولدهشته ومقته بنظرة يبدو عليها الغيظ ، واجابت :
 — كلا .
 — ارجو ان لا يزعجك سؤالي .
 — لا ابدا .
 كان ما يزال في صوتها شيء من الحدة . ومضى يأكل وصب لنفسه قدحا
 آخر من البيرة ، وراح يتساءل في نفسه لماذا اغضبها السؤال . وقال بتحفظ :
 — جعلتني اشعر انه ما كان ينبغي لي ان اتير الموضوع .
 واستمرت على الخياطة . واخذ يفكر في انها عازمت على تجاهله ، كدليل على
 عدم الرضى . ثم شرعت تتكلم ، وهي ما زالت منهمكة في الخياطة ، بصوت
 دقيق العبارة لا تعبير فيه :
 — لا يزعجني السؤال ، غير ان ما يزعجني هو الفرضية التي يقوم عليها
 السؤال عادة . الرجل الاعزب امر طبيعي ومقبول ، ولكن المرأة غير المتزوجة
 يطلق عليها « عانس » ، ويعتبرونها شيئا ناقصا . اقصد ذلك اللغو الذي
 يردده بايرن من ان الحب هو طريقة لتزجية الفراغ لدى الرجل ولكنه كل ما
 في الحياة بالنسبة للمرأة ...
 في الاحوال الاعتيادية ، لم يكن ليتقبل مشاعرها هذه دون ان يتشكك
 فيها ، ولكن وجبة الطعام هذه ولدت لديه شعورا بالانبساط والامتنان . فقال
 على عجل :
 — اني اتفق معك كليا . انه لغو باطل . بالطبع يحق للمرأة ان تتمتع
 بنفس الاستقلال الذي يتمتع به الرجل ...
 فقاطعته بقولها :
 — انا لم اقل ذلك . انا لا اعتقد ان لاکثر النسوة الاستقلال الطبيعي
 الذي للرجل . بيد اني لدي عملي الخاص والزواج .. يشغلني عنه .
 — ما هو عملك هذا ؟
 فأبتسمت له فجأة ، واختفى مظهر مديرة المدرسة الذي تميزت به
 وحل محله سحر جعلها تبدو اصغر سنا .
 — هل ترغب حقا في ان تعرف ؟
 فقال بجهد :
 — ارجو جدا .
 ومضت في خياطتها . وقالت :

- كنت افكر في ان اكون امرأة .. لديها ما تقوله .
— مؤلفة ؟
- نعم . وليس من الضروري مؤلفة مع هذا . عندما كنت فتاة صغيرة كان لدي كتاب عن حياة القديسات — مثل القديسة كاترين من سينا والقديسة تيريزا من افيللا ، وغيرهما .
- هل كنت ترغبين في ان تكوني قديسة ؟
- لست ادري . كنت اصغر من ان افهم معنى كون الانسان قديسا .
- هل تفهمين الان .
- احسن من السابق قليلا ، على ما اظن . كنت اقرا عن سيمون فايل ، كانت قديسة . لا يمكنني ان اكون مثل سيمون فايل ابدا .
- لماذا ؟
- لان ... اوه ، لانه ليس لدي الذكاء الكافي ولا القوة الكافية ولا ... اوه ، لا ادري .
- ومع هذا لا تريدان الزواج وتكوين عائلة ؟
- قد افعل هذا ، لو وجدت الرجل الذي يعجبني الاستقرار معه .
- ورفعت نظرها اليه فوجدته يبتسم . وقالت :
- اعرف بماذا تفكر . امرأة اخرى تبحث عن الرجل المناسب . لقد التقيت بالكثيرات منهن ، ينتظرن المستر « مناسب » !
- فقال :
- ولكن الامر ليس كذلك في حالتك ، فأنتك ترغبين في ان تؤدي عملا نافعا في حياتك .
- فاجابت ، والتعب باد في نبرتها :
- في اعتقادي يجب الا يكون الزواج خاتمة المطاف بالنسبة للمرأة ، على كل حال . ان اكثر النساء يتصرفن كما لو انه يوم الحساب الاخير .
- وماذا تعتقدين انت ؟
- اوه ، اعتقد ... اعتقد ان ذلك مجرد تبجح ، ولكني ارى انه ينبغي على البشر ان يسعوا لجعل العالم مكانا افضل للحياة ، بالإضافة الى سعيهم ان يعيش كل منهم حياته الخاصة .
- وهل تعتقدين ان الانضمام الى شهود يهوه ينفع في هذه الحالة ؟
- اعتقد ذلك . اما انا فلا انظر لنفسى بصفتي من هؤلاء الشهود ، ولكن بصفتي مسيحية . ان شهود يهوه هم الطائفة الوحيدة بين المسيحيين التي تسعى للوقوف بوجه الطريقة التي تسير عليها الامور .

- وفتح سورم زجاجة بيرة اخرى ، وسكب محتوياتها في القدر :
- وعلى أية طريق تسيير الامور ؟
- اوه ... لقد اصبح الناس اكثر خسة وتفاهة .
- الا تعتقدين انهم كانوا دائما بهذا الشكل ؟
- كان يلح عليها بالاسئلة لانه وجدها تستمتع بالتحدث ، ولانه كان يجد لذة في سماع صوتها ومراقبة وجهها الذي لوته جانبا . وكان يفكر : ما اجمل ان يطبع قبلة على ذلك الوجه .
- بلى ، اذا نظرنا الى المسألة من جانب واحد . ولكن الرجال والنساء في العصور الوسطى كرسوا حياتهم للآخرين دون ان يثيروا ضجة حول الامر . كانوا يقومون بذلك بصورة طبيعية ، بدافع من حبههم لله ولاخوانهم البشر ، ولم يظن احد ان ما كانوا يفعلونه شاذ او يتهمم بانهم من صناع الخير . ويبدو ان في هذه الايام — على كل حال ، كل انسان لنفسه ...
- وكيف تأملين في تغيير ذلك ؟ بحمل الناس على تغيير مبادئهم ؟
- لست ادري . ادعو احيانا بعض اصدقائي من شهود يهوه لتناول العشاء معي ، واعتقد انهم ... تبدو عليهم السذاجة ، بالرغم مما يتسمون به من جدية . ويحدث ان اتحدث احيانا اخرى الى هؤلاء الذين يدعون الثقافة فأجدهم سخفاء بالرغم من براعتهم .
- فقال سورم مبتسما :
- لك مؤهلات الهرطوقي من الصنف الاول .
- فاجابت بصوت ناعم :
- من المحتمل .
- وساد الصمت بينهما . وراح سورم يراقب يديها وهما تمسكان بقطعة القماش ، ولاح له انه كان من البساطة ان يجلس بجانبها ، دون ان ينطق بكلمة ، وهو لا يشعر بالخرج من ضرورة الكلام . واخذ يتساءل هل كانت البيرة هي المسؤولة عن شعوره هذا بالانبساط والاسترخاء .
- وقالت فجأة :
- هل تعلم ان اوستن كان قد التحق باحد الاديرة ؟
- كلا . متى ؟
- قبل مدة غير بعيدة ، منذ اقل من سنة . ولكنه خرج ثانية ، لم يكن ذلك ما يبحث عنه ...
- حقاً ؟
- ثم دفع صحنه ابعد قليلا ، واستلقى الى الخلف .

وقالت بنعمومة :

— مسكين اوستن .

كان الحنان واضحاً في نبرتها . فقال بفضول :

— هل انت مغرمة باوستن ؟

— بالطبع ! فقد راقبته حتى شب وترعرع . كنت في التاسعة من عمري

عندما ولد . وكنت اخرج به للنزهة . كان طفلاً غريب الاطوار .

— كيف ؟

— كان في بعض الاحابين يلوح طفلاً ملائكياً . على اية حال كان صبيها

ذا مزاج طيب جداً ، غير انه كان يسلك في بعض الاحيان سلوك من كانت

تكمن فيه روح شريرة كانت احياناً تنتابه حالات عصبية فيحاول ان يهشم ما

تقع عليه يده او يقسو على الاشياء .

كانت عينها تنظران باتجاهه ، وقد لاحظ عليها انها كانت تستمتع

بالحديث عن اوستن ، واستقر نظرها فجأة عليه ، فوجدت انه لم يعد يأكل

طعامه .

— هل لك في فنجان قهوة ؟

— كلا ، شكراً .

— شاي ؟

— شكراً ، لا اشرب شيئاً .

— فلندذهب الى الغرفة الاخرى اذن . فيمكنك ان تتناول شيئاً من

البراندي اذا رغبت .

— آه .

واصرت على ان يتقدمها في الدخول الى غرفة الجلوس . وقال لها :

— اشكرك على الطعام الشهي حقاً !

— اشكرك . انك للملاك !

— وشعر على الفور انها ارتكبت خطأ ، ثم احس بالدهشة للحمرة

الخفيفة التي صعدت الى وجهها . لقد سحرته ، فقد اكسبتها تلك النظرة

مظهر طالبة مدرسة . وقال لها وهو يدير القدح باصابعه :

— ما اكبر القدح !

— من المفروض ان يكون كذلك !

— حقاً ؟

— الم تشرب البراندي من القدح المخصص له قبلاً ؟

— ابداً . كان لي جد بحار يعرض علي احياناً ان اتناول رشفة من

البراندي، وكان يشرب البراندي بكوز كبير جدا مع الماء الساخن وعصر الليمون .
فضحكت له : كان يسمعها تضحك لأول مرة . وامسكت بقدرتها عاليا
وقالت :

— ينبغي ان تمسك بالقدر بهذه الطريقة — وذلك لتسخينه بحرارة
يديك . ذلك اذا كان البراندي جيد النوعية ، ليس كهذا .
— انه حسن المذاق بالنسبة لي .
— نعم ، ولكنه ليس جيدا . البراندي الجيد له مذاق رائع سلس ...
فقال ضاحكا :
— لك مؤهلات اليبقوري من الصنف الاول !
فارتسم الجد عليها في الحال ، وقالت بهدوء :
— كلا .

وراح ينتظرها لتمضي في حديثها ، ولكنه لما رآها قد اتمت عبارتها ،
قال وقد رفع جفنيه :
— كلا ؟

— كلا . لا اعتقد اني اهتم للحياة الناعمة ... امضيت مرة اسبوعين
في منزل للنساء في القطاع الشرقي من لندن ، فلم اشعر بالحنين الى البيت ،
لولا قدارة المكان . والقدارة غير مرغوبة في اي مكان ...
— وماذا كنت تفعلينه في هذا المنزل ؟
— للمساعدة .
— آه . فهمت .

وبسطت القماش على فخذيها ، وشرعت في الخياطة . واخذ سورم
يحتسي الخمر ، ويرقبها باعجاب . كان وهج النار من المدفأة الكهربائية يضي
احمرارا على ساقيها اللذين لبست عليهما الجوارب ، وينعكس في بدلتها
المصنوعة من القماش اللامع . وايقظ هدؤوها ورقتها فيه الرغبة في لمسها ،
ولكن شيئا في أعماقه اندره بانها تخاف الالفة ! وطفق يتأملها وهي منهمكة
في الخياطة ، ومضى يتخيل حياتها الماضية . ولاحظ له نظرية الاب التي افضى
بها أوستن لا تخلو من الصدق . هنالك امر ما ولا ريب . وراح يفكر : كيف
سيحملها على الافصاح به ؟ فقد جعله البرود المفاجيء الذي قابلت به حديثه
عن الزواج يحاذر في الامر . وقال اخيرا :

— حدثيني عن أوستن .

— ما الذي تريد ان تعرفه عنه ؟

— قصة الديبر هذه .

— لست ادري . اسأله انت .
— اين يقع ذلك الدير ؟
— في الازراس — على نهر الراين ، على مبـا اظن . فأوستن لا يحب الحديث عنه . لا يتحدث عنه الي ، على كل حال .
— ولا تعرفين شيئاً مما حدث ؟
— قليلاً جداً . ان والدته اوستن تدين بالكاثوليكية ، وقد حاولت فترة من الزمن ان تجعل من اوستن قسيساً . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث . فقد كان والده يريد ان يدفع بولده الى التجارة ، ولكنه لم يبد ميلاً الى ذلك ايضاً . كل ما حدث هو ان اوستن ادمن على الشراب ، فزجه ذلك في متاعب كثيرة وقرر والده على اثر ذلك ان يرسله الى البرازيل . ومن حسن الحظ ، عازمت والدته على ان تتدخل في هذا المشروع واقتنعت الاب بان الصبي بحاجة الى مراجعة طبيب نفساني . وذهب اوستن الى الطبيب ، وادرك ان الامر كله هراء ، ولكنه اعتقد ان مراجعة الطبيب كانت افضل من الرحيل الى البرازيل . وفوق كل ذلك ، اقنع الطبيب على ان يخبر والده بأنه صبي لا يليق بالتجارة . فقال سورم :

— مسكين اوستن ! يبدو انهم لا يريدون ان يدعوه وشأنه .
— تماماً ! من المؤسف انه ولد لهم الوحيد .
— وماذا حدث بعد ذلك ؟
— وبعد ذلك ... بدأ اهتمامه ينصرف الى رقص الباليه واطن انه يريد ان يؤلف كتاباً . فمناحه لذلك بعض المال وتركوه وشأنه — وهذا ما كان ينبغي لهم ان يفعلوه . وقد كتب بالفعل ، واخالك تعلم ، ثلاثة مؤلفات ممتازة ، وبدأ يكون له سمعة مرموقة في عالم الصحافة .

— وما هي قصة الدير هذه ، على كل حال ؟ متى حدث ذلك ؟
— منذ زمن قريب . فقد غادر الى المانيا منذ ثلاث سنين ليعيش هناك ، ومكث فيها ما ينوف عن العام ، لم نسمع خياله الكثير عنه . وفي يوم من الايام كتب يقول بأنه انضم الى دير في مقاطعة الازراس وانه يأمل ان يصبح راهباً . وبالطبع ، سرت والدته لذلك . كانت واثقة من انه سوف لا يلبث ان يغادر الدير بعد ان يصبح قسيساً . بيد ان الامر اخفق ، حيث لم يمكث غير شهر واحد ، كأنه نزيل في فندق . وعاد بعدئذ الى لندن . وقد عكف منذ ذلك الوقت على كتابة قصة — كما قال لي هو . فربما تكون على معرفة افضلـل مني بهذا الامر ؟

— كلا . لم يذكر لي شيئاً عنها . لم اتعرف به منذ مدة طويلة . هل

كنت دائما على صلة وثيقة به ؟

فقلت بهدوء :

— كان دائما يحضر الي اذا ما احس بالتعاسة او السخط .
ونظر اليها ، واحس ثنائية بتيقظ الرغبة في لمس جسدها
الممشوق . وقال :

— يدهشني لماذا ؟

— يدهشك ؟

— لماذا يحضر اليك دائما ؟

— كنا دائما مغرمين ببعضنا . كان يثق بي دائما . احسبني كنت
متسامحة معه الى حد لم يشهده من مربية اخرى !

راح سورم يتأمل رقة عباراتها وهي تتحدث عن اوستن ، واخذ
يتساءل : هل انها تحب اوستن . ولكنه قرر ان الامر مستحيل ، بينما كانت
هي تطوي التنورة وتدسها في كيس الورق . كانت هياتها تنم عن موقف فتاة
ترعى اخاها الاصغر .
وسال بفضول :

— هل كنت مجرد صبية ؟

وبدت كان تغيير الموضوع قد افزعها ، ونظرت اليه والتساؤل يكتنف
وجهها ، ثم قالت على عجل :

— نعم .

ونهضت وثنت اعلى الكيس . فشعر سورم للمرة الثانية بأنه قد اربكها
بالحديث عن نفسها . وقالت :

— معذرة يجب ان اقوم بنداء تلفوني قبل ان انسى .

— انا صاعد الى الطابق الثاني ، عن اذنك .

وتناهت اليه وهو في الحمام همهمة صوتها وهي تتكلم في التلفون . كانت
الغرفة دائئة الى حد ملائم ، واحس بالشبع والنعاس . ووجد الماء الدافئ
والصابون ذا عبير البرتقال من المستطاب حتى خلع ثوبه وشرع يغسل رقبته
ووجهه . ثم مسح البخار من المرآة ، واستحسن وجهه الوردي المنعكس فيها .
لم يكن قد حلق ذقنه منذ يومين ، ولكن بشرته كانت بيضاء لم يكد الشعر
يبرز عليها واضحا . ومسح الصابون من ثنايا اذنيه وكشر على نفسه في المرآة
وسمع رنين جرس الباب في الاسفل . فاقترب من الباب وراح يسترق السمع ،
ولكنه لم يفقه شيئا . كانت قد فتحت الباب دون ان تعيد سماعة التلفون
الى محلها ، لان صوتها عاد يهمهم . وسمع طرقة التلفون وهي تضع السماعة

في مكانها ، بينما كان يخرج من الحمام . وعندما نزل السلم الفاها داخل المطبخ،
وسألها :

— هل قدم احد ؟

— ابنة اخي .

وعندما دخل الغرفة ألقى الفتاة جاثية على ركبتيه امام الموقد تدفئ
يديها . وقال :

— كيف حالك ؟

ورفعت نظرها اليه ثم نهضت على قدميها وقالت وهي تبتسم :

— هلو !

كانت الفتاة التي رأى صورتها في غرفة النوم . كان شعرها الاشقر
القصير يلوح حديث القص والتجميد . وعندما انفرج ثغرها عن الابتسامة ،
وجد اثنين من اسنانها الامامية غير منتظمين ، كان احدهما يتوسد الاخر قليلا .
وخمن سننها في السادسة عشرة وقالت :

— اسمي كارولين . كيف حالك ؟

— جيرارد سورم .

— هل انت من شهود يهوه ؟

— كلا .

— لم اظن انك منهم . ولا يبدو عليك ذلك !

ولم تدع الطريقة التي ابتسمت بها مجالا للشك في انها قصدت بهذه
العبارة مديحا له .

— لا يبدو علي ؟ فكيف ابدو اذن ؟

— لست أدري .

فألقت اليه نظرة فاحصة وقد لوت رأسها جانبا قليلا ، ثم اطلقت فقهقة
مكتومة ، كشفت عن حقيقة عمرها الذي كانت تخفيه بتصنعها الكلام الرزين
الموزون وسفسطة العبارة . واثار فيه تصنع السفسطة هذا شعورا طفيفا
بالاشمئزاز .

ودخلت المس كوينسي .

— آه ، لقد تعارفتما . هل لك في قدح من الشراب ، يا كارولين ؟

— نعم ، شكرا . ايمكنني ان اشرب قدحا من الشيري .

— انا لا اعني هذا النوع من الشراب ، يا كارولين . اوصتني امك الا

ادعك تلمسين الخمر .

فقالت كارولين بلهجة حزينة :

- ولكني اكاد اموت من البرد . هيا تحسسي .
 وجعلت قفا كفها يلمس وجه المس كوينسي .
 - حسنا . ولكن لا تسرفي في الشرب . ساهيء الشاي .
 ثم التفتت الى سورم تسأله :
 - الا تريد شيئا من الشاي ؟
 - نعم ، شكرا !
 - لا تدع كارولين تسرف في شرب الشيري .
 وخرجت المس كوينسي من الغرفة ، وقالت كارولين :
 - ستجدينني عندما تعودين ملقاة على البساط يكاد يخنقني السعال .
 وراح سورم يتطلع اليها باهتمام متزايد . فوصية المس كوينسي بكارولين
 ادخلت شعاعا من الالفة بينهما ، ووضعته موضع الوصي عليها . كان يرقبها
 وهي تحرك الزجاجات في الدولاب . وسالت :
 - اتشرب انت ؟
 فقال :
 - كنت اشرب البراندي .
 - الا تريد ان تملأ قدحك ثانية ؟
 ووجد قدح المس كوينسي ولم تمسه بعد ، فقال :
 - لا اعتقد ان لجرتروود النية في الشرب . ربما يكون من الافضل ان
 اتناوله اننا .
 - بل ان ذلك افضل فعلا !
 وجلست على الاركة ، وعقدت ساقها . كانت لها ساقان جميلتان ،
 وكانت ترتدي بدلة سوداء بسيطة الشكل لها ردنان يصلان حتى المرفقين .
 - طيب ، اخبريني ، ما هي مهنتك ، اذن ! لا استطيع التكهن .
 - مهنتي التأليف ...
 - حقا ! انت مؤلف . رائع ! كنت دائما اود التعرف بمؤلف .
 - صحيح ؟ لست اذن اول مؤلف تتعرفين به بالتاكيد ؟
 - تقريبا . كان والدي صديقا لـ احد الروائيين يدعى دينيس سكوت منذ
 بضع سنين . وتعلقت به بعنف ! كان وسيما جدا !
 وقال سورم مبتسما :
 - آه . وهل اثمرت العلاقة ؟
 - اثمرت ؟ يا للسماء ، لا ! كنت لم اتعد العاشرة من العمر .
 وقال سورم وهو يتعمد مضايقتها :

— كنت فتاة لذيذة آنذاك ولا شك !
فاجابت بلكنة اميركية : اوه ، نعم . وعادت تصطنع الرزانة التي كانت
تتلاشى .

— كم تبقيين من العمر الان ؟
— السابعة عشرة . ابلغ الثامنة عشرة بعد ثلاثة اشهر . ما هو نوع
مؤلفاتك ؟

— اخبريني ماذا تفعلين انت اولا .
— التمثيل . ادرس التمثيل في ا . ل . م . ف . د .
— ايبن ؟

المدرسة التي تنافس « رادا » ، انها تقع في كنسغتن .
— ا . ل . م . ف . د . اقصد اكااديمية لندن للموسيقى والفن الدراماتيكي،
— آه !

وشعر سورم بانه استطاع فجأة ان يجد محلها في اطاره الذهني . لقد
حيره هذا المزيج من السداجة والتعقيد ، كما اذهله انعدام الخجل لديها .
واخذ يتصورها بعد سنتين لا تتكلم الا بهذه اللهجة المصطنعة ، وتنادي كل
من تصادفه « يا عزيزي » . اما الان فسلوكها هو مزيج من اثنين : طالبة
المدرسة والمسرح .

وقالت :

— اعتقد انك تسكن في همبستيد ؟

— كلا ، في الواقع .

— اوه ، حسبتك واحدا من اصدقاء عمتي المتفنيين .

— كلا . بل انا صديق لاوستن .

— اوستن ! لم اتعرف به قط ، وكنت دائما ارغب في ذلك . هل هو

ساحر المظهر ؟

فقال سورم ، وهو يبتسم :

— لا اعتقد انه سيثير اهتمامك .

فقالت :

— لماذا ؟ ثم بدا عليها بصورة مفاجئة كأنها فهمت قصده وقالت :

— آه هل هو بهذا الشكل ؟

— ينبغي الا تعلمي شيئا عن ذلك .

— لا ؟ لم لا ؟ لدينا اثنان منهم في فصلنا . انهما يتمشيان ويحيط كل

منهما الاخر بذراعه .

— منظر مزعج اليس كذلك ؟
— بل هو كذلك . وهناك فتاة وقعت في غرام أحدهما — الذي يدعى
ارنست . ولقد كان ذلك سببا في شقائها حقا . اعتقد ان المنحرفين جنسيا
جذابون — ولكن بطريقة كريهة . الا تعتقد ذلك ؟
وقال سورم وهو يبتسم :
— كيف لي ان اعلم ؟ فميولي ليست في ذلك الاتجاه .
وقالت : طيب !

وراح سورم يتساءل هل كانت تعني موافقته بهذه الكلمة . وراح يحاول
ان يتأكد من ان ابتسامتها الدافئة قصدت خصيصا له ، او انها جزء من قواعد
السلوك العامة التي تعلمتها في مدرسة التمثيل . واستلقت الى الوراء وهي
جالسة على الارصفة واخذت تحلق في السقف . وطفق سورم يرمق ساقها
برجاء ، ولكن رداءها لم ينحسر كثيرا وهي تغطى الى الوراء .
وقالت :

— قل لي ماذا تكتب .
فأجاب :
— ليس الآن . في وقت آخر .
ورمقته بنظرة من طرف عينيها .
— متى ؟

وسرت في جسده هزة من الابتهاج التي خفف من حدتها مفعول البراندي .
وقبل ان يجيب ، دخلت المس كوينسي . ونظرت باستنكار الى الطريقة
التي كانت كارولين جالسة بها . وشعرت الفتاة بموقف المس كوينسي دون
ان تنظر اليها فاجتذلت في الحال واخذت تنفض الوسائد . وقالت المس كوينسي :

— لم اكن اتوقع مجيئك الا في ساعة متأخرة ، يا عزيزتي .
— اعلم ، فقد كنت اعتزم ان آتي من المسرح مباشرة ، ولسكن الغي
التمرين . ولشد ما سرتي ذلك ، فاني اشعر بتعب ممض ، لقد كان يوما
مليئا ! ارجو الا اكون قاطعت مناقشة مهمة ؟ ..
— كلا يا عزيزتي .

قالت المس كوينسي وكان يبدو عليها الارتياح . كانت تصب الشاي .
وقالت :

— جيرارد ...
وادهشته النبرة التي نفوحت بها . كانت ممسكة بفنجان الشاي .
— اوه . شكرا جزيلا .

فسالت كارولين بطريقتها المصطنعة :

— عم كنتما تتحدثان ؟

فاجاب سورم :

— عن اوستن بالدرجة الاولى .

— اوه !

وقالت المس كوينسي :

— كارولين .

وتناولت فنجان الشاي . وازافت المس كوينسي :

— هل انت جائعة ؟

— قليلا . لم اتناول لقمة واحدة منذ الغداء .

— حتى ولا الشاي ؟

— لم اكن اود مقاطعة عملي . كنت اتعلم دوري .

— يا لله ! يجب ان تاكلي شيئا . ساهيء لك شيئا الان .

— لا تزعجي نفسك . ساجد قطعة ساندويتش لنفسي .

وسالها سورم : اي دور تقومين بتمثيله ؟ لم يكن مكثرنا ولكن حديث المس كوينسي عن الطعام اخذ يضايقه . فقالت كارولين بلا مبالاة :

— غاب اسمها عني . انها زوجة شاعر ... اننا نقوم بتمثيل مسرحية عن الشاعر الفرنسي رامبو . انا زوجة اعز اصدقائه .

— فرلين ؟

— اجل . علي ان اتلو قصيدة بالفرنسية . ارجو ان تكون لهجستي صحيحة . تبدأ القصيدة هكذا ...

فقاطعتها المس كوينسي قائلة :

— هيا اشربي الشاي ، يا عزيزتي

فقالت الفتاة بوداعة :

— طيب .

واخذت ترشف الشاي . وجلست المس كوينسي وقالت :

— حقا ، لا ادري ماذا فعلت بقدرح البراندي ؟

— اوه ... شربته انا . آسف جدا . ظننتك لن تشربه .

— لا بأس . لم اكن ارغب في شربه في الواقع . ولكي فضلت

الا ابدده ...

لقد استطاعت بطريقة ما ان تجعله يشعر بالذنب ، وبانه على تفاهم خفي مع كارولين . ونظرت اليه الفتاة من فوق فنجان الشاي ، كانت

عينها تتألقان . وتوقف عن مبادلتها النظرات . ووضعت قدح الشاي على المنضدة ، وتمطت كالقطة ، فبرزت انحناءات صدرها . وصدر صوت شيء ينقطع . فصاحت متبرمة :

— اللعنة . انفكت كلابة مشد الصدر .

وصاحت المس كوينسي :

— كارولين !

غير ان الفتاة تجاهلتها ورفعت يدها لتتحسس ظهرها عند اسفل رقبته . وقالت :

— يحدث ذلك مرتين في اليوم . هل لديك ابرة خياطة، ايتها العمة .

ونفضت المس كوينسي بصمت ، واجتازت الغرفة الى الدولاب .

ولحظ عليها سورم الامتعاض والاستنكار . ولكن كارولين لم تحفل بذلك . وقال سورم مبتسما :

— هل حدث ذلك في ظروف محرجة ؟

واحس بنظرات المس كوينسي منجهة اليه . وقالت كارولين :

— كلا ، لحسن الحظ ، كنت لوحدي . ولكنني اعرف فتاة مسكينة

سقط عنها لباسها الداخلي اثناء التمرين ...

وانطلقت تتضحك وكادت تختنق . وعادت المس كوينسي وهي

تحمل ابرة وبكرة خيوط بيضاء . وتناولتهما كارولين دون ان تنظر اليها وقالت :

— كم كان الموقف مضحكا . كان لباسها من النوع الذي يثبت بالازرار .

وصاحت المس كوينسي :

— كارولين !

— وانقطع الزر ... كادت ان تسقط وان تدق عنقها ولباس

النابلون معلق في رسغي قدميها ...

— كارولين ، ارجوك ! وقالت الفتاة مدافعة عن نفسها :

— ولكن الامر كان مضحكا جدا . كم بدت مضحكة وهي تحاول

الهروب من السرخ دون ان تتعثر ...

وحدث بسورم رغبة في ان يزيد من مضايقة المس كوينسي ،

فقال للفتاة :

— ماذا كنت تفعلين لو وقع الحادث لك انت ؟

وجلست المس كوينسي ثانية ، كما لو ان الحديث اصبح اخطر مما

يمكنها ان تتحمل مسؤوليته . واجابت كارولين :

— لكنك زلقته من ساقى ومضيت في التمثيل !
واصطبغ وجه المس كوينسي بالحمرة وصاحت :
— ارجوك ان تكفي ، يا عزيزتي !
وقالت كارولين :
— لكن هذه امور تحدث . وهل من العيب ان تكون صريحين بصددتها ؟
فقالت المس كوينسي بلطف غريب :
— انه ليس موضوعا لائقا ، يا عزيزتي .
فقالت كارولين باحتقار :
— لائق . انك لحمقاء ، اينها العمة !
ونظر سورم الى المس كوينسي بتوجس ، ولكنها اخذت تشرب
الشاي بهدوء ، كأنها شاردة الدهن . ونهضت الفتاة :
— سأذهب لخياطة الكلابية ، ثم احضر قطعة ساندويتش .
— سأخيطه لك ، يا عزيزتي .
— لا ، تزعجي نفسك .
وتركت الغرفة وهي تحمل قدح الشاي . وعندما بلغت الباب التفتت
والقت قبلة خاطفة لسورم . وعندما انغلقت الباب ، اخذت المس كوينسي
تحقق في الفضاء ، والقلق باد على وجهها . ثم قالت اخيرا :
— لشد ما انا قلقة عليها .
— لماذا ؟
وظلت تحقق ، دون ان تجيب . ثم قالت فجأة :
— اوه ، على كل حال . فانها ستتزوج ولا شك .
فقال سورم :
— لا شك في ذلك .
فنظرت الى سورم :
— اما بالنسبة اليك فالامر يختلف . انك رجل . وفضلا عن ذلك
فانك اكبر منها سنا .
— ماذا تعنين ؟
ومضت في الخياطة ثانية ولم تجب . واخذ يرقبها بفضول وهو
يعرف كنه مشاعرها بالضبط . ولم يستطع ان يجد شيئا يقوله ليفتح
الموضوع ثانية . وسأل اخيرا :
— هل تعترضين على مدرسة التمثيل ؟
— ليس هذا ...

وانتظرها لتتم عبارتها وهو يتفرس في النار . وكانت تنظر اليه ولكنه ظل يحرق في قضبان المدفأة المحمرة . وقالت :
- اني اسعى الا اقحم معتقداتي على الآخرين . انا لا احاول ان افرضها على اوستن او كارولين او عليك . هل لاحظت ذلك ؟
- نعم .

- ولكن ... على كل ، المفروض في ان ابين لكم معتقداتنا ، في الواقع . ان من صميم عقيدتنا هي ان ندع الفرصة لكل انسان ان ...
وانتظرها لتقول : « ان يتوب » ، ولكنها مضت تقول :
- ... ان يتعرف على رسالتنا .

فقال سورم :
- قد لا تؤمنين بها انت نفسك الى هذا الحد ؟
فقالت :

- بل اؤمن بها .
كان صوتها خلوا من التعبير ، كأنها تتحدث عن شيء غير مهم كمفتاح الباب الامامي مثلا . ثم اردفت :
- للناس طرائقهم المختلفة في السلوك تجاه عقائدهم . واني لا اخرج من الكلام الى الغرباء لانهم غير ملزمين بالاصفاء . اما اذا اقحمت كلامي على الاشخاص المقربين لي ، فاني اشعر وكأنني قد اقترفت اثما .
هل ... هل تفهمني ؟
- تماما .

- ومع هذا ، عندما اجد كارولين وكأنها لا شيء الا للمسرح ، اشعر بالقلق .
فقال :

- اطلبي منها ان تحضر اجتماعاتك الدينية .
لم يطرح السؤال بصورة جدية ، ولم يكن يهمه الحديث عن كارولين .
وقالت على الفور :
- اوه ، كلا : لا اعتقد ان ذلك يسرها مطلقا . اعلم انها لن تكثر لذلك . بل ... اعتقد ينبغي ان يفتحها بذلك رجل ذو سن يقارب سنها .
وقال سورم :

- شخص يمكنها الانسجام معه .
قال ذلك ، وهو يتذكر الفتيات اللاتي كان يشاهدن يرتلن الصلوات في زاوية الخطابة في حديقة هايدبارك بوجوههن الشاحبة وثيابهن الرثة .
والتفت اليها ، فضايقه منظرها وهي ترمقه بنظرة جدية . وقالت :

- قد يمكنك انت ان تقوم بذلك .
- انا ؟ ولكني لست من شهود يهوه على اي حال ؟
- يمكنك ان تحضر عددا من اجتماعاتنا .
- بالطبع . ولكن ذلك لا يضمن اني سأنتهي بلمتناق ارائك ؟
- لا يهم ذلك . انك انسان جاد في طبعك . ذلك اهم شيء .
- يسرني ان تظنني كذلك .
- ولكنه اهم ما في الامر اليس كذلك ؟
- وقال في تروء :
- من الجائز . ولكن هناك تباينا شاسعا بين وجهتي نظرا .
- شاسع جدا ؟
- فقال :
- انني اعمل على فرض ان العالم خلو من المعنى ، وان الحياة عبث .
- عبث ؟
- ونظرت وكأنها قد صمعت : — بالضبط .
- ولكن كيف ... كيف يمكن ان تكون بدون معنى ؟ لا اشك انك لا تؤمن بذلك ؟ لا يمكن لاحد ان يؤمن به .
- لم لا ؟
- لا تعود الحياة تستحق ان تعاش ...
- كلا مطلقا . من المبهج ان يعيش الانسان . وهذا يختلف تمام الاختلاف عن الايمان بان للحياة معنى .
- كانت تحدجه بنظرة نفاذة مفعمة بالتشكك ، كأنها ترتاب في انه يريد ان يجعل منها اضحوكة ، وكأنها قد تاهبت لاطلاق الضحك بمجرد ان يعترف لها بنيته هذه . وابتسم لها . وقالت فجأة :
- فماذا يمكنك ان تكتب عنه اذن اذا كنت تظن ان الحياة تفتقر الى المعنى ؟
- آه ! سؤال وجيه . سأجيبك . اريد ان اؤلف كتابا عن الطرق المختلفة التي يضفي بها الناس معاني على الحياة التي يعيشونها . وسيكون الكتاب بعنوان « طرق ووسائل خداع النفس » ، وسيعالج جميع الطرق الممكنة التي يتوصل بها الناس لاختفاء معنى الحياة عن انفسهم . وسأستهل الكتاب بفصل عن التجار والسياسيين اسميه « الانسان النشيط » ، وسيكون هنالك فصل عن الفنانين والادباء ورجال المسرح اسميه « الانسان الجمالي » ، ثم فصل عن التأثيرين والرجال الذين يدفعهم الحسد وعدم القناعة .

واخيرا ، عدد من الفصول عن جميع انواع خداع النفس عن طريق الدين .
واخذ الصفاء يعود الى وجهها وهي تصفي اليه . وابتسمت وقاطعته
بقولها :

— تلك فكرة رائعة ! اني اتفق معك تماما . ان كتابا من هذا النوع
سيجعل مهمتنا اسهل كثيرا . فنظرتك ، على كل حال ، دينية في حقيقتها ،
اليس كذلك ؟ وسوف لن يفكر الناس في الاشياء المهمة فعلا الا ...
— وسأضع فصلا عن شهود يهوه . اريد الا اكون متحيزا .
— ولكنك لا تعرف شيئا عنا .
— بل اعرف القليل . انكم تسندون كل شيء الى الكتاب المقدس ،
اليس كذلك ؟ تلك هي نقطة انطلاق جيدة .
وقالت بحماس :

— ولكنك تقول ان الحياة معدومة المعنى ، على حين ان الكتاب
المقدس يضم معنى الحياة . فكيف يمكنك ذمنا دون ان تكون قسرات
الكتاب المقدس ؟
وقال باناة :

— انت لا تفهميني . ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هو ان تجاربنا
مجزأة . اننا نعيش على الاكثر في الحاضر . بيد اننا لو كنا مخلصين
لاعترفنا بان الحياة سلسلة من اللحظات ترتبط ببعضها بحاجةنا الى ان
نظل احياء ، ان نقهر الضجر . وتجاربنا كلها تحدث على اجزاء . ولكن
التاجر القابع في محله يلصق هذه الاجزاء ببعضها وهو يعتقد ان غاية
الحياة تكمن في حصوله على سيارة اضعف . اما السياسي فيقرن غايته
بهدف الحزب الذي ينتمي اليه . ويربط رجال الدين هذه الاجزاء بقبوله
هداية كنيسته وكتابه المقدس . انهم جميعا يستخدمون انواعا مختلفة من
الصمغ ، ولكن لجميعهم غاية واحدة ... وهي اصفاء نظام ما وفرض
معنى ما . وكل هذه المحاولات لا تعدو ان تكون تزيفا . لو كنا مخلصين
لاعترفنا بان الحياة لا معنى لها .
— وما نفع هذه الفكرة ؟

— قد تذهب عنا هذا الخمول والشعور بالقناعة والرضى . انها قد
تحول حياتنا الى بحث عن معنى .

— ولكنك قلت الان انها خالية من المعنى ؟

— كل شيء يبقى عديم المعنى الى ان تكتشف معناه .
— الامر يختلف في هذه الحالة ! يختلف تماما عن القول بان الحياة

عديمة المعنى . لانه افترض ان هناك عددا من الناس ممن ادركوا المعنى ؟
اناس ارسل الله لهم الرؤى . . ؟

— وما الفائدة التي اجنيها انا من ذلك ؟ لم اؤمن بما يقوله الاخرون ؟
اريد ان ارى المعنى بنفسى .

كان ينظر اليها بتركيز شديد حتى انه جفل عندما فتحت الباب
خلفه . وقالت كارولين :

— هل توافقون ان اجلب السندويش معى هنا ؟ لن ادع الفتات تسقط .
فقال المس كوينسى :

— اجل ، يا عزيزتى .

كان صوتها اعتياديا لا اثر للامتعاض او الدهشة فيه . واحس
سورم كان هدوءها قد غلبه على امره . وقالت كارولين :

— شكرا . ودخلت الغرفة وهي تحمل طبقا . وقذفت المس كوينسى
بابتسامة سريعة الى سورم تكاد تكون غنجة . وقالت :

— على كل حال ، هي شجاعة منك ان تحاول ان تضع المسؤولية على
عاتقك . ارجو لك النجاح فيما تبغيه .

واطل سورم بنظره الى كارولين ، وهو يشعر بالانفعال . وقالت كارولين :
— لماذا هو شجاع ؟

فقال :

— لا شيء . . .

وتذكر انه لم يقطع وعدا بعد للمس كوينسى بانه سيحضر احد اجتماعاتها
او ان « يتحدث » الى كارولين وسره ذلك .
وقالت كارولين :

— يبدو جيرارد جادا بفضاعة !

وابتسم سورم وقال :

— كنت اتحدث عن جميع الناس الذين سأقتلهم عندما اكون دكتاتورا .

— ما دام اسمي ليس فى القائمة . . .

ونظر اليها ، وشرع يقول : انت آخر من ارفع فى قتلهم ، ولكنه ردع
نفسه . كانت تتصفح جريدة (الراديو تايمس) ، وهي تمضغ الساندويتش .
وقالت فجأة :

حقا ، لم لا نفتح الراديو ، ابتها العمة ؟ سيقرا ديلان توماس شيئا من

شعره في الساعة العاشرة والرابع .
ونظر سورم الى ساعته : كانت تشير الى الدقيقة العاشرة بعد العاشرة .
وقال :

— اعتقد انه ينبغي علي ان اغادر كما الان فانكما تبكران في النوم اليس كذلك؟
وقالت المس كوينسي :
— لا داعي للذهاب . انا لا انام عادة في الساعة العاشرة ! كانت تلسك
الليلة شاذة .

وقالت كارولين :
— الا يعجبك ديلان توماس ، يا جيرارد ؟
فقال سورم :
— لم اقرا له شيئا على الاطلاق .
ونفض وقال :
— على كل حال ، يحسن بي ان ارحل .
كان يفضل ان يكون وحيدا مع احدهما ، اما ان يجلس مع الاثنتين فهو
امر بشعره بالخيبة . وخامره احساس بانه قد توغل في علاقته مع المس كوينسي
وانها كانت تريده ان يبقى .
وقالت كارولين :

— ارجو الا تكون ذاهبا بسببي ؟
— كلا ابدا . انك لا تجعلين احدا يهرب ، اؤكد ذلك .
— اشكرك .
وقالت المس كوينسي :
— لدي كتاب قد يسليك . اعتقد انه ينبغي عليك ان تقرأه .
— من هو المؤلف ؟

— ان كتبنا لا تحمل اسم المؤلف دائما ، ولكن اتفق اني اعرف من الفه . انه
من تأليف الاخ ماكاردل من مانجستر . تعرفت اليه مرة . انه رجل المعسي
متخصص في الكيمياء الحيوية .

وكانت وهي تتكلم تفتش بين الكتب . وقالت :
— لا احده هنا . يجب ان يكون في الطابق العلوي . لن اغيب اكثر من لحظة .
وتبعها سورم خارج الغرفة ، ثم تناول معطف المطر من المشجب . وعاد
الى غرفة الجلوس ليرتيده . فنظرت اليه كارولين ، وهي تلوك الطعام فسي
فمها وقالت :

— يؤسفني انك ذاهب .

- قد يمكننا اللقاء ثانية ؟
 - اود ذلك كثيرا . اود ان تحدثني عن كتابك .
 وحزم المعطف . وقال :
 - متى تفرغين من العمل ؟
 - كل يوم بعد الغروب . وحيانا في وقت العصر .
 كان يعتمد عدم المبالاة ، ولكنه كان يصغي باهتمام لثلاث عود المس كوينسي
 قبل الاوان . وسألها :
 - هل لديك موعد غدا مساء ؟
 - لا اظن ذلك . واذا كنت مشغولة فاين يمكنني الاتصال بك ؟
 واعطاها رقم التلفون ، فسجلته في دفتر ملاحظات اخرجته من حقيبتها
 وقال :
 - اين التقى بك ؟
 - اين تسكن ؟
 - كامدن تاون .
 وتناهى اليهما وقع خطوات المس كوينسي . فقالت كارولين بسرعة :
 - الساعة السادسة في محطة نفق ساحة لستر ؟
 طيب .
 وكانت كارولين ما زالت تضع الدفتر في حقيبتها عندما دخلت المس
 كوينسي . وشعر شورم دون مبرر بالتوتر والارتباك . اما كارولين فكانت
 محتفظة برباطة جأشها بصورة تامة ، واخذت تقضم طعامها . وقدمت له
 المس كوينسي كتابا ذا غلاف اخضر .
 - هل لديك نسخة من الكتاب المقدس ؟
 - آ . . . نعم ، طبعاً .
 - لم طبعاً ، اكثر الناس ليس لديهم نسخة منه .
 - لا ؟
 - طبعاً اكتشفت هذه الحقيقة راساً عندما كنت اقوم بصحبة الاخرونز
 ببعض الاعمال التي تتطلب التردد على البيوت . وقمنا مرة بزيارة ثلاثين بيتا
 في شارع واحد في منطقة بانثي ، فوجدنا الكتاب المقدس في اثنين منها فقط .
 ودس الكتاب في جيب المعطف الداخلي . اذ لم يكن كبير الحجم .
 - سترى اشارات في محلات كثيرة منه . انه من احسن الكتب التي
 نشرناها ، على ما اظن . فهو يقدم لك باختصار كل ما تؤمن به . فاذا اعتزمت
 ان تكتب عنا ، يجب ان تستند على هذا الكتاب . كما يجب ان تكون لديك نسخة

- من الكتاب المقدس للرجوع اليه ايضا .
- أشكرك جدا . . . و . . . متى سأراك ثانية ؟
- وشعر ، وهو يتكلم بحضور كارولين ، ان اختياره للالفاظ كان غير موفق الى حد سخي .
- بعد ان تقرا هذا الكتاب . كلا ، لا اعني ما اقول . انك على الرحب والسعة ان قرأته ام لم تقرأه . تعال في اي وقت يعجبك . ما عدا نهاية الاسبوع .
- خلال هذا الاسبوع ؟
- نعم . . ما عدا يومي الاربعاء والجمعة ، الاذا كنت ترغب في حضور احد الاجتماعات . اما في يوم الخميس فسيزورني بعض المعارف . يمكنك المجيء غدا ان اردت .
- ليس غدا ، اظنني سأكون مشغولا .
- اذن ، فليكن يوم الاثنين القادم على اقل تقدير . هل يناسبك ذلك ؟
- نعم ، لا بأس .
- والتفت عند الباب فالتفت الى كارولين ما تزال تمضغ الطعام .
- وداعا .
- وداعا يا جيرارد .
- وتعمد الا يدعوها باسمها الاول « كارولين » فقد كان يحس بالتقيد وهو امام المس كوينسي .
- وقال عندما بلغ الباب الخارجي :
- اصفي ، ينتابني شعور بالذنب حول ذلك . . .
- حول ماذا ؟
- حول قدومي والتهام طعامك . لا اريدك ان تحسني بانني . . . على كل حال ، تعرفين قصدي . . .
- يا للهراء . انك لا تثقل علي . ستجد دائما مأكلا ومشربا في اي وقت تعود . لا تشعر بالاثم .
- وقال :
- قد ادعوك لتناول وجبة في احد المحلات يوما ما .
- وابتسمت وهزت كتفيها ، ثم واجهت عينيه فجأة ، وصعد الى وجنتيها لون باهت وقالت باقتضاب :
- حسنا ، يمكننا ان نتحدث عن ذلك .
- وامسك بيدها .
- الى اللقاء .

– الى اللقاء يا جيرارد .
ولشد ما ادهشه انها اخذت يده بكلتا يديها واعتصرتها . واستدار
سرعا وانطلق عابرا الامر .
وقالت له :
– هل ترى طريقك جيدا ؟
– اجل . اشكرك .
وابتلعه الظلام . وانصفق الباب خلفه .

الفصل الخامس

واستسلمت له حالا ، ولم تبداية دهشة . ولما حاول ان يدفع بها الى الخلف على الارىكة ، ابعده عنها بلطف وقالت: ليس هنا . فقد يدخل الغرفة احد . وابتسمت واومات براسها الى غرفة النوم . وابتدات ، قبل ان تدخل باب الغرفة ، تنزع عنها بذلتها . فصفق الباب خلفه واقفله . وقال والسعادة بسادية عليه :

— رباه ، لك جسم ناضر !

وسمع احدا يطرق باب الغرفة بعنف . وادهشه ذلك ، فقبل لحظة واحدة لم يكن في تلك الغرفة احد . وارتسم عليها الرعب ، ومدت يدها لتنتشل رداءها الداخلي الذي كانت قد اقلت به على السرير . وطرق الباب ثانية . فقال سورم :

— لا تعيري الطرق اهتماما . فلنسرع .

ولكن الطرق على الباب اشتد الحاحا ، وسمع صوتا يهتف : نداء تلفوني لك ...

وذهب الحلم . استيقظ سورم واعتدل في الفراش والنعاس لم يزل عالقا به ، ونظر الى ساعته . ثم صاح :

— اشكرك جدا .

وتلاشى وقع اقدام كارلوتة وهي تهبط السلم . فارتدى الروب ودس قدميه في نعليه . لقد ذهب الحلم في عالم الخيال ونسيه تماما قبل ان يتمكن من استعادة تفاصيله .

وكان الباب الخارجي مفتوحا على مصراعيه ، فاعلقه سورم قبل ان يلتقط سماعة التلفون . وسال صوت عاملة البدالة : المستر سورم ؟

— يتكلم .

— نداء خاص من سويسرا .

فقال :

— اللعنة ! مرة أخرى ؟

— ماذا قلت ؟

— لا شيء . ضعيني على الخط رجاء .

— جيرارد . اهـذا انت ؟

— نعم .

— هل ذهبت ؟

فترك سورم نبذة الامتعاض تبدو واضحة في صوته وقال :

— كلا . لقد استيقظت من النوم توا .

— اوه . آسف جدا . هل أيقظتك ؟

— نعم ، لا تغتم . هل هذا ما طلبتني من اجله ؟

كان سورم في غير هذه الحالة مستعدا للاعتذار عن المضايقة التي قد يسببها للآخرين عفوا ، ولكن النعاس كان قد كدره قليلا . وقال نن :

— هل يمكنك سماعي جيدا ؟

— نعم . على احسن ما يكون .

— جيرارد . . . ارجو ان تسدي لي معروفا . هل تفعل ذلك ؟

— نعم . ولكن ما هو ؟

— ارجوك ان تذهب الى غرفتي وتأخذ منها شيئا لي ؟ خذ السـى

غرفتك . ها ؟

— طيب . ولكن هل سيدعني البواب ادخل .

— نعم ولكن ليست غرفتي الاعتيادية . . . انا لا اتحدث عن شقتي .

اريدك ان تذهب الى عنوان اخر . هل لديك قلم ؟

وتحسس جيبه فوجد قلم الحبر الجاف الذي يحتفظ به دائما هناك . ولم يكن معه دفتر العناوين ، ولكنه وجد غلاف علبة شوكلاتة ، فمزقه وفتحته :

— حسنا . لدي قلم . استمر .

— العنوان هو ٢٣ كاننغ بليس . اي في كينسنغتون ، بالقرب من بالاس

كيت . هل تعرف المكان ؟

— نعم . ثلاثة وعشرين . ماذا تريدني ان افعل ؟

— هناك رجل يدعى فانيت ، هو المسؤول عن البيت . وهو صديق لي .

اسأل عنه ، وهو الذي سيدخلك غرفتي .

— هل يفعل ذلك ؟

— نعم . سأكلمه تلفونيا الان .

— حسنا . وماذا بعدئذ ؟
— عندما تدخل الغرفة ، تجد بعض الملابس في زاوية بالقرب من المدفأة ، فأحزمها كلها في كيس وأخذها معك الى المنزل . ولكن لاتدع جيرالد فانيت يراك . تأكد من انه لا يكون معك في الغرفة . ومهما تفعل ، فلا تخبره بسبب دخولك الغرفة . سأخبره بأنك ستدخل لتبحث عن عنوان ما تركته انسا هناك . مفهوم ؟

— نعم ولكن لم هذا التستر ؟
— سأشرح لك فيما بعد . احتفظ بالملابس في غرفتك ولا تخبر احدا .
— حسنا . شيء اخر ؟
— نعم . قد تجد بعض الكتب ملقاة هنا وهناك في الغرفة ، فالتقطها وضعها ثانية على الرفوف ، ها ؟ وتأكد من ان فانيت لا يراقبك . اجلس هناك ، وهيء لنفسك الراحة كأنك ستقضي نصف النهار هناك . هلا فعلت ذلك ؟
— حسنا .

— ثم استأجر سيارة تاكسي ، وسأعطيك النقود عندما اعود ، او الافضل ان تتصل بسيارة سلفر للاجرة ، واذكر لهم رقم حسابي عندهم . وهو ٧٢٣ .
اطلب رجلا يلعب جاكى .
— لا يهم ، سأستخدم دراجتي .
— لا ، ابدا . اطلب سيارة تاكسي بالهاتفون . فلن اشعر بالارتياح اذا لم تفعل ذلك . ارجوك .
— حسنا .

— اسمع يا جيرارد . يؤسفني ان ازعجك . ولكن ليس هناك من اتق به غيرك . لا تنس . ارجوك الا تذكر شيئا لاحد — وبالاخص لفانيت . ها ؟
— كلا . حسنا . وهل لا زلت تريد ان ابعث اليك بالبرقية ؟
— نعم ارجوك . ان استطعت .

— متى اراك ثانية ؟
— غدا من المحتمل . لست واثقا ، ولكن من المحتمل .
— طيب ، يا أوستن . امل ان اراك ...
وقابلته كارلوتة على السلم وقالت :
— يجب ان يكون صديقك غنيا جدا ليكلمك من سويسرا .
— انه غني فعلا ، وغريب الاطوار ايضا .

ولما صار في غرفته اشعل النار الغازية ووضع عليها إبريق الماء ليسخن . وعاد الى فراشه الذي لم يزل دافئا واخذ يصغي الى وشوشة الغاز ، وازيز

الماء . واغلق عينيه وطفق يفكر في اوستن - انسان واسع الثراء ، لديه من المال اكثر مما لديه من العقل . يبدو انه يسبب الكثير من المضايقات . اعجب لهذا التستر المفرط ؟ لا يمكنني الحكم بشيء . للشاذين اراء غريبة . ربما يريد ان يخفي عن الناس شذوذه . لا يحتمل ذلك . فاکثرهم يعلنون عن شذوذهم . ايثق بي ؟ لماذا ؟ ربما لانني لا اعرف احدا في دائرة معارفه .

وذابت افكاره هذه فيما يشبه الحلم وراى اوستن مستلقيا خلف حاجز صخري على قمة جبل ، وكان يشير باصبعه الى بيت في الوادي ويقول : « لا تظهر نفسك ، فله عينان ثاقبتا البصر . استلق باستقامة . » وكانا في سويسرا : وكانت تريض خلفها على هضبة صغيرة طائرة اوستن . كانت الطائرة تبدو مثل الـ (سبتفاير) التي رآها يوما بالقرب من بوابة مخيم القوة الجوية عندما كان يربط هناك اثناء الخدمة العسكرية .

واستيقظ من نومه فوجد الماء يغلي في الابريق . واعد الشاي ثم عاد الى الفراش ثانية ليشربه ، وهو يرتدي الروب . ومديده وتناول اقرب كتاب في المكتبة فكان كتاب (محاكمة جورج تشابمان) واخذ يحتسي الشاي ويدفعه فضول مريض للتحديق في صورة الشخص الذي يدس السم والذي تحركه الميول السادية ، ذي الفك الكبير والعينين الغائرتين ، والوجه الذي يلوح كثير الندب .

* * *

وسال سائق التاكسي :

— هل انت جاكى ؟

— نعم ، يا سيدي ، ولكنك لست المستر نن !

— كلا ، انا لست المستر نن ، ولكنه اتصل بي تلفونيا من سويسرا منذ

ساعة وطلب مني ان اقوم ببعض المهام له . هل تعرف عنوانه ؟

— صحيح . يا سيدي ، ولكن ليس من المناسب ان آخذك وانك لست

المستر نن . فالحساب حسابه ، و . . .

— اعلم ذلك ، ولكنه في سويسرا ، وقد اتصل بي قبل لحظة . وامطاني

رقم الحساب .

— نعم ، ولكنني لا اعرف شيئا عن ذلك .

فقال سورم بامتناع :

— طلب مني نن ان اسالك انت بالذات لانك لا تصعب الامور !

فاكفهر وجه الرجل وقال :

— حسنا ، ادخل ، ساغامر في القضية .

ودخل سورم السيارة وهو يشتم بصوت غير مسموع . فقد غضب واحس بالاهانة لانه كان موضع شك . غير انه اخذ يشعر بتحسن عندما تحركت السيارة . فهو يركب التاكسي لأول مرة منذ مدة طويلة ، وغمره شعور بعدم الاكتراث والاسترخاء . ووضع قدميه على الحقيبة الجلدية التي جلبها معه ليضع فيها ملابس اوستن ، واخذ يتطلع باستمتاع الى السيارات العابرة . وتذكر كارولين ، وشعر ثانية بالرضى والسرور بنفسه . لا يحدث له هذا الاحساس مرارا ، فان ما يصاحب كل شيء يفكر فيه من النقد الذاتي والتحليل يجعل هذه اللحظات نادرة الوقوع . وكانت افكاره تعتمد على المنطق والكلمات ، كالكتابة او المخاطبة التلقائية - ولا يلعب الحدس في عملياته العقلية دورا يذكر . وكان عندما يحس بالتعب ، يمقت في نفسه هذا الاتجاه للحوار الذهني الذي يجري في نفسه، ولكن لم تكن له القدرة على ايقافه . وراح يفكر وقد طغى عليه شعور بالفرح : حاولت ان اتجنب التعقيدات ولكنها تقبل علي مع هذا ، ولقد حاولت ان ابسط حياتي ، ان اركز على الشيء الوحيد المهم فيها ، ولكن البساطة تحطم قدرتي على التركيز . والان تحدث امور يجب ان تزيد الموقف تعقيدا وسوءا ولكني عوضا عن ذلك اشعر بالثقة .

واحس بالخيبة عندما وقف التاكسي مقابل محطة شارع غريت يورتلاند.
وسال السائق :

- هذا كل ما في الامر ؟

- كلا . فلدي مهمتان اخريان الانتظر ؟

فقال السائق باستسلام :

- سمعا يا سيدي .

وهرع رجل يرتدي بزة حمراء لاستقباله حالما دخل من الباب الدوارة الى الصالة .

- اي مساعدة يا سيدي ؟

فقال سورم :

- انعمت صباحا . طلب مني المستر ن ان آتي لاثقق اذا كانت وصلته

اية وسائل .

واخذ الرجل يتصرف باحترام اكثر الى حد ملحوظ .

- انتظر لحظة يا سيدي . سأسأل فتاة البدالة . لن اجعلك تنتظر

طويلا يا سيدي .

— اشكرك .

ثم التفت الرجل وهو يتباعد مسرعا وقال :

— هل تفضلت بالجلوس يا سيدي ؟

— اشكرك .

كانت الكراسي ونيرة مريحة ، كتلك التي يراها عادة في صالات الفنادق . وكان في الاصيص الذي يحتوي على سعف النخيل بالقرب من الكرسي كثير من اعقاب السكاير ملقاة فيه . واخذ يراقب ، وهو في مجلسه ، المصعد وهو يهبط ، والرجل العجوز ذا الشارب الابيض والفتاة الصغيرة التي ترتدي الفراء اللذين خرجا منه . وكانا يسيران برشاقة واتزان غير متكلفين ، لعلهما كانا بسبب عدم حاجتهما الى التفكير في النقود . ولم يكن سورم يشعر بالحسد في تأمله لهما ، كان يشعر تجاههما بالمودة ، كأنهما ملكه . وشعر بأنه لم يكن هناك اي حاجز يقوم بينهما وبينه ، على العكس ، فقد خامرته احساس غريب بالامتياز عليهما . واخذت الفتاة ذراع الرجل العجوز وضغطت عليها . فأخذ سورم يفكر : هي اما عشيقته او ابنته ، او ربما حفيدته . وما انفك ينظر اليهما بشيء من المودة فيما كانا يمران به ويخرجان من الباب الدوارة . ثم حول اهتمامه الى صورته في المرآة المواجهة له . وانتابه شعور طفيف بالدهشة لانه لم يشعر بالفيرة من الطريقة التي كان يعيش بها نحن . وراح يتأمل في ذلك الشعور ، وادرك انه يستند الى ايمانه بنفسه وثقته بقواه اللذين يكمنان في نفسه ولا يخرجان الى عقله الواعي الا نادرا . وابتسم لهذا الشعور في نفسه وقال بصوت خافت : اوهام السعور بالعظمة ، واعراض واضحة لمرض البارانونيا ؟ يجب وضع المريض سورم تحت المراقبة .

وعاد الرجل وقال :

— لدي بعض اسماء الذين اتصلوا تلفونيا ويطلبون الاتصال بهم .

— انكرك . لا شيء اخر ؟ لم يات احد ليسأل عنه ؟

— يسأل عنه ؟ كلا يا سيدي . لم ، يا سيدي ، هل انه يتوقع قدوم احد ؟

— اعتقد ذلك . لا بهم على كل حال . اعطني الاسماء . سببصل بي

هذا المساء من سويسرا .

— بالتأكيد ، يا سيدي ، تقوم الفتاة باستنساخها الان . لن تتأخر كثيرا .

— شكرا .

واجتاز الغرفة ووقف امام المرآة لينظر الى نفسه عن كثب . كان الشريطان الجلديان اللذان يحيطان بطرفي كمي سترته يبرزان من تحت ردني المعطف . وكان سرواله الرمادي الخشن يتدلى كزوج من الاكياس ، وكانت

حافة احد الجزئين مقلوبة الى الاسفل . وقال في نفسه يجب ان اقتني المزيد من السراويل وان احلق شعري . ابدو في حالة يرثى لها .
وفي التاكسي ، اخذ يتأمل قصاصتي الورق اللتين كتب في اول كل منهما « نداءات تلفونية » . كانت النداءات مكتوبة بخط أنيق بقلم جبر جاف، وكانت عناوينها تبدأ منذ يوم الجمعة . « ارجو الاتصال تلفونيا بالمستر بومونت قبل العاشرة من مساء هذا اليوم » . « لن يتمكن المستر دينيس من العشاء مع المستر نـن يوم الاربعاء » . وراح يقرأها جميعاً طوي الورقتين ووضعهما في محفظته . ولم يصف ذلك شيئاً جديداً الى معلوماته عن نـن . بل انه صار موضع اهتمامه وفضوله اكثر فأكثر .

وعند مروره بدائرة بريد نوتنغ هيل كبت تذكر البرقية ، فنقر على الزجاجة وطلب من السائق الوقوف عند دائرة البريد الأخرى . ونسي ما طلب منه نـن ان يذكره في البرقية ، وبعد ان فكر في الامر قرر ان يكتب في البرقية :
لم يسأل عنك احد ، وذيله بتوقيعه : جيرارد .
وسأل السائق :

— ما هو الرقم يا سيدي ؟

— هل هذا المكان كائنغ بليس ؟

— نعم .

— ارجو السير حتى نهاية الشارع وانتظرنى هناك . لن اتأخر اكثر من عشر دقائق .

— نهاية الشارع ؟ حسناً .

ولاحظ دهشة السائق ، وكاد ان يشرح له الامر ، ولكنه غضب لارتباكهِ الشديد ، وقال في نفسه ان ذلك لم يكن من شأن هذا الرجل على اية حال . وترجل من السيارة وهو يقول :

— بعد ذلك سأعود الى كامدن تاون .

— سأبقي العداد مفتوحاً ، يا سيدي .

— افعل ما شئت .

كان المسكن رقم ٢٣ في منتصف المسافة بين رأسي الشارع . كان بيتاً عالياً من الطراز الفكتوري امامه عدد من الدرجات تقود الى الباب الامامي . وعندما ضغط على الزر الذي كانت تحته رقعة كتب عليها « فانيت » ، تكلم صوت رجالي من خلف نافذة مستديرة ذات شبكة سلكية فوق لوحة الازرار :

— هلو . من القادم ؟

فاجاب سورم موجه كلامه باتجاه النافذة :

- اسمي سورم . طلب مني اوستن نن القدوم .
 - آوه . نعم .
 وفتح الباب بقرقة ، وقال الصوت :
 - الباب الثاني على يمينك .
 ودخل سورم الرواق الذي كان ردىء الاضاءة ، واغلق الباب خلفه .
 كتب على الباب بحروف بيضاء من البلاستيك : جيرالد فانيت . وعندما طرق
 الباب هتف الصوت :
 - ادخل .
 كان الرجل يهم بالنهوض من كرسي مريح عندما دخل سورم . وكان
 اقصر من سورم بست بوصات . كان مرتديا قميصا اخضر متهدلا وملفعة
 حريرية . وكان سرواله الصوفي مكويا مثل حد السكين .
 - حسنا ، يسرني ان اتعرف عليك ! انت مستر سورم . اتصل بي
 اوستن قبل ساعة . هل لك في شيء تشربه ؟
 كان صوته حادا ذا نبرة عالية . وقال سورم بتردد ، وهو يفكر فسي
 التاكسي الذي ينتظره :
 - اشكره على اللطف .
 - هل انت على عجل ؟ قال اوستن انك قد تمكث هنا ساعة او ساعتين .
 هل هناك تاكسي ينتظرك ؟
 كان سورم على وشك ان يجيب بالايجاب . ولكنه تذكر تأكيد نن على
 سرية القضية . فقال بسرعة :
 - كلا . لست على عجل .
 - عظيم . فاجلس اذن . اخشى ان تكون الغرفة في حالة تعسة .
 استيقظت اليوم متأخرا ، فقد اقمنا حفلة ليلة امس . ماذا تشرب ؟ وسكي ام
 جن ام مارتيني ؟ ليس لدي لسوء الحظ غير هذه الانواع ما عدا بعض النبيذ .
 - جن ومارتيني اذن ، رجاء .
 - مركز ام مخفف ؟
 وكانت حرارة الغرفة خانقة ، كانت هناك مدفأتان تشتعلان . كانت
 الغرفة التي تجمع بين غرفتي النوم والجلوس واسعة مريحة . وكان بساط
 الغرفة ذا لون بني صرف فاتح ، يبدو نظيفا جدا . لم يكن في الغرفة ما يشير
 الى قيام حفلة او عدم الترتيب الذي يقتزن بالنهوض المتأخر . وتناول سورم
 قذح الجن والمارتيني الايطالي ، وجلس على السرير . اما فانيت فتمدد على
 قطعة من الاثاث تجمع بين الكرسي ذي المساند والديوان وكانت ذات انحناءات

تناسب الجسم . وابتسم لسورم وهو يرفع القدح ، ثم رشف الشراب كأنه يشرب نخب سر مشترك بينهما . وقال :

— اقول ، ليس من عادة اوستن ان يبعث اصدقاءه للتعرف علي . انت صديق جديد نوعا ما ، صحيح ؟

فقال سورم ؟

— تقريبا .

وكشر فانيت عن ابتسامة واخذ رشفة اخرى من الويسكي ، كأنه يعني ان حذقه لا يحتاج الى أسئلة اخرى . وقال برقة :

— اني التقى بجميع اصدقاء اوستن عاجلا او آجلا . اين التقيت به ؟

في « البلايكا » ؟

— كلا . ما هي البلايكا ؟

— اه ، اذن ، انت لم تلتق به منذ مدة طويلة ! ستري البلايكا قريبا ، ولا ريب . اوه ، هي .. على كل حال ، ... انها ناد .

وابتسم من فوق قدحه . وقال سورم :

— جيد ، اتمنى ان اقصد المكان يوما .

— ينبغي ان تذهب هناك غدا . الاربعاء ليلة عظيمة . اشهر من يقلد النساء في العالم ! يا الهي !

نطق عبارته هذه بلهجة عامية خلال انفه ، وهو يحرك يده من الرسغ .

فقال سورم :

— سأطلب من اوستن الذهاب ، اذا عاد .

— هل تتوقع عودته ؟

— لست متاكدا .

ورمقته عينان زرقاوان بنظرة نافذة فترة قصيرة ثم انخفضتا خجلا ، وقال فانيت :

— طيب ، اذا رغبت في الذهاب ، واذا لم يرجع اوستن ، استطيع اننا ان اذهب بك .

— اشكرك جدا ، ولكنني استطيع ان اراه في وقت اخر .

— هذا ما تعتقده انت ! هل تظن انهم يقومون به في كل اسبوع ؟ عليهم ان يتدبروا الامر اولا ، ثم يثون كلمة السر فيما بينهم ، لكي لا تسمع الشرطة وتداهمهم . الا تفهم ، يا عزيزي ؟ ارجو الا يزعجك ان ادعوك عزيزي ، فالكلمة لا تعني شيئا مطلقا . . . فاذا رغبت في مشاهدة العرض ، ساكون مسرورا . . . فاخرج سورم حشرجة واوما براسه دون ان يربط نفسه بموعد . وراح

فانيت يحدق في قدحه ونظراته ترنو :
 - هل اوستن في سويسرا وحده ؟
 - حسب ما اعلم نعم . لماذا ؟
 - اوه ، ارجو الا اكون متطفلا . ولكنه كان قد وضع عينيه على اكلية صغيرة شهية في البلايكا يوم الجمعة .
 فقال سورم :
 - يوم الجمعة .
 - اجل . . . لماذا ؟ كان يوم الجمعة ؟ نعم ، اذكر ذلك .
 وقال سورم شارحا :
 - كنت معه مساء الجمعة . ولكنه تركني قبل منتصف الليل .
 - اوه ، كان ذلك بعد منتصف الليل بوقت ليس بالقصير . كانت نظراته شاردة . . . هل لك في سيكارة ؟
 - كلا شكرا . قل لي ، هل البيت لك ؟
 - نعم ، لماذا ؟ هل تبحث عن غرفة ؟
 وللمرة الثانية كانت نظراته خجولة ذات معنى . وانهى سورم قدح المارتيني . وقال :
 - لقد انتقلت قبل ايام قليلة الى غرفة جديدة في كامدن تاون . ولكن بيتك يبدو مهيبا ، بكل هذه التسهيلات .
 - اشكرك . انك لتمس وترا حساسا . اني اعتز بهذا البيت . سألدي منزلان اخران في هاينيت واسلنغتن ولكن قلبي متعلق بـ « ٢٣ كائنغيليس » .
 المزيد من الشراب ؟
 - كلا ، شكرا . ينبغي ان ابدأ بالعمل .
 وعرف سورم بغريزته ان قدحا من الشراب يعني ساعة اخرى من الحديث .
 - كلا . انك على حق . فلن تستطيع بعدئذ ان تقوم بدراساتك .
 ودوى ازيز جرس في الغرفة ، جعل سورم يقفز . فالتقط فانيت سماعة صغيرة كانت بالقرب من الكرسي وضغط على زر . وقال بوقاحة :
 - اغرب عني . لدي زائر .
 وابتسم لسورم ، وضغط على الزر ثانية . وشكا صوت قاقلا :
 - لا اريد ان انتزعك من الفراش . اريد فرانكي .
 - انه غير موجود . لقد خرج منذ ساعات .
 وسأل الصوت الصادر من السماعة :
 - متى ؟

- متى ؟ لا تسألني . انا لست امه . خرج منذ ساعات . هل تريد الدخول لتشرب معنا ؟
- كلا ، شكرا ! ليس بعد ما حدث ! عليه ان يقابل هذا المخرج حالا .
الا تعلم ... ؟
- نعم . جرب الشقة رقم ٧ — في دبلي .
- اوه ، ايها النفل الاخرق . لم لم تقل لي ذلك ؟
واعاد فانيت السماعه وقال :
- ما انفع هذه الاشياء ! انها توفر التعب على قدمي الشائختين . فكيف بالنسبة للشخص الذي يسكن الطابق العلوي اين كنا ؟
- كنت تقول شيئا عن دراساتي . لم افهم قصدك تماما ..
- اوه ، نعم . قال لي اوستن ان اتركك في غرفته لتقوم بدراسة او شيء اخر .
- سوف لن امكث طويلا هناك . هناك شيء اريد ان ابحث عنه .
- اوه ، لسوء الحظ . كنت اود لو تبقى معي وقت الغداء .
- كلا ، يجب ان اعود .
- وقام على قدميه ليؤكد عزمه على الرحيل . ورفع فانيت نفسه من الكرسي المنحني وهو يبدي الاسف ، وقال :
- حسنا ، ما دمت ملزما بالذهاب .
- وخشي سورم ان يكون قد جرح احساس الرجل ، ولكن الابتسامة الودية التي نطقت بها اسارير فانيت وهو يفتح الباب طمأنته ، حيث قال :
- اود ان اراك ثانية . واذا كنت تريد غرفة ...
- وتقدم سورم عبر القاعة وفتح الباب الامامي . فسأل سورم :
- وماذا عن شقة سورم ؟ فقال فانيت :
- انها في السرداب .
- ولمح سورم بريقا من السرور في عيني فانيت ، وادرك ان فانيت كان يدفعه الفضول لمعرفة هل ان سورم زار المكان قبلا . وتبعه سورم خارجا الى الشارع وخلال الباب الخارجي الى سياج البيت . واطل سورم بنظره الى نهاية الشارع فوجد التاكسي لم يزل ينتظر . وقال فانيت :
- ان الشقة قائمة بذاتها لا يمكنك دخولها من البيت .
- ارى ذلك .
- وفتح فانيت الباب الامامي . وهاجمت انفيهما على الفور رائحة عطرية فتعرف عليها سورم في الحال : كانت عطر التسوكو الذي شمه في معرض

دياغيليف .

– تفضل بالدخول . الباب على يسارك .
– كانت الغرفة تسبح في ظلام كثيف . فاخذ سورم يتلمس حوله
بعثا عن زر الضياء . واستضاء مصباح وردي فاتح ، كشف عن غرفة تشبه
غرفة فانيت ، للنوم والجلوس . وكانت رائحة التبغ الحاد تملأ الهواء . وجمال
سورم ببصره في زوايا الغرفة فلم يعثر على الملابس . فوضع الكيس الجلدي
على الطاولة . وقال فانيت :
– ذلك هو المكان . هنالك غرفة اخرى تدخلها من هنا . سأترك الان ،
وتأكد من انك اوصدت الباب عندما تغادر . متع نفسك .
– اشكرك .

ومد فانيت يديه ، وقال برقة تكاد تكون توسلا :
– اذا كنت ترغب في قدح اخر ، ولقمة من الطعام ، فتعال الى غرفتي
بعد ان تغادر هذه .

فقال سورم بشعور من عدم الارتياح :
– اشكرك . ولكن لا اظنني قادما هذه المرة . ربعا في يوم اخر ...
– وداعا ... انا لا اعرف حتى اسمك الاول .
– جيرارد .
– انه يشبه اسمي – جيرالد ! آه ، حسنا ، وداعا يا جيرارد !
– وداعا وشكرا للشراب .
– زرني مرة اخرى .

وانطلق الباب الامامي بضجيج . واجتاز سورم الغرفة حالا وفتح
الباب الاخرى . واشتدت فجأة رائحة عطر المتسوكو . وفتح المصباح ،
فاشتعلت اربعة مصابيح جدارية ملأت الغرفة بوهج ازرق .
كانت اصغر من الغرفة الاولى . وكانت الجدران تكاد تكون مخفية
تماما خلف ستائر من القטיפه تمتد من الارضية الى السقف . كانت
الستائر سوداء ، اما البساط والديوان فكان لونهما احمر وشعر فجأة
بالامتنان لان فانيت تركه لوحده ، فقد ازاح ذلك عنه عبء التعليق على
الغرفة . وجلس على الديوان وطفق يحيل ناظريه حوله . كان جو الغرفة
يسحره ويقرفه في نفس الوقت . ورفع نظره الى السقف فالفاه مطلقا
باللون الازرق الداكن . ونهض ليتفرس عن كتب في الصورة التي كانت على
الجدار بين كل ستارة واخرى . كانت هناك لوحتان لغوغان ، تبدوان كالاصل
او كنسخة حاذقة . وعلى جانبي هاتين اللوحتين كانت هناك اربع صور

خليعة تحمل تواقع او عناوين بالصينية او اليابانية . كانت تلوح هذه الصور مرسومة بفرشاة دقيقة مغموسة بالحبر الصيني ، وتبين رجلا عملاقا عاري الجسد ، ذا عضو تناسلي كبير نسبيا ، ينزل من عوامة على ساحل البحر ليقابل جمهورا من الفيد هرمن متضاحكات لاستقباله . وكانت الصورة الاخرى تظهر نفس الرجل يغادر الجزيرة ، كسيرا ذابلا ، بينهما النساء يعزفن شعورهن ويندين . اما الصورتان الاخريان فتظهران نفس الرجل وهو يقوم بحركات رياضية عنيفة : في الاولى يحطم وعاء نحاسيا بعضوه الضخم ، وفي الثانية يستوقف عصابة من قطاع الطرق باستعماله عضوه هراوة . ولاحظ ان الصور الاربعة تحمل في الزاوية السفلى اليسرى الحرفين الصغيرين : ١. غ.

وفتح باب المكتبة الزجاجي ، فوجد الرف الاسفل مخصصا لمؤلفات الماركيز دي ساد . وسحب الجزء المعلن (مائة وعشرون يوما في سدوم) . فوجد ان الصفحة الاولى لا تحمل اسم الناشر . اما الرفوف الاخرى فكانت تحتوي على مجلدات بالفرنسية والالمانية مجلدة كلها باغلقة زرقاء عليها حروف فضية ، ونسخ من مطبوعات محدودة لمؤلفات بترونيوس وابوليوس وسافو ، وكلها تعج بالصور . اما الرف الاعلى فكان يحتوي على كتب في الطب وعلم النفس من مؤلفات بلوخ وستيكل وكرافت - ايبنغ وهرشفيلد . وكانت الكتب الفرنسية والالمانية تلوح معظمها لمؤلفي القرن التاسع عشر الرومانسيين . وفتح مجلدا للمؤلف لوتريامون ، كان يعلوه غبار كثيف وبعض صفحاته غير مقطوعة .

وعاد الى الغرفة الاخرى واخذ يتفحص ابوابها . كانت احداها للدولاب الملابس ، والاخرى تؤدي الى مطبخ واسع كان كل شيء فيه يلوح جديدا ، رغم انه بعد ان نظر اليه عن قرب ادرك من الغبار المستقر عليه ان احدا لم يستخدمه منذ زمن بعيد . وعلى الجانب الاخر من المطبخ ، كانت غرفة الحمام ، التي كان عبير المتسوكو فيها طاغيا ، كان العبير ينبعث من حوض الحمام حيث كانت فيه شظايا قنينة كبيرة . وفتح صنبور الماء ، فتدفق بعد قليل ماء حار ، فانتشرت حوله سحب من البخار المعطر . واستنتج من حجم شظايا القنينة انها كانت تسع اكثر من نصف لتر .

وتناهى اليه من مكان ما فوق رأسه صوت تلفون ، فتذكر السبب الذي جاء من اجله الى غرفة ن . فاغلق صنبور الماء وعاد الى غرفة النوم .

ولاول وهلة ، لم يعثر على ما يدل على الملابس التي ذكرها ن . فحاول ان يفتش عنها خلف الستائر ، فوجدها في الحال . كانت ملقاة قرب المدفأة

لتي كانت مسدودة بلوحة خشبية سوداء . كان في اعلى الكومة زوج من جوارب نسائية . كانت الكومة ، كما لاح له ، عدة نسائية كاملة . فادهشه ذلك ، حيث كان يتوقع ان تكون هذه ملابس نn الخاصة .

وفتح الحقيبة الجلدية وحاول ان يدس الملابس كلها فيها . ولكنها كانت كومة ضخمة ، كان عليه ان يطويها واحدة واحدة ويضعها في الحقيبة . كانت الملابس تتألف من معطف للمطر ذي بطانة ممزقة ، وتنورة زرقاء رثة . وكان الجوارب من النايلون الجيد ولكن بقيت الملابس الداخلية كانت على ما يظهر غير جديدة . وكان هنالك زوج من الاحذية من الجوخ الأسود ، وقد كسر كعب احدهما وفقد . فحزم الاحذية هذه في قمة الكومة واطبق الحقيبة .

وضايقه ان يتذكر التاكسي الذي ينتظره ، فلم يكن يرغب في مفادرة تنسفة فوراً . فخرج اخيراً ، وطلب من صاحب التاكسي الانصراف قائلاً له ان عليه ان يتأخر اكثر . واحس بالندم وهو يرى السيارة تبتعد ، ولكن تندم سرعان ما تحول الى شعور بالانبساط والارتياح عندما اغلق الباب الامامية خلفه . واورثته احساسه الثائرة شعوراً بان هناك شيئاً يعوم في حشائه .

وعندما دخل غرفة الجلوس اشعل النار الكهربائية ، وجثا على ركبتيه ليندفع نفسه قليلاً . ثم توجه الى الدولاب وفتحه فوجده يحتوي على صف من قناني المشروبات اكثرها مملوء او حتى النصف . واخرج الزجاجات ، الواحدة تلو الاخرى ، وهو يحس انه سيقضي النهار كله هنا ، ثم اخذ يشمها . واستطاع ان يميز بعضها ، غير ان معظمها لم يكن قد سمع بها ، او انه رآها فقط منظومة على الرفوف في البارات . ووجد في دولاب اخر رفاً مصطف عليه الاقداح ، فتناول عدداً منها وصفها على الطاولة واخذ يسكب فيللاً من الخمر في كل منها . وسحب كرسيه بالقرب من الدولاب ومضى يدوق كلا منها على التوالي - كافالدوس ، شارترينز ، بينيدكتاين ، شراب لانيسون ، ماراشين ، الاش . كان بعضها حسن المذاق مما جعله يصب المزيد منها . وادرك بعد عشر دقائق ان السكر اخذ يداعبه . وكانت هناك زجاجات لم يذوقها بعد ، ولكنه قرر ان يدعها الى ما بعد قليل . واخذت الحرارة تنتشر في جو الغرفة فخلع ستترته والقى بها على احد الكراسي . وقال بصوت عال : ايها النفل المحظوظ ، يا اوستن . ثم عاد الى الغرفة الاولى وابهجته برودتها النسبية .

وسحب الستائر فوجدتها تتحرك على عجلات صغيرة ، ويمكن عند الحاجة ان تغطي جدران الغرفة بأكملها . وسحبها كلها وجمعها في زوايا الغرفة ، فلم تتغير هيئة الجدار كثيرا ، لانه كان مطليا بالسواد ايضا . وكانت هنالك في الزاوية باب مطلية باللون الاسود ايضا . وكان فراغ الشباك مسدودا ايضا مثل المدفأة بلوحة خشبية ، فكان يبدو من الجانب الاخر من الغرفة كأنه استمرار للجدار .

وكانت هناك لوحتان زيتيتان معلقتان على احد جدران الغرفة الذي كان مغطى باجمعه بالستائر . كانت الصورة الاولى لرجل في ملابس السهرة يسير في شارع مزدحم ويقود خنزيرا مربوطا بشريط أزرق ، وفي وسط جبينه عين كبيرة . أما الثانية فكانت لرجل يرتدي قميصا وهو مستلق على ظهره تحت شجرة تفاح في ضوء القمر . كانت الشجرة وفاكهتها مرسومة بالوان غامقة خضراء وحمراء وزرقاء ، كانت ضبابية شاعرية لا تنسجم والانسان الاصفر الراقد تحت الشجرة . وقد كتب عنوانا للصورتين باصباغ الزيت في اسفل الصورة الاولى باللغة الفرنسية: « الغراميات الصفراء » ، والثانية بالانكليزية « صورة ذاتية في ضوء القمر » . وكانت كلتا الصورتين تحملان توقيع « غلاسب » ومؤرختان في عام ١٩٤٨ .

كان الباب الاخر يقود الى حجرة صغيرة ، كان جدارها الخلفي مغطى برفوف الكتب . وفتح الضياء ليلقي نظرة عليها فوجدتها تافهة . كان هناك الكثير من المؤلفات في الادب الانكليزي ، ومجلدات اخرى حسبها سورم من كتب فن المدرسة . كانت هناك ايضا كتب للاطفال ، واخرج سورم واحدا منها لا على التعيين - « كتاب قصص للاطفال » فوجده يحمل توقيع اوستن ن ١٩٣٥ ، داخل الغلاف . ووجد نسخة مختصرة من كتاب (الفصن الذهبي) لغريزر قد اعطيت هدية مدرسية له في عام ١٩٤٠ ، ويبدو ان قارئ الكتاب كان قد قراه بأكمله حيث انه كان يحمل اشارات بقلم الرصاص . وقد انفتح الكتاب من تلقائه في احدى الصفحات في بدايته بينما كان سورم يتصفحه ، واقترب من الضياء ليقرأ الجزء المؤشر بالحبر الاحمر :

« ان فكرة الانسان الاله ، او الانسان الذي وهب القوى الالهية الخارقة للطبيعة ، ترجع في جوهرها الى مرحلة مبكرة من التاريخ الديني حيث ما زال الالهة والبشر ينظر اليهم باعتبارهم من صنف واحد . وقبل ان تفصل بينهما هوة شاسعة ، انفتحت بينهما بعد مراحل من التفكير

المتأخر .

وحمل الكتاب معه الى غرفة النوم ، وجلس على الديوان ليقرأ فيه .
واحس بوجود نين يهيمن عليه بصورة غريبة . ورفع رأسه بهزة عنيفة
كأنه يتوقع ان يرى نين واقفا في عتبة الباب ينظر اليه ، ثم قال بصوت
عال : انا الامس واليوم والغد ، واني املك القدرة على ان اولد ثانية . ولطف
صوته من التوتر الذي كان يحس به ، ولكنه خلف وراءه شيئا من الاضطراب
الذي حيره وشعر وكأن شيئا كريها يوشك ان يقع ، شعور من يفيق
اثر كابوس . ثم وقع بصره على الحقيبة الجلدية بالقرب من المدفأة . وشعر
ان الاضطراب كان مقترنا بمنظر الملابس النسائية التي حزمها قبل قليل .
وعندما حاول ان يحلل هذا الشعور تذكر ان اوستن قد طلب منه ان يعيد
الى مكانه اي كتاب مفتوح يجده مبعثرا . ولكنه لم يتذكر انه رأى كتابا كهذا .
واقفقه ذلك لسبب يجهله . وذهب الى الغرفة الاخرى ونظر حوله فلم
يجد شيئا . وذهب الى غرفة النوم وسحب جميع الستائر والقي نظيرة
بين الديوان والجدار . واخيرا ، رفع حافة غطاء الديوان . ونظر في
المجال الضيق بينه وبين الارض ، فعثر على كتاب مفتوح ، ملقى على وجهه
على البساط . كان عنوان الكتاب : (الاجرام ، ظروفه ووسائله) . وقلب
الكتاب فراه صورة فوتوغرافية لامرأة مذبوحة من حنجرتها ، وقد كتب
تحتها : لاحظ الجروح على يديها المتسببة اثناء الدفاع عن النفس . فالتقى
الكتاب على السرير ، واحس بدوار ، وذهب الى المطبخ .

وهناك في المطبخ اصلح ضوء النهار من حالته النفسية ففتح صنبور
الماء ، وراح يحدق في الماء المنساب ، فشعر بالارتياح . لقد شعر بان
الغرفة التي تركها لم تكن طاهرة ، واحس بالنفور منها . كانت هذه هي
المرّة الاولى التي يرى فيها صورة لموت العنف ، واحس وكأنها افسدت
الهواء الذي كان يستنشقه باشمئزاز ظاهر . وشعر وكأنه اكتشف جثة
مقطعة الاوصال في دولاب نين .

وما لبث يقنع نفسه بانه من السخف ان يشعر بالاشمئزاز وانسه لا
يحق له ان يصدمه منظر العنف . وبعد لاي ، عاد الى غرفة النوم وحمل
نفسه على التقاط الكتاب ثانية . فلم يكن للصورة الاثر الاول الذي احدثته
فيه . وجلس على السرير وهو يفتعل الشجاعة وراح يتطلع في الكتاب .
كان كتابا مدرسيا معززا بالوثائق الجيدة لاستعمال الشرطة الامريكية .
كان يحتوي على فصل كامل عن السيارات المسروقة وفيه صور فوتوغرافية
عن الاثار التي تتركها اطارات عجلات السيارات على الطين . وكان الفصل

الآخر يعالج موضوع طبع الاصابع واثار الاقدام . وكانت الفصول الاخيرة من الكتاب تلك التي تعالج اسباب الوفاة والتعرف على الجثث ، هي التي تحتوي على صور العنف . والفى سورم نفسه يقلب صفحات الكتاب وقد استبد به توتر وكأنه كان يتهاى لتلقي ضربة على جسده . وحمل نفسه على قراءة الشروح المكتوبة تحت الصور قبل ان ينظر الى الصور نفسها . وبعد ان فرغ من تصفحه الكتاب اعاده الى الرف العلوي ، ليضعه بين الكتب التي تبحث في الطب العدلي . وراح سورم ، وهو يقف على الديوان ويسند الى الجدار ليحفظ توازنه ، يفتح بعض هذه الكتب ويلقي نظرات اليها . لم تعد تصدمه الصور ، ولكنه ظل يشعر بثقل في معدته ناجم عن الاشمزاز الدائم . وعندما خفض نظره الى الرف الذي يليه والذي يحتوي على مؤلفات مالارميه ونرفال ودي ليل ادام وشوينهاور ، اخذ يحس بتخطيه عالم الواقع . ولاح له ان هؤلاء الاشخاص لم يعرفوا شيئا عن حقيقة الموت عندما كتبوا ، وان تلك الصور قد ابرزت بطريقة ما هراء انغماس دي ساد وبودليير بالخطيئة .

واحس وهو في موقفه على السرير بعتمة في مشاعره كانقطاع الفلم السينمائي فجأة . وبقي لحظة ، وقد غمره احساس بعبث وجوده . لقد عادت رؤيا التشتت التي هبطت عليه يوم الاحد الفائت اثناء الليل . احس وكأنه يراقب شيئا لا قوة له عليه ، فارعبه هذا الاحساس . وجلس على الديوان . واخذ هذا الشعور بالزوال . فحاول ان يعيده وهو يشعر بقوة بان عليه ان يواجهه وان يطفى عليه ويتفحصه . ولكن الشعور كان قد اختفى تماما .

وتنبه سورم الى برودة الغرفة . كان جالسا يحرق في الفراغ مقطب الجبين ، وهو يحاول ان يحلل الخوف . كان ذلك عسيرا عليه ، ولكنه كان واثقا بان لهذا الخوف علاقة بتمييزه الذاتي . وانشأ يتأمل في الكلمات التي طافت في ذهنه وهو يقف على الديوان : العبث . الوجود الذي يفرض نفسه فرضا . وقال بصوت عال : ذلك لانه من الممكن ان اكون اي شخص او اي شيء ، او ان لا اكون ابدا . ولكنني اذا لم اكن ... انا . انا اكون . انها تعني الشيء نفسه .

وراح يتمشى في الغرفة ، وهو يفكر بصوت عال ، كأنه يتحدث . كانت اشياء خداعة . انا . يخصني . ان الانا الشرعية لا تعترف بشيء يخصها . كل شيء غريب عنها ، حتى الوجود . يجب ان اتخلى عن الوجود ايضا . لاني اذا كنت موجودا ، معناه اني وقعت في الفخ .

وبزغت في ذهنه فكرة جديدة: المحدودية . انا لا اريد الحدود . ان الحدود هي الغريبة عني . الكون ، المسافة ، الزمن ، الكينونة — يجب ألا يكون هناك شيء محدود . انا الله . انا الامس واليوم . انا الاله (طسم) صانع السماء ، خالق الاشياء الموجودة . ولو لم اكنه ، فالحياة لا معنى لها . وتناول مجلدا في الطب العدلي ، واخذ يحرق في صورة رجل قتل بجاذب قطار . وعجزت الصورة عن اثارة رؤيا التشتت ثانية . وشعر بان صورة الموت في الكتاب لم تعد تمثل الواقع . انها ، مثل بودلير وديساد ، لم تزل بعيدة عن الواقع بدرجتين . وبعد ان غسل اقداح الشراب وجففها ، خرج واتجه نحو بدايسة شارع كينسغتون وركب قطار النفق . وجعله الجمهور المتدفق في ساحة الغداء يحس بالسرور . لقد انهكه الصمت والاحساس بالحيرة .

* * *

وفتحت المرأة الاسكوتلاندية الباب ، ولما وقع بصرها عليه تجهم وجهها . وقال سورم على عجل :
— انه ينتظرني .
— كان ينتظرك . وقد حان وقت راحته الان .
واقضبه سلوكها ، ولكنه كظم غيظه وقال بأدب :
— آسف ساعود في يوم آخر .
فترددت ، وعادت وفتحت الباب :
— ادخل ، وسأرى حالته .
وقال بهدوء :
— شكرا لك .

لقد جعل صوته منخفضا لئلا يسمعه مونسيل ، فلم تكن له رغبة في ان يراه في تلك اللحظة . وتوجهت المرأة الى الطابق الثاني دون ان تكلف نفسها ادخاله الى غرفة الجلوس . وسره انها لم تسرف في الكلام . وعندما اقترب من الباب الزجاجي سمع لفظا من الجانب الاخر . فظل واقفا في الرواق المظلم ، مستندا الى حاجز السلم وظهرت المرأة في اعلى السلم ، واشارت اليه ان يصعد .
— انه لا يستطيع ان يمنحك اكثر من بضع دقائق . الان وقت نومه ، فلم ينل شيئا من النوم طول النهار . فقال سورم يعدها :
— سوف لا اطيل البقاء .

وحالما لامست خياشيمه رائحة المادة المعقمة الباهتة في الرواق تذكر حديثه مع الاب في اليوم السابق ، واخذ يساوره شعور بالتوقع عندما كان يقترب من الباب . ولكن هذا الشعور اختفى تماما عندما رأى القسيس ووجهه القبيح بشكل غريب القابع فوق سترة المنامة ، وبدلا من ذلك ، احس بذلك الشعور الخافت بالخيبة الذي انتابه عند لقائه به لأول مرة . كان الاب كاثارز يجلس على كرسي مريح قرب المدفأة . وكان نصفه الاسفل ملفعا بلحاف وغطاء صوفي .

— تعال اجلس . كيف حالك ؟

ووضع سورم معطف المطر على السرير وجلس على الكرسي الاخر .

— اني بخير ، ايها الاب . اني اتوقع عودة اوستن اما اليوم او غدا .

— طيب ، هل كتب اليك ؟

— اتصل بي تلفونيا مرتين منذ امس .

واخرج القسيس من فمه حشجة وثبت نظره في سورم . وادرك سورم ما يدور في ذهنه ، وقال :

— لم تكن مجرد نداءات للسؤال عني . يلوح ان لديه شيئا يشغل

فكره . هل يميل اوستن دائما الى الشعور بالاضطراب بدون مبرر ، ايها الاب ؟

— كيف ؟

— حسنا ... انه غريب الاطوار يميل الى كتمان افعاله . ويتصرف

وكانه يفعل شيئا في الخفاء . اشعر بالقلق عليه ..

— لم الحظ ذلك عليه قط . ما هي القرابة في افعاله ؟

وقص سورم قصة النداءات التلفونية مختتما اياها بوصف للشقة .

ولاحظ وهو يتحدث ان القس كان يصفى بكل جوارحه . وسأل القس اخيرا :

— اريد ان اعرف بالضبط السبب الذي يدفعك لتفضي الي بكل ذلك .

واضطرب سورم للسؤال . واجاب عليه بعد ان فكر في كلماته بعناية قائلا على مهل :

— ان اوستن ليسحرني ، ولكنني لا اعرف تماما سبب ذلك . و...

على كل حال فاني اميل اليه . واضح ؟

كادت لهجته ان تكون متحدية ، لانه لم يستطع ان يفكر بطريقة اخرى

للقائنها . وابتسم القس ، وضاع القبح بين ثنيات الابتسامة الخيرة التي

اشرقت في وجهه . وقال :

— فهمت .

- وبالإضافة لذلك ... شقته تلك ... جعلتني اشعر اني ازدت
 معرفة به . ولذا اريد ان ازداد معرفة به .
 واغمض القس عينيه . واخذ يتحدث وقد ادار وجهه نحو المدفأة ،
 كأنه يحدث نفسه .
 - ما حدثتني عنه بشأن الشقة لم يسبق لي ان علمته ، وان الأدر
 جاء مفاجأة لي الي حد ما . ولكن ، على اي حال ، قد لا يكون هنالك داع
 للدهشة هذه . كما انها ربما توضح السبب في انقطاع اوستن عن المجيء
 الي . الرومانتيكية ملاذ غير مؤتمن ، ولكنه ليس ذا خطورة ، ولن يمكث
 فيه احد طويلا .
 وقاطعه سورم :
 - هل تعتقد انه سيعود الي حظيرة الكنيسة الكاثوليكية في الاخير؟
 - ما اظن ذلك امرا غير محتمل .
 وطفق سورم يتأمل في كلمات القس ، وهو يحلق في النار . وبقيت
 العينان المزروعتان في وجه هذا الرجل المقعد الشاحب مغمضتين .
 وقال سورم :
 - الرومانتيكية ... فهمت ما تعنيه . فهذا يفسر وجود مؤلفات
 دى ليل ادام وهويزمان وغيرهما . ولكن ما قولك في صور الاجرام ؟
 ودى ساد ؟
 - لقد وضعت أنت الجواب على سؤالك . دى سادرومانتيكي اخر .
 ان الصور السادية ...
 - لا اعلم اذا كانت الصور سادية ام لا . كانت كريهة فقط .
 - بالنسبة للشخص الذي تحركه الميول السادية ، الاشياء الكريهة
 تولد له اللذة .
 - هل لاوستن هذه الميول السادية ، ايها الاب ؟
 اطلق سورم السؤال بسرعة ومن دون تفكير . وسرعان ما خطر له
 انه تمادى في نقاشه . وفتح القس عينيه واخذ ينظر اليه ، وقال
 بصوت هادئ :
 - فلنقل اذن ان اوستن له ... شيء من هذه الميول .
 فقال اوستن بصلافة :
 - اسمع ايها الاب . اذا كنت تظن اني اتحدث فيما لا يعنيني فقل
 لي ذلك . فلا اريد ان اتطفل .
 فقال القس مبتسما :

— لم اكن اعرف شيئا عنك يوم امس . واليوم ، انك تعرف الكثير عن اوستن ، وانا اعرفك اكثر قليلا من قبل ، واعتقد انه يمكننا ان نتحدث الان بصراحة .

وانبسطت اسارير سورم ، فقد اشعره زوال الغموض بالارتياح . فانفرج وجهه عن ابتسامة عريضة وقال :

— اشكرك ، ايها الاب . انك لرقيق . فكما ترى ، اني احس فعلا بشيء من المسؤولية الموقته تجاه اوستن . وقد شعرت اني تأثرت عندما قال باني الشخص الوحيد الذي يثق به .

— تماما .

— ولكنني لم افهم شيئا من الامر على الاطلاق . فمثلا ، ملابس النساء هذه ...

— اين هي الان ؟

وقال سورم وقد ارتسم الامتعاض على وجهه فجأة :

— تركتها في الطابق الاسفل ، في الرواق .

— لا يهم ، فهي في مأمن تماما .

وعبس سورم وهو يتفرد في راحة يده . وقال مترددا :

— ايها الاب ، دعني اخبرك بما يدور في ذهني ، فاذا تبين لك انه

مجرد هراء فلا تردد في ان تخبرني بذلك .

— طيب .

— اسمع ، يبدو الامر كذلك ... صباح امس ، حاول اثنان من رجال

الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن في البيت الذي اقيم فيه ...

حول جرائم القتل التي وقعت في القطاع الشرقي من لندن . واني لوائح

الان من انه لم يكن لدى الشرطة سبب خاص لهذا التحقيق — لم يكن

لديهم ما يحدو بهم للارتياح فيه . كان مجرد انسان عجوز مخبول ، وربما

كان يوما ما متهما بجنحة جنسية ، ولا شك انه واحد من العشرات الذين

حققت معهم الشرطة . والان يطلب الي اوستن ان اخرج الملابس النسائية

هذه من شقته . ولنفرض انه يتوقع ان يحقق معه الشرطة ؟ ولنفرض انهم

على علم بميوله السادية الا يبدو ذلك معقولا ؟

وقال القسيس :

— لا اخالك تظن جادا ان لنن علاقة بهذه الجرائم ؟

— يا للسماء ! كلا مطلقا ! بالطبع لا . ولكن الشرطة لن تدع بابا الا

وتطرقه ، الست على صواب ؟ وهذه الملابس تخص امرأة . فما رأيك ؟

— هذا ممكن ... هذا ممكن . ولكن ذلك لا يفسر الكتمان السذي
يحيط أوستن الأمر به .

— لم لا ؟ محتمل جدا . على أي حال ، من المحتمل أن نن نفسه
يخشى شيئا من الشرطة . على كل ، رجل مثله وله هذه الانحرافات
يحتمل أن يحدث بعض المتاعب للشرطة . كما يحتمل ألا تكون الشرطة ما
يخشاه أوستن ، إلا يجوز أن أحدا يستغل معلوماته عن أوستن فيهدده
ليبتز أمواله ...

وتوقف عن الكلام — لقد أحس أن الاسترسال في هذا التفكير لا
يؤدي إلى شيء . ورفع القس نظره إلى وجهه ثم أخفضه ثانية :

— قد تكون على صواب . بيد أن أفضل طريقة لمعرفة حقيقة الأمر
هي أن ننتظر إلى حين يعود أوستن ، ونستفسر منه . فليس من المستبعد
مطلقا أن الشرطة قد تحقق معه حول جرائم ويتشبال — بالطبع إذا تبين
أن القاتل منحرف جنسيا . فإذا كان القاتل ذا نوازع سادية فالشرطة
لا تتحرج أن تلقي شباكها في كل مكان . وليس لديهم حيلة أخرى ...
— ماذا تعني ، أيها الأب .

— تحدث الجرائم الاعتيادية بأن يكون للقاتل دافع ، فالأمر لا يتعدى
محاولة اكتشاف ذلك الدافع . أما في الجرائم الجنسية ، فما لم يضبط
الجاني متلبسا في الجريمة ، فليس للشرطة طريق يبدؤون السير فيه .
كنت في دوسلدورف عندما وقعت جرائم كورتن ، وقد بلغ عدد المشبوهين
الذين حققت معهم الشرطة خلال سنوات ثلاث ما يزيد على مئات الألوف .
فليس من العجيب أو غير المحتمل أن يكون أوستن من بين من تریسـد
الشرطة التحقيق معهم .

وقال سورم مبتسما :

— أو التحقيق معي ... أو أي شخص آخر .
— بالضبط .

ونفض سورم وقال :

— أسمع أيها الأب ، لن أطيل معك أكثر من هذا ، فاني أعلم أن الوقت
وقت راحتك . وشكرا للاستماع إلي . كان علي أن اتحدث إلى شخص ما
عن ذلك والا كنت انفجرت .

— حسنا فعلت بمجيئك إلي . ولكنني أرجو أن تزورني يوما لتتحدث
عن نفسك .

— أشكرك ، أيها الأب .

– هنالك شيء آخر . لدي صديق – طبيب الماني – يعمل في
سكوتلانديارد . فاذا تحدثت الى اوستن وشعرت بأنه يحتاج الى مساعدة
فاجعله يتصل بي . قد يستطيع الدكتور شاين ان يوفر علينا بعض المتاعب .
– شكرا ، ايها الاب . سأفعل ذلك .
والتقط معطفه ثم فتح الباب . وفيما هو يفتح الباب تذكر سؤالاً
نسي ان يوجهه :

– وبالنسبة ، ايها الاب ، هل تعرف رساما يدعى غلاسب ؟
– نعم ...

– لدي اوستن بعض صورته معلقة على الجدران . كم يبلغ من العمر؟
– ل... لست متأكدا . حوالي السادسة والعشرين .
– السادسة والعشرين ؟ يجب ان يكون فنانا موهوبا . اثنتان من
الصور مؤرختان في عام ١٩٤٨ ، ويعني ذلك انه كان في السابعة عشرة
عندما رسمهما .

– انه موهوب جدا – او بالاحرى كان موهوبا . وهو فقير الحال
جدا ، وقد ادخل كذلك مستشفى الامراض العقلية مرتين . ربما سيقدمك
اوستن اليه .

– هل تعرف ابن يسكن ؟

– كلا مع الاسف . لم التق به منذ سنوات . ربما تجد عنوانه
لدى الاب راكوسي . سيقدمك اليه اوستن بالتأكيد .
– هل هو كاثوليكي ؟

– نعم ...

وفتحت الباب وهو واقف هناك ويده على المزلج . واطلت المرأة
الاسكوتلاندية .

– حان وقت راحتك ايها الاب .

فقال سورم :

– سأحاول المجيء قريبا ، ان استطعت ، ايها الاب . وداعا .

– وداعا .

والتقى في الصالة بالقسيس الهنغاري وقال :

– المعلقة . يقول الاب كارائز انك ربما تعرف عنوان رسام يدعى

غلاسب .

– نعم . انريده ؟

– ان لم يضايقك ذلك ، رجاء ؟

- انتظر لحظة . سأجده لك .
 ودخل القسيس غرفة تجاور غرفة الانتظار ، وخرج بعد قليل حاملا دفتر ملاحظات :
 - العنوان : ١٢ شارع داروارد .
 فسجله سورم في دفتر العناوين وسأل :
 - اين يقع الشارع ؟
 - في القطاع الشرقي ، وايتشابيل .
 - هل تعرف اسمه الاول ؟
 وبدأت الدهشة في وجه القسيس :
 - انك لا تعرفه ؟
 - كلا ، ولكني رأيت بعض لوحاته . وظننت انني قد استطيع لقاءه في يوم من الايام .
 - آه . ولكنك لن تجده حسن العشر . اسمه الاول اوليفر . ليس من اليسير الحديث معه .
 ودفع سورم الدفتر الى جيبه :
 - اشكرك ايها الاب . ربما ابعث اليه برسالة . طاب مساؤك .
 ولما خرج ، راح يبحث بصورة لا شعورية عن دراجته حتى تذكر انه قدم بقطار النفق . وسار باتجاه محطة (تشانسري لين) والحقيبة الجلدية تتأرجح في يده . لقد تيقن ان غلاسب هو الذي رسم تلك اللوحات ، فقد كانت تحمل الحروف ا.غ. - اي اوليفر غلاسب . ولكن ذلك بحد ذاته لا يعني شيئا . انه مجرد شظية واحدة من هذا اللغز الذي يحيط بنن .
 لقد اكثر من التفكير في نن حتى اصبح وجود نن شيئا خياليا . وراح يتأمل : انني اميل الى السلبية - تلك هي المشكلة . انني سلبي،وقد اوليت اهتمامي بنن لانه ايجابي . انا كالبركة الراكدة ، اما نن فهو الحجر الذي حرك الزيد المستقر على سطحها .
 وسار باتجاه كينفسواي ، وقد استفحل القلق والكتابة اللدان اسراه . وادرك ان بعض السبب يرجع الى انه لم يتناول شيئا منذ الفطور . كما ان مفعول المشروبات التي تناولها اخذ يتلاشى .
 وكاد يأخذه النوم وهو جالس في قطار النفق ، ومسح بمنديلــــه الدموع التي سالت من عينيه ثم فتح فاه متثابا .
 - متعب . تلك هي المشكلة . سأكل ثم انام عندما .او . يا للعنة . وتذكر كارولين ، وتذكر ان عليه ان يلتقي بها بعد ساعتين . واحس

بالاكتئاب . وخطر له ان يتصل بها تلفونيا ليعتذر لها عن اللقيا ، وشعر
ان هذه الفكرة اتعس من فكرة الذهاب الى ساحة ليستر في الساعة
السادسة . واخيرا ، نزل من القطار في كامدن تاون ودخل حانوتا للملابس
الجاهزة ليبتاع له سروالا .

* * *

وما كاد يمضي معها ربع ساعة حتى ادرك انه يميل اليها ، وان هذه
الامسية ستكون ممتعة . ورفعوا الكلفة فيما بينهما ، وشعر انها تعامله
بصورة طبيعية ، كأنها تخرج معه للمرة العاشرة لا المرة الاولى . كانت
تعامله دون تقيد ، كصديق قديم . كان في طريقتهما ما يذكره بسلوكه .
كان المطعم في الطابق السفلي على شارع (كينغس رود) ، والدخول
اليه يكون خلال مقهى . وحالما دخلت هتفت بعض الاصوات تناديهما ،
وهب من مكانه شاب ذو لحية يرتدي معطفا سميكاً واحاطها بذراعيه
وقبلها وهو يصرخ :

— الو ، يا حبيبتي ، ما اسعدني بلقياك .
وقدمته الى سورم قائلة : هذا فرانك ، الشخص الذي يقوم بدور
فرلين في المسرحية التي نعملها .
كان هذا الشاب ذا وجه منتفخ لا يبدو عليه النضوج ، وكانت لحيته
قليلة الشعر حريرية الشكل . ولم يستطع سورم ان يتصور شخصا اقل
شبهاً بفرلين . وقال الشاب ، بلهجة عامية :
— كيف حالك ، ايها الشريك ؟ ارجو الا تكون جئت باحثاً عن المتاعب،
فليست معي غير ست رصاصات ! قهوة لكليكما ؟
فقال كارولين :

— جئنا لتناول الطعام في الطابق الاسفل . قد نراك فيما بعد .
— تعالوا الى الحفلة . ستقام في المحل الذي سقطت فيه القنبلة
امام مدرسة التمثيل . واجلبا معكما زجاجة شراب .
فقالت :

— ربما .

وشقنا طريقهما بين جموع الفتيان والفتيات المزدحمين عند طاولة
البار والمقاعد العالية التي تحاذي الجدران . وسمع سورم احدهم يقول :
— ها هي ملكة جمال بيدابل لعام ١٩٥٨ .
كان الطابع الاسفل منقسماً الى جزئين بواسطة ستارة مشبكة ، وكان
مضاء بمصابيح منضدية مصنوعة من قناني شراب الكيانتني . وعندما خف

اليهما الخادم ذو البشرة الزيتونية توقع سورم انه سيدعو كارولين باسمها الاول ، ولكنه قال فقط :

— طاولة لاثنين ، يا سيدي ؟

كانت قائمة الطعام كبيرة الحجم ، تكاد تكون بحجم صفحة مسن صفحات الجرائد :

— بعض الإصناف تكلف غاليا جدا .

— لا تكثرني ، فقد سطوت هذا الصباح على خزانة نقودي .
وراحت تتفحص القائمة وسألته اخيرا :

— هل تعجبك القواقع ؟

واعترف لها بانه لم يذق طعمها في حياته .

— هيا اذن لنطلب منها . وهل تشتهي الثوم ؟

— اموت فيه .

— حسنا . فلنكن خنازير ونطلب اثني عشر لكل منا .

وعندما وصلت اطباق القواقع اخذت تعلمه كيفية استعمال الملقط ، والحت عليه ان يشرب الزبد المنصهر من القوقعة نفسها بعد ان ينتزع منها قطعة الحلزون السوداء الطرية ويأكلها . وطلبا بعد ذلك المزيد من الجبن والليمون واتبعاهما برجاجة نبيذ ابيض . وبدأ سورم يشعر بالاسترخاء واللامبالاة . واعترف لها :

— اني لم اكن اتطلع بشوق الى هذه الامسية مطلقا .

— كلا . لم لا ؟

— كنت قلقا اخشى الا ينسجم كلانا مع الاخر . هل تعلمين امرا ؟
اني لم اخرج مع فتاة خلال السنين الخمس الاخيرة .

— يا للسماء ! ماذا كنت تفعل ؟ كنت تلبس مسوح الرهينة ؟

— كلا قضيتها في غرفتي على الغالب ، او احيانا في غرفة المطالعة في المتحف البريطاني .

— ولكن لماذا ؟ فانت لست خجولا ..

— لا . كنت ابحث عن شيء ما ... اذا فهمت قصدي ؟

وسألته ضاحكة : تبحث عن اي شيء ؟

ووصلت اطباق الدجاج المشوي ، فمحتة وقتا ليفكر في جواب .
وقال اخيرا :

— الشيء الذي كان رامبو يبحث عنه : رؤيا .

فقالت على الفور :

— كنت احاول قراءة كتاب عنه ولكنه مليء بالنصوص الفرنسية .
لقد كان يحاول ان يتلف حواسه ، او ان يفعل شيئا من هذا القبيل ،
أليس كذلك ؟

— نعم .

— هل حاولت ذلك انت ؟

— كلا . حاولت تطبيق نظام معين . ولكن لم يحدث شيء .

— وماذا تعتزم محاولته الان ؟

— من المضحك ، انا الان اقرب من السابق الى الرؤيا . هل تعرفين

ما معنى كلمة العامل المساعد ؟

— كلا .

— هو الشيء الذي يسبب تفاعلا كيميائيا دون ان يطرا عليه تحول .
فيمكنك تحضير غاز حامض الكبريتيك بتسخين الاوكسجين وثنائي اوكسيد
الكاربون . ولكن يجب تسخين هذه المواد على الاسبست ذي البلايسن ،
والا لن يحدث شيء ، غير ان الاسبست لا يتحول . اما انا ، فكانت في
داخلي عناصر كثيرة لم تمتزج ، كانت لدي اكاداس المعلومات التي لم تكن
تعني اي شيء بالنسبة لي . ومنذ ان التقيت ببن يوم الجمعة الماضي ،
بدأت اشعر اني اعيش للمرة الاولى منذ سنين عديدة .

فمطت شفيتها وقالت :

— وانا ، اليس لي مكان في اطارك ؟

— بالطبع . لو لم التق باوستن لما تعرفت بك ، اليس ذلك صحيحا ؟

— كيف تعرفت باوستن ؟

وسرد لها القصة اثناء ما كان ياكل ، وكان لما يزال يحدثها بعد ان
انهيا الطعام واخذ ا يرقبان السلم الى الطابق الارضي لتناول القهوة . ولما
بلغا منتصف السلم توقفت والتفتت اليه وهمست :

— اتعلم ، اني ثملة قليلا .

ومالت الى الخلف قليلا ، فوضع يده حول خصرها ليسندها .
فوضعت يديها على يديه وشدت عليهما ثم ارخت قبضتها . ولكنه كان
يشعر بالشبع والنعاس الشديدين فلم تثره هذه الحركة ، ولكنها زادت من
شعوره بالارتياح والاستقرار معها .

وفيما هما يحتسيان القهوة سألته فجأة :

— هل تعتقد ان جيتروود جذابة ؟

- فحلق في الفئجان بصلابة وقال بلهجة ناقد فني :
- اجل ... انها جذابة .
 - فقالت بلهجة ابحائية :
 - ولكنها ليست من طرازك .
 - لا ... ليس هذا . ولكنها البساطة التي تنظر بها الى الاشياء .
 - انها تحيرني .
 - تحيرك ؟ ماذا بحق السماء يحيرك فيها ؟
 - هي اما ان تكون مخادعة بارعة او بدائية في بساطة عقليتها الى درجة لا يستطيع ان اميزها . وتذكرني ، يمكنني ان افهم كيف يكون الانسان مسيحيا يؤمن بالكتاب المقدس ويعتقد ان الكتاب المقدس هو بداية الاشياء ونهايتها . ولكن انطباعي عنها انها ليست من ذوي هذا النوع من الدهن . انها تبدو وكأنها قرأت مؤلفات فرجينيا وولف واخلفت تسمى الادباء الشباب المحليين .
 - انها تفعل ذلك !
 - نعم ... اظنها تفعل ذلك . هل تعرفين شيئا عن حياتها قبل ان تأتي لتسكن في همبستيد ؟
 - كلا . لا تتحدث امني عنها ابدا . ولكن افلتت منها بعض العبارات يوما ظانة اني لم اكن اصغي . كان هنالك رجل في حياتها .
 - وماذا حدث ؟
 - لست ادري ، في الواقع . لم هذا الاهتمام ، هل ترسم الخطط لاقتناصها ؟
 - انت التي اثرت موضوعها !
 - اظن ذلك . على كل حال ، اظن انها ترسم الخطط لك .
 - غفرانك رباه ، تعنين ...
 - تعلم ، انها وحيدة هناك ، وذلك ما يجعلني اذهب احيانا لأمكت بصحبتها بعض الليالي . واعتقد انها تتمنى لو اكثرت من زيارتك لها .
 - اليس لها اصدقاء مقربون اخرون ؟
 - كلا . كان يزورها في وقت ما احد الرسامين ، ولكنه انقطع .
 - تعنين كان لهما علاقة ؟
 - اوه ، كلا . كان عمره يعادل نصف عمرها . شاب يدعى غلاسب .
 - اوليفر غلاسب ؟
 - نعم ، لماذا ؟

— سمعت عنه . اعتقد انه صديق لاوستن .
— نعم ، واعتقد ان اوستن اخذه معه اليها لاول وهلة .
— ولماذا انقطع عن الذهاب اليها ؟ هل تعلمين ؟
— نعم . اصيب بانهايار عصبي فدخل مستشفى الامراض العقلية .
انها لم تتحدث عنه كثيرا ، ولكنهما ، على ما اظن تخصما ايضا .
وانها احتساء القهوة . وقال سورم :
— هل نصادر ؟
وانزلت نازلة عن المقعد والتقطت قفازيها . وسألها :
— اين تودين الذهاب الان ؟ العودة الى سوهو لاحتساء بعض الشراب ؟
— لا بهمني . اين ترغب انت في الذهاب ؟
— فلنمشى على كل حال . لقد افرطت في الاكل .
كانت الليلة باردة ، ساكنة الرياح . وكانت السماء لا نجوم فيها .
وسألته :

— هل يضررك زيارة اثنتين من صديقتي ؟ انهما يسكنان في عوامة على
قناة (تشيسي) .
— كيف نصل الى هناك ؟
— مسيرة عشرة دقائق .
— هل نشترى بعض الشراب لناخذه معنا ؟
— فكرة طيبة . لا اعتقد ان لديهما شيئا من الشراب . انهما ممثلتان ،
ولكنهما عاطلتان في الوقت الحاضر .
وابتاعا زجاجة من النبيذ الابيض من احد مخازن المشروبات وسارا عبر
المجلس البلدي . وعلى بعد مائة ياردة شاهدا وهيج نار .
— تلك هي الحفلة التي تحدث عنها فرانكي . لا نريد ان نذهب ،
اليس كذلك ؟
— انا لا ارجب .

كانت النار قد اقيمت على قطعة من الارض الخربة التي كانت تنعزل
عن الشارع بجدار واطيء . وكانت الارض نفسها تنخفض عن مستوى الشارع
بحوالي عشرة اقدام . وكان الطلبة يزدحمون في المكان واكثرهم يمسك
بيده بزجاجة او بقدح . وراح لفيف منهم يسحب جلع شجرة ليلقي به
في النار . كان كبيرا لا يمكن وضعه مستلقيا على النار فصار كالجسر يمر
وسطها ، ويستند من طرفه بفروعه .

— لنمر بالمكان لحظة واحدة ، يا جيرارد ؟

وجر سورم خطاه متبرما وهي تتجه الى حافة الشارع . كانت الارض تنحدر تدريجيا الى البقعة التي اقيم فيها الاحتفال . وسأل والريسب يساوره :

— هل تعرفين الكثير منهم ؟

— قليلا . ولكننا لا نريد ان نختلط بهم . لندفئ ايدينا قليلا ونرحل . وكان على مقربة منهم راديو يدوي يعزف موسيقى راقصة ، ولكن لم يكن هناك من يحاول الرقص . واستلقى على العشب في الجوانب المظلمة قرب الجدار الفتيان والفتيات ، اثنتين اثنتين . ولكن اكثرهم احاط النار بدائرة واسعة . كانت النار شديدة الحرارة لا مجال للوقوف قريبا منها . وقد استطاع سورم ان يميز في وسط اللهب اريكة بالية وبقايا باب . وفيما هما يقفان ، قفز احدهم على جذع الشجرة المنتصب فوق النار وقفز بحركة غير رشيقة الى الجانب الاخر واثار عاصفة من الشرر الاحمر . وانطلق عدد من الطلبة يهتفون له بطريقة عصبية . فاستدار الشاب وقفز الى الجانب الاول وهو يفتح ذراعيه في الهواء ويرقع اثناء القفز . فقال سورم باشمئزاز : — احمق ملعون !

— اسمه ايفور فينر . كنت اخرج معه .

وكظم سورم كلمات الغضب التي كادت ان تنطلق وادار رأسه وهز كتفيه . فتعلقت بذراعه وقالت : — لنذهب .

وعندما بلغا مستوى الشارع قال وقد اكتابت اساوره :

— هذا الضجيج يجعلني احس اني في الخمسين من العمر . انسي امقت الطلاب .

— لا بأس بهم .

— كل على انفراده ربما . ولكنهم بمجموعهم يشيرون الاشمئزاز .

وبعد مسيرة قصيرة سمعا رنين اجراس بعيدة . واذا بعربة حريق تمر امامهما وتقف امام المكان . فقالت كارولين :

— جاؤوا لاطفاء الحريق — هيا نتفرج .

ولما عادا الى بقعة الارض وجداها خالية من الطلاب ، وقد تجمهروا خلف الجدار وهم ينظرون الى النار . ووقف سورم وكارولين في نهاية الجدار وهما يراقبان عمود الماء الابيض الذي كان يثر اثناء مروره بالعشب الى النار . وفي الحال ، صعدت سحب البخار وخبث السنة اللهب . واصطدم الماء بجذع شجرة وتركها تتأرجح فوق العشب . وسرت زمجرة

بين الطلاب ، وصاح احدهم :

— يا مفسدي المرح ، ايها الاوغاد .

وانطفأت النار ، ولم يستغرق ذلك ثلاث دقائق .

وعندما شرعا في السير ثانية ، احس سورم بالخجل من الامتعاض الذي شعر به قبل لحظات ، لا لانه تعاطف مع الطلاب ولكنه احتج بصورة تلقائية على فكرة قيام السلطة بانهاء احتفال . ونظرت الى وجهه اثناء مرورها تحت مصباح من مصابيح الشارع وسالت :

— ما الذي ازعجك ، يا جيرارد ؟

فضحك وقد احس فجأة انه كان مقطب الجبين .

— لا يزعجني شيء . ولكن اعتقد ان لا سبيل الى ارضائي .

— ماذا تعني ؟

— كرهت هؤلاء الطلاب لظهورهم بمظهر جماعة قادرة غير منتظمة من المراهقين . وهذا يجعل مني مؤمنا بالسلطة . ولكني بنفس الوقت اكره السلطات عندما تقف بملابسها الرسمية وتصدر الاوامر . ولهذا فانا فوضوي اي اني فوضوي يؤمن بالسلطة !

واتجها نحو (تشين دوك) . كان النسيم المقبل من النهر باردا . فقلبت ياقتها ومالت برأسها على ذراعه . واجتازا الشارع الى الجدار المطل على النهر وتوقفا للتحديق في الماء . وكانت الاضواء المنبعثة من جسر البرت تنمايل في الظلام الداكن . وشعر انها كانت تنظر اليه . ومال اليها وطبع قبلة على شفتيها الباردتين واحس بارئبة انقها كالثلج على وجهه . وقالت :

— لا يهمني ما تكون .

— لا داعي للاهتمام . فانت لست مضطرة للعيش بالطريقة التي

اعيش فيها .

وقالت بعناد :

— لا يهمني مطلقا ان اضطرت للعيش معك .

وقبلها ثانية وراح يتسائل ، وهو يقبلها ، كم قبلة طبعت على هذه الشفاة في الظلام ، وكم من الرجال . وامسك عن الماضي في تفكيره هذا ، ولكنه لم يستطع ان يمنع شعوره بالنفور منها .

وعبرا الجسر الذي كان يؤدي الى مرفأ صغير ، كان يخرج منه ممر خشبي ضيق الى البيوت العوامة الراسية . وقال :

— يحسن بي ان اتقدمك . الليل اشد سوادا من قبعتك . اي عوامة

منها ؟

- الثالثة .
 - وماذا نفعل ان لم نجدهما ؟
 - اما ان ننتظرهما ، او نعود الى البيت .
 وعندما وصل الى حافة العوامة الثالثة وجد الشبايك مظلمة .
 - يبدو انهما في الخارج . ماذا نفعل الان ؟
 - لنذهب الى سطح العوامة ، لعل الباب مفتوح ؟
 واجتازا طرف العوامة الى السطح وساعدها في العبور . وسألت :
 - هل لديك عود ثقاب ؟
 فوجد علبة الثقاب واشعل عودا . وسحب مزلاج الباب فاذا به يفتح .
 - شكرا لله ! يمكننا الدخول على كل حال .
 وتبعها بشيء من الفضول . وفتحوا نورا كهربائيا كشف عن مطبخ
 صغير مع اسطوانتين للغاز بالقرب من الموقد الغازي . فهتفت :
 - هل هنا احد ؟ وووو ! باربارا ! مادلين !
 ولمح فتاحة قناني تتدلى من كلابة على الجدار .
 - يمكننا ان نتناول بعض الشراب على كل حال :
 ومزق الغلاف الرصاصي وفتح الزجاجاة . لم يعثر على الاقداح ،
 ولكنه وجد كوبين خزفيين على الرف . وقالت كارولين :
 - هيا ادخل هنا .
 كانت غرفة صغيرة للنوم والجلوس تحتوي على سرير عريض واحد
 وكرسي كبير . ولم تتجاوز مساحة الغرفة ستة اقدم .
 - هذه غرفة باربارا . اما غرفة مادلين فمجاورة ، ولكنها اصغر من
 هذه .
 - اين يتناولان الطعام ؟
 - في المطبخ ؟
 - واين يستقبلان الضيوف ؟
 - هنالك غرفة اخرى هناك ، ولكنهما يصيفانها في الوقت الحاضر .
 وناولها كوبا مليئا الى منتصفه بالنبيذ ، وسألت :
 - اي نخب نشرب ؟ نخبنا ؟
 - نخبنا .
 والتقت نظراتهما عندما اخفضا قديحهما ، فرفعت وجهها متهيئة
 لقبيلته . وذاق طعم الخمر على شفتيها . وكانا ما يزالان مسمكين بالقديحين .
 وقالت :

- ماذا تقول العمة جبر ترود لو رأتنا الان ؟
- اخاف ان افكر .
- وقذف بمعطفه على الكرسي وجلس على السرير .
- هل تظنين ان باربارا سوف تنزعج لجلوسي على السرير ؟
- كلا ابدا . ازحف قليلا .
- وحذاءي ؟
- اخلعهما .
- وفك شريط حذاءيه ونزعهما ، وزحف نحو الحائط . فاستلقت حالا الى جنبه واغلقت عينيها .
- الا تريدین شرابك ؟
- بعد قليل .
- وانحنى فوقها وجعل شفتيه تتجول على وجهها الطري الذي لم يزل بارعا . وقالت بنعومة :
- ما اجمل ذلك !
- ولمست باطراف اصابعها مؤخرة رقبته ، ومدت لسانها بين شفتيه . فاعتدل واخذ يتنفس عميقا .
- علينا ان نتوقف ، اتعلمين ؟
- صحيح ؟
- اجل . قبل ان يكون من المستحيل !
- ففتحت عينيها وابتسمت له :
- لا يضيرني ان تكون عشيقتي .
- ولكن هذا العرض لا اخلاقي جدا !
- كلا ابدا . فانت الاول .
- ومع هذا فهو لا اخلاقي ! على كل حال ، انت اصغر من ان يكون لك عشيق .
- هذا سخف . فلست صغيرة . كاد ان يكون لي عشيق في العام الماضي .
- وماذا حدث ؟
- طلب مني ان اذهب معه في نهاية الاسبوع الى برايتون . ووافقت .
- وهل ذهبت ؟
- كلا . فقد اصبت بالتهاب الحنجرة قبل يوم فلزمت الفراش .
- طريقة رائعة للسلوك ! لقد صعقت !

فاعتدلت في جلستها ومدت يدها الى كوبها .
 - هل انت جاد ؟
 فقال باهتمام .
 - هل كان ذلك الاخرق الذي كان يقفز فوق النار ؟
 - ايفور ! يا الهي ! كلا . هل اضطجع مع هذا الانسان ! كلا ، كان هذا ممثلا ، في الخامسة والثلاثين من العمر طلق مرتين . ولقد جننت به ثلاثة اسابيع ، حسبت اني لا استطيع الحياة بدونه .
 - ولم يحدث اي شيء ؟
 - كلا . تخاصمنا بعد عطلة الاسبوع تلك . ثم اضطر الى الرحيل ، فقد انتقلت فرقته الى ليفربول . وكان ما كان .
 وشرب بقية الشراب ، وشرع يضحك .
 - ماذا يضحكك ؟
 - لا شيء . مجرد المقارنة بينك وبين عمك .
 فقالت بلهجة مؤكدة .
 - حاشا ان اكون مثلها !
 - لن تكوني مثلها .
 ووضعت الكوب على الطاولة وتركت راسها يسقط على الوسادة ومدت شفيتها لسورم كي يقبلها . وقال :
 - لا . ليس من المعقول . لقد ارتفع ضغط الدم والرغبة لان انزع عنك ملابسك .
 - لا يمكنك ذلك . ليس هنا ، فقد تعود باربارا .
 - لنقفل الباب ؟
 - لا يمكنك ذلك . لا يمكن غلق الباب .
 - كيف علمت ؟
 - باربارا هي التي اخبرتني . عندما كان صديقها معها كان عليهما ان يضا الكراسي خلف الباب .
 - هل تعترض باربارا لو عادت ووجدتنا في سريرها ؟
 - كلا . انها واسعة الصدر . على كل حال ، يمكننا سماع وقسع اقدامها من بعيد . فيمكنك الجلوس على ذلك الكرسي وتبدو محترما .
 وقبلها ثانية ، ولم يبذل جهدا ليكبث التهيج الذي بدأ يرتفع فيه .
 وفتحت شفيتها السفلى عند التقبيل لكي يتذوق داخله الندى الإملس . وبعد دقائق قليلة رفع وجهه عنها واعتدل في جلسته فسألت :

— ماذا حدث ؟
 — لا يمكنني التماذي . اذا استمرينا على ذلك فسانفجر . هل انت واثقة انها قد تعود قريباً ؟
 — لست ادري . لا ادري متى تعود .
 واخذ يلبس حذائيه .
 — لنذهب الان . سنترك لهما الشراب كهدية .
 — اين تريد ان تذهب ؟
 — الى اي مكان . العودة الى سوهو . يمكننا ان نتناول قدحا من الشراب . ما تزال الساعة العاشرة .
 ونهضت على قدميها الحافيتين الا من الجوارب . وكان عليه ان ينحني ليصل الى رأسها . كان يحس بقلق وهو يقبلها . وادرك ان ذلك لن يجدي شيئاً في تلك اللحظة . وان اي اتصال اخر معها يحتم عليه ان يضبط عواطفه . وبدا له كأنها احست بذلك ، فافلتت منه برفق . وقالت :
 — حسناً ، لنذهب .

* * *

بعد ان تركها في محطة نوتنهام كورت رود احس بالانبساط والرضى . وراح يتطلع من خلال زجاج نافذة الباص عند مروره بشارع (كوج) واطلق العنان لتفكيره ليتأمل في هذه الفتاة وسرعة رضوخها . لم يكن ليخشى الوقوع في غرامها ، فذلك امر بعيد الاحتمال . لقد افتنن بها وحسب . كانت ساذجة جدا . وكانت عملياتها الدهنية اوضح من ان تدعه يأخذها على مأخذ الجد . ولم تتسم علاقتها بمنصر الغموض او الانتشاء ، كما لم تعطه الفرصة لاي شكل من اشكال الجهاد من اجلها فقد جعلته يرى ، ومن دون اية مقدمات ، انه يثيرها وانها على استعداد لان تتدله في غرامه اذا لم يكن لديه اي مانع . ولم يكن لديه اي مانع ، واطربته فكرة ان يكون عشيقها . كان الامر ابسط من صفقة تجارية .

واخذ يتشاءب ، ويمسح عينيه البديتين بمنديله . ونهضت الفتاة التي تجلس امامه في الباص وتركت كلبها الابيض الصغير ينزل الى الارض . كانت حسنة الشكل انيقة اللباس . والقي اليها بنظرة ثم ادار وجهه عنها وسره عدم الاكتراث الذي شعر به . وطاف في ذهنه انه يكاد لا يستطيع التحرر من الرغبة الجنسية ، فبمجرد التفكير في المرأة في اي ساعة من ساعات الليل والنهار ، يعكر عليه استقراره ويثير فيه الاستياء الذي تورثه الشهوة التي لا تجد اداة التنفيس عنها .

وعاد اليه الشعور الذي احس به ذلك الصباح بينما كان يراقب الفتاة التي خرجت من المصعد : شعور بالاطمئنان والقوة ، وانعدام الشعور بالغيرة انعداماً تاماً . كان يستطيع التفكير في نين بموضوعية تامة ، ليس لانه يعتبر مزايا نين طارئة او آتية ، بل على العكس ، فهناك احساس يثيره نين هو ان المال والترف امران لا مفر منهما . بيد ان هذا يجد ذاته لا يثير الغيرة . كان في خياله يتصور ان نين يمثل الوجود المادي ، الاحساس المباشر بالحياة الطبيعية . وان المحيط الطبيعي الذي يمكن لنين ان يعيش فيه هو يخت نظيف في البحر المتوسط ، او اشعة الشمس البيضاء في انعكاسها على الجليد بالقرب من تروندهايم ، والصخور الناتئة من ضفة النهر في (غالوى) حيث يصطادون سمك السلمون . واستجاب سورم لهذه الافكار كما استجاب لكارولين ، ولكنه شعر ان هناك شيئاً خلف هذه الافكار يضيق عليه . في حياة الانسان الطبيعية عبث متأصل كان يلقي الرعب في نفسه .

واحس بالبرد عندما نزل من الباص في شارع (برنس اوف ويلز) واخذ يرتعش وتتشنج عضلات كتفيه ، فمشى مسرعاً عبر الطريق . لقد اختفى الانبساط واخذ يحس بتوجس لا يجد مبرراً له . وقد بدأ هذا التوجس يتبلور عندما ترك شارع (كتش تاون) ورأى سيارة من نوع جاكوار تقف خارج البيت .

وبحث على الطاولة الموجودة في الصالة عن رسائل او نداءات تلفونية . ووجد قصاصة من غلاف رسالة كتب عليه : المستر سورم ، لقد اتصل المستر نين تلفونيا . كانت الرسالة موقعة بالحرف : ك. ورأى الضياء المنبعث اسفل باب غرفته قبل ان يدخل . كانت الغرفة تختنق بالدخان . وقال :
— هلو ، اوستن . كم طال انتظارك ؟

الفصل السادس

وقال نن :

— كنت على وشك الرحيل . خامرني الظن انك ستقضي ليلتك خارجا . كيف حالك ؟

— بخير . هل تناولت طعاما ؟

— منذ ساعات . وكنت اشرب ايضا . خذ شيئا من البراندي .

واشار الى قدح على الطاولة . كان يجلس على الكرسي الكبير ويمد قدميه على كرسي خشبي على الطرف الثاني من السجادة . كانت النار الغازية تشتعل بدرجة منخفضة . وجلس سورم على الكرسي المقابل وسكب قليلا من البراندي في قدح . وقال :

— من الجميل ان اراك . متى دخلت ؟

— في الساعة الخامسة . حاولت ان اتصل بك حال عودتي ولكنك كنت غادرت .

— كان سورم خلال الايام الاربعة التي مرت منذ ان غادر نن ، قد نسي الكثير من الاشياء عن نن . نسي ان الصوت المهذب المفتعل كان يחדش اعصابه وان وجهه الذي تبدو عليه اثار الجدري كان يقرفه . كان نن الذي يجلس في مواجهة سورم تلك اللحظة يختلف تمام الاختلاف عن نن الذي كان سورم يفكر فيه في الباص . وقال سورم :

— كنت مع كارولين دينبيغ — ابنة اخ العمه جيرترود .

— من ؟ آه ، جيرترود . كارولين ! لا اظنني رأيتها منذ ان كنت صبيا . ولكنها في الثالثة عشرة من العمر ، اليس كذلك ؟

— كلا ، انها في السابعة عشرة .

— اوه . هل وقعت في طريق سورم ؟

- لست ادري .
- وقال نن ، متأوها :
- اعتقد ذلك - مثلها مثلنا جميعا . هل ستضطجع معها ؟
- ونظر اليه سورم بدقة : كان وجهه هادئا تشوبه السخرية .
- المسألة تعتمد ... قد أفعل .
- وبرزت السخرية بصورة واضحة .
- وهل يمتعك ذلك ؟
- فقال سورم :
- اثرت نقطة جيدة . قد لا استمتع . اوه ، ولكني قد اظفر بالاحساس المثير . ولكن ماذا ستؤول اليه الامور ... لا ادري ان كنت مستعدا لتحمل النتائج .
- وسكب نن المزيد من البراندي في قدجه .
- حسنا ، لنترك كارولين . لقد حصلت على الملابس ، كما ارى .
- اجل . هل بحثت عنها ؟
- نعم . اشكرك جدا . هل لقيت صعوبة في الحصول عليها ؟
- كلا ابدا . تعرفت على فانيت . وحاول اقناعي بان ابقى معه للفداء . ولكني لم ابق .
- ذلك متوقع منه . ان لهذا الشخص فضول باندورا .
- ثم امضيت ساعة في شقتك . اوه ، وقد جربت بعض انواع مشروباتك .
- حسنا فعلت . كان ينبغي علي ان اخبرك بان تمتع نفسك .
- والقيت نظرة على كتبك . قضيت ساعتين مثيرتين هناك .
- واحنى نن كتفيه ، ووتر ذراعيه ثم مدهما واخذ يتشاءب .
- اني اشعر بالامتنان لك يا جيرارد .
- وغطس نن في كرسيه كأنه تلقى ضربة على راسه ، وظلت عينباه تحديقان في سورم بهدوء تأملي وقال :
- اعتقد انك متشوق لمعرفة هذا الامر الفامض ؟
- فهز سورم كتفيه .
- ليس تماما .
- وهبط عليه احساس غريب ، كأنهما انجرفا في عملية ابطاء مفاجيء في الزمن ، كأنهما يستطيعان الجلوس والتحديث في وجه كل منهما ساعات او اياما دون ان تدفعهما الحاجة للاسراع . ولم يكن هذا الشعور من اثر

- الشراب كليا . وقال نن بصوت خافت :
- ـ انك لانسان كريم ، يا جيرارد .
- ـ كلا ابدا .
- ـ هل تعني انك غير مكترث بشقتي ؟ وعن النداءات التلفونية ؟
- وراح سورم يتأمل وقال :
- ـ لا . لا اعني ذلك، ولكنني متشوق الى معرفتك انت معرفة افضل .
- وابتسم نن له . وادرك سورم ان نن كان تعباً مكتئباً . كان الاجهاد يلوح في عينيه ، فلم تشارك بقية وجهه في الابتسامة .
- ـ ما الذي يشوقك الى معرفتي ؟
- ـ احب ... احب كوننا نعيش . يلوح ذلك قولاً مبتذلاً ، ولكنسه صحيح لا اتخلى قط عن التساؤل لماذا انا على قيد الحياة ، ولا انقطع عن القلق في احتمال وجود خطأ هناك ... ولكن مهما كانت الحياة ، فاني احبها . غير ان المشكلة هي اني اصاب بالملل . اني افرض في التفكير بالحياة ، واذا واتاني الحظ ، تعيد الي بعض الاشياء الاحساس بانني سعيد لانني اعيش : سنفونية لموتسارت ، قطعة سجن حارة في صمونة ، رائحة الاسيتون . انها تثير فضولي للحياة ، انها تعطيني معنى جديدا لكوني اعيش . واحيانا يخلق هذا الشعور كتاب ما . اما الاشخاص فلن يولدوا هذا الاحساس . اعتقد احيانا ان الناس اكثر الاشياء افتقارا الى اشارة الاهتمام في العالم كله . انهم يعكسون الاندحار الذي احمله معي اينما ذهبت . على كل ، فانك احد الناس القلائل الذين التقيت بهم ممن يشيرون اهتمامي . هنالك اشياء كثيرة احسها فيك تفلقني بعض الشيء - انك انسان غريب الاطوار ، انسان متعصب ، انسان شاذ .
- ولاحظ الدهشة المفاجئة التي استولت عليه حين نطق بكلمة «شاذ» . ولكنه لم يحفل بها . اذ كان على ثقة بما يعنيه . غير انه قلق للاجتهاد الذي كان يبدو على نن ، فقد كان يحس به طول الوقت . وفيما هو يتكلم رفع نن غطاء الزجاجاة واخذ يصب بعناية ما تبقى من البراندي في قديحهما . ولاحظ عيناه منطقتين وهو يدفع بالقدر نحو سورم . وقال :
- ـ لقد دعوتني متعصبا شاذاً . هل تعرف بالضبط طبيعة شلودزي؟
- واسرعت نبضات قلب سورم ، وثبت نظره في وجه اوستن ، ليخفي اضطرابه ، واحس بالحرارة تسري في رقبتة ووجنتيه :
- ـ كلا ، ولكن يمكنني الحدس .
- ـ لا داعي للحدس ، سأخبرك انا . انني سادي .

واحس سورم بقلبه يخفق بعنف وخشي ان يطفر من بين ضلوعه .
وقال وقد سيطر على نبرة صوته :
— كيف ؟ وافرغ ن ن قدحه وحدق فيه :
— انك تعرف ما هو السادي ؟
— اجل .
— فابتسم ن :
— اشك في انك تعرف . ماذا تعتقد ؟
— الشخص الذي ... يستمتع بالالم .
لقد ادرك سورم ان صوته سيرتعبش ان هو غامر بجملته اطول .
كانت اذناه تتوقدان حرارة .
— اجل ، يا جيرارد . ذلك هو السادي ، ولكن ليس هذا وحسب .
هذا مجرد تعريف قاموسي له ، انه لا يدخل في الحساب اشياء كثيرة
اخرى ، كالتوتر الذي يسبقه والخوف الذي يليه .
ولم يجتهد سورم للسيطرة على انفعاله الذي كاد ان يخنقه ، ولكنه
ارتضى وهو يجلس على كرسيه وراح يتصور صوت ن ينبعث من
غرامافون . وقال الصوت :
— ان الخوف لا يتوقف ابدا . انك تشعر كالسباط الذي سقطت عليه
قطعة من الفحم المتأجج — مجرد فجوة حيث يجب ان يكون القلب ، فجوة
محترقة الحواشي . ان الجنس يفترض فيه ان يكون الرغبة الطبيعية في
الجسد ، ولكن ماذا يحدث فيه عندما يكون تراكما لحالات من التوتر لا
سبيل الى ادراك كنهها ؟ وانك اذ تحس بها لا يمكنك تعريفها ، وعندما
تنتهي ، تشعر بالخلو ، ولكنك لم تزل غير قادر على تعريفها .
وما لبث سورم ان احس بتحسن ، وقال :
— ارجو ان تغفر لي جهلي ، ولكن ما الذي يمنعك من ارضاء حاجاتك ؟
لا بد وان هناك اناسا ... على كل ، يفعلون ذلك على سبيل المهنة .
— انك لا تفهم يا جيرارد . هنالك اناس كهؤلاء ، هذا صحيح
ولكن ... لا يستطيع التوضيح . اترى ما اعنيه ؟ اذا احسست بالرغبة
الجنسية فانك موقن نوعا ما بانك ستجد المرأة التي تريد ان تأخذ ما يمكنك
ان تمنحه ، بيد ان الحالة في السادية هي ... انها تريد ان تأخذ ما لا
يريد ان يمنحه الاخر . وان اراد ان يمنحه ، فليس الشيء نفسه .
وقال سورم ليناقض قول ن :
— ولكنني افهم تماما . اني كثيرا ما احس بالشيء نفسه . فليس

هنالك ما يمزق نفسي اكثر من امرأة تريد مني مغازلتها ، وحسنى لو
تضورت من الجوع الجنسي لستة اشهر لقتلني الفئان اذا دلفت الى
نفس الفراش الذي تضطجع فيه امرأة مغرمة بالجنس . واذا لبثت ستة
شهور في محاولة لاغواء فتاة ، واذا سمعتها وهي تئن قائلة : « خلدني ،
بالله عليك » بنصف دقيقة قبل ان اتها لاخلدها ، لفقدت رغبتى فيها
على الفور . فان اكون قادرا على مغازلتها . ليس هذا الشعور الشيء نفسه ؟
- ليس تماما . انك تريد شريكة سلبية جدا ، ان من المحتمل ان
هناك ملايين الفتيات اللواتي يرغبن ان يكن سابيات .

فقال سورم مكشرا عن ضحكة :

- اتمنى ان اجدهن .

وطافت في ذهنه وهو يتفوه بهذه العبارة المس كوينسي وكارولين
رغامره احساس باللذة وقد مرت بخاطره ذكرى تلك الاسمية .

ولم يتسمنن ، بل قال بصبر :

- مهما يكن من امر ، فهن موجودات .

وقاطعه سورم :

- انظر يا اوستن ، الست تبالغ في الامر ؟ يمكن لكل انسان ان
يعيش ب... حاجاته ... على كل حال ، دون ان يعذب نفسه . لقد
تعرفت ببعض ممن ينزعون الى الجنس المشابه ، وكانوا يجعلون من امرهم
ماساة وقضوا وقتهم بأكمله يتحدثون عن الاضطهاد والخيبة . وقد عرفت
ايضا بعض الشواذ منهم ، وقد صنعوا من مشكلتهم امرا عظيما وكانوا
يستمتعون بكونهم من الشواذ . الا يحدث الشيء نفسه بالنسبة لك ؟ ان
الامر ليس الاستسلام الى سلوكك الشاذ فحسب ؟

- ليست هذه هي المشكلة . المشكلة هي ان تجعل المجتمع يقصر
هذا الامر .

ومد ن يده الى زجاجة ، فوجدها فارغة ، فترك يده تسقط ، كأنها
متعبة . وقال بلهجة غير مألوفة بصورة واضحة :

- هل قرأت مؤلفات دي ساد ، يا جيرارد ؟

- كلا ، بعض النصوص المبثورة فقط ، على كل حال .

- كان دي ساد محقا فيما قاله عن الساديين . لا يجد السادي تعبيرا
تاما لنفسه الا ان يكون طاغية شرقيا . هل تفهم ؟ فليس هناك منح واخذ ،
وانما الاخذ فقط .

- شيء سيء جدا بالنسبة لضحيته ، على ما اعتقد .

- اجل ، ولكن على المرء ان يكون قاسي القلب في هذا الامر .
 - الست قاسي القلب ؟
 - لست قاسيا عادة .
 فقال سورم مبتسما :
 - فاستخدم اذن فشلك هذا في الخلق . ذلك هو العلاج الكلاسيكي .
 فاعتدل نن على كرسيه وقال فجأة :
 - اسمع ، هيا نذهب لنبحث عن المزيد من الشراب .
 - هل ترغب في المزيد فعلا ؟
 فقال نن بصوت فاتر :
 - لن اتمكن من النوم هذه الليلة ان لم اشرب . اريد ان اتحدث اليك .
 - حسنا ، اين تريد ان تذهب ؟
 - يمكننا الذهاب الى شقتي او الى ناد اعرفه .
 فهز سورم كتفيه ونهض . ولم يعد يشعر بالنعاس .
 - طيب . ايهما تفضل .
 ووضع نن يده على كتف سورم وهما يجتازان الغرفة الى الباب . وقال :
 - انك تحتملني جيدا ، يا جيرارد .
 - كلا ابدا .
 كانت الريح باردة منعشة وهي تعبث بوجهه وهو في سيارة «الجاكوار»
 المفتوحة . كان الشارع هادئا ، ولم يشاهدا احدا على طول شارع (الباني
 ستريت) . واخذ يفتش عن الصلة بينه وبين فكرة القسوة . وكان ممن
 العسير ان يجد مثل هذه الصلة فقد لاح وجهه في نور مصابيح الشارع
 شاحبا مضنى ، لا يتصف بالشهوانية بصورة خاصة .
 ولم يلتقيا باحد في الممر المؤدي الى الشقق . وكانت الغرفة التي عليها
 العنوان « البواب » خالية . وارسل سورم نظره صوب الكرسي الذي كان
 قد اقتعده صباح ذلك اليوم ، وكان من الصعب عليه ان يدرك ان ذلك كان
 قبل اقل من خمس عشرة ساعة . كان يلوح له كأن اياما عديدة مضت منذ
 ان رأى ذلك الرجل العجوز ذا الشارب الابيض والفتاة التي كانت ترمدي
 الفراء وهما يخرجان من المصعد .
 - هل انت تعب ، يا جيرارد ؟
 والفي نفسه يتشاءب .
 - كلا . كلا مطلقا .
 وتوقف المصعد عند الطابق الثالث . كان البلاط الابيض المرمري الذي

يغطي ارض الرواق وجدرانه يكسب الرواق مظهر المستشفى . وكان نن
يسبق سورم وهو يعبث بحزمة مفاتيح . وتوقف عند باب داكن مؤطر وادخل
المفتاح . ووجد سورم نفسه يفضل الشقة التي تقع تحت الارض في كائنغ
بليس ، حيث كان الجو فيها اقل برودة .
- بعدك يا جيرارد .

وانارت المكان مصابيح نهارية وكشفت عن غرفة واسعة وثيرة الاثاث
تبدد الاحساس بالكآبة . وكان اثاثها يجتمع بين لونين : الخشبي الفاتح
والازرق السماوي . كان سقفها والبساط المفروش على ارضها من لون واحد
هو الازرق السماوي وكان اثنان من الجدران من اللون الاسمر الفاتح . اما
الجداران الاخران ، فكانت تغطيهما رفوف الكتب التي كان لها نفس اللون ،
وكان الاثاث اكثره من الجلد الازرق . وكان الجزء من الجدار الذي يعلو
الموقد مغطى بلوحة كبيرة لمايكلانجلو هي « الله يخلق آدم » وقال سورم :
- يا الهي ! ما افخم المكان ! انك لسعيد حقاً !

- انه ليس لي . انه لوالدتي ، ولكنها لا تسكن فيه ابدا . هلا جلست .
واجتاز نن الغرفة في الحال الى دولاب المشروبات وفتحته . وقال :
- ماذا تشرب ؟ نفس الشيء مرة اخرى ، ام تفضل شيئاً من النبيذ ؟
وفيما هو يتكلم صب من البراندي في قدح ثم ابتلع نن جرعة كبيرة .
وقال سورم :

- بل افضل النبيذ ، اذا كان لديك شيء منه .
كان يجيل بصره في خزانة الكتب القريبة من الباب . كان يبدو انها
لا تحتوي على غير الكتب الفلسفية . كانت هنالك طبعة لمؤلفات شليفلر
بعشرة اجزاء ، ومجلدات لكنت وفيخته وشيلنغ باللغة الالمانية . وكان الرف
الذي يعلو هذه الكتب يحتوي على صف من الكتب المجلدة التي تحمل كلها
نفس العنوان : كريل . وتناول سورم الجزء الاول منها ، فوجده يبحث في
الرياضيات . واقبل نن من المطبخ وهو يحمل زجاجة من نبيذ الراين .

- اخشى الا يكون بارداً . فالثلاجة مغطاة ،
- هل هذه الكتب جميعها لك ؟

- اجل . ورثتها عن عمي . اشياء ساحرة .

وناول سورم قدح شراب كبيراً مليئاً بالنبيذ الذي يلوح بلون التبن .
 ووضع الزجاجة على الطاولة قرب الاريكة ، وهو يقول :
- هيا اشرب .

وصب المزيد من البراندي في قدحه وتكوم على احد الكراسي ، وهو

يبدو كدمية محشوة بنشارة الخشب ، لا حياة فيها .
- اجلس ، يا جيرارد . ساريك كتبني في المرة القادمة عندما تزورني .
وجلس سورم على الأريكة واخذ يرشف الشراب . ولكي يتجنب
ضرورة فتح موضوع للكلام تناول رشفة أخرى من قدحه .
وقال نن :

- جيرارد ، افرض اني رحلت الى امريكا الجنوبية او اي مكان آخر
فهل ترافقني ؟
فنظر اليه سورم وقال بحذر :
- هل انت جاد ؟
- تماما . اود الذهاب الى بلد اخر - الى مكان اخر استطيع ان ابدأ
الحياة فيه من جديد .
- لماذا ؟

- لانني ... لانني متعب .
- ينبغي الا تكثر من التجوال . لم لا تحاول ان تستأجر غرفة في القطاع
الشرقي - وايتشابيل ، مثلا - ولا تخبر احدا بمحل اقامتك ؟
وبدا شيء في ابتسامة نن مما احدث توترا في نفسه . وقال نن :
- وايتشابيل ؟
- اوه . كلا ، لقد نسيت امر جرائم القتل هناك .
واخذ نن يحدق في وجهه مدة استغرقت ثلاثين ثانية كأنه يحاول ان
يذكره بسؤال ما . وقال اخيرا :
- بالضبط .

ومضى سورم يتساءل في نفسه ما مقدار ما يستطيع ان يشربه نن من
البراندي دون ان يفقد قابليته على الكلام المتزن . فلم تبد على نن حتى ذلك
الوقت علامات السكر رغم ان حركاته وكلماته كانت قد اصبحت بطيئة بليدة
كمن اضناه اجهاد هائل . اما سورم فلم يشعر الا بقليل من تأثير الشراب ،
ولم تكن له الرغبة في اتمام قدحه ، كان طعم الشراب على لسانه كعصير
الليمون والماء . وقال نن :

- اريد الهرب في الحال ، بعيدا عن المدن . انها تقرفني ...
ولم يقل سورم شيئا . لم يستطع ان يفكر بحجة لا تدحضها ولا
تفندھا الحقائق . وقال في نفسه : انها مشكلته .
- اخبرني يا جيرارد ، الم تشعر يوما بأنك لا تهدف الى شيء ؟ كأنك
لا تقدر ان تختار طريقا تعمل فيه لانك لا تعدو ان تكون طفاوة ؟

— نعم . ولكن ليس لمدة طويلة مع هذا .

فقال نن ، كأنه لم ينتبه لجواب سورم :

— انا اشعر بذلك . اتعلم ، عندما كنت في اوكسفورد كان لي صديق يدعى نيكول باركر . صبي رائع . اذكى انسان صادفته في حياتي . لاعب ممتاز للكريكيت ، ومتخصص في الدراسات الكلاسيكية ، وعالم في الرياضيات . كان احسن من يلم بجميع الالعاب الرياضية ، في كلية بيلول ، ولكنه لم يكن من هؤلاء اللاعبين الفارغة ادمغتهم . وقد حصل على جائزة في الشعر الاغريقي . وكنت اقسام بان حياة بدیعة تنتظره — يلوح كمن خلق ليصنع شيئا عظيما . ولكن الغبي سقط من فرسه يوما ، ودق عنقه . لم يمض ، ولكنه نصف مشلول الان . شيء مضحك . يجعلك تشعر ان الاشياء لا تسير على ما يرام .

فقال سورم :

— هل تعلم ما هي مشكلتك يا اوستن ؟ انك تحس اكثر مما ينبغي بانعدام قيمتك .

واوقف نن قدح البراندي الذي كان يهم باحتسائه ، واخذ يحلق في سورم والدهشة في اساريه :

— لقد اصبت كبد الحقيقة . الشعور بلا قيمتي . بالضبط . اتعلم كان عندنا في بيلول قس يتحدث عن ذلك ... يقول لنا ان الاناس الذين لا يخدمون الله لن يجدوا طريقهم في الحياة .

وافرغ قدحه ، وبدا كأنه سرح في التأمل . وقال اخيرا :

— انك محق فيما قلته من اللاقيمة . واذا كان هناك على الارض نفل لا قيمة له فهو انا . كنت شكسا مريض الاعصاب خلال طفولتي ، وقد زججت نفسي في كثير من المتاعب طوال ايام صباي . كنت دائما احطم سيارتي او اقتحم بها جدار حديقة احدهم . ولا بد ان يتبادر الى ذهنك انه اذا كانت هناك اية عدالة على الارض فيجب ان اقتل انا لا ان يصاب انسان مثل نيكول . شعر سورم بالحراجة تجاه اتهامات نن لنفسه . فلم يكن في موقف يمكن به ان يردا عنه . وقال بتردد :

— على كل حال ، لك القابلية على الخلق ، فانك تؤلف الكتب .

فقال نن ساخرا :

— الكتب ! لا قيمة لكتبي حسب اي مقياس فني ، واني اعلم ذلك ، كما تعلمه انت .

— وماذا يهم ؟ انا لا اقول انها عديمة القيمة ، ولكن لنفرض انها كذلك ،

- فماذا يهم ؟ انت لم تزل حرا ، يمكنك ان تؤلف الكتب الجيدة .
 - هل استطيع ذلك ؟
 - لم لا ؟ كثير من الكتاب بدأوا من هذا الشعور باللاقيمة .. بودلير
 ودوستوفسكي ...
 فقال نن بصوت خافت :
 - بودلير . كل شيء في العالم يفوح بالجريمة ...
 وعندما حلق سورم فيه والحيرة في عينيه ، قال فجأة :
 - لا تكثر لكلماتي . انني متعب قليلا وئمل .
 وايدت عيناه قوله وقد استقر نظره على سورم : كانت عيناه خاويتين
 لا حياة فيهما . كان يبدو عليه انه يجهد ارادته ، فلاحته فيهما مسحة من البشر .
 - واثق على ما يرام ، الست كذلك يا جيرارد ؟ انك متزن ، عاقل ، سوي ؟
 وارتاب سورم في ان نن يخفي نكتة بين كلماته . فقال في حذر :
 - كلا ، انا لست متزنا . انني مجرد شخص راكد .
 - اوه ، كفى ! لنترك هذا الكلام !
 فقال سورم ، وهو يكشر عن ابتسامة :
 - راكد ، كتيب ، جائع جنسيا .
 - ينبغي الا تكون جائعا جنسيا ، على كل حال . انا واثق ان كارولين
 ستشعر بالامتنان ، او تلك الفتاة المكنزة التي فتحت الباب لي .
 ولاحظ سورم حدة صوته .
 - بالطبع . ولكنني قد لا اجد متعة في ذلك . اتعلم ، كان لدينا تعبير
 عن ذلك عندما كنت اخدم في القوة الجوية الملكية ، كنا ندعو العمل الجنسي :
 « نبلر حبوب الشوفان » ، فهذا التعبير يمثل الموقف تماما - العمل الجنسي
 المباشر - اللغدفة ثم ايلاج العضو .
 ليس هذا ما يدعى بالجنس . الجنس هو شيء معاكس لكل ذلك . انه
 معاكس لهذا الشعور باللاقيمة واللاجدوى . انه شعور طاغ بالقوة والامان .
 انه الاختفاء التام للشعور بانك شيء عادي . انه ايمان غامض بانه لا شيء يهم ،
 بان كل شيء هو جميل .
 فقال نن باهتمام :
 - هل يعني كل ذلك بالنسبة لك حقا ؟
 - احسانا .
 - انك سعيد الحظ اذن .
 - ربما . ربما لست الوحيد المحظوظ . كل انسان يمكنه ان يكون

محظوظا لو عرف ذلك .

— بضمنهم الساديون ومختلو الاعصاب الذين لا يرجى منهم شيء .
— نعم . اتعلم ، تقول انك تشعر غالبا بان لا قيمة لك . وهذا ما اشعر به انا احيانا . ولكني اعلم بانني لست كذلك في الاساس . عندما كنت صغيرا ، كان والداي يقولان دائما انني ولدت سعيد الحظ . وما يضحك في الامر هو انني شعرت دائما بانني محظوظ ، في الاساس . . .

— اذن فقد كنت سعيد الحظ فعلا ، يا جيرارد . اما انا فلم اكن . لقد مررت بطفولة مقبته . كان والدي يضايقني ، وكانت والدتي تهيمن علي كالدجاجة التي تجثم على بيضها . لقد خنقتني بكل معنى الكلمة . كانت مشاعري الكبرى في الطفولة هي الخجل والتستر . هذا ما كانت عليه طفولتي فما رايك في ذلك ؟

— افهم ذلك . كنت كثيرا ما امر بمشاعرك هذه . كل الاطفال يفعلون ذلك ، الا اذا كنت تقضي جل اوقاتك في احلام اليقظة . انه مجرد الشعور بالانعدام التام للهدف لدى الطفل . انك لا تبدأ بامتلاك ذاتك الا عندما تكون في سن المراهقة . وهذا الاحساس بالغاية ، الذي يستحوذ عليك ، هو اعظم ما يمكن ان يقع للانسان .
فقال نـ :

— على شرط الا تكون متمرغا الى اذنك في لجة من الانفعالات .
— اتق بها بعيدا . اخنقها . لقد فعلت ذلك انا . وعلى كل حال ، فهناك لحظات تهبط عليك تكون لديك بصيرة تنفذ بها الى اعماق نفسك ، فتعوض بذلك عن كل شيء .
— هذا ما يحدث لك انت ، ربما .

— اجل . اتعلم ان المصريين جميعهم كانوا يعتقدون انهم انحدروا من الالهة ؟ هذا هو الشعور الذي اقصده . لان المصريين كانوا يعتقدون ان الانسان هو ضرب من ضروب الالهة — اله في المنفى . اما بالنسبة للكنيسة المسيحية فالانسان روح خالدة ، متوازنة بين الجنة والنار . وفي العصر الحاضر ، الانسان هو مجرد عضو اجتماعي له واجبات تجاه الآخرين . ان قيمة البشر تتناقض باطراد . هذه وظيفتنا انا وانت يا اوستن — نحن الكتاب والشعراء . يمكننا ان نحارب هذا التضخم . وظيفتنا هي ان نرفع من كرامة الانسان ، ان نعود بها الى القيمة التي وضعها المصريون .

واخذ يشعر بالسعادة والحماس وهو يتكلم ، وبالامتنان لنـ لانه اطلق في نفسه هذا الشعور بالثقة . كان نـ يصغي والاهتمام باد في محياه ، ولكن

الاستجابة لم تكن تبدو في وجهه . وتخيله سورم وهو ينظر اليه كأن هناك حرقا في داخله ، كغفرة يحدثها حرق في البساط . انه يشبه ذلك بالضبط . لقد احترق شيء داخل نن . لقد حرق الائم والاجهاد قابليته على الاستجابة . ومهما سيتكلم سورم فلن يستطيع ان يلقي الاستجابة ، ليس هناك ما يستجيب له نن . فتوقف سورم عن الكلام واخذ يحدق فيه وهو يحس بلا جدوى المزيد من الكلام . وقال اخيرا :

— اتعلم يا اوستن، اود لو تستطيع ان تخبرني ماذا يقلقك الى هذا الحد؟
— لا شيء . لا شيء، لا تعرف عنه شيئا .

— لا افهم ما تعنيه . ما فائدة تعذيب الضمير ؟ ان كنت فعلت شيئا فلا تبدد وقتك في الندم . وان كنت لا تستطيع ان تتحمل فعلتك فانسها ، اطردها من ذهنك . وابدأ بداية جديدة .

واعتدل نن في جلسته على الكرسي . وادرك سورم ما كلفه ذلك من الجهد . وابتسم لسورم ابتسامة تعبي .

— اسمع يا جيرارد . لننس الامر . لا يمكنني ان اشرح لك . ولكني سأشرحه لك يوما ما . لا يذهبن بذهنك ان الامر سر غامض . ولكن ارجو الا نتحدث عنه الان .

وقال سورم :

— اوستن ، سأتركك الان . تبدو شديد التعب .

— اجل ، سأتناول جرعة منومة قوية . هل يضيرك الا اوصلك الى

البيت بسيارتي .

— لا بالطبع .

— سأطلب تاكسي لك .

— كلا !

— نعم ، وباصرار .

— لا تكن احمق . اني استمتع بالمشي .

وعندما عاد من المرحاض بعد دقائق قليلة ، كان نن يضع سماعة التليفون في مكانها وقال : سيصل التاكسي بعد دقائق قليلة . سيكون على حسابي ، فلا تدفع له شيئا .

وثائب ، وتمطى نم نظر الى نفسه في المرآة وهو يقول :

— شعر نسائي واسنان الليث . اشبه احد الوحوش في لوحة «الوحي» .

لم خلقت بهذا القبح ؟

وجلس سورم والتقط قدح الشراب .

— انك معتوه حقا يا اوستن .
 فمد نـن يده ولمس شعر سورم قليلا . وقال :
 — عزيزي جيرارد .
 والتقط سماعة التلفون ثانية واخذ يصغي بضـع لحظات . ثم قال :
 — هلو ، البواب الليلي يتكلم ؟ المستر غريغوري ؟ اه ، المستر نـنن
 يتكلم . هل تظن انه يمكنك ان تضع سيارتي في الكراج ؟ هي في الخارج الان ؟
 كلا ، سارسل المفتاح مع صديق لي بعد دقائق قليلة . اشكرك . طاب مساؤك .
 وقال سورم .
 — وبالمـناسبة يا اوستن . هل يمكنك ان تحدثني عن اولفر غلاسب ؟
 فاشعل سيكارة وقال :
 — ماذا تريد ان تعرف ؟
 — من هو ؟ يبدو انسانا موهوبا .
 — هل اطلعت على اعماله ؟
 — اللوحات التي في شقتك فقط .
 — قد تميل اليه . ولكنه اكبر مخاصم في لندن . انه قليل الصبر .
 — هل له ... بعض الصفات الخاصة ؟
 — انه ليس شاذا جنسيا ، اذا كان هذا ما تعنيه . لم احقق يوما عن
 حياته الجنسية . كان قد دخل مستشفيات الامراض العقلية — يميل الى
 الى الانطلاق والثورة ويلقي بالاشياء . وهو دائم التفكير في الالم . كانت
 كلمة « الالم » الكلمة المفضلة لديه — على الاقل ، عندما تعرفت به . ثم
 نخاصمنا . لم استطع احتمال سرعة انفعاله . كان يحاول في ذلك الوقت ان
 يعيش حياة متقشفة — ينام على حديد السرير الخ .
 ورن جرس التلفون . فقال نـن :
 — جاء التاكسي .

* * *

ولما عاد الى غرفته التقط قنينة البراندي والاقداح وصعد بها الى
 المطبخ . كان المطبخ يتضوع برائحة الفواكه العبقة ، لقد كان على المنضدة وعاء
 يحتوي على التفاح .
 واحس بتعب جسمي ، وبانفعال غريب مع ذلك ، فقد اوحى له الحديث
 مع نـن بالرغبة في التغيير . وطفق يفكر ، بثقة تامة مفاجئة : لقد اضـعت
 سنوات خمساً ، وانا مقبور في الغرفة . لقد كان العالم مفعما بالحياة . اما
 انا ، فلم افعل شيئا .

مسكين انت يا اوستن ! انت وميولك السادية ، شارد الدهن ، شهواني ، لا يشغلك الا الاشخاص والامكنة . اني اكثر حرية منه ، ومع هذا فقد سلكت خلال الاعوام الخمسة كأنني سجين . لماذا ؟

وفتح نافذة المطبخ واطل منها ، كان هواء الليل نقيا . واحس بالانتعاش بالحياة ، والثلاثة ملايين الذين يقطنون في لندن ، والروائح التي تستقبله في بالحياة ، والثلاثة ملايين الذين يقطنون في لندن ، والروائح التي تستقبله في غرف البيوت العليا وفي الاسواق .

وسمع وهو في موقفه ذاك بابا يفلق . فاستدار وراح يسترق السمع . كانت غرفة الرجل الفرنسي . ربما سيجيء كاليه الى المطبخ . ولم يستسخ فكرة التحدث فهبط السلم بهدوء ودلف الى غرفته .

وبدلا من ان يفتح الضياء اجتاز غرفته وفتح النافذة وتسلق سلسم الحريق . وجلس هناك واخذ يحرق في الظلام الذي كان يبده نور خافت صادر من المصابيح ومن أضواء النيون على دار السينما . ولمع ضياء فسوق راسه ، كان في المطبخ . فرفع نظره ورأى طيف كاليه يمر على الزجاج . فغبط نفسه على فراسته ، ولكن الضياء ازعجه فقد جعله يشعر كأنه يتجنب كاليه . وبعد لحظة من التفكير ارتقى سلم الحريق الى الشرفة التي تقع امام غرفة الرجل المعجوز . كان ذلك في اعلى سلم الحريق ، فمن تلك النقطة كان هناك سلم حديدي يكمل المسافة الى السطح . واخذ سورم يهز السلم ليتأكد من قوته قبل ان يمسك بالقضبان ويتسلقه . وكان السلم ينحني فوق سور سطح البناية مؤديا الى السطح .

كان السور يرتفع قدما واحدا وكان يحيط بجانبين فقط من سطح العمارة ، الشمالي والشرقي . إما في الجانب الغربي ، فكان يفصل ميزاب بين البلاطات في الطوابق الخمسة من السطح الى الأرض الخربة التي تقع بين البيت والكنيسة . كان النسيم باردا ، فمشى الى فوق زاوية السطح ليحفظ نفسه منه ، وجلس على البلاطات بحذر وقدماء تستندان الى السور . ونظر صوب كامدن تاون ، كانت أضواء مصنع البلاستيك الذي يعمل طوال الليل تنير السماء . وكان ما يزال يحس بالانتشاء ، ولكنه تحلل الى شعور بالهدوء والقوة . وعندما تنهى اليه صوت سيارة لوري ضخمة تمر في شارع كنتش تاون رود اخذ سورم يسبق اللوري بلهذه خلال منطقتي وينستون وبارنيت ، نحو الشمال . كان يسيطر على افكاره بوضوح وتدير . كانت المشاعر التي تسوقها تلوح كأنها تجري ثابتة اكيدة . كانت تجري نحو مظهر من مظاهر الامتنان ، الخشوع والتأكيد كانت تبدو كأنها كاتدرائية ، اكبر كاتدرائية عرفها ،

رمز المجهول . واخذ يفكر : لقد استغرق ذلك خمس سنوات ، رؤيا تجمع المعرفة كلها ، وتتضمن الانجازات البشرية في الخيال والشجاعة . ليست رؤيا المتصوفين ، بل رؤيا الفلاسفة ، المتحررين من التفاهة والعجلة . انا الاله الذي يسكن العين ، ولقد اتيت لامنح الحق والحقيقة الى (رع) ولكن كسم مرة ؟ ست مرات خلال خمسة اموام . والان يستثيرني انسان سادي شاذ جنسيا وفتاة متدللة . لقد نجح نن حيث فشل افلوطين .

واخذ يضحك ، وظهره يهتز على البلاطات،وقدماه على الحاجز . وادرك انه يحس يبرد شديد . وود لو جلب معه معطفه .

لا يمكنني ان اكون من اليوغا . لا املك الصبر الكافي . او انني احتاج الى مناخ اكثر دفئا . الحياة المركزة . دير في جبال هملايا . وراح رجل عجوز يحرق في الفجر ، وقد حفرت قوة ارادته خطوطا في وجهه ، غير آبه للوادي الذي يهبط خمسة الاف قدم ، اشعياء ، او مايكلانجلو ، ويمسك بقبضته المشددة ارادة العالم ، الى ما وراء الماساة . خط من الضياء لا يكاد يتميز بحاذي الافق الشرقي .

— انغير . انغير . الى ماذا ؟

وطافت في خاطره صورة كارولين ، واحس بشيء من النفور لبرهنة وجيزة . هذا الشيء اللامرئي ، تلك المغامرة الخيالية — هذه الاشياء بالذات ما لم تكن تمثلها كارولين . مثلها مثل كي ، الفتاة التي تعرف عليها فسي مدرسة (سليد) للفن ، انها تسيء الى المثالية . ذلك الجسد الدافئ المعتلىء ضراوة ، والرغبة في ان تفتصب . كان شبقها الحيواني يبدد التوتر ، كالسلك الارضي الذي يقود الشحنة الكهربائية لبيدها في الارض .

ان انغير . ولكن ليس تغيرا جسيما ، بل التركيز المستديم في الخيال الذي لا يحتاج الى رمز الكاندراية لابقائه واستعادته . ايزويل غودي ، زوجة الفلاح ذات الثدي الكبير ، تنزى عرقا وتتلوى ازاء الظلام المجرد الذي يداخلها،والافرازات الدافئة التي تنساب لتعين شرا لا شكل له على الدخول .

للهروب من بلادة الحياة في مزرعة اسكتلاندية في وضح النهار ، مصيدة الزمن ، رمز اللامرئي . اللامرئي هو كل ما لا يمكنك رؤيته في تلك اللحظة .

الى ان يتمطى الوعي ليضم بين جوانحه كل المكان والتاريخ . اوزيريس يطلق غمامة عاصفة في جسد السماء ، فيتحرر هو ، وحوروس يزدداد قوة يوما بعد يوم . لم مصيدة الزمن هذه ؟ لم هذا السياج ؟ قيود غير مرئية ، قيود غير موجودة . البشر يحبون الخيول معصوبة العيون .

لقد نفل البرد خلال سترته وسرواله ، فأحس بالعري . فآخذ يمسد

ويمط -باطرافه ، ونفخ في كفيه المورتين . وجعلت برودة حديد السلم الخدر يسري في اصابعه ثم اخفض نفسه من فوق سياج السطح، واخذ يبحث بقدميه عن درجات السلم . واخذ يحس بالخوف ، وهو ينزل ، من الخدر في اصابعه ، وهو يعلم ان عليه ان يقفز الى الحافة الكونكريتية . وشعر بالارتياح عندما لمست قدماه الحافة الحديدية .

وعندما فتح الضياء الفى يديه وقد اسودتا من التراب ، وكانت على خديه لطفة من الخام ، حيث لمسه بيده . وذهب الى المطبخ ووجد اناء الماء مملوءا الى نصفه بالماء الساخن .

وبعد ان اغتسل ، وقت ساعته لتوقظه في الثامنة . كانت الساعة انذاك تشير الى الثالثة والنصف صباحا . وسيطر عليه النوم حالما اغمض عينيه .

الفصل السابع

كان المغيّب شاحبا في شهر كانون الاول هذا ، وقد جعله يتصبّب عرقا وهو يقود دراجته في شارع ليدنهول ستريت . كان الشارع يعج بالسيارات ، وكان يعلم انه اذا سار بدراجته بين صف السيارات الواقفة من شدة الزحام وبين الرصيف يطير صواب سواق السيارات ، وقد لد له ان يطير صوابهم . فكان يشعر وهو يقود دراجته بان كل واحد من هؤلاء السواق عدو لدود لشخصه .

لقد اورثه نشاطه الذهني في الليلة الماضية شعورا بالتجدد فلم يزعمجه ازدحام المرور . وعندما نزلت امرأة ما من الرصيف وصارت امامه فاضطرته الى الوقوف فجأة ، ابتسم لها فقط وهز راسه عتابا . وخمن انها اجنبية لانها كانت تلتفت عند العبور يسرة بدلا من يمنة .

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف قليلا عندما توقف عند شارع الدفيت هاي ستريت . واسند دراجته الى جدار مطعم ليونس كورنر هاوس واقفل عجلتها الخلفية . كان المطعم الذي يخدم فيه الزبون نفسه خاويا من الرواد تقريبا . وطلب قدحا من الشاي وقطعتين من الخبز المحمص وجلس الى طاولة قريبة من النافذة . وكانت هناك امرأة في متوسط العمر ترتدي رداء ورديا تجمع الاكواب الملوثة من الموائد . ورد على ابتسامتها وشعر وهو يفعل ذلك كأنه يتوقع شيئا ، كالنقاهة من مرض . المطعم كله يعج بروائح طعامه ، والعامل الذي يجلس مقابلا له يقرأ الجريدة ، والمرور المزدحم في الشارع خارجا - كلها مست اوتار الحنين والذكريات في نفسه . شعر كأنه استيقظ من نوم طويل . واخرج دفتره ذا الغلاف الجلدي وانبرى يكتب: «واتشابل» الاول من كانون الاول . اني اقوم بدور فاوست معاصر . سجين في غرفتي ، افكر اكثر مما ينبغي . ودخل اوستن مفيستوفيليس ،

وهو يبرم نهايتي شاربيه . . . ولكن من هي غريتشن ؟ »
فانقطع عن الكتابة ، وهو يفكر ان كارولين او جرتروود قد تريان الدفتر .
كان على وشك ان يطنب في شرح السؤال ، ولكنه بدلا من ذلك كتب : « اوستن ،
مثل مفيستوفيليس ، يبيعني الحب او الحياة . اما موقفي من الصفقة فلم
يزل غامضا . »

وعلى الجانب المقابل من الشارع بدا صندوق موسيقى بالعزف . كان
صوته معدنيا ، كل نغمة فيه تدندن كعلبة من القصدير الصديء لمقاة من
ارتفاع . واثارت في نفسه ذكريات تشبه ما اثاره احساسه باللون والرائحة .
وافلنت هذه الذكريات من ذهنه فترة وجيزة ثم عادت : مكتب في المدينة ،
رائحة دفاتر الحسابات ، ورائحة التبغ الفرنسي الذي كان يستعمله ذلك
الموظف الاسكوتلاندي الخاصم الذي كان يقطن في ساوثيند .

كان اخر مرة سمع بها هذا اللحن « قلبي يتفتح لصوتك » هو في امسية
يوم من ايام الخميس منذ خمس سنوات ، عندما ترك العمل في الدائرة دون
ان يعطي انذارا بذلك ، وقد طوى بعناية تامة رسالة محاميه ووضعها في محفظة .
ثم خرج الى زحمة المرور ونور الشمس في منطقة بيشوب غيت ، ولم تزل
تسيطر عليه نشوة الانطلاق من القيود .

وادهشه ان يستعيد تلك الذكرى بكل دقائقها والاحاسيس التي اثارها ،
حتى لقد اعادت اليه الاحساس برائحة دخان السيارات في تلك الامسية
الحارة ، والرطوبة في مدخل الدائرة حيث كان يضع دراجته . وخطر له لبعض
الوقت ان يتمشى الى هاوس ديتش ليلقي نظرة الى بناية دائرته ثانية ، ولكنه
ابعد الفكرة اذ تذكر ما تراكم في نفسه من الضجر والاحتقار الذاتي وقد قضى
اكثر من سنة هناك .

وتلاشى على الفور شعوره بالرضا والاستقرار . لقد تذكر ذلك الكاتب
الاسكوتلاندي بوجنتيه الورديتين وشاربه الاشقر الذي يشبه حزمة من
القش . واثارت الذكرى في نفسه الخجل والغضب . كان هذا الاسكوتلاندي
يضمهر كرها عنيفا للساميين ، وكان يسمي منطقتي همبستيد وكولسدوز
جرين مستعمرتين يهوديتين . وكانت مناقشاته مع سورم تنتهي دائما بان
يعلن كل منهما ازدرائه للآخر ، وتترك في نفسه شعورا بالتفاهة . كانت
هذه المناقشات وعلاقة عاطفية فاشلة مع فتاة في نفس المكتب كل ما علق
في ذهن سورم من ذكرياته عن العام الذي قضاه في تلك الدائرة . كان
اسم الفتاة مارلين ، كانت مكتنزة الجسم ، ليست ذات جاذبية متميزة ،
وكانت قد جاءت من مدينة ستين غرين . وكانت تميل الى ارتداء ملابس

تكاد تكون شفافة مع اقل ما يمكن من الملابس الداخلية تحتها . وكانت اذا انحنت على درج الملفات تتراعى خطوط لباسها الداخلي من خلال رداها ، وكان الكتبة الثلاثة يختلسون النظر حتى تعتدل ثانية . ودعاها اخيرا ان يخرج معها ليذهبا الى المسرح ثم ليشربا شيئا بعدئذ . وقد علم فيما بعد ، من نفس تلك الليلة ، وهما في حديقة فيكتوريا ، انه لم يكن يرغب في امتلاكها ، وان ما حسبه رغبة جنسية تجاهها لم تكن الا وهما اورثه اياه الضجر والتلميحات الجنسية التي تدور اثناء الحديث في الدائرة . وربما اعتقدت الفتاة انه بدافع من الشهامة عاد وانزل طرف تنورتها برفق بعد ان رفعته له . واحس بالفرح ، وبعد ثلاثة ايام ، عندما ترك الدائرة دون ان يراها ، ثم شعر بالاحتقار لنفسه لانه احس بالفرح . وولدت هذه الذكرى في نفسه شعورا بالقلق والخجل . فانهى قطعة الخبز المحمص ثم خرج .

ومضى على الرصيف وهو يدفع دراجته الى جنبه الى ان وصل الى شارع مدلسيكس ، ثم امتطى الدراجة وقادها على مهل صوب بيشوبس فيت . وصرف عن ذهنه تلك الذكريات وراح يتعمد التفكير في كارولين وجرتروود ، فسرعان ما تحسنت حالته النفسية . وعندما صار في شارع واينغيت جعل يحدق باهتمام في امرأة حبلى كانت تدفع عربة صغيرة مهيمة محملة بالفسيل واحس بانطلاق توتره الداخلي الذي يولده اللون والرائحة . وبتجدد في توقد عواطفه . واستدار نحو سوق سبيتالفيلد وترجل ، فقد كان من المستحيل السير بالدراجة بين الحشود المزدحمة بين سيارات اللوري الواقفة وبناية السوق . وراى على الفور رجلا يرتدي قميصا يقذف بشبكة مليئة بالملفوف من اعلى اللوري وكادت تصيب رأس سورم قيد شعرة . فكشر الرجل وصاح : خذ حذرك ! فكشر سورم بدوره ثم توقف لحظة يتفادى عربة موسوقة باكياس البطاطا . كان الدفء الذي يحس به في داخله ، كشعور بالسكر ، ولكن من دون القيود التي يفرضها السكر .

وفي زاوية شارع برشفيلد ، توقف ليلقي نظرة على خارطة لندن التي يحملها في حقيبة دراجته . كان خط المترو في شارع كومرشيال كالسيل المتدفق الذي لا ينقطع ، يملأ الهواء بالضجيج وبرائحة الدخان .

* * *

كان رصيف شارع داروارد يكاد لا يزيد على القدمين عرضا . وكانت السقوف واعتاب التوافذ وحافة الرصيف ، كلها تسير في خطوط متوازية

بالنسبة للناظر من احدى نهايتي الشارع . كان الشارع مقفرا .
وتوقف امام الباب الذي يحمل الرقم ١٢ وكان الدهان البني على الباب
الامامي قد تحول بمفعول الجو الى حراشف .
وظل في موقفه امام النافذة يأمل ان يسمع حركة في الداخل قد
تبدد تردده . . واذ هو بهم بطرق الباب ، تذكر تعليق ن عن غلاسب وما
حذره منه ذلك القسيس الهنغاري . واخذ يحاول ان يفكر في الكلمات
التي سيقدم بها نفسه . واخيرا ، نقر على الباب بقوة ، ولبت ينتظر .
وفتحت نافذة فوق راسه . فرجع الى الخلف لينظر ، وهو يأمل ان
يجد غلاسب . كانت نافذة البيت المجاور . وسألته امرأة :
— هل تبحث عن المسز غرينبرغ ام النزيل ؟
فقال سورم :

— رجل يدعى غلاسب .
واحس بالحرجة ، كان سرا مخجلا قد انكشف للشارع كله .
فقالت المرأة :
— النزيل اذن . لن يطول غيابه . انه يخرج في هذا الوقت عادة
لتناول الفطور . ولا اعلم الى اي مطعم يذهب .
— لا يهم ، سأعود فيما بعد .

وانغلق الباب ثانية بقوة . وجذبت انتباهه ستائر البيت المقابل كان
احدهم كان يراقبه . وعاد ممتطيا دراجته وهو يشعر بالفضب من نفسه
ومن تلك المرأة التي تسكن البيت المجاور لتدخلها فيما لا يعنيهها . فقد
جعله تصرفها يشعر كأنه متطفل .

وترجل عن دراجته في نهاية الشارع واسندها الى الجدار تحت
لافتة كتب عليها (ممنوع الدخول) . غير ان فكرة البحث عن غلاسب
في المطاعم المحلية لم ترق له . ونظر الى ساعته وقرر ان يتمشى في تلك
المنطقة . لقد مضى وقت طويل منذ ان تمشى في وايتشابل ، وهو يفكر
في جرائم ماك السفاك . والان وهو يحس بقبالية على تقبل الأشياء لذت
له فكرة الذهاب . فوضع القفل في الدراجة بعد ان لف السلسلة مرتين
حول العجلة .

وكان ينتصب مقابل نهاية شارع داروارد هيكل لبناية مسرح تحطمت
عوارضه واسودت جدرانه . فوقف هناك ، واخذ يجيل بصره فيه وهو
وهو يحس برغبة في تسلق الحاجز الخشبي الذي كان يحيط بالطابق
الاسفل ، وشق طريقه بين الالواح الارضية البالية ، ليشم رائحة الرطوبة

والعفن المنبعثة من اكوام الانتقاض . لقد كان ما يحسه يكاد يكون حاجة
جسمية . ولقد اذهله ذلك . كانت هنالك امور تجري في اعماقه من
العسير عليه ان يعيها ، كان اعصابه تفككت ثم عادت وارتبطت في نظام
آخر قولدت لديه شهوات جديدة واحاسيس جديدة . ثم استدار وسار
في شارع فالانس رود مبتعدا عن الشارع العام . وشق طريقه عبر
الارض التي كانت موضع وقوع القنبلة وهو يحذر الا يطأ اطواق البراميل
الصدئة . ورأى على الجانب الثاني من الشارع مبنى مدرسة يلوح مقفرا
مثل ذلك المسرح المهدم . وقد كتب على جدران المدرسة بحروف كبيرة :
النقابة ستخلص من الحمر . وعلى طرفي هذه العبارة دائرة في داخلها
رمز للصافقة . ثم عبر الشارع المحاذي للمدرسة الى قطعة اخرى من
الارض الخربة تحفها بيوت خاوية وبقايا جدران مهدمة ، وتوقف هناك لحظة
ليطل خلال فتحة لا شبك فيها لاحدى البنايات المتفطرة . كانت الارضية
مغطاة بالركام والجرائد القديمة التي قضتها الجرذان وكان هناك مشد
صدر وردي ممزق . وكان هناك سلم لم تمسه القنابل يلتف حول الجدار
المقابل . وفيما هو ينظر رأى جرذا يركض من تحت الجرائد ويختفي في
جحر في لوحة قريبة . لقد ذكر له احدهم هذا البيت قبلا : ففي عام
١٩٤٣ ، وجدت جثة ملاح فنلندي ملقاة في الطابق العلوي عندما كان بعض
الأطفال يلعبون لعبة « الاستغماية » لقد سرقوه وتركوه ليموت بعد ان
هشموا راسه بأجرة مدلاة بجورب نسائي حريري .

كان البيت المجاور ما يزال مسكونا . كان بابو الامامي مفتوحا، تنبعث
منه رائحة السجق المقلي . وكانت امام الباب عربة صغيرة يرقد فيها طفل .
وراح سورم يطوف الشوارع القذرة ، دون ما هدف . وفي شارع
هانبري ستريت بدت له الشقق الجديدة وساحات لعب الاطفال ناشرة
المظهر . وتوقف ثانية خارج دكان الحلاق في البناء رقم ٢٩ . كانت
ثالثة جرائم جاك السفاك قد وقعت في الساحة الواقعة خلف الدكان . وقد
رأى مرة صورة للمحل التقطت بعد حادثة القتل مباشرة . فرأى البقعة
لم تتغير على الاطلاق خلال السبعين سنة التي مرت عليها . ورفع الحلاق
بصره من زبون كان يقوم بحلاقتة . بينما كان سورم يقف عند البساب .
وهتف الحلاق :

— هلو . لم ارك منذ مدة طويلة .

فقال سورم : كيف حالك ؟

— بخير . الا تأتي للحلاقة هذه الايام ؟

— لا اسكن هذه الاصقاع الان .
وفي نهاية شارع هانبري ستريت السفى نفسه يواجهه سوق
سببتالفيلدس ثانية . وعندما مر بكنيسة دين ، رأى رجلا يخرج من
المراحيض العامة ، ثم التفت الرجل وتمتم :
— هل تترفق علي بقدرح شاي ؟

ومد سورم يده الى جيبه ، وقد لوي بنظره بعيدا لكي لا يرى القطرة
التي تتدلى في طرف انف الرجل . وتناول الرجل يديه اليابستين
المغمضتين قطع النقود ، ثم تلفت حوله لئلا يلحظه احد رجال الشرطة .
واستقرت يد الرجل على ذراع سورم . فلم يدرك سورم مراد الرجل
فاخذ ينظر في عينيه الزرقاوين النديتين . كان الرجل يتمتم بكلمات
غير مفهومة ويشير الى قدميه اللتين ينتعل فيهما حذاء باليا . فافترض
سورم ان الرجل يطلب المزيد من المال ، فاخذ يفتش في جيبه عن قطع
صغيرة اخرى . واستوقفته كلمات الرجل : ... وقد عشت هنا ما
يقرب من السبعين سنة .
— سبعين سنة ؟

— نعم ، سبعين سنة تقريبا . . . عشت هنا .
ثم مسح انفه بكم معطفه فاخترقت القطرة . فحلت محلها قطرة اخرى
على الفور . فادار سورم راسه . كان المعطف طويلا جدا وكان طرفه يمس
الارض . وقال سورم بادب :

— انك لا تبدو مسنا الى هذا الحد .
— بلى . عمري ثلاث وسبعون سنة ، قضيت كل يوم منها بالعمل .
وادرك سورم ان الرجل لم يكن ثملا ، وانما كان يتحدث ليبدو
وحدته او ربما امتنانا لقطعة النقود . ولم تكده كلماته تتميز . وقال سورم :
— لا بد وانك كنت حيا في ايام جرائم جاك السفاك ؟

— من ؟ جاك السفاك ؟ نعم . ويمكنني ان اقول لك شيئا عنه . كانت
اخر جريمة اقترفها هناك . .
— ميلرز كورت !

— اجل . هناك ، قبل بناء السوق في البقعة ، كانت تسمى آنذاك
شارع دورسيت ستريت . اعلم ذلك لاني كنت ابيع المصحف هناك .
فقال سورم بدهشة :

— كم كنت تبلغ من العمر آنذاك ؟
— كم كان عمري ؟ دعني افكر ...

وركز الرجل بصره بعينه النديتين . وسقطت القطرة الشفافة من
أنفه الى الرصيف . وقال اخيرا :
- كنت في العاشرة .

فأخذ سورم بحسب بسرعة . المدة بين سنة ١٨٨٨ و ١٩٥٦ -
ثمانية وستين سنة . وقال :

- وتقول انك في الثالثة والسبعين ؟

- اجل . الثالثة والسبعين وسأبلغ الرابعة والسبعين في شهر نيسان
القادم . كنت آخذ الصحف صباح كل يوم الى ميلرز كورت . وفي صبيحة
يوم من الايام وجدت هناك جمهورا محتشدا من الناس امام الباب . فقال
لي احد رجال الشرطة : انها لن تريد الصحف بعد اليوم يا بني . لا تات
بالصحف بعد اليوم . تلك هي الطريقة التي علمت بها كيف قتلت . كان
القاتل جاك السفالك . فنظر سورم الى ساعته وقال :

- امر مدهش ! طيب ، يجب ان ارحل الان . وداعا ..

ورفع الرجل يده محييا وهو يهم بالسير . واتجه سورم نحو شارع
فوزنيير وهو يفكر : اما ان تكون سنه اكبر مما يعتقد بخمس سنوات، او
يكذب . واخذ يسرع الخطى ، متخذا اقصر الطرق ليعود الى حيث خلف
دراجته .

وفك القفل من العجلة ، وحل السلسلة ، وراح يشتم عندما تلوثت
اصابعه بالزيت من اعواد العجلة . ومسحها بمنديله ثم مشى وهو يدفع
بالدراجة في شارع داروارد ستريت . وكان الشارع ذا ممر واحد يقود
الى النقطة التي يتفرع فيها وكان احد رجال الشرطة يقف في ركن الشارع .
وقبل ان يتقدم اكثر من مائة يارد في شارع داروارد ستريت اخذ
يرقب المرأة العجوز التي اقبلت نحوه من الطرف الاخر من الشارع . كانت
تحمل قطعة من الخبز تحت ذراعها وترتدي ثوبا من الصوف الارجواني
الذي يشبه الكيس . وتوقفت وادخلت المفتاح في الباب . فوضع قدمه
اليمنى على قضيب القدم في الدراجة فانطلقت به مسافة بضعة امتار
اوصلته الى المرأة ، فوقف خلفها بينما هي تفتح الباب وقال : المعذرة ..
فدخلت البيت دون ان تلتفت اليه . فظننها صماء ، فمد يده ولمس
كتفها ، فالتفتت اليه والفرع يلوح في وجهها . فقال بصوت عال :

- لطفا . هل يسكن المستر غلاسب هنا ؟

وحدجته المرأة بنظرة ساهمة من عينيها المتعبتين اللتين احمرت

زواياهما ، فكرر السؤال . فالتفتت ولوحت بيدها نحو السلم بحركة تدل على اللامبالاة المطلقة وقالت :

— نعم . هنا ، اصعد .

فارتسم على وجهه الشك ، وهو ينظر الى الغرفة المظلمة التي تفوح منها رائحة القدم ورائحة العصر الفكتوري . فصاح : فوق ؟

ولكنها كانت قد استدارت واجتازت الغرفة ، تاركة اياه وحده ليفلق الباب خلفه . ولما وصلت الجانب الاخر من الغرفة قالت من فوق كتفها :

— ربما تجده نائما .

وارتقى سورم السلم بحذر ، مائلا بجسمه الى الامام متحسسا بيديه الالواح الخشبية العارية التي يغطي القماش المشمع بعض اجزائها

وتعثر وهو يصل اعلى السلم ، فاطلق شتيمة بصوت خافت . كان المكان يسبح في الظلام ، ويفوح برائحة زيت البارافين الشديدة . وبينما هو واقف هناك ، يتطلع في الظلام ، فتح باب على يمينه وقال صوت رجل :

— هلو ، من هنا ؟

فقال سورم :

— المستر غلاسب ؟

— نعم .

كان الصوت يتميز بشيء من لكنة يوركشاير .

— اسمي جيرارد سورم . رايت لوحاتك امس وقصد رغبت في التعرف بك .

— هل انت رسام .

— كلا ، كاتب .

وقال الصوت بسماجة :

— الافضل ان تدخل — فليس لدي وقت طويل .

— لن اطيل مكوثي ..

وشعر بالارتباك قليلا ، فلم يكن على استعداد ليقف وجها لوجه مع غلاسب على هذه الصورة المفاجئة . كان يود لو منح بضع لحظات ليقرر

ما سيقوله . كما ان لهجة غلاسب دلت على ان المقابلة ستكون قصيرة .

وقال غلاسب :

— تفضل بالجلوس .

كانت الغرفة واسعة ، يلوح انها كانت في الاصل تتألف من غرفتين هدم الجدار الذي يفصل بينهما فصارت غرفة واحدة . كانت بشكل

حرف « ل » غير منتظم ، ولها بابان كل على طرف من طرفيها . كان
اثانها الوحيد سريرا قديم الطراز له قضبان نحاسية ومقعد وطاولة صغيرة .
كانت هنالك الواح كثيرة تستند الى الجدران . وكان امام النافذة منصة
للرسم من النوع الذي يستعمل في المدارس وعليها لوحة اخرى . وجلس
سورم على المقعد بالقرب من النافذة ، في وضع يستطيع منه ان يبرى
الغرفة كلها . وكانت هناك بالقرب من المقعد مدفأة نفطية تشتعل ، فوضع
سورم يديه بصورة تلقائية لتدفئتها . وقال غلاسب :

— حسنا ، ماذا يمكنني تاديتك لك ؟

كانت لهجته غليظة يبدو عليها الانفعال . كان واقفا بالقرب من السرير
يستند الى حافته : كان رجلا بارز العظام ، كث الشعر ، لم يحلق ذقنه .
وكان ثوبه الازرق قد تصلب لكثرة بقع الصبغ عليه .

وقال سورم معتبرا :

— انظر . انا اعلم اني تطفلت وجئت لتقديم نفسي اليك بهذا الشكل .
فاذا كنت تعتقد اني اضيع وقتك فلا تتردد في ان تخبرني بذلك ، وسأغادر .
فبدلت الدهشة على غلاسب ، ولكنه لم يحس بضعف في موقفه ،
وقال بصوت اجش :

— كيف لي ان اعرف هل انك تضيع وقتي قبل ان اعرف ماذا تريد ؟
— لا اريد شيئا غير مجرد الرغبة في لقاءك . رايت اثنتين من
لوحاتك يوم امس واعجبت بهما .
فقال غلاسب ، بلهجة ساخرة :

— يظهر انك مشغول جدا ، تذهب لزيارة كل رسام تعجبك صوره .
فرفض ان يحمل هذه اللهجة على محمل الاستياء وقال :
— انك مخطيء في التعبير ، ان المسألة ليست مسألة « اعجاب »
فقط . اعتقد ان الصور غريبة جدا .

وظل وجه غلاسب خاليا من دلائل البشر ، وان ارتسم شيء في
محياءه ، فانبا هو قليل من الاستياء . وقال :

— هل لي ان اسالك اين رايتها ؟

— في شقة تخص اوستن .

— اوه ، انك اذن صديق لاوستن ؟

وبدت لهجة السخرية واضحة لا لبس فيها هذه المرة .

— نعم ،

— واحد من حماة الفن ، ان جاز التعبير ؟

فقال سورم بصوت حازم : كلا . وهو يحاول ان يكظم ثورته .
واردف :

— انا لا اشتري الصور ، لا يسمح ايرادي بذلك . اردت ان اتعرف
بك فقط .

وحاول ان يجعل صوته طبيعيا ، وهو يتهاى لينهض ويترك الغرفة .
لقد اخذت لهجة غلاسب تشير اشمئزازه ، وقد غضب على نفسه لانه
وضعها في موضع المتطفل على غلاسب .

والتقط غلاسب من الارض كوزا عليه خطوط زرقاء وبيضاء واخذ
يرتشف منه . ثم جلس على حافة السرير وقال :

— طيب ، ساكون صريحا معك . انا اسكن هذا المكان لاني لا اريد
مقابلة الناس . وكذلك ، بالطبع ، لانه رخيص ، ولكن السبب هو بالدرجة
الاولى لاني لا ارجب في الناس كثيرا . .
— لماذا ؟

— لم لا احب الناس ؟ لنفس السبب الذي اكره من اجله رائحة
شراب الروم او الشاي الصيني ، على ما اعتقد .

كان سورم يحاول جاهدا ان يكون عنه فكرة . كان في نبرة غلاسب
شيء من الاستهجان المكتوم مما جعل سورم يعتقد بانه مريض بداء العظمة
والشيء الوحيد الذي كبح رغبته في ترك الغرفة هو انه كره ان يشمّر
بالاندحار التام . وحاول ان يقوم بمجهود آخر . واصطنع البشاشة
وقال مبتسما :

— في الحقيقة ، كان اوستن والاب راكوسي كلاهما ينصحاني بالا
اتي لزيارتك .
— لماذا ؟

— يبدو ان انطباعهما عنك هو انك انسان فظ .
فزمجر غلاسب ورشف جرعة اخرى من الكوز . فنهض سورم وقال :
— حسنا ، لك مطلق الحق ان تظل لوحذك . ولذا ساتركك .
كان غلاسب يجذب في الكوز الذي كان يضعه بين كلتا يديه في
حضنه . ولم يتحرك . وقال :

— لم اردت مقابلتي ؟
واحسن سورم ثانية بضعف اسبابه ، وقال :
— ظننت انه قد يمكنك ان تخبرني بشيء عن اوستن .
فرفع غلاسب بصره اليه ، وقال وهو يكشر بابتسامة :

— لماذا ، هل تريد ابتزاز امواله بالتحايل عليه ؟

— كلا .

— هل انت شاذ جنسيا ؟

— كلا .

— فلماذا اذن ؟

لم يعد غلاسب يتخذ سلوكا معاديا بشكل صارخ ، كان يبدو حياديا غير مبال واحس سورم بانه اثار فضول غلاسب . فقال بتعقل :

— اصغ . انك تعتمد في تعقيد الامور بالنسبة لي ، اليس كذلك ؟ كل ما في الامر هو ان صورتك اعجبني فاردت لقاءك . وكذلك علمت انك من اصدقاء اوستن . واني مهتم باوستن ايضا . فاذا كنت تكره مقابلة الاخرين ، واذا كنت لا تشعر بالميل الى الحديث عن اوستن ، فقل لي ذلك ، وسأخرج .

فنظر اليه غلاسب . كانت تعابير وجهه تأملية جامدة ، كالتعابير التي تظهر على وجه شخص على وشك ان يشتري بضاعة يريد ان يقلل من قيمتها . ومد يده وتناول لوحة الالوان من الطاولة واخذ ينظفها بسكين مائدة . وقال دون ان يرفع رأسه :

— ليس لدي الكثير عن اوستن . لم اكن على معرفة تامة به ابدا ، ولم اعجب به يوما . فلماذا يثير اهتمامك اذا لم تكن منحرفا ؟

— لنفس السبب الذي يثير اهتمامي فيك .

— ما هي الصفات التي اشرتك فيها مع اوستن ؟

واحس سورم بالحاجة ليقول شيئا مقنعا ، ولكنه لم يهتد الى شيء . فقذف باول ما خطر في ذهنه من الكلمات :

— اعتقد من لوحاتك ... هناك نوع من التعصب .

فادرك على الفور انه اصاب ما كان يريد قوله . فقال غلاسب :

— وتظن ان اوستن متعصب ايضا؟ انه لم يترك لدي هذا الانطباع قط .

— من الصعب ان اشرح . لست اعرفه جيدا ، ولكنني اتوجس ذلك .

— ولم يثير ذلك اهتمامك ؟

— من الصعب ان اشرح هذا ايضا . كنت دائما مولعا بفكرة الحياة

وحيدا . وكنت افكر في دخول احد الاديرة ..

فقاطعه غلاسب قائلا :

— انت لست كاثوليكييا ؟

— كلا .

— فلم لم تمض في فكرة الدير هذه ؟
— لم ار في ذلك جدوى . وفضلا عن ذلك . فلم اكن واثقا من اني
سأستمتع بكوني راهبا . واشك في ان اهداف مجتمع الرهبان هي نفس
الاهداف التي ابغيتها .

— وما هي اهدافك ؟
ونظر سورم اليه واحس بالارتياح للاهتمام السافر الذي يبديسه
غلاسب . وقال :

— لا ادري ... اعتقد اني اردت ان ارى الرؤى .
فنهض غلاسب ، وقال :

— وماذا حدث ؟
— لم يحدث ما يدعو الى الاهتمام . امضيت عاما واحدا في قراءة
افلاطون والقدس فرانسيس دى سال وغيرهما ... ولكنني شعرت بانني
افتقد شيئا ما ، بدأت احس ان خيالي قد مات ، واخذت اشعر بانني في
حاجة الى الجنس والى الاجتماع بالناس . فكونت لي بعض الاصدقاء
وارتبطت بعلاقات مع فتاتين لفترة قصيرة . فلم يساعدني ذلك كثيرا ،
لاني لم اكن ارغب في هذه الامور ايضا . فاخذت افكر بانني فقدت كل رغبة
في البقاء حيا . وشعرت بانني مللت الكتب ، ومللت الناس ...
فقال غلاسب :

— اني اعلم بهذا الشعور .
واخذ يعصر انبوبة الاصباغ على لوحة الالوان . واخرج الفرشاة من
قارورة المربي التي كانت على عتبة الشباك ، واخذ يرسم . وقال بهدوء :
— مررت بكل هذه الحالات . هنالك علاج واحد ... هو العمل .
— فكرة لا بأس بها اذا كنت تعرف ما تريد ان تفعل . اما انا فلم
اكن اعرف .

— تقول لم تكن تعرف ، فهل تعرف الان ؟
— على كل ... نعم . التقيت بأوستن منذ اسبوع — بل اقل من
اسبوع . واني احس بالاسف له في كثير من النواحي . انه يشبهني
ايضا ، ولكن ... لا استطيع ان اوضح . ولكن فجأة ، اخذت احس ان
شيئا مهما صار يحدث في نفسي — شيئا كضياء النهار ينساب في .
فقال غلاسب :

— ولماذا تخصص اوستن ؟ اعتقد ان هذا هو ما تسمونه ، انتم
السادة الادباء ، الهوة بعد الذروة !

- فقال سورم :
- لست اعرف . بل انه ليلوح لي انه يشبهني تماما بصورة غريبة ..
 — فأجابه غلاسب :-
 — حقاً ؟
- وكان صوته ينم عن شكه في الامر :
- اجل . ترى هل اتيح لك أن تزور شقته في كوينس غيت ؟
- لم أكن اعرف ان له شقة في كوينس غيت ؟
- لقد ذهبت اليها بالامس وادهشتني . لقد لاحت وكأنها من نسيج خيال ادجار الان بو ، ستائر القטיפه السوداء ، ودولاب المسكرات ، ومؤلفات دى ساد ومازوك ، ولوحاتك ...
- فقال غلاسب بدهشة :
- آه ، لقد رأيتها هنالك اذن ، حسنا ...
- كان يتنسم حين استعر على الرسم واضاف :
- تلك ناحية جديدة من شخصية اوستن : غلاسب ودى ساد ، هه ؟ اللوحتان اللتان اشتراهما مني ..
- لديه ايضا لوحات يابانية مطبوعة وموقعة بتوقيع ا.غ .
- انها كورية وقد استنسختها من مجموعة في المتحف البريطاني .
- وظفق يرسم بصمت فترة من الزمن ، ثم تراجع الى الخلف لينظر الى ما رسم . وقال دون أن ينظر الى سورم :
- مهما يكن الامر فلست اجد شيئاً مشتركاً بين ذوقيكما ...
- كلا . ولكن ... هنالك تشابهاً في الهدف ، ما عدا ...
- ما عدا ماذا ؟
- انني لاتسأل احياناً هل ان الامر لا يعدو ان يكون الرغبة في الاقدام على المغامرة . انا لا اشاركه اذواقه ، ولكني اشاركه الرغبة في الاقدام على التجارب . يبدو ان الامر جيد بحد ذاته ...
- تعني ملاحقة الاولاد الصغار ؟
- كلا لم أكن افكر في ذلك . كنت افكر في السادية .
- وتوقف غلاسب عن الرسم واخذ يحدق في وجهه :
- هل هو سادي ؟ لم أكن اعرف ذلك .
- ألم تكن تعرف ؟ ظننت أنك تعرفه جيداً .
- فقال غلاسب ، وهو يستأنف الرسم :
- كلا . ليست لي معرفة جيدة به مطلقاً ، كما يظهر . كيف

اكتشفت ذلك ؟

— قال لي ذلك بنفسه . والاب كارائز يعرف ذلك عنه ايضا .

— ما هي الافعال التي يقوم بها ؟

وظهرت لهجة يوركشاير في كلام غلاسب فجأة بشكل صارخ . وكان يلوح عليه انه ركز اهتمامه في اللوحة . وقال سورم :

— لا اعلم . ليست اشياء خاصة ، على ما اعتقد . ربما يستخدم الضرب مع اصدقائه الاولاد .

وفي الغرفة المجاورة ، بدأ البخار ينبثق من ابريق ماء كان على الموقد الغازي ، واخذ الماء يبقب ويفيض على ارضية الغرفة المكسوة بالالسواح العارية . فذهب سورم ورفع الابريق . وقال غلاسب :

— هل لك في قذح من الشاي ؟

— نعم ، شكرا ،

وضع غلاسب لوحة الالوان على الطاولة واعاد الفراشي الى قارورة المربي .

— ما لا يمكنني فهمه هي فكرتك ان لك شيئا باوستن . فمن حديثك الي لا يبدو ان لديكما اشياء مشتركة .

— كلا ؟ اعتقد ان اوجه الشبه بيننا كثيرة . فكلانا غير راض ، وكلانا مولعان بالتجارب ، بيد انه تماذى في تجاربه اكثر مما يمكنني حتى ان احلم به .

كان غلاسب يفصل ابريق شاي من الالمنيوم على المفصلة في الغرفة الثانية . وقال :

— لا ؟ تعني انك تريد ان تستخدم الضرب مع صديقاتك الفتيات ؟ فقال سورم ضاحكا :

— كلا ، انا واثق اني لا اضربهن ... على كل ...

— ولم اردت مقابلتي ؟ هل تصورتني واحدا من ...

— واحدا ممن ؟

— من هؤلاء الذين يصلحون للتجربة عليهم ؟

— ظننت انه ربما تكون واحدا منهم .

فقال غلاسب مبتسما :

— ولنفرض انك مصيب في ظنك ، فماذا بعد ذلك ؟

فقال سورم :

— لا شيء بعد ذلك . ربما ..

وتناول كوب الشاي ووضع فيه بضع ملاعق من السكر . ولاحظ

ان غلاسب عندما يتنسم تتقلص جبهته وترتعش بحركات تلوح لا ارادية عصبية . وراى غلاسب ان سورم لاحظ ذلك ، فقال سورم ليعبد اهتمامه عن ذلك :

— لك يدان واسعتان ، تشبهان يدي اوستن .
وضع غلاسب السكر في الشاي واخذ يحركه . كانت يداه كبيرتين قبيحتين ، مفاصل اصابعهما بارزة . كانتا تلوحان سوداوين قليلا ، وقد ارتسمت عليهما شبكة من الالوان من بقايا الاصباغ التي اخترقت المسامات .
وقال بالفرنسية :

— يدا ترويمان .

— من ؟

— ترويمان . الا تعرف شيئا عنه ؟ جان بابتيست ترويمان ، القاتل بالجملة .

— كلا . من كان ضحيته ؟

— عائلة كاملة ، تتألف من ثمانية اشخاص .

— لاي سبب بالله ؟

— المال . لقد حصل على بضع مئات من الفرنكات من هذه الصفقة . كانت يداه ضخمتين . ولهذا لا يزال الناس يسمون الايدي الكبيرة « يدا ترويمان » في بعض انحاء فرنسا . واعتقد ان افراد اسرته تميزوا بهذه الصفة . لهم اكبر مما يحتاجونه من الايدي .

— هل كان ساديا ؟

— لا اعتقد ذلك . كان ينزع جنسيا الى الجنس المشابه ، وبه هوس لجمع المال .

كان الشاي مركزا حارا . ووقف غلاسب على عتبة النافذة وظل يرسم . وسأله سورم :

— هل تهتم باخبار جرائم القتل ؟

— احيانا .

— متى ؟

فاجاب غلاسب ، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة غريبة .

— الجريمة تسري في عروق عائلتنا . . بطريقة ما .

فقال سورم مبتسما :

— هل انحدرت من عائلة من اللصوص ؟

— ليس تماما .

وابتسم بدوره لسورم وهو يشرب الشاي . وارتعشت جبهته
ثانية . واردف قائلا :

— بقدر معرفتي بالامر ، فان علاقتنا بالجرائم كانت دائما غير مباشرة .
كانت احدى عماتي اخر ضحية لجاك السفاك . وقد تناولت والدتي الطعام
يوما مع لاندرى في باريس . وكان جدي الاكبر على معرفة بتشارلي بيس .
— هل كانت والدتك تعلم ان الشخص هو لاندرى ؟

— كلا . لم تكن تعرف شيئا عنه . قال لها انه كان مهندسا اسمه
كوشيه وحاول ان يدعوها لقضاء عطلة الاسبوع معه . وتعرفت على صورته
بعد عدة اشهر عندما القى القبض عليه . قالت ان تصرفاته كانت على
احسن ما يكون عليه التصرف ...
— مدهش !

— بعض الناس تجذبهم الجريمة ، وهناك اخرون يجذبون الجريمة .
كانت عائلتي من النوع الثاني . ويمكنك ملاحظة ذلك . فحالا جئت
للاستقرار في وايتسابل بدأت فيها موجة من الاجرام . ذلك من تقاليد
العائلة .

ودقق سورم النظر فيه ، واستشعر الجذ في كلامه . واحس لأول
مرة بشيء من التوتر في نظرة غلاسب ، وظهرت ايضا في ارتعاشة
جبهته . سال :

— هل انت جاد فيما تقوله عن العممة التي راحت ضحية جاك السفاك؟
— اجل . كانت اخر ضحاياه .

— هل كانت تلك المرأة التي قتلت في غرفتها في ميلرز كورت ؟
— كلا . كانت هناك جريمة اخرى : امرأة قتلت تحت مصباح الشارع
في كاسل آلي ، كانت هذه العممة الكبرى سالي مكنزي . لا اعرف الكثير
عن هذه العممة سوى انها كانت على ما يبدو لا تتمتع بحب العائلة .
— لم اسمع ابدا بتلك الجريمة .

— وراح سورم يتساءل هل ان القصة كلها من نسيج خيال غلاسب .
وقال مبتسما :

— يبدو انك انعدرت من عائلة من الضحايا .

— صحيح ، كلهم ضحايا . مازوكيون دون علم منهم ، ما عداي ، اذ
اني مازوكي بارادتي .

— اصحيح انك مازوكي ؟

وابتسم غلاسب للدهشة التي ارتسمت في عيني سورم وقال :

— ليس بالمعنى الذي يمثله اوستن . انني لا اميل الى ذلك .
وحرك سورم مقعده الى قرب الجدار ليسند ظهره اليه وهو يرقب
غلاسب . كان غلاسب يرسم بضربات تلوح مرتجة مشددة ، وهو يبدي
تركيزا شديدا على لوحته . وبدا لسورم كأنه لاعب سيف . وقال سورم:
— لا أريد أن اطيل الحديث ، فقد يؤخر ذلك عن اعمالك
فقال غلاسب :
— لا يهم .
وظل سورم يراقبه بضع دقائق ، وقال :
— الا يضيرك أن القي نظرة على بعض لوحاتك ؟
وشعر بالتردد باديا في وجه غلاسب ثانية . وكان على وشك أن
يقول لغلاسب : لا حاجة لذلك ... ولكن غلاسب قال :
— تفضل . ولكن لا تعلق شيئا بصددها .
— حسنا .

وذهب سورم الى الغرفة الثانية واخذ ينظر الى اللوحات المسندة
على الجدران . وكان اول ما لفت نظره في هذه الصور الوانها التي كانت
اكثر خشونة من تلك اللوحات التي رآها في شقة نـن . لقد اختفت الالوان
الزرقاء والخضراء وجو الاحلام الذي كان يحمل اثر شاغال . الخطوط في
هذه الصور خشنة عنيفة ، كانت تبرز الاثر الناشز الذي تحدثه الالوان
الاساسية المستعملة مباشرة دون مزجها . كانت اكثر الصور دراسات
لمناظر طبيعية : اشجار ، باقة من ازهار السوسن ، جدار نما عليه العشب .
وكانت هنالك لوحة تبين سياجا حديديا ومصباح الشارع ، وقد رسمت
اللوحة دون اي اثر رومانسي او حتى المحاولة لظهار جو المنظر . كانت
اللوحات تغطي احد جدران الغرفة بكامله .

وكانت على جانب الموقد ، في رف داخلي عريض . لوحة هائلة
الحجم ، غير تامة . كانت اكبر من اي شيء اخر في الغرفة باربع مرات ،
حيث كان ارتفاعها ستة اقدام وعرضها اربعة اقدام . وقد ظننها سورم
لاول وهلة صورة لصلب المسيح . كانت تبين رجلا مشدودا الى صليب
بالمسامير يتدلى من نافذة مفتوحة . وكان الصليب يبدو معلقا بسلاسل
عديدة ، كما كانت تظهر مكبرة خلال النافذة . وكانت احدى يدي الرجل
المثبتة بمسمار تتدلى الى جنبه .

وكبح سورم رغبته في الاستفسار عما تمثله اللوحة . فترجع الى
الوراء واخذ يحرق فيها . وفيما هو يقف هناك ، سمع غلاسب يترك لوحته

ويخرج من الغرفة .

كانت صورة الرجل المصلوب معلقة عاليا على الجدار . وكان تحتها ، في الرف الداخلي عدد من اللوحات تستند الواحدة على الاخرى . وكانت اللوحة الامامية تبين وجها كبيرا لصبي يرسم الرعب في محياه ، وكان خلف راسه ، في اعلى الزاوية اليسرى ، دولاب فيه ثلاثة ادراج مفتوحة ويتدلى من الدرج العلوي ما يبدو من الملابس الداخلية النسائية الوردية اللون . وكانت تبرز من خلف راس الصبي يد عارية ، كانها لشخص مستقل على الارض وجهه الى الاسفل . وسحب سورم اللوحة الى الامام واخذ ينظر الى اللوحة التي خلفها . وكانت هذه تبدو من لوحات غلاسب الاولى . كانت صورة جميلة رقيقة لفتاة عارية تبدو في العاشرة من العمر وكانت تقف امام الموقد وهي تمسك بكلتا يديها منديلا تمده ليحف . كانت نحيفة الدرامين والساقين ، وكان جسدها ينم عن نقص في الغذاء ، ولكن غلاسب نجح في الاستفادة من هذه النحافة فمزجها مع وهج الموقد البرتقالي وظلال الغرفة الزرقاء لينقل هذا الاحساس بالرفق والحنين . لقد وجد سورم هذه اللوحة مؤثرة الى حد غريب ، وقد طاب له ان يخرج الصورة من بين الصور الاخرى ويضعها حيث يمكنه دراستها بدقة اكثر . وقبل ان يهم بذلك ، سمع صوت الماء المتدفق من حوض الماء في مرحاض شقة مجاورة . وسحب هذه الصورة ، وراح يطل الى الصورة التي خلفها . كانت لوحة لحياة جامدة اخرى ناشزة الالوان منكسرة الخطوط . وترك الصور تستند الى الجدار القريب من المفصلة . وجاء غلاسب الى الغرفة الاخرى وقال :

— حسنا ؟

— أنك غيرت طريقتك بالتأكيد ، اليس كذلك ؟

— آمل في ذلك . هل تعجبك هذه الصور ؟

— تعجبني جدا . انها تنزك اثارا عنيفة . يجب ان تضع صورك في معرض .

— لا اريد ازعاج نفسي . انهم جميعهم اوغاد . يجب ان تستخدم

نفوذك وتزلفك ليتسنى لك ذلك .

واقبل غلاسب ووقف بجانب سورم ، فقال سورم ، وهو يشير الى

الرجل المصلوب :

— ما هذه ؟

— هذه صورة ماثيو لوفات . قضية محاولة الانتحار القديمة .

— متسى ؟

— أوه ، لا اعلم متى بالضبط . كان ماثيو صانع احذية في جنيف في زمن ما في القرن الثامن عشر ، وقد أصيب بهوس الموت على الصليب كالمسيح . فقام بثلاث محاولات ، انتهت كلها بالفشل . وفي المرة الثالثة ثبت بكرة في غرفة نومه التي تطل على السوق وعلق الصليب بطريقة يمكن ان يتدلى فيها خارج النافذة . وكانت مشكلته الرئيسية هي كيف يثبت المسامير في اطرافه . لقد كان في امكانه ان يدق المسامير في قدميه واحدى يديه ، ولكنه احتار في اليد الاخرى . واخيرا اهتدى الى حل تلك المشكلة بأن عمل ثقباً في الصليب ثم غرز المسمار في يده اولا . ثم امسك مطرقة باليد التي غرز فيها المسمار ودق بواسطتها المسامير في قدميه واحدى يديه . وبعد ان فعل ذلك فك البكرة فانطلق الصليب خارج النافذة ليتدلى فوق السوق . ولكن لسوء حظه اكان في تلك اللحظة اضعف من ان يستطيع ان يدخل يده التي فيها المسمار بالثقب الذي عمله على الصليب ، وهكذا بقي معلقاً على هذه الصورة .

واشار غلاسب الى الصورة حيث كان الرجل يتدلى كأنه بتروشكا (١) منفوخ . وقال سورم :

— هل مات ؟

— كلا. انزلوه فعاش حتى ناهز الثمانين . ولم يقم بهذه المحاولة بعد ذلك .

— هل ستنتهي اللوحة ؟

— نعم . عندما يكون لدي وقت .

— وما رأيك في هذه ؟

واشار سورم الى الصورة التي تبين رأس الصبي . فقال غلاسب وهو يهز كتفه :

— انها لا تعجبني . انها صورة هايرنز ، القاتل في شيكاغو .

— لم اسمع به ابدا . من كان هذا ؟

— صبي في السابعة عشرة من العمر . كان يتسلل خلال النوافذ ليسرق ملابس النساء الداخلية ، فاذا استوقفته احداهن كان يقتلها . وقد كتب بأحمر الشفاه على الجدار بالقرب من احدى ضحاياه بالله عليكم القوا القبض علي قبل ان اقتل ثانية .

فكشر سورم وقال :

— الا تعتقد انه موضوع فظيع للوحة زيتية ، الا تعتقد انه موضوع يوحى بالاحاسيس المريضة ؟

— بالطبع . ان الحالة نفسها مريضة .

(١) بتروشكا : دمية ، بطل رقصة باليه لستراانسكي . — المترجم —

واستدار وعاد الى الغرفة الاخرى ، وقال سورم :
— وما رايتك في الصور الاخرى خلف هذه ؟ هل لي ان اراها ؟
فالتفت غلاسب وقال بلهجة حادة :

— لا . الافضل الا تراها ، فهي لا تعجبني .
فتبعه سورم الى الغرفة ، وكان قدح شايه ما يزال على المقعد ، لم
ينتهي بعد . فشربه جرعة واحدة . واحس انه لم يعد في استطاعته التعبير
عن اعجابه بلوحات غلاسب ، فقد وضع غلاسب نفسه في موضع يبدو فيه
بوضوح انه لا يكثرث للوم او المديح . وقال سورم اخيرا :
— اشكرك للسماح لي بان انظر الى صورتك .
— لا شيء .

ولم يكن سورم يدري ماذا يضيف من الكلمات ، فاجال بصره في الغرفة،
فاستوقفته صورة لفان غوخ معلقة فوق سريره . لقد كانت معلقة في موضع
لم يكن في امكانه ان يراها من مكانه على المقعد .
— هل انت معجب بفان غوخ ؟
فقال غلاسب :

— نعم .
ثم التفت ثانية الى الصورة ، كانت اضاءتها رديئة، فقد كانت معلقة على
نفس الجدار الذي فيه الشباك ، مقابل الباب .
وقال غلاسب :
— تلك هي فكرتي عن اللوحة الزيتية العظيمة .
— ما الذي يجعلك تعتقد ذلك ؟

— السبب عينه الذي اعتبر من اجله لوحتي ماتيو لوفات ووليم هايرنز
فاشلتين . هذه اللوحة هي اكثر من لوحة زيتية فحسب — انها مأساة فان
غوخ يرقب مأساته . في حين ان صوري تتطلب منك ان تعرف كل تفاصيل
قصتي لوفات وهايرنز لتعي ما تعبر عنه الصورة ... صوري هي صور
ادبية . بينما تعبر تلك اللوحة عن نفسها . انك لا تحتاج الى ان تعرف ان فان
غوخ قطع احدى اذنيه . فعنوان الصورة يكفي : صورة ذاتية ، الرجل ذو
الاذن المبتورة . هذا ما ينبغي ان يكون عليه الرسم ، وهذا ما يجعل رسومي
حقيرة . هل رايت صورة كوربيير يقود خنزيرا على شريط ؟ لقد اعجب بها
اوستن . علمت انها ستعجبه ...
فقاطعه سورم بقوله :

— لا اتفق معك . أعتقد أنك تقسو على نفسك . ان صورتك لكوريبيير
عظيمة الاثر حتى اذا لم يسمع المرء بكوريبيير ، والشيء عينه ينطبق على
لوفات وهابرنز ...

وقاطعه غلاسب قبل ان يستطيع المضي في كلامه :

— اشكرك . يسرني انها اعجبتك ...

فقرر سورم ان يترك الموضوع .

فقال غلاسب بصورة ميكانيكية : لا شيء .

فاتجه سورم نحو الباب وقال :

— لم لا تأتي معي لتناول الطعام ؟ لتكون لدي فرصة الحديث معك .

وكان واثقا وهو يتكلم من ان غلاسب سيجيب بالرفض ، ولكن غلاسب قال :

— شكرا ، اود ذلك . اين تسكن ؟

— في كامدن تاون . تبذل القطار في موركيت . هل يمكنك المجيء هذا

الاسبوع ؟

— أظن ذلك .

— في اي يوم نحن ؟ ... الاربعاء . غدا او الجمعة يروقان لي .

وتوقف غلاسب عن الرسم . وقال بعد فترة من الصمت :

— طيب ، لا بأس . اي يوم ؟

— الجمعة ؟ سأعطيك عنواني .

وجلس على السرير ليكتب العنوان ، ثم رسم مخططا لبيين الطريق

من محطة نفق كنتش تاون الى مسكنه . ثم اقتطع الورقة من دفتر الملاحظات

وتركها على الوسادة ، ثم تأمل قليلا وعاد وكتب رقم التلفون .

— تعال في حوالي الساعة السادسة ، اذا ناسبك ذلك . اذن ؟

فقال غلاسب دون ان يرفع نظره عن اللوحة :

— حسنا .

كان السلم غارقا في ظلام كثيف ، فاخذ يتحسس طريقه بحذر . وكانت

رائحة زيت البارافين حادة عند السلم ، واكتشف سبب ذلك عندما وطأ

فوق بركة من الزيت المنسكب على اللوحات الخشبية وكاد ان ينزلق من السلم .

* * *

وهز الرجل ذو البذلة الرسمية الذي كان يقف في باب غرفة المطالعة راسه

وابتسم عندما مر به سورم . وفك سورم ياقته وفتح سترته : لقد شعر

بالحر من جراء الياقة . كانت تسير امامه امرأة ترتدي بذلة سباحة من

الطراز الفكتوري . ودفعت الباب ودخلت ، فرجع الباب اليه بعنف

فصده بقدمه .
وابتسم له الرجل ذو البذلة الرمادية وذو النظرة الجادة الذي يقف
في نافذة الاستعلامات ، وقال :
- مرحبا بك . لم ارك منذ زمن .
- اهلا روني . كيف تسير الاحوال ؟
والقت المرأة بنظرة حادة من فوق كتفها كأنها ارتابت في انهما كانا
يتحدثان عنها . وتبعها سورم بنظره وقال معلقا :
- يبدو ان هذه الفاجرة قدرة المزاج . كادت ان تهشمني بالباب .
- نعم ، كانت على هذه الحال منذ يومين . تخاصم معها احدهم قبل
ايام لانها احتلت منصبتين فضربته بمظلتها . ومنذ ذلك اليوم اعلنتها حربا
على الجميع .
فقال سورم متضحكا :
- كم اتمنى لو رايت المشهد !
- اين كنت هذه الايام ؟
- اوه ، كنت انتقل من مسكني ، واشياء اخرى مختلفة . ولكن انظر ، يا
روني ، هل يمكنك اسداء العون لي ؟ اريد الرجوع الى كتب تبحث في السادية .
- الا تعتقد انك تقوم بطرفة من علم الالوهيات التصوفي ؟
فقال سورم محترسا :
- انها مجرد فكرة للقصة التي اكتبها ، خطر لي ان ادخل فيها شخصية
سادية .
- اه ، طيب ، هنالك الكتب المعروفة - كرافت ايبينغ ، وستيكل وغيرهما ،
فما رايك فيها ؟
- هذه كتب اولية ، ولا بد ان هناك مؤلفين اخرين عديدين .
- اجل . ولكن كثيرا من البحوث عن هذا الموضوع مكتوب بلغات
اجنبية وتجده في مجلات طبية . عليك ان تلقي نظرة على المصادر الوحيدة في
أحد الكتب الرئيسية في الموضوع - كتب بلوخ او غيره ... انظر في قائمة
المواضيع تحت عنوان « علم النفس » هل تريدني ان انظر لك ؟
- نعم ارجوك . ان هذه القوائم تربكني . انا ذاهب للبحث عن كرسي .
ووضع معطف المطر على ظهر الكرسي وترك كتابين للمراجع على الطاولة
لثلا يحتلها شخص اخر . وفي المرحاض الذي يقع في الطابق الاسفل فسهل
يديه ووجهه بالماء الساخن وعاد الى غرفة المطالعة وهو يحس بالانتعاش . لم
ير احدا في نافذة الاستعلامات ولكنه شاهد على طاولته كومة من كتب المراجع

فيها قصاصات من الورق تبين الصفحات التي يجب البحث فيها . وقضى ربع ساعة اخرى يبحث عن عناوين الكتب في قوائم اسماء المؤلفين وبهيمى بطاقات الاستعارة لها . ثم ناولها للموظف واخذ معطفه وخرج من المتحف البريطاني . واخذ يحس بالجوع ثانية .

وفي احدى حانات شارع تشيرنك كروس تناول قطعة ساندويتش من لحم البقر وشرب زجاجة من البيرة . كانت الساعة لم تتعد الواحدة الا ربعا . ولم يكن يتوقع وصول كتبه قبل الساعة الثانية . وامضى الساعة التالية يتمشى بين دكاكين الكتب المستعملة واخيرا اقتنى الجزء الاول من « العالم ارادة وفكرة » . كانت نسخة قديمة تمزق غلافها بشدة . واحس بالسرور في نفسه وهو يسير عائدا الى المتحف . كان بحاجة الى الكتاب منذ سنين ، ولكن اسعار النسخ الجديدة منه كانت تمنعه من شرائها .

كانت الكتب قد وصلت عندما عاد . وكانت غرفة المطالعة شديدة الزحام الان وقد انتهت فترة الغداء . كان جوها حارا خائقا بصورة اشد من قبل . فخلع معطفه وسترته واستقر في مجلسه واخذ ينظر في الكتب التي كانت تؤلف حاجزا بين طاولته وطاولة شخص اخر كان يجلس الى يمينه . وبعد مضي وقت ما اخذ الدفء يشيع النعاس في نفسه . فدفع عنه مجلدا عن حوادث القتل في دوسيلدورف وراح يمطي ذراعيه وساقيه . وقرر ان يذهب الى المرحاض ليفسل وجهه مرة اخرى .

وحالما انتصب واقفا رأى نين . كان يخطو نحو الطاولة الوسطى وهو يحمل مجموعة من الكتب . فظل سورم واقفا يرقبه يدفع بكومة الكتب على الطاولة الى ناظر المكتبة . وفي تلك اللحظة ، وكأنه شعر بنظرة سورم ، التفت براسه . فابتسم في الحال ولوح بيده ، ولوح سورم له بدوره وتقدم نحوه .

— جيرارد ! ماذا كنت تفعل بحق السماء ؟

— اقرا .

— ما اعجب الامر ! منذ متى وانت هنا ؟

— منذ الثانية عشرة والنصف .

— أنا ايضا كنت منذ ذلك الوقت . ما اجمل ان اراك . هل انت على استعداد لمفادرة القاعة ؟ لنذهب ونشرب الشاي .

كان سورم على وشك الموافقة ولكنه تذكر الكتب . فاذا اعادها اثناء وجود نين ، فليس هناك شك في ان نين سيقرا عناوينها . ولم يكن يرغب في ان يعلم نين شيئا عن فضوله الجديد . وقال :

— لا . . . لا استطيع الان . اريد ان اتم كتابي .

- ما هو كتابك ؟
- حياة القديسة تيريزا دي ليزيه ، اريد ان اتم الكتاب هذا اليوم .
اسمع ، لم لا نتقابل بعد نصف ساعة في محل ما ؟
- آسف علي ان اذهب لمقابلة احد الناشرين قبل الساعة الخامسة . ماذا
ستفعل الليلة ؟
- لا شيء .
- اذن فيمكنني المجيء اليك في حوالى الساعة السابعة؟ يمكننا بعدئذ
ان نذهب فنشرب .

- حسنا . هذا رائع .
وعاد الى كتبه وقد خامره احساس بالذنب . هنالك شيء طفولي يخيظ
بنن . وقد زاد من شعوره بالذنب الطريقة التلقائية التي اخذ بها سورم .
لقد أفتتن سورم بطريقة نن هذه واعجب بها . واستبعد ان تكون بسبب
الميل الجنسي الشاذ فقط . ووجد انه من العسير عليه ان يعضي في قراءة
ذلك الكتاب عن كورتن دون شعور ، لا منطقي بالطبع ، بانه يخون نن . وظل
يقرا مدة ربع ساعة اخرى ثم اعاد الكتب الى ناظر المكتبة . وطوى بطاقات
المطالعة ووضعها في محفظته . وفيما هو يخرج من غرفة المطالعة قال له
المشرف على المكتبة :

- امفادر انت يا جيرارد ؟
- اهلا يا روني . شكرا للمصادر .
- هل وجدت الكتب التي كنت تبحث عنها ؟
فقال بعبوس :
- نعم شكرا . ولكنني وجدتها فظيعة .
- لا يدهشني ذلك . اما تزال عازما على ادخال شخصية سادية في
قصتك ؟

- اظن ذلك . ولكنني لا اعتقد اني ساجعلها على شاكلة واحد من هؤلاء .
فيبدو ان جميعهم يفتقرون الى الانسانية .

ومشى بدراجته في الشارع القبطي وهو يطل في محلات شرب الشاي
اثناء مروره بها لعله يرى نن . واخيرا ، اسند الدراجة الى شبك مطعم
لاينس كورنر هاوس واطل بنظره في الداخل . واحس لسبب من الاسباب
بالامتعاض من نفسه ، فقد اورثته مقابلته مع نن شعورا بالتوقع . وبدت له
فكرة العودة الى مسكنه اشبه بالانتكاسة . واتجه نحو شارع بلومزبري
سنريت ومضى يتخيل غرفته ويستحضر جوها ومظهرها كيما يقرر هل هر

يرغب فعلا بالعودة اليها . وقرر على الفور انه لم يكن راغبا . ثم تذكر دعوة
المس كوينسي لزيارتها . كانت الساعة تشير الى النصف بعد الثالثة ولم
يزل الوقت مناسباً لمشاركتها الشاي . وفي محطة كامدن تاون اجتاز اضاء
المرور بدلا من الاستدارة الى اليمين باتجاه كنتش تاون . وعندما بلغ منتصف
الطريق الى هافرستوك هيل ترجل من الدراجة وراح يدفعها ، واحس بحرارة
شديدة ، وضايقه المرور ، فلم يرهق نفسه بركوب الدراجة صاعدا الطريق .
وفي زاوية فيل اوف هيلت اخذ يرسل بصره محققا خلف الفتاة التي كانت
تبتعد عنه صاعدة التل . لقد احس فيها شيئا مألوفا . فامتطى دراجتسه
وتبعها . وقبل ان يصل على بعد عشر ياردات منها تيقن من هويتها . فهتف :
- هلو ، كارولين !

فالتفتت كارولين وصاحت :

- هلو ، جيرارد ! ماذا تفعل هنا ؟

- انا ذاهب في زيارة لجيرترود .

- انها ليست في البيت . كنت هناك توا .

- وماذا تفعلين انت هنا ؟

- جئت لامضي ليلتي هنا . وقد طلبت اجازة هذا المساء . تبدو
شديد الحرارة .

كان يلهث بشدة . واسند الدراجة الى حافة الرصيف .

- اجل . اكاد اموت من الحرارة . الى اين تذهبين ؟

- لتناول قذح من الشاي في المقهى . هل يمكنك التسلق ؟

- قليلا ، لماذا ؟

- تسلق اذن من فوق الباب الخلفي لبيت العمه جيرترود وانظر اذا
كانت قد وضعت المفتاح الاخر هناك . فهي تضعه عادة في سقيفة ادوات
الحديقة .

- حسنا لنذهب ونلقي نظرة .

وتناول يدها وهما يمشيان نحو فيل اوف هيلت، ولكنها سحبتها على الفور:

- ينبغي الا تفعل ذلك . ربما تأتي العمه خلفنا بسيارة .

- هل يهم ذلك ؟

- ليس بالنسبة لي . ولكن لا حاجة بها ان تعرف اكثر مما ينبغي .

ونظر اليها وقد ادهشته صلابة نبرتها وتعقلها . فارسلت له قبلة
بشفيتها وهي تبتسم :

واسند دراجته الى جدار الدار . و اشارت الى سياج خشبي عال

- فيسه بوابة .
- هل يمكنك تسلقه ؟
- اظن ذلك .
- واسند الدراجة الى السياج ووقف على عارضة الدراجة . فاستطاع ان يفرج ساقيه ويعبر من فوق البوابة ويتسلق نازلا الجانب الاخر من البوابة . فصاحت :
- هل باب السقيفة مقفل ؟
- فتحسس الباب وقال :
- كلا .
- طيب . افتحه اذن .
- ورفع مزلاج الباب وفتحه لها . فدخلت السقيفة وخرجت بعد لحظة وهي تحمل المفتاح . واجال طرفه في ارجاء الحديقة ، كان يراها لأول مرة في ضوء النهار . كانت هنالك اسيجة من النبات وممر مبلط بالاسمنت يمر عبر ساحة الحشيش باتجاه اشجار التفاح في الجانب الاخر ، وكانت في وسط كل ساحة قطع مستديرة مزروعة بالازهار . وقال :
- الا تكثرث ؟ اعني ، الا يزعجها ان ندخل بهذه الطريقة ؟
- كلا ابدا . انها تتوقع مجيئي على أية حال . هيا ادخل .
- وفتحت الباب الخلفي . وقال :
- ما اسعد حظها ان تمتلك مثل هذا البيت .
- لم لا تطلب يدها ؟ فربما تنتقل انت ايضا الى هذا البيت .
- لا تكوني حمقاء .
- وخلع معطف المطر وعلقه في اسفل السلم . اما هي فقد اخذت تملا الابريق بالماء لتضعه على الموقد الغازي . وقالت :
- انا لست حمقاء . لو كنت رجلا لفعلت ذلك .
- واقبل سورم الى خلفها واحاط خصرها بذراعيه .
- اتمنى لو تسكن انت هنا .
- والقت براسها الى الوراء وجعلته يقبل فمها . وترك يديه تستقران على جسدها لتتحسس تسطح فخذيه وكلات جواربها . وقالت :
- اوه يكفي ! يجب ان نسلك بتعقل .
- لماذا ؟
- ربما تأتي العمه .
- طيب

وافترق عنها وهو يشعر بتوتر في معدته من جراء الدفء الذي ولده الاحتكاك بها . وقالت بصوت ناعم :

— انا لا اريدك ان تكف .

وخلع سترته ، وقد احس فجأة بالتعب . وقال :

— سأذهب لاغتسل . احس اني قذر .

وفي الحمام خلع بلوزه الصوفي وقميصه واخذ يفسل صدره ورقبته بالماء الدافئ . ثم اتكأ على الحائط واخذ يتشأب بعمق . وسمع صوت كارولين تتحرك في الغرفة المجاورة . وكان قميصه مبللا بالعرق . فدسه في بنطلونه واخذ يمشط شعره وبدأ يشعر بتحسن . وكان قد غسل وجهه بأسفنجة تكاد تكون جافة . ونظر الى نفسه في المرآة، فوجد انه بحاجة الى حلاقة ذقنه. وانفتح باب غرفة نومها . فقال :

— ماذا تفعلين ؟

— اغير ملابسني .

— هل تستطيع الدخول ؟

كانت ترتدي بذلة قطنية مزينة بالازهار . فوقف خلفها بينما هي تسرح شعرها وهي جالسة امام المرآة .

— هل تحتفظين بملابسك هنا ؟

— بعضها . واكثرها قديمة .

— لا يبدو هذا قديما .

ومال فوقها وجعل يمر بشفتيه على اذنها . وقال :

— كان يجب ان ادخل قبل بضع دقائق .

وابتسمت له في المرآة ثم وقفت . وحاول ان يضع ذراعيه حول خصرها ولكنها دفعتهما .

— لا . يجب ان ننزل .

— لماذا ؟

— قد تأتي العمه .

— يمكننا سماع السيارة .

— والابريق اخذ يفلي .

وادارها ومن ثم جذبها نحوه . لم تكن تلبس حذاء ، فكان عليه ان ينحني ليقبلها . فاحاطت رقبتة بكلتا ذراعيها . وكان لو امتدل بموقفه لتعلقت على ارتفاع ست بوصات عن الارض . واحس بدفء شفتها السفلى التي كانت قد مدتها ، ثم احس بشفتيها ترتخيان فتفترقان . وكان جسدها مائلا اليسى

الخلف بين ذراعيه ، وقال :

— انك قصيرة جدا .

فقال ضاحكة :

— انك طويل جدا .

وضغط على خصرها وشد به نحوه ورفعها عن الارض .

— ستتصلب رقبتى لو بقيت منحنيًا على هذه الشاكلة !

وحملها خطوتين الى الوراء ثم اخفضها الى السرير ، فلمست ركبتيها من الخلف حافة السرير فجعلت جسدها يسقط على السرير . وقالت بلهجة حزينة :

— يجب ان تسلك بتعقل . ربما تأتي .

فرفع ساقيها ودفع بهما على الفراش وركد بجانبها وقبلها ثانية . وشعر بنفس حالة الهيجان والتوتر التي احس بها في الليلة الماضية ، وربه احساس بال تكرار ثم اكتشف بصورة غريزية انها لم تكن متهيجة مثله ، فقبلها بعنف اكثر وهو يدمك ثديها الايسر باليد الاخرى . وما عادت تقاومه ودمته يغطيها الى منتصفها بجسده . فلما توقف عن تقبلها قالت :

— انك لجرىء حقا . يجب الا ...

وطمس كلماتها بقبلة وشعر بها تتوتر تحت ثقله — ثم استرخى واضطجع بجانبها ، ووجهه على الوسادة . فقالت بتوسل :

— لسنا في المكان المناسب . يجب ان آتي لزيارتك . لا نفع هنا .

فقال :

— طيب .

وادهشته البحة في صوته . فسعل لينظف حنجرتة واخذ ينظر في وجهها . كانت ذقنها محمرة ، فتذكر انه لم يحلق وجهه ، كانت تضطجع وحدها على ذراعيها الايمن ولم تكن تحاول ان تتحرك بالرغم من انه لم يكن ممسكا بها . وكانت حافة تنورتها العريضة مفروشة خلفها على الفراش . فدس ذراعه الايسر تحت رقبته وسحبها نحوه مرة اخرى . وتمكنت من ان تحس بتهيجه . وشعر بدقات قلبها بينما كان يقبلها . ثم ضغط بيده اليمنى على فخذها من الخلف ثم حركها الى ردفها واخذ يتحسس نعومة لباسها الداخلي باطراف انامله وقالت :

— ليس الان ارجوك ، يا جيرارد ...

وانتبهت في وقت واحد الى صوت سيارة . وقال مزمجرا :

— يا لله . ما اتعس الحظ !

فجلست على حافة السرير وانزلت رداءها . واطلت في المرآة واخذت تعدل شعرها باناملها . ونظرت الى وجهه الذي يعبر عن الضراوة والكآبة وانحنى لتقبله .

- هيا ، انهض . يجب ان اسوي الفراش .
- فدحرج نفسه على مضض وهو يدمدم . وقالت ضاحكة :
- يكفي عبوسا واذهب لتهيئة الشاي .
- وسمعا صوت باب سيارة يفلق . وقال :
- لا استطيع . انا مستعد لاغتصاب اول فتاة التقى بها . حتى جيرترود .
- سيكون من دواعي سرورها على ما اظن !
- وركضت خارجة من غرفة النوم وهبطت السلم . اما هو فقد دخل الحمام وجلس على حافة مقعد المرحاض وهو يحرق في قدميه . وما لبث ان خفت الهيجان الذي كان يحس به في كتفيه وفخذه . وسمع صوت مفتاح يولج في الباب الامامي ثم الباب يفتح .
- وهتف صوت كارولين :
- هلو ، ابتها العممة .
- فقالت المس كوينسي :
- هلو ، ابتها العزيزة ، كيف دخات ؟
- استطاع جيرارد ان يجلب مفتاح الباب الخلفي .
- جيرارد ... ؟
- وتقهقرت اصواتهما الى المطبخ . ونظر الى نفسه في المرآة ، وشرح شعره واراد ان يخلق سببا لوجوده في الطابق العلوي فسحب سلسلة المرحاض ، ثم تأكد من هندامه وخرج نازلا .
- كانت كارولين وحدها في المطبخ تسكب الماء في وعاء الشاي . وعندما رمقها بنظرة تساؤل ، اشارت الى الباب . فذهب الى الغرفة الاخرى فوجد المس كوينسي تخرج عددا من الكتب من حقيبة يدها وتنضدها في المكتبة .
- وقالت بلهجة مشرقة :
- هلو جيرارد . ماذا جاء بك الى هنا ؟
- كنت آمل في مشاركتك شرب الشاي .
- هل هناك امر هام ؟
- كلا . . . كنت في المتحف البريطاني هذا المساء ، وتعبت من القراءة فخطر لي ان آتي لزيارتك .
- جميل منك . كان يجب ان تتصل بي تلفونيا . كم مضى عليك هنا .

— خمس دقائق فقط . التقيت بكارولين في نهاية الشارع ...
فابتسمت له .
— على كل ، يجب ان تأتي في امسية اخرى . هل تبقى للعشاء هذه الليلة .
— وماذا عن اجتماعك ؟
— لا داعي للمجيء اذا لم ترغب . يمكنك ان تذهب مع كارولين في نزهة
في منطقة « هيث » . ينتهي الاجتماع في التاسعة .
— كلا . اود ذلك ولكنني على موعد مع أوستن ... على كل حال ، ليس
لدينا الكثير مما نقوله لبعضنا ، اليس كذلك ؟
فقالت بصوت مرح :
— كلا . اعتقد انك على حق .
وضعت يدها على ذراعه وعصرتها وهي تمر به وتبتسم . وراح يتساءل
ما الذي جعلها بهذا المزاج اللطيف . وجعله ذلك الشعور الطفيف بسالدينب
حول كارولين يشعر انه كان سعيد الحظ الى حد غريب مهما تكن الاسباب .
وعندما سمعها تتحدث الى كارولين في المطبخ احس بالفرح لانه سيرى
أوستن فيما بعد . فلم يكن لديه عذر للبقاء . لقد كان يشعر وهو مع المرأتين
معا في نفس الغرفة باحساس من الانقسام الذاتي يستنزفه ؛ وكان يحس
بانه يقع ضحية .

الفصل الثامن

— بالله عليك ! يكفيننا ما شربناه من الوسكي ! ستتورم حيناي قبل الوصول الى النادي .
فقسال نن :
— اشرب ما في استطاعتك .
وناول سورم قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي . وقال نن :
— والان . حان وقت الطعام . لنر ما عندنا في الثلاجة .
— هل تسمح لي بالقاء نظرة على مطبخك ؟
— تفضل .
وتبع نن خارج الغرفة وظل واقفا في باب المطبخ يرقبه وهو يخرج الطعام من الثلاجة ويصفه على عربة صغيرة . وقال :
— ما اوسع مطبخك ! ويكفي لتجزئته الى اربع مطابخ .
— كان لعمي ، وكان عمي يميل الى اقامة حفلات العشاء الكبيرة التي تستلزم عددا من الطباخين . انه في الواقع اوسع مما احتاج ، ولكن يعجبني ان يكون هناك مجال واسع اثناء الطبخ .
وكان الانطباع الذي يتركه المطبخ هو انه كان في الاصل معرضا لادوات المطبخ او انه نقل مباشرة من «معرض البيت المثالي» . كانت رفوف الاطباق الزجاجية والخزفية وقدر القلي المصطفة وحتى الطاولة الخشبية الكبيرة التي تتوسط الغرفة كانت كلها تدل على ان المطبخ لم يستعمل ابدا . وكان في المصطبة المطلية باللون الابيض القريبة من المدفأة الغازية عدد من الازرار الكهربائية مثبتة على حافتها . وكانت الاشكال المرسومة على الجدران باللونين الاصفر والابيض تتكرر نفسها على الرخام في ارضية الغرفة . وقال سورم :

- الا تلتقي ابدا بالفتيات اللواتي يحاولن الزواج بك للاستمتاع بهذا
المطبخ ؟

حدث ذلك فعلا . ولكن منذ مدة طويلة . ولذا لا ادع الفتيات يرينه
بعد . هل يعجبك الهليون ؟

- لا اعتقد اني ذقته في حياتي .

- حقا ؟ اذن فابدا به .

- ما هو رأي جيرترود في هذا المكان ؟

- تأتي احيانا وتستعمل هذا المطبخ ، عندما تريد ان تهئ طعاما غريبا .
فهناك اجهزة توقيت كهربائية لكل شيء . . . خذ !

ودفع العربة فجأة دفعة جعلتها تنطلق نحو سورم . فقال سورم ضاحكا :
- مخبول !

وامسك بها قبل ان ترتطم بالجدار . كانت تحمل صحننا عليه اعواد
الهليون وفرخ دجاج بارد انتزع احد فخذي . وكان هناك ايضا وعاء زجاجي
فيه سلطة ميونيز تبدو جامدة من البرودة . وقال سورم :

- ماذا كنت ستفعل لو لم استطع مسكها ؟

- لكنك ذهبت بك الى احد المطاعم . هلا دفعت العربة هناك ؟

اني اضع الزبد على الخبز . وياشر بالاكل ، ستجد الصحنون وغير ذلك
تحت . وسأجلب انا السلطة .

وفي غرفة الطعام انتزع سورم جناح الفرخ واخذ يقطعه الى شرائح
عديدة وترك الفخذ لا وستن . وملا صحنه بالهليون ثم تناول بالملعقة قليلا من
الميونيز الجامد ووضعه على جانب الصحن . ثم اسند احد الكتب على
الوسائد واخذ يطلع . وسمع في المطبخ صوت فلينة تنطلق من زجاجة .
واقبل نن اليه بينما كان يقرأ وكوم شيئا من السلطة في صحنه .
وقال نن :

- وجدت بعض الشمبانيا .

- حسنا . ولكن لم يزل لدي قلدح الويسكي ذاك .

- اشربه فيما بعد .

وتوقف سورم عن القراءة عندما ترنح الصحن وكاد يسقط من على
ركبتيه . وقال نن :

- انتظر . سأحضر لك صينية .

وبعد ان اجال بصره حوله قليلا ، قال :

- لا اجد واحدة . استعمال هذا .

- وسحب كتابا كبير الحجم رقيقا من المكتبة وناول له سورم . فسأل سورم :
 - ما هذا الكتاب ؟
 وفتح فوجد اوراقا موسيقية كتبت بقلم الرصاص وقد رسمت رموز
 غريبة الشكل بين السطور .
 - هل يمكنك معرفته ؟
 - كلا . فلا استطيع قراءة الرموز الموسيقية .
 - انها ليست مجرد نوبة موسيقية . انها النسخة الخطية الاصلية
 لـ « طقوس الربيع » لنجنسكي . وهذه الرموز المضحكة هي نوبة الرقص
 التي استنبطها هو . هذا خطه في اعلى الصفحة .
 - اين حصلت عليه ؟
 - من احد بائعي التحف .
 واستأنف سورم تناول الطعام . وترك المخطوط مفتوحا على الوسائد
 بقربه . فقال نن مبتسما :
 - الا تستطيع الاكل دون النظر اليه ؟
 - انه احساس غريب ... ان تعلم انه كتب كل ذلك بيده .
 - هذه الكلمات المكتوبة بالحبر الاخضر على الفلاف هي بخط سترافنسكي .
 - صحيح ؟
 - لاحظ ، لا تأكل عود الهليون باكملة !
 - اليس المفروض ذلك ؟
 - كلا . كل الى الجزء الصلب . مثلي .
 - آه ، بهذا الشكل . شكرا .
 ومد يده ليتناول قذح الشمبانيا . وقال :
 - لنشرب نخب فاسلاف .
 وافرغ القذح جرعة واحدة . وانساب في اعماقه احساس بالدفع
 والبهجة كتيار كهربائي ضئيل . واعاد نن الكلمات :
 - نخب فاسلاف نجنسكي .
 ثم شرب الكأس . وقال سورم :
 - اعتقد انه من اللطيف ان يكون المرء غنيا .
 فعبس نن :
 - افضل من ان يكون المرء معدما . ولكن الغنى لا يضمن لك شيئا .
 - كلا ؟
 وضحك وهو يحس انه ينبغي عليه ان يعبر عن السرور الذي يشعر به .

وقال نن بفضول :

— لماذا تضحك ؟

— كنت جائعا .

ولكنه لم يخبر نن بالسبب الحقيقي لضحكك : ذلك انه احس فجأة بأنه على وفاق مع وجوده ، في وسعه ان يزن وجوده ، وان يلخصه ، ولا يشعر بغير الامتنان . لقد كان يسره ان ينقل هذا الاحساس الى نن ، لشعوره بالامتنان له لانه كان السبب في تبصره في اعماق نفسه ، ولكن مجرد نقله بالكلمات لم يكن ليعني شيئا . ونهض سورم وصب المزيد من الشمبانيا في كلا القدحين . وقال :

— يدهشني انك شديد الحماس لنجنسكي . انك لم تره يرقص .
فهو سورم كتفيه :

— ليس ذلك . هنالك شيء اخر ... الاستقلال . نوع من الحيوية
المجردة .

— ويدهشني انك لا تفضل عليه شخصا مثل د.ه. لورنس الذي
يعبر عن ذلك بوضوح اكثر .

— كلا . لا يمكنني التعلق بلورنس . انه بالنسبة الي يمثل ما كان
يمثله نجنسكي ولكن بطريقة مخففة محلولة . انه دائما يولد لدي الشعور
بانه يكثر كثيرا للاشخاص . انهم يشاكسونه وهو لا يحبهم كثيرا . على
كل حال ، فقد كان مخطئا في كل ما قاله عن الجنس .

— اظن اني لا اتفق معك . اني لشديد الاعجاب به .

— طيب . لندع النقاش حوله . قل لي ، ما هو سبب هيام جيرترودبك؟

— لست ادري . يعرف واحدنا الآخر منذ مدة طويلة ...

وابتلع آخر لقمة من فخذ الدجاجة ووضع العظمة بعناية على جانب

الصحن وقال ، وكلماته في غير محلها بصورة واضحة :

— يسرني ان امورك تسير على ما يرام مع جيرترود .

— انها رائعة ، ولكن ما يزعجني هو انغماسها في الدين .

— لا تدع ذلك يزعجك . انها تميل اليك .

— هل تعتقد انه كانت لها اية تجربة مع الرجال ؟

— قليلا جدا ، ربما . لماذا ؟ هل تجدها جذابة ؟

فقال سورم معترفا :

— انها النوع الذي يعجبني . رشيقة . جميلة القوام .

— ولكن ارجوك الا تضطجع معها . فان ذلك سيجلب لها الضرر .

— لمساذا ؟

— لانها تحمل كل الامور على محمل الجد واذا كانت بحاجة الى رجل وهي في هذا العمر المتأخر ، فينبغي لها الزواج .
فقال سورم باكتئاب :

— اقول انك على حق .

وندم لانه فتح الموضوع ، فانه لم يكن على يقين من نفسه فيما اذا كان جادا في علاقته مع جيرترود كوينسي . وبدأ له الحديث عنها سابقا لاوانه .
وقال نن ، كانه قرا افكار سورم :

— لا تغتم ! فلست ارتاب في نواياك تجاه جيرترود . على كل حال ، انها كبيرة السن بالنسبة لك . وليس هذا سبب رغبتك في زيارتها ، اليس كذلك؟
ونظر سورم اليه باهتمام :

— كلا . ليس هذا . ماذا تعتقد انت ان يكون السبب ؟

— شيئا يتعلق بمعتقداتها . لا يمكنك الاستنتاج هل انها غير مخلصة في معتقداتها .

— تخمين لا بأس به ! ولكن الامر لا يتعلق بجيرترود فقط ... انه يتعلق بي . اريد ان اعرف النقاط التي اختلف فيها معها . اتعلم ... يجب ان يصيبنني انهيار عصبي او يجب ان تجري عملية غسل ذهنية او شيء آخر قبل ان استمرىء ذلك الهراء عن ان الكتاب المقدس هو المرجع الاخير عن كل شيء ... لا يمكنني فهم ذلك ابدا . اعني ... هل نشأت على هذا الاعتقاد؟ هل ذلك هو السبب ؟ فهي تبدو على جانب من الذكاء في النواحي الاخرى . هل تفهم ما اعنيه ؟ لو انها وضفت على رأسها شعرا مستعارا وادعت انها مدام دي بومبادور لما حيرني امرها ... فيمكنني ان اتصور شخصا في رأسه افكار غريبة . ولكنها تبدو تامة الاتزان . انها ليست من طراز اوليفر غلاسب ...

— اوليفر ؟ هل تعرف اوليفر ؟

وتوقف سورم ، واحس ، لفترة قصيرة ، كانه افشى سرا . ثم استعاد حالته وقال :

— نعم . ذهبت بالامس لزيارته .

وبدت الدهشة واضحة في وجه نن :

— لم زرته ، بالله ؟

— كان ما اخبرتنني به عنه اثار فضولي . ثم اني اعجبت برسومه . وقد اعطاني الاب راكوسي عنوانه .

- ونظر اليه نن باهتمام :
- انك لغريب الاطوار حقا ! لم لم تخبرني بذلك ؟
- نويت ان اخبرك . فليس فى الامر سر .
- وعسم تحدثتما ؟
- لم نتحدث كثيرا . وظننت انه سيكون فظا قبل كل شيء . وزمجر كالكلب .
- هذا ما يتصف به اوليفر !
- ثم تحدثنا عن ... اوه ، الدين والتكشف ، واخيرا عن القتل ...
- هذا ما يتصف به اوليفر ايضا !
- لماذا ؟ هل الحديث عن القتل من المواضيع المفضلة لديه ؟
- اجل . انه من مواضيعه المفضلة .
- يدهشني ذلك . لماذا ؟
- لا اعلم . انه دائم التفكير فى الالم والعذاب . انه يدع هذه الافكار تقوده الى الشرود احيانا . وهو يتأمل فى هذه الامور اكثر مما ينبغي . عندما التقيت به لأول وهلة ، كانت لديه نظرية ما ... دعني افكر ... اجل ...
- كان يعتقد ان الحياة انما هي استعداد للعذاب الابدى . وقد هيا كل تفاصيل هذه النظرية . يعمل الجسد على صد الالم ، ولكننا مع هذا نتالم طسول الوقت . وعندما نتحرر من الجسد لا يوجد هناك ما يصد الالم ... فيبقى الالم الابدى . وقد استنتج من تلك الفكرة ان على الانسان ان يعرض نفسه للعذاب دائما ... على سبيل التمرين للعذاب الابدى . واعتقد انه كان يرتدي دائما قميصا مطعما بالمسامير .
- حقا ؟ لم اتوقع ذلك .
- ولكنه لا يعدو ان يكون مخبولا ، اوليفر هذا . اعتقد ان له قدرة على التنبوء حقا .
- هل انت جاد فى قولك ؟
- تماما . اتعرف انه من عائلة ارلندية ؟
- ظننته من يوركشاير ؟
- من لانكشاير . ايرلندي من ليفربول . لا اعتقد انه زار ارلنده يوما .
- وقد اخبرني احدهم مرة - اعتقد انه الاب كارائز - بان جدة اوليفر كانت امرأة معروفة تجمع بين عمل السحر والقداسة فى كاوتني كلير ... انها تقوم بالتنبوء والوساطة وغير ذلك . وتظهر هذه الاعراض على اوليفر احيانا .
- كيف ؟

— عدني الا تخبره بذلك .

— اعدك .

— طيب . لقد اضطرب نومه مرة واخذ يرى الكوابيس . فأخبر صاحبة البيت في صبيحة أحد الايام أن شخصا يدعى توماس سيموت قتلا في ذلك الليلة . فظنت صاحبة البيت انه مصاب بخبل . وفي تلك الليلة نصب كمين لرجل يدعى توماس فعلا وحاول اللصوص سرقة محفظة نقوده ، ولكن صريرهم كانت قاسية جدا فقضت عليه . وقد رأى اوليفر الحادث في حلمه كما وقع بالضبط .

واحس سورم أن شعره ينتصب على جلدة رأسه . وقال :

— يا الهي !

— ولم يستطع اوليفر الرقاد في الليلة التالية — فقد الحت عليه الاحلام . ولحسن الحظ ، فقد ارسلته صاحبة البيت لمراجعة طبيب فارسله الطبيب بدوره الى طبيب نفساني . وهيا له الاب كارائز المال ليدخل مستشفى الامراض العقلية فترة من الزمن . فشفي بعد ذلك . ولكن حلمه بحادثة القتل قبل وقوعها ما يزال حقيقة واقعة .

— هل انت متأكد من انه حلم بالحادث قبل وقوعه ؟ اقصد ، هل هناك دليل على ذلك ؟ هل حاول الاتصال بالشرطة مثلا ؟

— لا اظن ذلك ، حسب ما اعلم . ماذا كان يمكنه ان يفعل ؟ ان كلابهام كومون منطقة واسعة وهناك الاف من الناس في لندن يحملون اسم توماس . من قال لك ذلك ؟ اوليفر نفسه ؟

— كلا . الاب كارائز .

ووزع آخر ما بقي من الشمبانيا على القدحين . وقال :

— والان ، ما رأيك في فاكهة ؟ هل تريد خوخا ام بوظة ؟

— لا اريد شيئا ، شكرا . كان الطعام لذيذا .

— لم تنه قدح الوسكي .

— لم ابدا به بعد !

ونظروا الى ساعته .

— النصف بعد العاشرة . الوقت لم يزل مبكرا للذهاب الى البلايكا .

يجب ان لا تكون هناك قبل الساعة الحادية عشرة والنصف . هل يضيرك ان أفرغ من بعض النداءات التلفونية ؟

— كلا ابدا . أخشى ان اكون في طريقك ؟

— كلا ، سأذهب لأستخدم تلفون غرفة النوم . انظر ، اشرب قليلا من

الوسكي ان اردت . لن اناخر ...

وغاب في غرفة النوم . وتشاءب سورم ثم تمطى . كان يحس بقليل من السكر . وانتظر حتى سمع رنين جرس التلفون عندما رفع نون السماعه من قاعدتها وسكب كمية كبيرة من قدح الوسكي في القنينة . كان ينتظر هذه الفرصة منذ ان صبه له نون . ثم جلس ثانية وامسك بالقدح الذي كان لا يحتوي اكثر من ربع بوصه من الكحول واحس كأنه في حلم غريب، كأنه لا جسد له ، وراح يتصفح مخطوط نجسكي .

* * *

وفتح عينيه عندما اجتازت السيارة شارع ايجوير رود ، ثم أغلقهما بنية . وقال نون :

— هل تذكر سقراط في محاوره « المأدبة » ؟ عندما زحف جميع السكيرين المتمترسين تحت الطاولة ، ظل متيقظا يتحدث عن المأساة . كان نيتشه يمثله ، غير انه كان يحمل صفات السوبرمان . هل جرفك النوم ؟ — كلا .

— لا تنم . ها قد وصلنا .

ونشطت حيوية نون في الساعة الاخيرة . وبالرغم من اصرار سورم على الا يشرب المزيد من الخمر فقد قبل قدح وسكي آخر واخذ يصفى الى نون وهو يتحدث من ابيه . وشعر سورم انه ازداد سكرًا ، فقد أخذت متاعب نهاره تظهر فيه . وقد ساعد هواء الليل على انعاشه .

وتوقفت السيارة في شارع ضيق ووقفت بين بوابات احد المصانع وصف من البيوت القذرة . ومد سورم يده الى قبضة الباب . وقال نون :

— انتظر ، سأرجع بالسيارة الى تلك الارض الخالية .

ولم نون شظايا الزجاج المهشم تعكس ضياء السيارة الخلفي ، وصعدت السيارة الرصيف بركة . وتناهت اليهما سعلات البخار الصادرة من قطار يسير ببط . واغلق سورم الباب ونزل مترنحا . فامسك نون بمرفقه :

— سر باعتدال ، ايها الصبي ! الى الامام !

فرفع سورم عصاه الى مستوى كتفه وهو يؤشر .

— كم يبعد المكان ؟

— مسيرة عشر دقائق . انها ستوقظك . هيا ، ايها الصبي !

فقال سورم مكشرا عن اسنانه :

— انك تنادينني كاني كلب الزاسي .

— لم اكن اقصد ذلك . هل سبق ان ذهبت الى ماخور ؟

- هل نحن ذاهبان الى ماخور ؟
 - تقريبا . لا تقلق ، انهم قوم مهذبون .
 - هل ذاك الذي يقف هناك رجل ؟
 - يبدو كذلك .
 كان الرجل مستلقيا على الرصيف ورأسه في مجرى القاذورات . كان
 ساكنا بلا حراك ، ولكنه تملل عندما اجتازا الشارع باتجاهه . وقال نسن
 مخاطبا الرجل :
 - هل أنت بخير ؟
 ووخز عجزه بعصاه . فقال الرجل بصوت غليظ غير واضح :
 - يا حبيبي . اذهبوا عني بالله عليكم .
 - لقد اغلقت الحانات . حان وقت عودتك الى البيت .
 ورفع الرجل جسده وجلس على ركبتيه وراح يرحف على الرصيف .
 وجلس بعنف فارتطم رأسه بالجدار . وقال :
 - يا حبيبي . اذهبوا عني . للنوم .
 فقال نسن :
 - سمعنا وطاعة .
 وداس نسن على ساقي الرجل الممتدتين ، وقال :
 - فرجيل يقود دانتى الى الدائرة الثانية .
 ثم اردف بالاطالية : حيث تصمت الشمس . ثم اتم عبارته بالانكليزية :
 حيث تغلق الشمس مصيدها .
 فقال سورم ضاحكا :
 - ليس فرجيل وانما مفيستوفيليس .
 - ما اجمل الافكار التي في رأسك ! اود ان ارتدي الملابس الداخلية
 الحمراء .
 وسال الرجل الذي يقف خلف الباب : اعضاء ؟
 فاجاب نسن :
 - أنا عضو .
 - هل تحمل بطاقتك ؟
 - ما هذا اللغو ، يا سام . الا تعرفني ؟
 - اسف ، لا يسمح بالدخول بعد منتصف الليل بدون بطاقة .
 - لم احمل بطاقة في حياتي .
 ومال نسن الى الامام وهمس شيئا في اذن الرجل . واستقرت نظرة

الرجل على المحفظة التي تقرر نسن عليها بعصاه . ثم التفت الى سورم ، وقال :
— هل هو على ما يرام ؟

— بالطبع . اكثر وعيا مني .

عشرة شلنات لكل منكما . العضو وضيغه . وقعا السجل وجاء .
كان السلم ضيقا . وتذكر سورم محلات شرب القهوة العديدة في سوهر
وتشلسي . وراى لافتة على الباب كتب عليها : نادي بلالاىكا : للاعضاء فقط .
وكانت هناك صور آلة البانجو تحت الكتابة .

كان اول ما وقع بصر سورم عليه هو قاعة واسعة تزدهم بالرجال
والنساء . وكانت الاضواء مغلقة بالاوراق الوردية . وكان يقف على ارضية
عالية اربعة من الزوج يعزفون على الاتهم موسيقى مرتجة غليظة تؤذي
الاعصاب ، وهرع لاستقبالهما رجل طويل القامة يرتدي سترة العشاء . وقال :

— طاب مسؤوك يا مستر نسن . كيف حالك ؟

— بخير ، اشكرك ، يا متزي . الليلة رواد كثيرون .

— اه ، نعم . كانت الليلة مزدحمة . هذه طاولتك يا سيدي .

وتقدمهما عبر حلبة الرقص الى مائدة في زاوية القاعة . وسحب نسن
المائدة لسورم قائلا :

— اجلس انت في الداخل ، يا جيرارد .

وسأل الرجل :

— ماذا تطلبان !

— شامبانيا ، كما اعتقد . الا تعتقد ذلك يا جيرارد ؟

فقال سورم :

— اي شيء .

كان يفضل الصودا فقط ، ولكنه لم يشأ ان يطلب .

— شامبانيا ، ارجوك يا متزي .

وبينما كان نن يوجه الطلب ، سنحت الفرصة لسورم ان يجلس
بصره . لم ير شيئا يستوقف نظره في الصالة او في الأشخاص الذين كانوا
يرقصون . ولم يكن يلوح على احد منهم السكر . وكان على مقربة منه رجل
يرتدي بدلة مسائية يقبل فتاة دافعا براسها الى الجدار . وكانت احدي يديه،
التي غطى جزء منها غطاء المائدة ، مستقرة على فخذه . ثم تخلصت منه
وقالت بصوت رجالي غليظ :

— ابتعد عني ، هيه ؟

واشاح سورم بعينه بسرعة ، فوجد نن يرمقه باستمتاع .

- كيف تجد المكان ، يا جيرارد ؟
- لم ار شيئا بعد .
- اسمع ، يا جيرارد . لم لا نهرب ؟ بعيدا عن انكلترا ؟ نذهب الى بلد آخر .
- لقد اقترحت علي ذلك تلك الليلة .
- صحيح ؟ وماذا كان جوابك ؟
- لا اذكر . ولكن الخطة غير عملية .
- لماذا ؟
- لاسباب عديدة . قبل كل شيء ، لا املك النقود .
- اعرف ذلك ! ولم اكن اتوقع أنك ستنفق شيئا !
- هذا ما يجعل المسألة اصعب !
- لماذا ؟
- اوه ... لا يمكنني ان آخذ نقودك . وثانيا ، لا اريد ان اضيع وقتي مطوفا حول العالم . افضل البقاء في لندن للعمل .
- يمكننا العمل على ظهر السفينة . هنالك متسع من الوقت . يمكننا الذهاب الى الهند ...
- قلت لي اميركا الجنوبية في ذلك اليوم !
- كلا ، الهند . لنذهب الى الهند . اتعلم ، يا جيرارد ، ارغب في الالتحاق بدير البوذيين فترة من الزمن ... يمكنك العمل هناك !
- افضل البقاء في لندن .
- ولكن لم ؟ لقد اعترفت لي قبلا بانك مللت لندن .
- كنت مللتها . هذا صحيح .
- الا زلت تشعر بالملل ؟
- ذلك هو القريب في الامر يا اوستن . منذ ان التقيت بك اخذت اشعر احسن من قبل ... اخذت احسن بوجود غاية .
- ولكن الملل سيصيبك ثانية عندما ارحل الى الهند !
- انك لا تفهم .
- طيب اشرح الامر لي ...
- واخذ سورم يجتهد للتغلب على سكره . كانت افكاره واضحة ، ولكنه احسن بالمجهود الذي ينبغي عليه ان يبذله ليعبر عن هذه الافكار دون ان تترنح في قمع الكلمات .
- الا ترى ، يا اوستن ، ان الامر هكذا . قبل ان التقي بك ، كنت اشعر

... كلا ، ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هو ... كنت احس بالالاهدية .
تلاحظ ؟ كنت اعيش من يوم لآخر ... لماذا ؟ لانني كنت حيا ، وما دمت حيا
فمن الايسر ان تعيش من ان تفعل اي شيء اخر . ولم يكن الامر كذلك دائما .
فكما تعلم ، عندما كنت اعمل كنت اعتقد بان رغبتني الوحيدة في الحياة هي ان
اكون حرا ، ان اكون حرا في عملي وفي فعل ما اريده . وكنت اقضي الامسيات
احبانا بقراءة كتاب او الاستماع الى موسيقى سمفونية وعندما يحين موعد
النوم كنت اشعر بالانفعال و ... اشعر بانني واثق تماما مما اريد عمله في
حياتي الى حد لا يمكنني فيه النوم ، مجرد أنني لا استطيع النوم . واعتقدت
بأنني لو لم اكن مضطرا للعمل طوال اليوم لاستطعت ان افعل كل ما ارغب في
فعله . هل تفهم ؟ كنت استطعت ان اقرأ الكتب وان استمع تلك السمفونيات
في الساعة العاشرة صباحا فأشعر بالسعادة وتنتابني تلك الانفعالات قبل
ان ينتصف النهار ، وبعدئذ يمكنني التفرغ للكتابة كالمجنون بقية النهار ، ما
دام الوحي موجودا . هذا ما اعتقدت اني كنت سافعله ...

— ولكن الامر لم يكن كذلك ، صحيح ؟

— كلا ، لم يكن كذلك . لقد اخبرتك كيف كان الامر . لقد بلغت مرحلة
اعيش فيها كالحيوان — مجرد الاكل والنوم وشعور بالازدراء لنفسني يلتصق
بي كالسحار . كنت اعلم بانه لو كان لدي المال الكافي لانفقت ايامي كلها اقنتني
الكتب والاسطوانات — او ربما مثلك اذهب الى باريس لسماع محاضرة لساوتر،
او اذهب الى ميلان لاسمع غناء ماري كالا .

فتتم اوستن :

— انت مرهف الحس ايها الولد العزيز .

— حسنا ، يكفينا ذلك . اعتقد اني نسيت كيف اعيش . لقد انزلت
الى هاوية القذارة والضجر ، هذا كل ما في الامر . ومنذ ان التقيت بك بدا
ذلك الشعور القديم بوجود غاية يعود الي . اوه ، ولكنه ليس شعورا واضحا
المعالم . انه مجرد شعور بالانفعال والحماسة كأنك على وشك ان تكتشف
شيئا . ولكنه شعور صادق . لقد كنت انت الذي حركت هذا الشعور ، غير
انه لا يمك من الناحية الشخصية .

— اوه ، بهذا الشكل ...

— لا تأخذ المسألة مأخذا شخصيا . سيؤلني كثيرا ان تغادر ...

فقال نن وقد اكفهر وجهه :

— احترس . في يوم من الايام سيسعدك ان تهرب من لمحات الغائبة هذه .

— لماذا ؟

وبدا على ن ن انه صحا فجأة من السكر - وراح يحدق في غطاء المائدة .
وقال :
- الامر يعتمد على مقدار ما تنفقه للحصول عليها ... ماذا حدث لك؟
تبدو شاحبا .
- احس بجيشان ومرض . اعتقد ان الحر هو السبب .
- هل آتي لك بدواء ؟ خذ حبة من الانفوستورا . اني اناول قرصا
منها كلما احس بالغثيان .
- كلا شكرا ، اعتقد من الافضل ان اخرج الى الهواء الطلق ...
- هنالك باب بالقرب من غرفة التواليت ، تخرج الى الساحة الخلفية .
يمكنك الجلوس هناك .
فقال سورم :
- شكرا .
وتوقف الرقص ، ونهض سورم آملا ان يجد طريقه الى الباب دون ان
يعيقه احد . ولكن لسوء الحظ ابتدأت الموسيقى بالعزف ثانية على الفور .
وقال ن ن :
- اسمع يا جيرارد . اذا كنت تشعر بجيشان في معدتك فاصعد سلم
الحريق الى الباب الثاني الى اليسار ، فتجد حماما هناك .
- شكرا ، يا اوستن .
وشق طريقه بين الراقصين الى الباب ، وهو يحس بالعرق يتصبب على
وجهه . كان الهواء الليلي باردا ، وشعر بتحسن وهو في الساحة . واخذ
يحس كأن مخلوقا حيا مسطحا ، مخلوقا له ساقان ، راح ينقلب على قفاه في
اعماق معدته .
كانت الساحة تسبح في ظلام دامس عندما خرج . وراى سلم الحريق
فجلس على الدرجة الاولى ، فسمع حركة وهمسا في ركن بعيد من اركان
الساحة . ولكن حالته لم تكن تسمح له حتى بأن يكثرث وهو يضع خده على
قضيب الحديد البارد .
ومر قطار على الجانب الاخر من الجدار وصفر ونفث البخار فجفل
سورم . وسقطت على وجهه بضع قطرات من الماء . وكانت السماء صافية
ملينة بالنجوم . وتناهى اليه من الداخل صوت الموسيقى ، متعبة غير مترابطة .
وتقدم اليه احدهم عبر الساحة . وسمع صوتا رجاليا :
- اسمع ، الا تخرج من هنا ، بالله عليك ؟
واقترب الوجه منه ، كان زفيره يفوح بالتبغ والثوم . كان اكثر مما

يمكنه ان يتحملة . فقفز على قدميه وادار ظهره الى الرجل حالما لامست انفه تلك الروائح . كانت معدته تجيش ، فشد براسه على الحائط وهو يحس في فمه بطعم الشمبانيا والوسكي والهليون في وقت واحد . وانتابته حالة من عدم التصديق ، ودهش كيف امكنه ازدراد هذه الاشياء كلها ، اشياء تبسود كلها كريمة برمتها ، اشياء لا يمكنه ان يتخيل انه سيجدها لذيدة الطعم في اي وقت . وطفى عليه كذلك الشعور بغبائه ، فكيف يشرب الشمبانيا في الوقت الذي لا رغبة له في شربها . وسمع وقع اقدام الرجل عائدا عبر الساحة . وهو يقول :

— اوه ، يا للمسيح ! انه مريض ، لنخرج .
وسمع اصوات اقدام تمشي . وقال صوت رجالي اخر :
— لنذهب الى محل اخر .

وخرجا من الباب . وشعر بالملقت يتأجج في صدره لهذين الرجلين لوجودهما هناك ، واحس بالارتياح الشديد عندما غادرا . وعاد مترنحا الى سلم الحريق وجلس هناك ثانية ، مبتهجا للبرودة التي كانت تنفذ خلال ملابسه . ولكن معدته ظلت تتقلب وهو يحاول ان يتناساها . وبصق ثم مسح يديه العرق من وجهه . وعرف ان الجيشان سيرتفع في معدته ثانية ، وتمنى لو استطاع ان يتقيأ كل ما في معدته مرة واحدة ، وادرك مدى تمرد معدته على كمية الكحول التي تناولها . وعندما احس مرة اخرى بالغثيان نهض واستند الى القضيب الحديدي واحس بموجات من الحرارة ترتفع من معدته كالحمى . وظل واقفا بضغ دقائق وهو يسعل محاولا ان يهدئ نفسه ، وهو يفكر : لن افعل ذلك ثانية ، لن افعل ذلك ثانية ، لن افعل ذلك ثانية . واحس بالدموع باودة على اهدابه . واخيرا ، اقتعد السلم مرة اخرى ، وشعر بالعرق يبرد في رقبتة وعلى بطنه . وسمع صوتا فسي الدهليز وخشى ان ياتي احد الى الساحة . ولم يأت احد ، ولكن مجرد الفكرة اقلقته . ونهض ، محاولا ان يتذكر تعليمات ن بشان الوصول الى الحمام . كان الباب الذي في نهاية المنعطف الاول من السلم مقفلا ، فارتقى السلم ببطء الى المنعطف الثاني متوقفا مرة لينظر الى السكة الحديدية التي كان باستطاعته ان يراها الان . كان الباب مفتوحا ، فدلف منه الى رواق مضاء . وكان باب الحمام مفتوحا ايضا . فدخل وجلس على قرص المراض وانكا على انبوب الماء . واحس بالرغبة في الجلوس على هذه الصورة بقية الليل . كانت الحرارة ما تزال تتدفق من معدته وكانت غرفة الحمام تتضوع برائحة الورد ، ولكنه احس بالنفور منها . وجعلت ارتعاشات معدته انفاسه تتشنج وجلس هناك حوالي ربع الساعة ، لا يرغب في التحرك ، وهو يحرق في خطوط الدهان

الثلاثة المتوازية على وجه حوض الحمام المطلي بالميناء المتفطر . وعاد الجيشان الى معدته فجثا على الارض واخذ يتقيأ في المرحاض فلا يخرج شيء سوى كميات قليلة من سائل مر كان يبصقها على رسوم الازهار الزرقاء التي كانت تزين الجزء الداخلي من المرحاض . وراح يفكر : يا الهي ، ماذا فعلت بمعدتي فيكون هذا جزاؤها لي ؟ واخذ يحس بألم في ركبتيه فسحب قطعة من حصير الحمام ذات نتوءات مطاطية ووضعها تحت ركبتيه . وعندما تلاشى الجيشان سحب سلسلة المرحاض وتمدد على الارض مسندا رأسه على حصير الحمام . وسمع احدا يحاول فتح باب الحمام ثم يذهب في سبيله وظل راقدا بلا حراك مدة عشر دقائق اخرى فكادت ان تأخذه غفوة .

وصاح صوت نـن :

— جيرارد . هل انت هنا ؟

— نعم .

— هل تحس بخير ؟

فكشر وقال :

— كلا .

— هل ادخل ؟

فجر نفسه جرا ونهض واقفا وهو يتمنى لو يذهب نـن عنه ، وفتح الباب .

فدخل نـن :

— هل انت بخير ؟

فقال سورم بصوت غليظ :

— تقيأت ثلاث مرات . وانتوقع ان اتقيأ ثلاث مرات اخرى .

وجلس على حافة حوض الحمام .

— هل تريدني ان اوصلك الى البيت ؟

— كل ما اريده هو ان ابقى هنا . فترة قصيرة .

— مسكين يا جيرارد ! انا آسف تبدو مريضاً .

ففكر سورم وهو يتميز غيظاً : تعليق سخيف . وقال لنـن :

— ارجو ان تتركني لوحدي قليلا .

— حسنا . انظر ، لدي فكرة . سأعود بعد قليل . اغلق الباب .

ومال سورم الى الامام واغلق الباب خلفه . وجلس على الارض ثانية ودفن وجهه بين يديه . ولاحظ ان يديه قذرتان ، ربما بسبب التراب الذي علق بهما من سلم الانتقاذ ، وادرك انه قد لوث وجهه به . ولم يحس بالرغبة في النهوض والتأكد من ذلك بالنظر الى المرأة . كانت الغرفة باردة،

وكان تيار الهواء يدخل الغرفة من تحت الباب . وسره ذلك . كان يخشى ان يحس بالغثيان مرة اخرى ، فقد تملكت معدته كأنها تهدده عندما مرت بخاطره عرضا ذكرى الطعام .

وهتف نن :

— انا نن . هل ادخل ؟

وفتح الباب مرة اخرى فلمح وجهه لمحة خاطفة في مراة للحلاقة . كان يبدو كعامل منجم للفحم . كانت الدموع قد اختطت الاخاديد من بين القدارة .

— اسمع يا جيرارد . لقد ربت لك النوم هنا ، فلديهم غرفة للنوم .

هل يمكنك الصعود اليها الان ؟

— يحسن بي ان اغسل وجهي .

— لا تهتم . هنالك طشت للغسيل في غرفتك . تعال .

وتبعه سورم ليصعدا السلم . وقال :

— ما كان ينبغي ان ترعج نفسك . ساكون بخير بعد نصف ساعة .

ويمكنني العودة الى البيت .

— لا حاجة لذلك . لقد رتبنا كل شيء .

والتفت نن وقال بصوت خافت :

— انا باق ايضا ، على كل حال .

ولم يجب سورم ، كان يفكر : ارجو الا يكون قريبا مني .

واضاف نن وكأنه احس بهواجس سورم :

— سامكت في الغرفة التي تقع تحت غرفتك . فاضرب على الارض

ان احتجت شيئا .

واحس سورم فجأة بالخجل من الشعور بالكراهية الذي اخذ

يصيبه ، وقال :

— اشكرك .

وكانت الحال افضل في الظلام . وسكنت نوبة الغثيان بعد نصف ساعة وتركته في حالة من الارتياح التام . كان صمنا غريبا ، مزيجا من التعب والقوة . لقد سره ان يرقد هناك على السرير المعد لشخصين وتصل الى سمعه نشف من الانغام الموسيقية ، نحاسية بعيدة . كانت هنالك نافذة في السقف فوق رأسه ولكنه لم يستطع ان يتبين النجوم خلالها من جراء الغبار المستقر على زجاجها . وبالرغم من التعب فلم يزل يحس بالقوة الداخلية التي لازمه

الأحاساس بها طوال النهار . كما اصابه شعور بالانقطاع ، كأن جميع ما حدث له في الماضي لم يحدث في الحقيقة . وراح يتأمل : عنوان جسيد للكتاب : « الأشياء لا تحدث » . واحس بأن حتى ادراكه بأنه سيموت لم يحرك فيه شيئا ، فهو موقن بأنه لن يقع شيء نهائي لا سبيل الى تغييره . وعندما خطر نهن ببالة احس بالرتاء له ، وفكر : نهن مشتبك اكثر معا ينبغي . انه سوف لن يكون حرا . انه لا يدرك أن الأشياء لا تحدث ، وأنه ليس هناك شخص هو هو في الحقيقة ، وان الإنسان هو الله في صندوق .

وكانت اغطية الفراش رقيقة خفيفة ، ولكنه لم يشعر بالبرد . ثم غاب عن وعيه قليلا ولكنه استيقظ ثانية وهو يحس انه من العبت أن ينأم فيسدد شعوره باليقين . ولكن النوم داهمه بعد لحظات قليلة على كل حال ، وراى نهن في حلمه : كان نهن يقف على سطح احد البيوت في باركلي سكوير وهو يصرخ مثل بتروشكا في السماء الليلية . واستيقظ فجأة ، وصورة نهن امامه ، كأنه موجود في الغرفة . لم يكن هناك احد . راي نهن في حلمه يقف على السطح يلوح بلراعيه ، وهو يصرخ بشيء في وجه السماء ، وعلى الأرض تقصف الجماهير وهي تراقب تلك القامة السوداء المتمردة وكان الكثير منهم يصيح به ويحثه على القفز . ولكن نهن لا يقفز . كان سورم واثقا من ذلك وادخل وثوقه هذا السرور في نفسه . وكان سورم يقف في فناء الدار ، فهرع مرتقبا السلم العاري ليصل قبل أن يلقي نهن بنفسه وهو يحس بانفعال مبهج ، لثيقنه من أن نورا من النبوءة سينبثق فوق مدينة لندن من اسلنفتون الى مارلبون ، ومن بريمرزهيل الى سنت جونس وود ، ويتدلى فوق حدائق كنسنفتن كالشمس الحمراء . أن نهن لن يقفز . انه سيظل واقفا هناك ، اوستن ، فاسلاف ، بتروشكا ، على سطوح المنازل . ولكنه لم يكن في بيت خال . كان في ماخور وهو يضطجع في إحدى غرفه العليا . وكان اوستن معه . كان يقف بالقرب من الشباك ، وهو يحرق من خلاله ، وكان ذلك الجسد الكبير العاري يبدو ، في نور الفسق ، كتمثال مرمرى . كان الكتفان عريضين ، ملفوفي العضل ، مثل كتفي راقص .

ولم استطع سورم أن يرى عينيه . كانتا عينيْن صخريتين ، ليستا مفلقتين لتبدوا ساكنتين في دكنة الفجر ، ولم تكن كعيني القسيس الرمادية في وجه تمثال حجري قبيح . وعندما اقلق سورم عينيه راي الراقص وجده الكبير يتحرك دونما مجهود في الهواء ، يتحرك ببطء ، يتحرك دون أن يلقي مقاومة ، ثم يعود الى الأرض ، صامتا كالطيف . كانت معاله واضحة جدا . كان الوجه نحيفا عضليا ، ينحني اليه ، وقد ضفرت بخصلات شعره مسبحة

من اوراق الورد ، كان وجه حيوان اسطوري ، وكانت عيننا هذا الحيوان
البنية تبتسم له ، متخطية حدود الخير والشر .
باردا كان نور الفسق على السطوح المرمرية ، اكثر اتصالا بالواقع من
موسيقى الجاز . انك ستفقديني يا عزيزتي . اروقة زجاجية تقود الى حيث
لا يعلم احد . .

ثم تلك القفزة ، اعنف من هطول نور الشمس على الجليد ، الى ما وراء
السريـر ، عائمة من دون ضجيج ، الى الامام ، من خلال النافذة المفتوحة .
واضطربت الانفعالات في صدره كالنار . ذلك اللون الرمادي ، السواد
الدموي في النور الغضي ، بدا يتحول الى لون احمر اخذ يصبغ الفجر الذي
راح يتنفس فوق سطوح بادنغتن . حانت الخاتمة . والقيت بوردة من احدى
النوافذ المفتوحة ، فراحت تتلوى فوق سطوح لندن التي تمللت متيقظة، ثم
سقطت ، وقد تفتحت اوراقها ، في نهر التايمس الملوث باللون الرمادي .
واراد ان يطلقها صرخة ، بكل ما في صدمة الدهول الذي اصابه من عنف :
اذن ، فهذا من تكون !

كان على يقين لم يسبق له مثيل من ان الشبه تام .
وعندما استيقظ كان ما يزال يحس بالسرور والدهشة اللذين ولدهما
هذا الاكتشاف ، ولكنهما تلاشيا فيما هو يجيل بصره في الغرفة المضيئة .
وقال بصوت عال : فاسلاف .

القسم الثاني

الفصل الاول

واحس بالغرفة باردة ، تلوح وكأنها مهجورة . واشعل موقد الغاز تحت ابريق الماء ، واستلقى على السرير مقلق العينين . كانت الساعة تشير الى الربع بعد السابعة لقد استغرق ساعة وبعض الساعة ليقطع المسافة مشبا من بادنفتون . كان يحس بالضعف والتعب ، وباطمئنان غريب . وتسائل هل سيجد ن الرسالة التي تركها له على الوسادة ، فلم ير احدا عندما كان يغادر البيت .

كان الراديو مفتوحا في الغرفة التي تحته . وسمع صوت رجل يهتف . ماذا فعلت بزر ماكينة الحلاقة الكهربائية ؟ وكانت السماء تلوح خارج النافذة داكنة بالغيوم وبلون الفجر . كان يستيقظ مبكرا لاول مرة منذ شهور ، وقد صاحب هذا الاحساس شعور بالانتعاش وراح يتخيل في ذهنه خدمات مايل ايندروود وهن ينتظرن سيارات الباص ويتصور رجلا بملابس العمل يحملون علب طعام الغداء . وانخفضت سحب المطر كالدخان .

وهيا الشباي وجلس على السرير ليحتسيه وقد غطى ركبتيه بالغطاء . كانت الغرفة قارسة البرد ، بالرغم من اشتعال الموقد الغازي . وظل يقرأ الى ان وصل سمعه اشارة الوقت مشيرة الى الثامنة من الراديو في الغرفة السفلى .

والتقى بالفتاة الالمانية عندما عاد من الحمام . وقالت :

— هنالك رسالة لك على المنضدة .

— اوه ، شكرا .

كانت الكلمات مكتوبة على الغلاف بخط اتيق غير مألوف ، ولكنه عرف العنوان في اعلى الورقة . وكانت الرسالة مطبوعة على الالة الكاتبة كما يلي :

هنالك شيء اريد ان احدثك عنه . هل يمكنك الاتصال بي تلفونيا عندما تستلم الرسالة ، رجاء ؟ جيرترود كوينسي .

ومر به نزيل الطابق الاول وكان يحمل حقيبة يدوية ، فاحتك به وقال متضايقا : عفوا . فتحرك سورم بصورة تلقائية وهو يحدق في السطرين المكتوبين على الالة الكاتبة ، وهو يعبس ويجتهد في تخمين ما كانت تبفيه المس كوينسي . واخرج من جيبه حفنة من قطع النقود الصغيرة وانتقى اربعة بنسات . وعندما رن التلفون خامره تردد مفاجيء لتبكيه في المخابرة . وقال صوت نسائي :

— هلو ؟

— جيرترود ؟

— من المتكلم ؟

— جيرارد سوم .

— هلو ، جيرارد ! كارولين تتكلم .

— اهلا ، يا عزيزتي . ماذا تفعلين هناك .

— اتناول الفطور في هذه اللحظة .

— اين عمك ؟

— في الحديقة . ابق على الخط ساناديا . . .

— انتظري . لا تذهبي . متى اراك ؟

— الامر يتعلق بك .

— هل يمكننا اللقاء غدا مساء .

— انا ها قد جاءت العمه جيرترود .

وسمعها تقول : انه جيرارد ، اينها العمه . وقال صوت المس كوينسي

— هلو جيرارد .

— استلمت رسالتك توا . .

— نعم . اشكرك على المخابرة . متى يمكنك المجيء الينا ؟

كان صوتها طبيعيا كصوت سكرتيرة تهيء موعدا .

— متى تشائين . . . الى حد ما .

- هل يمكنك المجيء عند الغداء ؟
 - اظن ذلك ، هل الامر مهم ؟
 - سأشركه عندما اراك .
 - حسنا . سارك اذن . وبالمناسبة ...
 - نعم ؟
 - هل سيكون معنا احد ؟
 - كلا .
 - اه ... حسنا ، سارك فيما بعد . وداعا
 واعاد السماعه الى محلها وهو يشعر انه في موقف احمق . واخذت
 بعض الشوك تساوره في ان يكون سبب الدعوة هو للاجتماع باحد زملائها
 من ينتمون الى شهود يهوه .
 ومرت بجواره الفتاة ، وهي تحمل ملء ذراعيها انطية .
 وقالت :
 - اراك بكرت في النهوض هذا اليوم .
 - اريد ان اصلح حياتي - حياة نظيفة ، صحية .
 واغلق باب غرفته خلفه واستلقى على السرير . واحس فجأة بالتعب .
 ولم تسره فكرة تناول الغداء مع المس كوينسي ، كما لم ترق له فكرة زيارة
 أوليفر غلاسب له وتناول العشاء معه . لان عليه ان يبتاع بعض الطعام
 والشراب ، وان يذهب الى البنك ، او ان يكتس غرفته ويرتبها .
 وبينما هو غارق في هذه الافكار ، جرفه النوم .
 وعندما استيقظ ، كانت الساعة تشير الى النصف بعد الثانية عشرة .
 وظل لحظة لا يعي الوقت ولا يدري ماذا كان يفعل هناك . وعندما تذكر موعد
 الغداء مع المس كوينسي لم يشعر بالرغبة في ترك الفراش . واخيرا ، جلس
 على حافة السرير ومر باصابعه خلال شعره وكانت النار الغازية ما زالت
 مستعلة ، والغرفة خانقة الهواء . واستوقف نظره ، وهو في مجلسه ذلك ،
 شيء ابيض تحت عقب الباب . فاجتاز الغرفة وهو يمشي متاثقاً كالمثل
 والتقطة ، ووجد علبة سكاير ممزقة كتب على ظهرها : لقد اتصلت المس
 دينيغ تلفونيا ، وستأتي مساء غد .
 وفي الحمام غطس وجهه في طاس فيه ماء بارد واخذ يتمخط بعنف
 يجس بالنقاء في رأسه ثم تعرى الى خصره واخذ يتفسل . ثم ابلل قميصه
 وسرواله وخرج مسرعا من البيت . كانت الساعة تشير الى الواحدة الا خمس
 دقائق . وشعر بخفة وكأنه قد نهض توا من رقدة ستة اسابيع في مستشفى .

وكره ضوء النهار وصخب المرور. واحس كأن شيئاً في اعماقه يتكرر فيصبح
كرة متوترة . وفي البنك سحب خمسة باونات ، ولكن بعد ان نبهه الصراف
بانه نسي توقيع الصك .

وقرع جرس الباب على المس كوينسي بضربة عنيفة بابهامه ، وهو يحس
دون مبرر بانها اغتصبت وقته . وحالما وقع بصره عليها تلاشى توتره .
واشرق وجهها بابتسامة فرحة وقالت :

— هلو ، جيرارد . لقد اتصلت توا بمسكنك لاثحقق الا تكون نسيت
الموعد .

— انني شديد الاسف . رحت في غفوة ولم استيقظ الا قبل نصف
ساعة .

— لا يهم . اخلع معطفك . هل جئت على دراجتك ؟ هيا اجلس .
قدح شيري ؟

— كلا ، شكرا . اعتقد من الافضل ان استغني عن الشراب اليوم .
— لماذا ؟

— احس بالضعف . بقيت مستيقظا يوم امس حتى ساعة متأخرة .
— مع اوستن ؟

— نعم .

وراح يتساءل في نفسه عن معنى نظرتها التي حدجته بها . وقالت :
— طيب ، اجلس على كل حال . ساحضر لك بعض الحساء .

كان الراديو يذيع حفلة موسيقية . واغلق عينيه ليصفي الى احدي
كونسرات موزارت ، وتمنى لو كان في تلك اللحظة في بيته مستلقيا في
الفراش . وتذكر كارولين . ولكن فكرة مجيئها الى بيته لم توح له بالسرور .
انها ذكرته فقط بان عليه ان يبدل اغطية الفراش ، ويعني هذا بالنسبة له
الدهاب على دراجته الى احد محلات غسيل الملابس . ثم انتقل تفكيره الى
نن ، والحلم الذي راه في الليلة السابقة . وبدا له ذلك الحلم لا معنى له .
وشعر بالامتعاض منهم جميعا ، المس كوينسي ، واوستن ، وكارولين ،
وغلاسب . واخذ يفكر ، وهو مفلق العينين : مالي ولهؤلاء المجانين ؟
وصاحب هذا الشعور بالكراهية حين الى العزلة ورغبة غامضة في
حياة اكثر تركيزا .

— حساء ؟

— شكرا . الا تأكلين انت ؟

— بعد قليل ، فقد تناولت حسائي . هل تريد صينية ؟

- لا شكراً ، ساجلس الى المائدة .
وانارت فيه اول ملقعة من حساء الطماسة شعورا حادا باللذة كساد
ان يدفعه للضحك وانيسطت معدته بامتنان ، وغمره احساس بالطمأنينة
الداخلية مر عليه كالنسيم ، كان سرا ومض به فاكشفه . وسالت المس
كوينسي :

- الا يضيرك ان تأتي لتناول الطعام في المطبخ ؟ بعد ان تنهي حساءك
بالطبع .

- شكرا .

كان المطبخ دافئا ، والشبابيك معتمة من تكثف البخار على زجاجها
وكانت الموسيقى ما تزال مسموعة من مكبر للصوت موضوع فوق المائدة .
- ارجو ان تعجبك « الكلاوي » ؟ انها فطيرة كلاوي .

وابتلع اول لقمة فاستلد بها . وقال :

- متى تخبرني عن سبب استدعائك لي ؟

- فيما بعد .

ونظر اليها ، وهو يحس في صوتها تسرعا ولده القلق المكبوت . وقال :

- لا بأس .

ومصت تاكل دون ان ترفع نظرها . كان رداؤها يتلوى حسب
انحناءات جسمها ويثير فيه الانطباع بان وجهها كان اكبر سنا من جسدها .
ورفعت نظرها فجأة وباغتته وهو يحدق فيها .

وقالت بلهجة ناقدة : - لا تبدو بصحة جيدة .

- اشعر بخير .

كانت على حق ، فقد كان ما زال يحس بالاعياء والرغبة في ان يغلق
عينيه ويتخلص من ضرورة تركيز اهتمامه .

- اين كنت في الليلة الماضية ؟

- في احد النوادي الليلية ...

- اي ناد ؟

- مجرد احد النوادي الليلية .

- ينبغي الا تدع اوستن يجرك الى النوادي .

- كلا .

- انه يعاني من حالة من الضجر الدائم . عليك ان تدرك ذلك .

- احسبك على حق .

واعلن المديع بان الجزء الاخير من البرنامج سيكون السمفونية

الخامسة لبروكوفيف . فقال سورم :
— جيد . انها سمفونيتي المفضلة . هل يمكن رفع الصوت في السماعه ؟
كان يريد عذرا لانهاء وجبته دون كلام . ومدت المس كوينسي يدها
طائعة ورفعت الصوت ثم مضت تاكل دون ان تنبس بكلمة . وومض فسي
نفسه حب مفاجيء لهذه المرأة ، وهو ينظر اليها وقد لوت وجهها جانبا ،
واحس بانه من اليسر له ان يؤلمها .
وبعد ان انهى الاكل ، قالت : فواكه ؟
— لا شكرا . لقد شبع ، واستمتعت بالطعام .
— طيب .

وحاول ان يصوغ عبارة يمدح بها مقدرتها على الطبخ ، ولكنه ما لبث
ان تخلى عن المحاولة . وخيل اليه بشيء من الكتابة ، وهو يرقبها تملا
الابريق بالشاي ، بان جودة طبخها قد منحتها حق القاء محاضرة عليه .
كما اضحى من المستحيل ، بعد مثل هذه الوجبة ، ان يرفض حضور
اجتماع واحد على الاقل من اجتماعات شهود يهوه . وتوصل اخيرا الى
ان هذا هو ما تريد ان تتحدث به معه .

— اتريد سماع الموسيقى في الغرفة الاخرى ؟ سأجلب القهوة بعد قليل .
وعندما جاءت بعد عشرين دقيقة الفته نائما بالقرب من المدفأة
الكهربائية . كان الراديو يذيع حديثا لاحدهم عن البستنة ، فاستيقظ حالما
اغلقت الراديو . فوصل اليهما صوت المطر ينقر زجاج النوافذ . كانت
الرياح ترشق المطر على دفعات . وقال والندم في نبرته :

— اني ضيف عديم النفع ، اكاد لا استطيع البقاء يقظا .
ووضع في قهوته السكر الذي تناوله من اناء كانت تمسكه بيدها .
— ماذا حدث الليلة الماضية ؟

— اوه ، شربت اكثر مما يجب . . . فاصبت بالغثيان .
— هذا كل ما في الامر ؟

وحدها بنظرة من الدهشة .

— نعم ، فماذا تظنين ؟

— لا اعلم .

لم يكن بوسعها ان يرى وجهها بوضوح من حيث كانت تجلس . كان
نور امسيات شهر كانون الاول الباهتة يملأ الغرفة ظللا . وظل يرقبها ،
ينتظر ان تبدأ الكلام . كان من العسير عليه الا يبقي نظراته خفيفة . وطال
الصمت . وسأل اخيرا :

- الا يهيك ان اوجه اليك بعض الاسئلة الصريحة ؟
 - كلا . هيا اسالي .
 كان يحس بتردها اكثر مما يراه . وخامره شيء من الشك ومض
 في راسه :
 - ما مدى معرفتك بنن ؟
 فقال بامانة :
 - لست ادري . لماذا ؟
 واخذت تحرك قهوتها بسرعة واضطراب . وحدثت في وجهه . وقال :
 - ماذا ينبغي علي في اعتقادك ان امرفه عن اوستن ؟
 وعندما تكلمت اخذت انفاسها تلهث قليلا . شعر كأنها كانت تنظر
 الى اسفل من علو شاطئ ادخل الرعب في نفسها .
 - هل تعلم ... لم لم يحاول اوستن ان يتزوج ؟
 واعتدل في جلسته على الكرسي ، وقد اتسع الشك في راسه
 فاستحال الى دهشة وعدم تصديق . فاجاب على عجل :
 - اعتقد انه لا يميل الى الفتيات .
 وراح يراقبها وقد تيقظ تماما وهو يتوقع ماذا كان على وشك ان يحدث
 بينهما ، ولا يحس برغبة في معاونتها . اراد ان يرى كيف ستدبر الحديث ،
 وسالت ، بعد صمت :
 - هل تفهمني ؟
 - لست واثقا . ما هو سؤالك ؟
 - انا .. من الصعب بالنسبة لي ...
 - طيب لم لا تدخلين في صميم الموضوع مباشرة ؟ من كان يحدثك
 مؤخرا عن اوستن ؟
 - يجب الا تذكر ذلك له .
 - كلا .
 - حسنا ... الاخ روينز .
 - بالله ماذا يعرف عنه ؟
 ولاح عليها السرور وقد عادت تتحدث عن بعض الاشياء الملموسة .
 - كان عليه ان يقوم باعمال اجتماعية كثيرة - يذهب من بيت الى
 بيت . وعندما التقى باوستن لاول وهلة - منذ اسبوعين - ظن انه رآه
 قبلا . ولم يخبرني بذلك في اول الامر ، ولكنه راح يجري التحقيق ...
 - نعم .

- ... فاكشف ان اوستن معروف لدى جماعات معينة .. معروفة
 لدى الشرطة .
 - مجرمين ؟
 - اوه ، كلا !
 ونفذ جبر سورم ، فاطلقها صريحة :
 - تعنين من الشواذ جنسيا ؟
 فقالت بصوت واهن : - نعم .
 فقال سورم بجفاء :
 - يبدو ان زميلك الاخ روبنز ثرثار مسخيف .
 - اوه ، كلا . اعتقد بانه ينبغي علي ان ...
 تلاشت بقية الكلمات في شفيتها . كان المجهود الذي بذلته للتحدث
 في هذه المسألة قد جعل صوتها يرتعش بصورة ملحوظة . وسالت اخيرا :
 - هل ذلك صحيح اذن ؟
 - نعم .
 - وكنت تعلم بذلك طول الوقت .
 - اكثر الوقت . وهل في ذلك ضير ؟
 كانت تنظر اليه نظرة ثابتة ، واستطاع ان يرى في وجهها خليطا من
 المشاعر تحاول جاهدة ان تجد تعبيرا لها وقال :
 - دعيني اجب على السؤال الذي يقوم في ذهنك . انا لست منحرفا
 جنسيا .
 فقالت وقد احمرت وجنتاها :
 - كنت اعلم بذلك .
 - صحيح ؟ كيف ؟
 - انا ... انت ...
 واخذ يتساءل فجأة هل كانت تشعر بالنظرات التأملية التي كان
 يختلسها في تقاطيع جسمها . ومضت تتكلم ، وفي صوتها نبرة من اليأس :
 - ربما لم اكن اعلم ، ولكنني افترضت ذلك فقط .
 وتلاشى موقفه العدائي منها ازاء حيرتها هذه . وشعر بالليل الى ان
 يطوقها بذراعيه . وقال :
 - اسمعي . لا داعي للانفعال في موضوع كهذا . كنت اعرف ذلك
 عن اوستن منذ اتقيت به ، ولكن الامر لم يقلقني ، انه من شأنه فقط . اني
 اميل اليه لانه ... على كل حال ، فكلانا مولعان بالتأليف ، ولدينا اشياء

- مشاركة كثيرة . و . . . هو شخص لطيف المعشر .
- ولكن . . . الا تعتقد ان الامر اهميته فعلا ؟
- تعنين ، هل ان الامر في اعتقادي ضرب من الائم ؟ كلا ، ليس كذلك بالذات . اني سعيد لانني لست نزاعا جنسيا الى الجنس المشابه ، ولكن المسألة على كل حال مسألة ذوق . واني لاعلم بان هذا النوع من الانحراف الجنسي لدى بعض الناس انما هو وليد التفاهة المجردة ، غير ان هناك من يبدو انه ولد ليكون كذلك . . .
- وكان اثناء حديثه يتذكر القلق الذي احس به اخر مرة زار فيها المس كوينسي ، والضيق الذي انتابه امام ثقتها بنفسها . ولقد انهارت هذه الثقة الان ، ولم يشعر بانه افضل حالا لذلك . لقد انعكست الاية بينهما انعكاسا تاما .
- هل هناك اناس ولدوا على هذه الصورة ؟
- بالطبع ! الم تعلمي بذلك ؟
- كلا ، انا . . . لم التق باحد من هؤلاء قبلا . هل تظن ان اوستن كان دائما هكذا ؟
- من المحتمل جدا . لست على معرفة تامة به . كيف كانت طفولته ؟
- هل كان الطفل المفضل لدى امه ؟
- اوه ، نعم . كانت تدله كثيرا . لماذا ؟
- اوه ، لذلك علاقة بالامر .
- ومضى يتحدث ، وهو يحاول ان يكون موضوعيا بقدر المستطاع عن الاحصاءات حول الشذوذ الجنسي هذا وعوامل تأثير الطفولة فيه وعن الغدد الجنسية ، وهو يحاول ان يرى وجهها في النور الخافت . وظلت تصفي اليه دون مقاطعة . وعندما توقف لينتظرها تتحدث ، قالت فجأة :
- الا يمكن شفاؤه ؟
- لا اعلم . لقد فات الاوان . ومن المحتمل انه لا يريد ان يشفى منه . وبالإضافة لذلك ، قد لا تكون هذه مشكلة ن الحقيقية ، فانه راض بها ، وهناك شيء يقلقه .
- ماذا تظن يقلقه ؟
- لست ادري . كثير من المنحرفين جنسيا يحيون حياة عادية . وقد يعيش الواحد منهم مع صديق له من نفس الجنس ويستقر معه كأي زوجين .
- الا يلاحظ الناس ذلك ؟
- احيانا . ولكن لا غرابة عادة في رجلين يشتركان في شقة .

— هل تعتقد أن أوستن يشعر بأنه اثم ؟
— كلا . ولكن هنالك شيئا يجعله عصبيا مضطربا . لا اعلم ما هو .
شيء ما يعذبه . ومهما يكن هذا الشيء فإنه يقوده الى حالة كحالة
الدئب الوحيد . لا اعتقد أنه سيستطيع يوما ان يعيش مع احد .
فقلت بدهشة :

— امل الا يعيش مع احد ! فماذا سيظن والده بذلك ؟
فقال مبتسما :
— هذا سؤال اخر لا يمكنني الاجابة عليه . يمكنني فقط ان اقول
لك ما يقوله اي طبيب او نفساني — ان المسألة ليست بالضرورة مسألة
فساد خلقي .
فقلت بتردد :

— ان الكتاب المقدس يحرم ذلك ...
— بلا شك . الكتاب المقدس يحرم الزنى واشياء اخرى كثيرة
يقتربها الناس دائما .

— هذا لا يعني انهم على حق !
— كلا . انك على حق . لا يجعلهم محقين . ولكن الرجال والنساء
يمكنهم الزواج وجعل علاقتهم امرا مشروعا . اما المنحرفون جنسيا فلا
يمكنهم ذلك . فما العمل اذن ؟

وجلست وراحت تحلق في قضبان المدفأة المحمرة . وكان الصوت
الوحيد الذي يسمع في الغرفة صوت وقع قطرات المطر . وارسل سورم
طرفه الى الحديقة ، وكان من حيث يجلس يمكنه ان يرى دراجته وهي
ملفعة بغطائها الاصفر . وبدت الحديقة ، تحت السماء الميته ، وقد انتشرت
عليها الاوراق الدابلة ، بدت مخيفة كأنها ارض مجهولة . غير ان الظلام
والمطر اثارا فيه احساسا بالراحة . وراح يتأمل ، وهو ينظر الى المس
كوينسي ، هل في امكانه ان يقبلها ، لمجرد ان يرى كيف سيكون رد فعلها ،
واثارت فيه الانطباع بانها تواجه مشكلة لا سبيل الى السيطرة عليها ، وبأنه
لم يعد هنالك بعد ما يثير دهشتها . وسألت :

— الا يمكننا اقناعه بمراجعة طبيب نفساني ؟ لمجرد احتمال ان
ينجح العلاج ؟

— في الامكان المحاولة .
— لا ادري هل يشك فيه ابواه ؟ ولكن لا، لا يمكنهما ...
— قد يشكان .

وكانت كأنها تتحدث الى نفسها . وكان يجيب لجرد رغبته في مجاملتها .
وقالت :

— كان دائما طفلا غريب الاطوار . كان يميل الى القسوة .

فسأل سورم باهتمام :

— صحيح ؟ كيف ؟

— ليس قسوة حقيقية ، وانما دافعا لها فقط . . .

— كيف ؟

— دفع مرة ابن البستاني من سطح الزريبة فسقط الطفل وكسرت
ساقه . وكان يكره الدمى الى حد غريب .

— هل كان يقسو غالبا ؟

— ليس غالبا ، كلا . وانما كان له نوع من . . . الجانب المظلم في
نفسيته . كانت تصيبه حالات يظل فيها اياما عبوسا مقطباً ويرفض ايبة
محاولة لاجراجه منها . ولم يكن يسعه قط الاحتفاظ باللعب اكثر من بضع
ساعات — كان يكرهها . ولم يكن على ما يرام مع بقية الاطفال لانه كان احيانا
يؤذيههم او يحطم لعبهم . كان يكره الاطفال مثل كرهه للدمى .

— لن كانت تعود الدمى ؟

— لاية فتاة . فقد هشم في احدى المرات دمية جميلة لابنة عمه جين .
كانت دمية كبيرة جاءوا بها من النمسا . هشمها بمطرقة . وقد كسر جميع
الدمى التي كانت عندي . . .

فسأل سورم مبتسما :

— كنت تلعبين بالدمى ؟

— ليس في ذلك الوقت . ولكن كان لدي بعضها وكنت احتفظ بها في
دولاب قديم . فوجدها اوستن ومزقها اربا .

— يلوح اوستن كطفل جانح .

— كلا ، ابدا . لم يكن دائما بهذا الشكل . كان يحدث ذلك احيانا

— كأن الشيطان يدخل فيه . وعندما كان ذلك يحدث ، كان يبدو وكأنه
شخص اخر .

— وما هو سبب تحطيمه الدمى في اعتقادك ؟

— لا اعلم . انه سريع الملل ، وعندما ينتابه الضجر تحدوه الرغبة في فعل
شيء عنيف . ومن السهل عليه ان يطلب منك ان تحزم امتعتك وتذهب معه
في رحلة الى الطرف الاخر من العالم .

— لقد ظلمني ذلك فعلا !

- وبماذا اجبتسه ؟
- رفضت ، فلدي امور اخرى افعلها .
- طيب ، لا بد وانك صارم معه ، ويمكنك لهذا ان تؤثر فيه ... اذا
لم يدعك تقتفي خطاه .
- لا يمكنه ان يقودني الى ابعد مما اريد ان اذهب !
وبدت كأنها استشعرت في كلماته تهديدا لها . وسالت بتشكك :
- ألا تظن انه من الافضل التوقف عن اللقاء به ؟
- وماذا افعل بدلا من ذلك ؟ آتي لالتقي بك ؟
وقال عبارته هذه ليستفرها مازحا ، ولكنها ، لدهشته اجابته برزانة :
- يمكنك ان اردت .
وحدق فيها، محاولا جهده ان يرى التعبير الذي ارتسم في وجهها . وقال:
- يسرني ذلك .
- ولكن ما الذي ستفعله بشأن اوستن ؟
- لا افهمك . ليس هناك ما يمكننا عمله . على كل حال ، ينبغي علي
ان ارحل الان .
- في هذه اللحظة ؟ ولكن المطر لم يزل يهطل .
- كنت اريد ... ان استحم . اشعر كأنني حزمة من القش . وعلي ان
اهيء طعام العشاء فيما بعد لاحد الاصدقاء . فأرجو المذرة .
ونفض وترك الغرفة .
وعندما خرج من غرفة التواليت ، نادته :
- بالمناسبة يا جيرارد ؟
- لم لا تأخذ حماما هنا ؟
- كلا ، اشكرك ...
واحس لسبب ما ان اقتراحها اخرجته .
- هل من السهل لك ان تأخذ حماما في محل سكنك ؟ هل يتوفر الماء
الحار دائما ؟
- هناك مرجل غازي - اضع فيه شلنا و ...
وعندما تذكر الحمام ، وبابه ذا الزجاج البني ، والحوض العميق العتيق
الذي يمتلئ بالماء ببطء لا متناه من مرجل الماء ذي المزاج المتقلب، اخذ يشعر
بان اقتراح المس كوينسي لا يخلو من الصواب . وقالت :
- يبدو ان حمامك مزعج الى حد مضحك . ما اسهل الامر هنا .
- الا يضايقك ابدا ان استحم هنا ؟

— كلا أبدا .

— حسنا — في هذه الحالة ، شكرا . . .

وراح يتخيل وهو يخلع ملابسه ان جيرترود كوينسي قد اضحت خليلته،
وانه يسكن معها الان . ووجد لسبب يجهله ان من اليسير عليه ان يتخيل
صورة كهذه . ما عدا بالطبع وجود كارولين . . . لقد كانت كارولين حجر
العثرة . وطفق يتأمل في الامر فيما هو يسترخي بحذر في الماء الدافئ . خمس
سنين من الامتناع عن الجنس وقليل من الضجر والمحاولة غير الموفقة
ليجني ثمار انزاله . ثم فجأة يجد نفسه مشتبكا مع اناس كثيرين ، ومع
امراتين يمكن ان يتخذ منهما خليلتين . لقد منحته كارولين نفسها بصراحة
عجيبة — من الاشياء التي لا يتخيلها الشخص تحدث الا في احلام اليقظة ،
فاذا ما حدثت ، فمن المستحيل مقاومتها . ومع ذلك ، كانت جيرترود افضل
الاثنين من نواح عديدة . كانت تنطوي على تحد اقوى .

وتناول بعض المساحيق المستعملة في الحمام من بين صف اللعب على
عتبة النافذة . كانت تنبعث منها رائحة الليمون . وعندما اعاد اللعبة الى
موضعها تناهى اليه صوت غناء . وراح يستمع باهتمام فادرك انه صوت
المس كوينسي . وتوقفت بعد لحظة . وظل جالسا ، مرهقا اذنيه ليميز
صوتها من خلال ضجيج الماء الذي يعود ليملا حوض الماء الحار . كان من
العسير عليه ان يتصور المس كوينسي تغني لنفسها ، وخصوصا بعد الحديث
الذي جرى بينهما .

وفيما هو يجفف جسده ، سمعها تنتقل في الغرفة المجاورة . كانت تلك
الغرفة التي تنام فيها كارولين . واخذ يمشط شعره وهو يترنم في لحن
من سمفونية بروكرفييف . ومضى يتساءل كيف يتوصل الى معرفة جيرترود
كوينسي معرفة افضل .

وفتح الباب ووضع قدمه على ارضية الغرفة . وسمع حركتها في الغرفة
التي تقع عند نهاية الرواق . فراح يمشي صوبها ، وهو يطا الارض بهدوء
على البساط السميك .

فقال : اوه ، لقد افزعني !

— آسف .

— كيف تشعر الان ؟

— عظيم . افضل كثيرا .

وانتهت من نشر الغطاء ثم تسويته . وفيما هي تلتفت امسك بها من
خصرها ورفعها عن الارض ودار بها دورة حول نفسه قبل ان يعيدها ثانية

على الارض . وقال :

— ينبغي ان اغتسل مرارا اكثر .

واثاره لمس جسدها . اما هي فقد توردت وجنتاها . وقالت :

— سرني أنك تشعر بتحسن .

ورأى من الصعب عليه ألا يمد يده اليها ثانية . وقبل ان يعتزم ان يكرر العملية ، خرجت من الغرفة وهي تقول :

— تعال . يجب الا تكون هنا .

— لم لا ؟

— لانها غرفة نومي .

— ليس هذا سببا معقولا .

فقالت :

— لن يروق ذلك للآخرين .

وتبعها هابطا السلم . وقال :

— لن يعلم الناس بذلك . كما انه ليس من شأنهم ، على اية حال .

— من المحتمل الا .

وسبقته الى المطبخ . واخذ سورم يحس كأنه يلاحقها ، فامسك عن تتبعها وذهب بدلا من ذلك الى غرفة الجلوس . وجلس هناك وحاول ان يقرأ الصحيفة ، على حين كانت افكاره تقوده باستمرار الى الاحساس الذي يشيره فيه لمسها والى عدم مقاومتها محاولته . وجعلته شكوكه يحس بالقلق ، وما لبث ان شعر بالامتعاض من نفسه . وبعد هنيهة ، فتحت الكوة بين المطبخ وغرفة الجلوس وسالت :

— اترغب في قدح من الشاي قبل مغادرتك ؟

— اه . . . شكرا . ماذا تفعلين الان ؟

— اغسل الصحون .

— هل تريدين مساعدة .

— كلا . شكرا . أنهيت كل شيء تقريبا .

وذهب الى المطبخ فالفأها تقف الى المغسلة وقد ارتدت صدرية من البلاستيك . وقالت :

— ما كان ينبغي لك ان تأتي .

— لا ؟

وقف خلفها واحاطها بذراغيه من وراء ، وقال :

— أردت ان آتي . وبعد تلك الوجبة الفاخرة . . .

- توقسف ، يا جيراود !
ولم تبد اية محاولة لازاحة يديه . فاخفض راسه حتى استقر ذقنه
على قمة رأسها .
- هل تعارضيني ؟
- بالطبع اعارض . توقف ، ارجوك .
فخلى سبيلها وتناول منشقة صغيرة .
- هل يفضبك ان يلمسك احد ؟
- كلا . . . ولكنه عمل لا معنى له ، اليس كذلك ؟
لم تكن لهجتها مشجعة ، ولكنه كان قد اتخذ قرارا . وقال بلهجة مرحة :
- اوه ، لا اعلم . ولكن ينبغي ان اعترف بانني استمتع به .
- لا تكن سخيفا .
- سخييف ، لماذا ؟
- ينبغي الا تغازلني لمجرد دموئك للغداء معي .
وتناول آخر شوكة منها واخذ يجففها .
- انبئيني ، يا جيراود . . . شهود يهوه هؤلاء الذين يزورونك . . . الا
يفازونك ابدا ؟ اعني الرجال منهم ، بالطبع .
- اكثرهم متزوجون .
- هممممم . وكيف الحال مع اصدقائك الفنانين .
- اي فنانين ؟
- اخبرني اوستن بان لك اصدقاء متأدبين كثيرين .
فنظرت اليه بدهشة :
- لست افهم عم تتحدث . اعرف واحدا او اثنين ممن يسكنون في
همبستيد - ضابط متقاعد ، ومراجع لدى احد الناشرين .
وارتاب سورم في انها تحاول ان تعتمد في جعل الحديث لا يتركز في
موضوع معين . وكان ابريق الماء قد اخذ يغلي ، فبدأت بتهيئة الشاي . وقال :
- وهل تعارضين في ان يفاذك احد ؟
- لا تكن سخييفا .
- ليس هذا بجواب .
فابتدته بقولها فجأة :
- كلا ، لا يهمني . ولكنه لا معنى له ، اليس كذلك ؟
- لا اعلم .
- كان يجلس على حافة الطاولة . وعندما استدارت حاول ان يمسك بها

مرة اخرى . ولكنها لوت نفسها بعيدا ودفعت ذراعيه .
 - كفى ، يا جيرارد ! فى الواقع لا ادري ما الذي يدفعك الى هذا السلوك .
 فقال ضاحكا :
 - منذ نصف ساعة كنت تظنينني اميل الى الجنس المشابه جنسيا!
 - كلا لم اظن ذلك ! لم اظن ذلك لحظة واحدة .
 - طيب . ما دمت واثقا منك .
 وصبت الحليب من القنينة الى الاناء بحركة من يدها تنم عن الفيض .
 فتدفق الحليب وارطم بحافة الاناء وانسكب الى الصينية . وقالت :
 - اوه ، جيرارد ، حقا !
 كان يهم ان يقول : «الخطا خطاك» عندما التفت اليه فجأة . ولدهشته
 وجد الدموع تكاد تطفرف من عينيها . وقالت :
 - كفى ارجوك !
 - طيب ... انا آسف . لم اكن ابغى ازعاجك .
 وبدأ يشك فى انها تستمتع فى دخيلة نفسها بمحاولاته لمغازلتها . ولكن
 كآبتها اذهلته . فاستدار ومضى الى الغرفة الاخرى والقى بنفسه على الاركة .
 لم يكن موقفها يخلو من الفوائد . فقد حطم على الاقل تلك الشكليات التي
 اضجرته فى المرة الماضية . والتقط الصحيفة وحاول التركيز . كان المقال
 الذي انبرى . يقرأه يفيد بأن الناس يستخدمون من عضلات الوجه عند
 التعبىسى ثلاثة اضعاف ما يستخدمونه عند الابتسام ، ولهذا فيخزن الانسان
 طاقته عند الابتسام . فطوى الصحيفة وقذف بها الى الكرسي المقابل ومضى
 يعبث فى قضبان النار ويتساءل ماذا سيقول لها عندما تعود . وتأخرت كثيرا
 فى احضار الشاي . وطفق يتسائل هل تريده ان يغادر المنزل دون ان يراها .
 ودخلت بعد لحظة وهي تدفع عربة صغيرة .
 - آسفة للتأخر .
 فقال بصورة تلقائية :
 - لسم تتأخري .
 ومضى يرقبها تصب الشاي دون ان يتكلم . وعندما ناولته الكوب قال :
 - فى الحقيقة انى لا افهمك .
 فوضعت السكر فى كوبها دون ان ترفع نظرها اليه . وقالت :
 - لا افهمك انت .
 - هل تستفطعين حقا ان يلمسك احد .
 - بالطبع لا ! ولكن ان الامر مجرد ... انه من السخف لن نبدا بالتصرف
 على هذا الوجه .

وقال ، وقد اعتزم الا يتعاون معها في الأجابة :

— على اي وجه ؟

— افضل ان نتحدث .. كما فعلنا في الليلة السابقة ... عن اشياء معقولة .

فقال بتعقل :

— انا يعجبني الحديث معك ايضا .

فلنستمر كما كنا !

— ولكني ارجب في ان المسك . يلد لي ذلك .

وشعر بتردها .. فحاول ان يستخلص ما امكنه من الفائدة من هذا الحديث ، فقال اليها وقال مبتسما :

— وحتى في تلك الليلة ، عندما كنا نتحدث . ظلت افكر كم من الملد ان احيط خصرك بذراعي .

واخفضت عينيها الى الكوب .

— ولكن لم ؟

— لاني اراك جذابة جدا .

ونظرت في وجهه بجذ ، وقد اختفى الضجر من عينيها . وقالت :

— ولكنه امر سخي ، يا جيران !

— لماذا ؟

— لانه ... ما جدواه ؟

فهز كتفيه وقال :

— لست ادري .

— لا جدوى فيه . لا شيء البتة . اود ان اكون صديقتك ولكنك اصفر مني اعواما كثيرة ...

وقرر فجأة ان يتمادى في المسالة :

— هل تريدني مني ان انقطع عن المجيء هنا ؟

— لا ، بالطبع ، لا اريد ذلك ! يعجبني ان اتحدث اليك . اعتقد ...

اعتقد بانك شخص جاد وانك تبحث عن شيء ... واود ان اساعدك في العثور عليه . لاني اكبر منك سنا و ... لاني مررت انا نفسي بهذه المرحلة ... واستطيع فعلا ان اعاونك ... ولكننا يجب ان نكون جادين في ذلك .

فقال وهو يهز بكتفيه :

— ففي هذه الحالة ، لم يعد هنالك ما نتحدث عنه .

— لماذا ؟

وانهى قدح الشاي . وشعر بان المحادثة قد بلغت خاتمتها الطبيعية ، وبانه لم يعد هنالك مبرر للاستمرار في الحديث . فقال بلهجة صريحة جازمة :
- كنت وحيدا منذ خمس سنين ، ويمكنني ان امضي في وحدتي خمس سنين اخرى ، او خمسين سنة اخرى اذا كان لابد من ذلك . انا لا احتاج الى العون ، ولم احتج اليه قط . واني ارغب في ان التقى بك ، ولكنك اذا شرعت ترسمين الخطوط وتضعين الحدود ، فالأفضل ان أستغني عن الامر كله .

وضع الكوب على الصينية . فسألت :

- المزيد من الشاي ؟

فنظر الى ساعته وقال :

- كلا ، شكرا . يجدر بي ان ارحل .

فقالته بهدوء :

- يجب الاختصاصم .

- حسنا .

ولم يكثرث لشعوره بأن علاقتهما قد بلغت خاتمتها . وقالت :

- تناول قدحا اخر من الشاي .

- حسنا .

فصبت الشاي وناولته اياه . فشربه بصمت . وبدأت تتكلم ، بلهجة مترددة :

- اعلم انك كنت وحيدا . وانا لا اريد ان ... احاول ان ادخل لقد امتدت انت الى شعورك بأن عليك ان تخوض المعركة وحيدا حتى اصبحت تشك في الآخرين . لقد صممت اذنيك عنهم . ولكنني اعلم بأنك لست فسي الحقيقة بهذه الصلابة ... اعلم بأنك مغمم بالاحاسيس ... وربما تخشى ان يؤذيك احد ...

وجعله ميلها لاستعمال تعابير مثل « تبحث عن شيء » و « تخوض المعركة » ان ينتفض في داخله وان يزيد من ضجره . وراح يتساءل هل كانت تنظر الى محاولاته للتغزل بها على انها عملية معقدة يدافع بها عن نفسه ضدها . وقاطعها بقوله :

- ان رغبتني في مجانية جماعتك من شهود يهوه ليست لاني اخاف الاذى انه الخوف من ان اصاب بالسأم .

وظل لحظة يتساءل هل تمادي في كلامه . ولكن لم تبد على وجهها دلائل التأثير . وقالت بلهجة عاقلة :

- لم اسع في ان اجعلك تقابل واحدا منهم ، اليس كذلك ؟

— صحيح جدا .
ونهض وقال :
— يجب ان اغادر الان .
كان الاضطراب باديا في وجهها وهي تنظر اليه ، واستشف من سورم
انها كانت تحاول ان تقيس مقدار امتعاضه منها . وقالت بتردد :
— انك لتفهم ، هه ؟
— اجل ، افهم .
— ولن تخبر اوستن ؟ .
— كلا .

وتبعته وهو يخرج الى الصالة . واحكم ازرار معطف المطر ولسف
الحزام حول خصره ثم انتزع غطاء الرأس « البيرية » من جيبيه . وهيمن
عليهما الصمت ، الصمت الذي كانت تملؤه عادة كلمات الشكر والرد عليها
والتفاهم الغامض على اللقاء مرة اخرى . وبدا له الموقف منطويا على مهزلة
كبيرة ، غابت عن المس كوينسي تماما ، ولم يستطع ان يكبح ابتسامته .
وقالت له وهو يفتح الباب : وداعا ، يا جيرارد .
— وداعا .

والتفت اليها وامسك بها من خصرها وسحبها اليه . واحس بها
تتصلب برهة بين يديه ثم ترتخي . ولوت بوجهها قليلا حتى تلمس شفتاه
وجنتها . وظل ملصقا شفتيه بوجنتها لحظة واحدة وهو يحس بدفع
الانتصار يتحرك فيه ، ثم خلى سبيلها . واستدار مبتعدا عنها وخرج من
الباب دون ان يلتفت الى الوراء . وسار بحذر على العشب البتل كي لا
يترحلق فيفسد خاتمة الفصل .

وبينما كانت الدراجة تنحدر من تلقائها الى اسفل طريق ايست هيث
احس بنشوة صرفة . وقال بصوت عال : ايها الحمقاء، حان وقت نضوجك!

* * *

دقت ساعة الكنيسة معلنة الرابعة عندما كان يمر بمحطة نفق تشوك
فارم . وذكره منظر حوانيت البقالين بانه لم يزل عليه ان يبتاع الطعام
لفلاسب . واشترى نصف باون من لحم الخنزير المقدد واربع علب مسن
الخضراوات وكدها في حقيبة الدراجة .
وعندما هم يركوب الدراجة ثانية وقع بصره على عنوان الصحيفة
المسائية في داخل المحطة . فرمى بعدد من قطع النقود في علبة النقود
وتناول واحدة منها . كان عنوان الصحيفة البارز يقول : « هل انتقل

القاتل الى غرينتش ؟

وشعر بالقلق يتحرك في احشائه ، فاتكأ على الجدار ومضى يقرأ .
« عثر على جثة امرأة شابة في مستودع للبضائع مهجور يقع بالقرب
من طريق غرينتش صباح اليوم . وقد شخصت الجثة في وقت مبكر من
هذا المساء من قبل زوجها واتضح انها دوريس اليزابت مار التي تبلغ من
العمر خمسة وعشرين عاما وتسكن في شارع البحري في ديبفورد . وقد
افاد زوجها الى البوليس ، ويدعى ريجينالد مار ويبلغ من العمر ٢٦ عاما
ويعمل ليلا في محل غسيل ديبفورد ، بأن زوجته قد خرجت في الساعة
العاشرة من الليلة الماضية لزيارة أمها في وولويتش . »

وانتقل بنظره الى اسفل العمود : « ان السؤال الذي يوجهه الى
انفسهم القاطنون جنوب النهر هو : هل قرر مجرم وايتشابل الانتقال ؟ »
وشعر باحساس كره الى حد غريب يوخزه ويشير فيه الاشمزاز ،
احس بحرارة وبشعور لزج في منطقة معدته .

وابتاع في محطة كنتش تاون الصحفيتين المسائيتين الاخيرين ولفهما
ودسهما في جيبه . وكان يصاحب هذا الشعور بالاشمزاز ، بطريقة ما ،
احساسه بالرضى كلما كان يفكر في المس كوينسي . واستمعصى عليه
فهم هذا الاحساس بالتطير الذي اورثه اياه قراءة الخبر .

ولما عاد الى غرفته ، جلس على السرير وطفق يقرأ بترو التقارير
الثلاثة المنشورة عن حادثة القتل . وقد نشرت احدى الصحف مقالا مفصلا
عن الحديث معززا بمخطط يبين موقع الجريمة ، وتساءل كاتب المقال
كيف انحرفت المرأة عن الطريق المعتاد من ديبفورد الى وولويتش ، وكان
يميل الى الشك في ان يكون قاتل هذه المرأة هو نفسه مجرم وايتشابل .

كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة الثلاثين فقط . ولا يتوقع
وصول غلاسب قبل ساعتين . وعندما اغلق عينيه ، طاف في مخيلته
وجه المس كوينسي ذات الفم الناعم والعينين الفزعتين قليلا . كانت تلك
النظرة هي ما تبدو عليه المرأة قبل ان تدرك النية التي تكمن وراء العنف
الذي يظهره الرجل الذي اعتزم قتلها . وحاول جاهدا ان يبعد وجهها
عن ذهنه والفاه يبرز من جديد كلما اغلق عينيه . واهتز جسده رثاء لها
وقرأ منها ، فمد يده الى المكتبة وتناول اول كتاب لمستته انامله ، فكان
كتاب « الخيل ذو القصص السبع » تأليف ميرتن . وشرع يقرأ ، ولكنه
وجد من العسير عليه ان يركز عليه . واخيرا ، وضع الكتاب على الأرض
واغلق عينيه ثانية .

لم ير شيئاً في اول الامر . كان نوما نقياً لم تتخلله الاخيلة . ولكنه ما لبث ان رأى المنظر : في الظلام الباهت ، في مستودع البضائع ، كان هنالك حيوان يشبه السرطان ، شيء مسطح له اطراف ذات مخالب ، ولم يكن يحس بوجود اي شيء سوى هذا الحيوان الذي يشبه السرطان ، يتحرك بصمت في تلك العتمة ، يتحرك بطريقة غريبة ، مائلة ، ولكنه يتحرك نحو الهدف ، والهدف هو ذاته ، وقد امتلكه دافع ما ، وهذا الدافع هو ذاته ، هو تماسك ذاته التام برغبة واحدة ، بشهوة واحدة ، وبيقين واحد . لم يكن هذا انساناً ، كان ما يكمن في اعماق الانسان اذ هو ينتظر .

* * *

وسمع سورم طرقة على الباب في الطابق الاسفل بينما كان يقشر البطاطا . فهتف : هلو !

فاجابه صوت غلاسب : اه ، لقد قصدت المكان الصحيح ، اذن !
فقال سورم :

— طيب . اصعد . لقد بدأت توا بتهيئة العشاء .
وارتقى غلاسب السلم بحذر ، واخفض رأسه عندما وصل عطفة السلم . وانجز سورم تقطيع البطاطا الى شرائح واتقى بها في السمن النباتي الذي كان يثر في القدر . وتناول غلاسب جريدة قديمة من الطاولة وطفق يمر بنظره على الصفحة الامامية دونما اهتمام . كان يجلس وقد مد قدميه الى الامام وكفاه ملتصقان بالجدار . وكان وجهه كما كان عليه في اليوم السابق شاحبا غير حليق . ولاحظ سورم أن جوربيه كانا من لونين مختلفين . وقال :

— يظهر ان مجرم وايتشابل قد غير بقعة نشاطه ...
— ماذا ؟

— ألم تقرا الصحف ؟

— كلا ؟

— تصدى احدهم الى امرأة في غرينتش وقتلها . ويظهر ان الشرطة يعتقدون انه الرجل نفسه ...

فقال غلاسب :

— غرينتش ؟ لا اصدق ذلك . لا يمكن ان يكون الرجل نفسه .

— لم لا ؟ ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه ملازم لسبيتالفيلدز ؟

فهز غلاسب كتفيه :

— لا اعلم . ولكنه لازم تلك البقعة الى الان ، اليس كذلك ؟

— نعم ، ولكن هذا بالتأكيد سبب جيد لجعله ينتقل . اذ ان وايتشابيل سرعان ما ستصبح اكثر حرارة مما يمكنه احتماله . وماذا يدفعك الى الاعتقاد بانه يريد ان يبقى هناك ؟ هل تعتقد انه يبحث عن شيء ما في وايتشابيل ؟

فقال غلاسب :

— والان ، كيف لي ان اعرف ؟ ان حدسك ليس افضل من حدسي . لقد سمعت اليوم احدهم يقول ان الفاشست فعلوا ذلك لارهاب اليهود . — اين سمعت بهذا ؟

— شخص ما يقف على الرصيف . انه شيوعي .

— هل كانت احدى الضحايا من اليهود ؟

— لست ادري . لا اظن ذلك .

— ولكنك لا تظن ان قاتل غرينتش هو نفس الشخص ؟

فقال غلاسب وقد نفد صبره :

— اوه ، ارجو الا تسألني ! فلست ادري .

واحس سورم بان الأمتعاض الذي بدا على غلاسب لم يقصد بسبه الاساءة . فكبح سورم وخزة الانزعاج التي ولدها غلاسب . وتوصل الى ان هذه الفظاظة الظاهرية في سلوك غلاسب انما هي وليدة حياة الوحدة مدة طويلة . وقال :

— آمل ان يقبضوا على القاتل ، لتعرف من هو .

ورفع غلاسب نظره اليه ، وقال بلهجة ساخرة :

— اعتقد ان الكثيرين من الناس يشعرون بهذا الشعور .

— اي شعور ؟

— يريدون ان يلقي القبض على القاتل ليرضوا فضولهم ، وليس لانه يقتل النساء .

فقال سورم بجسد :

— انك لعلی حق . على كل حال ، كيف لاحدنا ان يقرن نفسه بالاعاھرات اللواتي يقطن في القطاع الشرقي من لندن ؟ ربما يعتقد اكثر الناس ان القاتل اجدر بالبراءة من ضحاياه . على الاقل انه يفعل ما في وسع اكثر الناس فعله . . .

— هل تعتقد ان اكثر الناس مجرمون ؟

— اجل . نحن لم نزل حيوانات ذات شهوات مفاجئة عنيفة . لا يمكنني ان احصي المرات التي امر فيها بامرأة في الشارع فاتمنى لو استطعت ان اناها في الظلام . الم تمر بمثل هذه الحالات ؟

— احسب ذلك . ولكن امر هذا القاتل اكثر من مجرد الاغتصاب . اما

انا فاريد ان يمسك بالقاتل لانه مصدر رعب في الجزء الذي اسكن فيه . فربما
يجوز غدا على شخص لي معرفة به .

وبرزت لكنة غلاسب الشمالية بصورة اوضح . واثرت نبرته في سورم
بجديتها . وقال :

- احسبك على حق . وهذا سبب اخر تأمل من اجله ان ينتقل الى
غرينستش .

- وما هو الاختلاف في الامر ؟ اينما يتحرك ، تدمر حياة اناس . على
الناس ان يموتوا لمجرد ان هناك انسانا له اسوأ من صفات الانسان ، حيوان
قذر ، مخلوق لا يفكر الا ببلدته ، معدوم الحس الاخلاقي .

كان غلاسب ثائرا حادا في لهجته الى حد جعل سورم يقرر ان يغير
الموضوع . وسجل ملاحظة في ذهنه ان يثير الموضوع ثانية عندما يكون
غلاسب في حالة نفسية افضل . وقال :

- طيب . لنأمل ان يلقي القبض عليه عاجلا . هل تعود الى الغرفة؟
تحتاج شرائح البطاطا هذه الى عشر دقائق اخرى .

وفتح زجاجة من النبيذ الاحمر وصب محتوياتها في قدحين . وتلمظ
غلاسب بشفتيه قائلا :

- هذا النبيذ من النوع الجيد . لطيف جدا . ما نوعه ؟

وتناول الزجاجة ونظر الى رقعة العنوان . وقال سورم :

- احب الشراب ، عندما يمكنني شراؤه .

- وافقك على ذلك . اما انا فلم استطع خلال السنين الخمس الماضية

اقتناء شيء سوى الشراب الاسباني الذي يشبه الماء العكر .

- سأتركك لحظة . تتصفح كتبتي . وهناك بعض الاسطوانات اذا كنت

تهوى الموسيقى .

وفتح الباب فاذا به يصطدم بكارولين التي كانت قد رفعت يدها

لتطرقه . وقال :

- هلو ، ايها العزيزة ! لم اكن اتوقع مجيئك .

- لم آت للبقاء ، فلا تخف .

وصارت في داخل الغرفة ، وقال سورم :

- انكما لم تعرفا على بعضكما، هاأ اوليفر غلاسب ، كارولين دينيغ .

فقالت كارولين :

- اوه ، انت اوليفر غلاسب المعروف ! التقيت بك قبلا في محل ما

اليس كذلك ؟

كان غلاسب يحقد فيها ، وفي وجهه تعبير غريب كئيب . وقال :
- لا اعلم .

واتسعت لكنته فاصبحت متعمدة كلكنة ممثل هزلي من يوركشاير .
ووجد سورم وهو ينظر الى كارولين انه من المستحيل ان يتصور السبب الذي
يدفع غلاسب الى السخط . كانت مرتدية معطفا من الفراء له غطاء رأس من
الفراء ايضا يكاد يغطي وجهها . وكان وجهها الذي تحيط به خصلات من
الشعر الاشقر ، يبدو ورديا مدورا كوجه دمية . وقال :

- هل لك في قدح نبيذ ، ايتها العزيرة ؟

- اوه ، لا بأس .

وازاحت غطاء الرأس الى الخلف لتحتسي اول رشفة من النبيذ . كانت
ترتدي قفازا اسود . وقال سورم :

- يجب ان اذهب الى المطبخ لقلبي بعض البطاطا . تعالي معي .

وعندما كانا لوحدهما في المطبخ ، قالت :

- لا اظنه يميل الي كثيرا .

- اوه ، لست ادري . انه خشن السلوك دائما . ولكنه لا بأس به

عندما يكون الانسان على معرفة وثيقة به .

- اليس الجو حارا هنا ؟

- اخلمي معطفك .

- كلا ، يا عزيزي . انا في طريقي الى التمرين وقد خطر لي ان امر بك

لاسلم عليك . لا يبدأ التمرين قبل الثامنة . اردت ان اتحقق من انك لست مع
نساء اخريات .

- من اين اقبلت ؟

- من عند أعمة جيرترود . سأنام عندها الليلة .

- اوه ، نعم . كيف حالها ؟

- انها بخير . لماذا اردت رؤيتك ؟

- حول أوستن .

- آه . نعم !

- لماذا ، ماذا ظننت . . ؟

- اوه ، لا اعلم . انها تريد ان تزج بك بين شهود يهوه .

- كيف علمت ؟

- اوه ، ان الامر واضح ، ماذا اردت ان تعرف عن أوستن ؟

- لقد اكتشفت انه منحرف جنسيا . واعتقد بانها كانت تريد ان

- تعرف هل اني مثله .
 - وماذا قلت لها ؟
 - دفعت بها الى الفراش بعنف وجعلتها تعتقد بانني عنز مقنع .
 - لا تكن سخيفا ! ماذا قلت لها ؟
 - اوه ، لا شيء .. حاولت فقط ان اقنعها بان لا جدوى في القاء محاضرة
 على اوستن من قوانين النبي موسى . تلقت الامر بصورة حسنة عموما .
 - اخبرني ما جرى بينكما بالتفصيل .
 وحدثها عما جرى بينه وبين المس كوينسي عندما كان يغلي قطع لحم
 الخنزير المقدد ، وانهى قصته عند الحد الذي ذهب به ليستحم . وقالت :
 - كانت تبدو مشوشة عندما عدت الى البيت . وقلت ترى ماذا جرى !
 - كم كانت الساعة ؟
 - اوه ، حوالي الرابعة .
 واخذ يهز قطع البطاطا في السلة السلكية فارتفعت القطع السمراء الى
 الاعلى ، ثم غمرها مرة اخرى في السمن الذي كان يغلي وقال :
 - هل تعلم جيرترود انك آتية الي ؟
 - كلا . خامرني شعور بانها ستحس بالفيرة .
 - لماذا ؟ هل تعتقدين انها تلاحقني ؟
 - لا اظن ذلك .
 - لم اذن ؟
 - لانها اكتشفتك قبلي . واعتقد انها تريدك ان تحضر اجتماعاتها الدينية .
 - هممممم ...
 والقت بمعطفها على كرسي المطبخ . كانت ترتدي بدلة حمراء صرقة لها
 شريط من القراء حول الرقبة . فأنحنى وقبلها واحس ببرودة شفتيهما
 اللتين انفرجتا حالا عن داخل فمهما .
 - ليس الان . لديك زائر في غرفتك !
 - لن يكون لدي زائر غدا ليلا .
 - فعليك ان تنتظر الى الغد ، اذن ، ها ؟
 - واحس برعشة من البهجة بصراحتها . وقال :
 - يمكنك العودة فيما بعد هذه الليلة ...
 - لا استطيع . قد تساور العمة جيرترود الشكوك ، فينبغي علي بعدد
 ذلك ان اذهب الى البيت في ويمبلدون كل مساء ...

واخذ غطاء القدر يهتز بقوة عندما كان يدفع به البخار . وتركها وهو يحس بالاسف وعاد الى المطبخ . وقالت :

— اتعلم ، لقد التقيت بهذا الرجل في محل ما ...

— ايمن ؟

— لا اعلم . دعني اذكر . سالت مارتنز ... سالت مارتنز ...

— مدرسة الرسم ؟

— كلا ، ا ... انه شيء ... آه تذكرت . في ساحة اللهو في طريق تشيرنك كروس . رأيت هناك :

— لا يبدو على اوليفر انه يرتاد مثل تلك المحلات !

— بلى ، كان هو . اني واثقة . كانت تصحبه فتاة صغيرة ، وقد اثار شجارا حول احدى الآلات — لم تشتغل . كان يرتدي معطفا سميكاً قديماً .

— كيف كانت الفتاة ؟

— لست ادري . لم الاحظها في الواقع . كانت فتاة صغيرة — في العاشرة او الحادية عشرة مثلاً .

— جميلة ؟

— ماذا ، بهذه السن ! لا اخالك نظنه يميل الى فتيات بهذا السن ؟

— لست اظن ذلك . ولكنني رأيت لوحة زيتية رسمها لفتاة صغيرة ، ربما تكون هي .

واستدار واطل الى اسفل الدرج ليتحقق هل يصل صوتهما الى غلاسب فاستبعد ذلك . وسألت :

— كم الساعة الآن ، يا جيرارد ؟

— الساعة والدقيقة العاشرة .

— ينبغي ان اذهب .

— الا ترغبين في شيء من العشاء ؟

— كلا ، شكراً ، تناولت الشاي .

واخرج الصحن الدائنة من تحت الشبكة الحديدية واستخدم سكين السمك ليضع عليها لحم الخنزير . ثم هز قطع البطاطا ليخلصها من السمن وافرغ البطاطا من السلة السلكية ووضعها على الصحن . وقالت كارولين مستحسنة عمله :

— مmmm ! انك طباخ ماهر . اذا حدث وتزوجنا فستكون نافعا جداً .

وسألها :

- اتردين الزواج ؟
 ففركت كتفه براسها :
 - لن ارفض الزواج بك .
 - ماذا ! بعد معرفة اقل من اسبوع ؟
 وعندما التفت ليواجهها احاطت رقبتة بكلتا ذراعيها ، وقالت بصوت
 ناعم كأنها تدافع عن نفسها :
 - لا حاجة بي ان اكون على معرفة بك مدة طويلة . اني اعرفك الان جيداً .
 - صحيح ؟ ماذا تعرفين عني ؟
 - على كل ، انك لطيف المزاج . . . وستحقق يوماً ما نجاحاً هائلاً .
 - هممم . لا اعرف شيئاً عن لطف المزاج هذا .
 وسحب راسه اليها . وبعد ان قبلها قالت :
 - هل افضي لك بشي ؟ قررت ان ارسم الخطة لان احظى بك منذ
 اللحظة التي رايتك فيها عند العمدة جبرترود . ما كان ينبغي لي ان اقول لك ذلك .
 - لم لا ؟
 - يشعرك ذلك بانك ملاحق .
 - ولكنني عفيف . (١)
 - انا لا اقصد ذلك ، سخيف ! اعني قد يجعلك تشعر انك ملاحق .
 - اننا فعلاً ملاحق .
 - صحيح انك كذلك - فهل يضيرك في شيء ؟
 - كلا مطلقاً . انظري ، ابنتا العزيزة ، يجب ان اذهب بالعشاء الى
 اوليفر . فتعالين وتناولين شيئاً من الشراب .
 - كلا ، فلم اتم هذا بعد . وعلى كل حال ، لا اريد ان ادخل الغرفة
 مرة اخرى . لذا اقول لك وداعاً الان . لا ترافقني الى الاسفل .
 وعندما قبلها ، الصقت جسدتها به ونفثت فيه الدفء . ولما خرجت استنشق
 الهواء بملء رئتيه واطلق زفرة طويلة . واحس بالهم في صدره وظهره كأنه تلقى
 ضربة بوسادة . وكان يحس بالشهوة تخفق وتخبو .
 وكان غلا سب يجلس على السرير وهو يقرأ في احد مجلدات « محاكمات
 بريطانية شهيرة » . وشرع ياكل بسرعة وشرهة . وبعد ان ابتلع لقمتين
 من الطعام قال بصوت غريب مبحوح :
 - واهاه ! كنت احتضر من الجوع !

(١) هناك تشابه لفظي في اللغة الانكليزية بين كلمتي « ملاحق » و « عفيف »

فقال سورم مبتسما :

— عظيم .

كان سورم اكثر انصرافا الى التفكير في كارولين من رغبته في الكلام . وظلا يتناولان الطعام بصمت مدة عشر دقائق وملأ سورم القدحين للمرة الثانية . ووضع غلاسب صحنه الفارغ على الارض وجذب انتباه سورم نحوه بزمجرة حيوانية قائلا :

— قلت انك لم تسمع باخر جريمة قتل ارتكبها جاك السفاك ؟

— صحيح .

— ولكنها مذكورة هنا .

وابتلع غلاسب ما تبقى من الطعام من فمه ، وسعل لينقي حنجرتيه واخذ يقرأ :

« في صبيحة يوم ١٨ تموز عام ١٨٨٩ وجدت امرأة مجهولة الهوية قتيلة في زقاق كاسل في وايتشابل وكانت الجروح التي اصببت بها تشبه تلك التي وجدت على جثث الضحايا السابقة وفي الساعة الثانية عشرة والربع من الصباح الذي ارتكبت فيه الجريمة دخل الزقاق احد رجال الشرطة وتناول عشاء خفيفا تحت مصباح الشارع . وترك الزقاق في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين ليتحدث الى شرطي اخر من نفس النوبة . ولما عاد في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين وجدت امرأة قتيلة تحت مصباح الشارع حيث وقف سابقا . وكانت الارض تحت الجثة يابسة بالرغم من ان ملابس المرأة كانت مبتلة . فقد انهمر زخة من المطر في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين . وعليه فقد حدثت جريمة القتل هذه بين الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين والساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين ، عندما اخذ المطر بالهطول . . . »

وقال سورم :

— لم اقرأ هذا قبلا . ما هو الكتاب ؟

— محاكمة جورج تشابمان .

— اه ، نعم وجدت الكتاب في الغرفة عندما انتقلت اليها يوم السبت

الماضي ، ولكن الا يذكر الكتاب فيما اذا عرفت المرأة ؟

— نعم . كانت العمة سالي . سالي مكنزي .

كانت قنينة الشراب تكاد ان تفرغ . وفتح سورم قنينة اخرى .

واسترخى غلاسب مستندا الى الجدار ، ومد ساقيه على الفراش وهو يتشاءب . وقال :

- كانت وجبة شهية . انك سعيد الحظ ، يا جيرانك .
— لماذا ؟
— اوه ، لديك مال كاف لتفعل ما تشاء .
— وانت ؟
— كلا ، ابدا . ان دخلي اليسير ياتيني من تاجر حقير يمتص دمي حتى ينضب !
— هل ياخذ جميع لوحاتك ؟
— كلا . فقط تلك التي يستطيع بيعها . مثل مناظر في الشارع او مناظر طبيعية مزوقة .
— وتعتمد في معيشتك عليها . شيء عظيم .
— لا تدري ربحا يذكر .
— على كل حال ، كيف اكون انا سعيد الحظ ببضع مئات من الجنيهات سنويا ؟ الانسان السعيد الحظ هو فقط الانسان الذي له القابلية على الخلق .
اما انا فقد تسمرت الى الكتاب نفسه منذ خمس سنين .
— لم لا تتمه ؟
— لا استطيع . ولكني مستمر في المحاولة . هناك شيء افتقد اليه .
— ما هو ؟
— اوه ... الوحي ، على ما اعتقد .
— اهذا كل شيء ؟
ونظر سورم اليه . كان واضحا ان الطعام قد لطف من مزاج غلاسب الى حد كبير . وقال سورم :
— لا ، ليس هذا كل شيء . لدي مشاكل اخرى ايضا .
— مثلا ؟
فقال سورم مبتسما :
— لا ادري اذا شرحتها لك هل تفلت زمام نفسك .
فقال غلاسب :
— ايه ؟ انا ؟ ماذا تعني ؟
— اوه ... اعني حالتك عندما كنت ابحت معك جرائم وايتشابل اول ما اتيت .
— اوه ، الامر يختلف هنا ...
— لا يختلف كثيرا . لاني اجد بعض جوانب نفسي يعكسها ذلك القاتل .
الا تلمسها انت ؟

— كلا . وعلى كل حال ، فما علاقة ذلك باكمال كتابك ؟
— طيب ساحاول ان اشرح . اني اسال نفسي : لم يقترب الانسان
جريمة جنسية ؟ انا اعلم ان بعض السبب يعود الى محض الضعف . ولكن
هذا لا يجيب على السؤال . وقد قرأت قبل ايام ان سبعين في المائة من
الجرائم الجنسية في الولايات المتحدة يقتربها مراهقون . فما هو في اعتقادك
السبب ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

— لان سيطرتهم على انفسهم اقل في تلك السن .
— ليس هذا فقط . لانهم يظنون بانهم سيحصلون على اكثر مما
يحصلون عليه عادة . قرأت مرة عن قضية شاب كان يسوق سيارة لوري
ومر بفتاة في طريق مقفر . فاستدار بسيارته وصادم بها الفتاة ثم اغتصبها
في مؤخرة سيارته . وبعد ذلك القى جثتها في بئر هناك ومن ثم نسف البئر
بالديناميت . واخيرا القى القبض عليه وارسل الى الكرسي الكهربائي .
وتوقف سورم عن الكلام ليفسح المجال الى غلاسب ليبيدي رايه . ولما
راى سورم ينظر اليه قال غلاسب :

— حسنا ، نال عقابه ، اليس كذلك ؟

— نعم ، ولكن ليس هذا ما يستوقفني . ان الذي اثر في هو حماقة
العمل ، والتفريط بالانسان ، والوقف الذي يثير العطف . حاول ان تضع
نفسك في محله ... هل تستطيع ؟
— اظن ذلك .

— افرض انه اقلت بفعلته هذه . فما هو شعورك نحو فعلتك هذه ،
وانت تعود بذاكرتك اليها ... حتى ولو كنت لا تخشى ان ينكشف امرك ؟
الا تشعر بالفراغ السخيف بين الدافع الذي حدا بك الى ارتكاب الجريمة
وبين ما ظفرت به فعلا منها ؟ فقد راى هذا الانسان فتاة مغرية على قارعة
الطريق . وفجأة ، احس بانها تمثل لديه كل ما فرضه عليه سن المراهقة
من محرمات وضروب الفشل . فيحس بانه ينبغي عليه بالحاج ان يظفر
بهذه الفتاة . اظنك ، في الميثولوجيا الاغريقية ، كيف ان الاله زيوس مضى
يغتصب كل من يراها — وكيف حول نفسه الى اوزة ثم الى حمامة ثم الى
ثور ؟ جعل شقيقته ديميتر تلد له ابنة ثم اغتصب تلك الابنة ايضا . . . اتفهم
ما اعنيه ؟ لقد شعر هذا المراهق بذلك تماما ... شعر بان له ما للاله من
امتيازات . انه يتمرد على قيوده فيستدير بسيارته ... ولكنه ليس الها ،
وهو يعيش في دولة لها قوانين ، فتحكم عليه القوانين بالموت .

— كان غلاسب قد بدأ يتسسم بينما كان سورم يتكلم . ثم قاطعه بقوله :
— ولكنه ليس بالذكاء الذي تتصوره . هل تظن بان لديه اية فكرة عن
زيوس وعن ليدا عندما استدار بسيارته ؟
— كلا ، ولكني احاول ان اصف مشاعره ، بالرغم من انه لا يستطيع
التعبير عنها ...

— اعلم . ولكن ذلك غير صحيح . قد لا يعدو ان يكون هذا الشخص
قرويا سمجاً كالثور الهائج لا يفكر الا بعدد الفتيات اللواتي يمكنه ان يشقهن
خلف جدران المراقص في امسيات ايام السبت . وهو عندما يفتصب الفتاة ،
لا يحس باية شفقة عليها لانه قتلها بسيارته . انه لا يشعر بذلك ، اذ لو كان
يرغب فيها حقاً لاستطاع بكل سهولة ان يتعرف عليها وان يغويها دون ان
يلجأ الى قتلها . ان حياتها لا تعني شيئاً بالنسبة له ، ولا مشاعر ذوبها .
انه يضع كل ذلك في كفة وشهوته العمياء في كفة اخرى ، ويدع شهوته
تربح . فهل تشعر باي تعاطف معه بعد كل ذلك ؟

— اتفق معك ، انك على حق . ولكن مع ذلك ، ليست هذه هي الحقيقة
كاملة . اصغ . في يوم من الايام كنت اقود دراجتي على الشارع المحاذي الى
النهر فرايت فتاة بصحبة احد الجنود ينظران الى النهر . كان يوماً عاصف
الرياح ، وفجأة اطارت الرياح رداءها فارتفع الى فوق راسها . واقول لك،
شعرت كانني تلقيت رفسة في معدتي . وظللت عدة اسابيع بعد ذلك ينتابني
شيء يشبه الحمى كلما فكرت بالحادث .
فقاطعه غلاسب :

— يلوح شعورك هذا حرماناً جنسياً معتاداً !
— اعلم . ولكن ما الذي كان سيشبعه ؟ لو كانت الفتاة لوحدها ، اظنني
كنت تعرفت بها ، وكنت اقنعته في الاخير ان اجرها الى الفراش . ولكن
ذلك وحده لن يرضي هذه الرغبة . انها اعنف جداً واكثر نزوعاً للاشبهاح
الاتي من مجرد الرغبة في الانغماس في علاقة غرامية . انها حنين مفاجيء الى
حرية اوسع بكثير مما نملك فعلاً . انها بصيرة الى الحرية — ولذا فهي
رغبة جامحة . وفضلاً عن ذلك ، فهي لا ترتبط بشيء في الشهوة الاعتيادية .
كانت لي في يوم من الايام صديقة ... عندما كنت اعيش في الطابق السفلي
على مقربة من شارع ماريلبون . على كل ، التقيت بها في يوم من ايام الاحاد
وضاجعتها اكثر مما كنت اتصور اني استطيع — حتى شعرت كانني خرقة
مبللة من شدة التعب . وانتابني شعور بانني لن اتوق بعد الى المرأة طوال

حياتي ، وباني قد افرغت كل ما في نفسي . ثم خرجت من الباب الامامي
لاجلب قنينة الحليب ، ورايت فتاة عابرة تمشي على الرصيف الى اعلى وهي
ترتدي تنورة فضفاضة كانت تتأرجح فتكشف عن ساقها وفخذيها. واعلم،
احسست بشوق لان اختطفها وارفض بها راسا الى السرير . ولقد ادهشني
ان ادرك ياني لم استنزف بعد ما في نفسي من الرغبة . وانما استنزفت فقط
رغبتي تجاه فتاة معينة . كانت شهوتي للنساء عامة لم تتأثر .
كان غلاسب مقطب الجبين . ولم يكن قد مس قدحه منذ ان مسلاه
سورم ثانية . وقال :

— لست افهم ماذا تحاول ان تثبت . لا افهم ما تعنيه بالبصيرة في
الحرية .

— لا اتمكن من شرح المسألة بسهولة . انها شيء كهذا : ضرب من
الرؤيا لحياة اكثر . تجعلك تحس كأن سلطات الاله قد سلبت منك . كأننا
نحن انفسنا الالهة ، كأننا حقاً احرار ، ولكن دون ان يدرك هذا احد. ويعود
الينا هذا الادراك مرارا خلال الجنس .
فتمتم غلاسب : د. ه. لورنس وفصيلته .

— كلا ، ليس هذا وحسب . لا يعنيانا من هذا مجرد الجماع الجنسي.
لدي صديق يشتغل في الصحافة له ولع لا يكل كولع كازانوفيا في ملاحقة
النساء واغوائهن . ولكنه لا يلد له في الواقع مضاجعتهن . حيث ان هذا الجزء
من العلاقة يضجره . انه يريد فقط ان يحس بالنصر ، ان يحس بمقدرته على
مضاجعة النساء ان هو اراد ذلك . لايمكنني شرح هذا . . ولكنني احس
كأننا مدعوون لان نكون الهة ، كان حرية الالهة ينبغي ان تعود لنا وانها من
حقنا الطبيعي ولكن شيئا جردنا منها .

فابتسم غلاسب وقال : لك ميزات الكاثوليك ، مع هذا .

— اشك في ذلك . انا اشعر فقط بان عبوديتنا الى الجنس هي مجرد
الحاجة لاعادة شيء كان من حقنا الطبيعي ان نمتلكه . انها حالة داخلية من
التركيز الهائل . وفي هذه الحالة لن تكون بعد جرائم جنسية . انها جالبة
من القوة الداخلية التي تجعل من الاخرين اشياء زائدة عن الحاجة . ان
حاجتنا للمرأة هي حاجتنا لاعادة ذلك التركيز الداخلي لبرهة من الزمن . .
ومد غلاسب يده ليسكت سورم . فسأل سورم :

— ما الخبر ؟

فقال غلاسب :

— شخص يناديك .

ونفض سورم وذهب الى الباب ، فسمع صوت الفتاة يهتف :

— تلفون ! ابها المستر سورم .

فصاح : شكرا .

ونزل السلم مسرعا وهو يحس بالدفع الذي يأتي من الرضى الذي يولده الطعام والشراب . كانت سماعة التلفون على طاولة الصلاة . وقال :

— هلو ؟

— جيرارد ؟ اوستن يتكلم .

— اهلا ، اوستن ! كيف حالك ؟

— بخير اشكرك جدا . ماذا تفعل الان ؟

— فرغت توا من تناول العشاء .

— الست مشغولا ؟

— بلى . اوليفر غلاسب معي .

— اوه ...

واستشف سورم الخيبة في نبذة اوستن . وراح يتسائل هل تنطوي على كراهية نل لغلاسب وقال :

— ماذا هناك ؟

— لا شيء . متى يذهب ؟

— اوه ، خلال ساعتين . لقد وصل قبل قليل .

— اوه .

— لماذا ؟ هل اردت ان اتي لزيارتك ؟

— نعم ، في الواقع . الا يمكنك التخلص منه ؟

— كلا ، في الحقيقة ، الا اذا صرت فظا معه . وانك تعلم بانه سريع

التاثر . هل الامر مهم .

— كلا . اود ان اراك فقط . هل يمكنك المجيء بعد ساعتين ؟

فقال سورم متأوها :

— كلا ، يا اوستن . اكاد اموت من التعب ، ولم استطع ان افتح عيني

من التعب طوال اليوم . وعندما يذهب اريد ان انام .

— ولكنني لن ابقىك طول الليل ، اعدك بذلك .

وكاد سورم ان يستسلم للحاح ن ، ولكنه تذكر مشقة الذهاب الى

شارع الباني واحس بيقين داخلي مفاجيء بانه لا يريد الذهاب ، فقال :

— ليس هذا . ولكنني منهوك تماما . ولن تفيد مني شيئا اذا جئت .

فقال نل ولم يستطع ان يخفي امتعاضه : اوه ، حسنا !

- لنلتقي غدا او في مرة اخرى .
- سأتصل بك ثانية .
- وانقطع الخط ، فبقي سورم يصيخ السمع قليلا لا يدري هل قطع الخط من البدالة . ثم اعاد السماع الى مكانها وعاد الى غرفته . وقال :
- اوستن اتصل بي الان .
- فقال غلاسب :
- نعم ، وماذا اراد ؟
- ليسال عني فقط . بقينا حتى وقت متأخر من الليلة الماضية .
- هل اراد ان يراك الان ؟
- اقترح علي ذلك ، فقلت له بانني لا استطيع .
- كان غلاسب منحنيا على صندوق الاسطوانات . وقال :
- اعتقد بانك ستجد المستر ن شخضا شديدا الاحصاح قبل ان تتم
- نعم ؟
- كان غلاسب جالسا عند نهاية السرير وقد نشر جميع الاسطوانات على فطاء القراش . وقال :
- انه مثل بقية الضعفاء يستخدم اصدقاءه عكازات له .
- انظنه ضعيفا ؟
- الا تظنه انت كذلك ؟
- لست وانقا .
- فقال غلاسب :
- ستكتشف ذلك .
- وانتقى احدي الاسطوانات وقال :
- الا اذا كنت تريد ان تتحدث ، فما رايتك في سماع موزارت ؟
- بالتأكيد . المزيد من الشراب ؟
- كلا ، شكرا . ولكن بعد ذلك ، ان وافقت ، فنذهب الى اقرب حانة لارد لك بقليل من البرندي بعض الكرم الذي ابديته تجاهي ...
- لا داعي ان تفعل ذلك .
- ومع ذلك ، فاود ان افعل .
- كان غلاسب قد اتخذ لهجة غريبة متحذقة واسلوبا راقيا في الكلام ، فقال سورم ضاحكا :
- امر رائع بالنسبة لي .

ووضع الاسطوانة في الفرامافون ثم استرخى في كرسيه واغمض عينيه .
وما لبثت حوادث الاربع وعشرين ساعة الماضية تدور في ذهنه فيما هو يصفي
الى الموسيقى . وشعر كان الحوادث وقعت لشخص اخر .

* * *

كان الليل قارس البرد . واخذ وهو يخرج من محطة نفق كتنش تاون
يشد اللقاعة حول رقبتة ويحكم ازرار معطف المطر عند ذقنه . كان غلاشب
ثملا تماما عندما دخل قطار النفق ولكنه رفض عرض سورم ان يرافقه الى
مورغيت . وشعر بالدفع داخليا ، وبالتعب الملذ ، ولكنه لم يكن ثملا .
ولما بلغ منتصف السلم سمع رنين جرس التلفون . فاستدار وعاد
نازلا . وانفتح باب الطابق السفلي ولكنه صاح :
- لا تتبعني نفسك ، يا كارلوت . سارد عليه انا .
- وقال الصوت :
- هل يمكنني الكلام مع المستر سورم ، رجاء ؟
- يتكلم !
- جيرارد ؟ لم اميز صوتك ! ييل يتكلم .
- هلو ، ايها الصبي . اين انت ؟
- جئت توا الى الجريدة لامضي الليلة . اننا سنعد تقريرا صحفيا
عن حادثة القتل في غرينتش ، اتود المجيء ؟
- ما هو نوع التقرير ؟
- اوه ، انك تعرف هذه الاشياء . نذهب للتجول مع شرطة العسس
وناخذ الصور الفوتوغرافية . ابروق لك ذلك ؟
- والله . لا ادري . كنت سأتي ولكنني شديد النعاس . لم ادخل
الفراش حتى الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم .
- طيب ، لنترك الموضوع . لدينا مقعد خال في السيارة اذا اردت
المجيء . هل تعرف المصور ، تيد بيلينكس ؟
- اوه ، نعم ، اسمع ، اشكرك جدا لعرضك هذا ، وساكون مسرورا
لمصاحبيتكم في اية ليلة اخرى . ولكنني في الواقع منهك القوى . ولكن اسمع ،
يا بيل ، اذا حدث شيء مهم فاخبرني . فيسرني ان آتي الى هناك . غير
انني شديد النعاس الان .
- طيب ، ايها الصبي . لا تكثر . ساتصل بك في ليلة اخرى . ظننتك
تريد المجيء . سارك فيما بعد .
وفيما هو يخلع ملابسه احس بالاسف لتعبه الشديد . لقد كان يود

مصاحبة بين في اعداد التقرير . وخشي ان يحرم عليه التفكير في هذا الموضوع النوم .

وحالما كان على السرير ، شعر انه احسن صنعا يرفض الخروج . وراح يداعبه سيل من الدفء . ومضغ حبة « الكالين » ثم ابتلعها ليقي نفسه من اثار الشراب وضغط براسه على الوسادة . وطافت في مخيلته صورة كارولين واثارت في نفسه احساسا باللذة نتيجة تذكره انه طلب منها قضاء الليلة معه وادراكه بانه حتى لو قبلت هي فسوف لن يكون في امكانه مضاجعتها . وكان الاحساس ايضا وليد الشعور بالتوقع .

واستيقظ وراح يحرق في الباب . وظل برهة من الزمن في حيرة هل كانت ذروة احد الاحلام هي التي ايقظته بهذه المفاجأة . وفيما هو يصفي سمع همهمة . واطل خلال الظلام في ساعته المضيئة فوجدها تشير الى السادسة . وانقلب على جنبه ودفن وجهه بين اغشية الفراش ، وبعد لحظة سمع صوت وقع اقدام على السلم . فرفع راسه ليصفي . وطرق احد الباب عليه . فصاح : نعم ؟

وانفتح الباب قليلا ، وقال صوت رجالي :

— احدهم يطلبك على التلفون . انت المستر سورم ؟

— نعم .. اشكرك . يا الهي .. في هذه الساعة المبكرة ! انا اسف جدا .
ولبس الروب وخرج من الغرفة . كان الرجل يسبقه نازلا السلم ، وهو يقول :

— التلفون امام غرفتي . لقد ايقظني .

— انا في الحقيقة اسف جدا ...

كان سورم يفكر مع نفسه : انه اوستن ابن السـ !

— يقول الشخص ان الامر مستعجل ...

وذهب نحو التلفون وهو يقول في نفسه : ساخبره بانهم سيتردونني اذا استمر على هذا النحو ... الساعة السادسة ... يا للاحمق .
واختطف سماعة التلفون وكبت الرغبة في ان يصرخ بها ، وضبط نفسه وقال : هلو ؟

— هلو جيرارد . بيل بين يتكلم .

— بيل ! ماذا تريد ؟

— طلبت مني ان اتصل بك اذا ما حدث شيء . حادثنا قتل في وايتشابل ...

وارتعد شعره كان تيارا كهربائيا سري بجسده . وتدلّت يده التي

تحمل السماعة الى جنبه لحظة ، وسمع صوت بين كانه يصدر من بعيد .
ورفع السماعة بعد قليل وسمع بين يقول :
- ... كان ذلك منذ ساعة . ولذا ، اذا اردت المجيء فتعال على الفور .
- اين ؟
- شارع مايتر . على اليسار من محطة اولدغيت . هنالك مقهى
صغيرة على مسافة قليلة من المحطة . سارك هناك .
فقال سورم :
- حسنا . ساتيك باسرع ما يمكن .
واعاد السماعة وجلس على حافة الطاولة . ولم يكتثر ببرودة الجو .
وبدا له كأن صوت دقات قلبه يصل الى كل نزل البيت .

الفصل الثاني

وبالرغم من ارتدائه القفاز ، احس بالخدر في يديه قبل ان يصل هولبورن .
وخلع القفاز عن يده اليسرى وراح يقود دراجته ويده في جيب السروال يشد
بها على تقعر فخذه . كانت شوارع المدينة مهجورة . لقد ايقظه البرد ، ولكنه
كان بحس بانهاك داخلي يكاد ان يكون خمولا مترفا كان عواطفه كلها تيسار
كهربائي اصيب بعطب . واحس بحرية غريبة . وقبل ان يصل نهاية شارع
ليدنهول نسي سبب خروجه في هذا الصباح الباكر . واثار فيه منظر رجل
مجوز ، يجلس القرفصاء في احد مواقف الباصات ، وقد تلفع بمعطفه ، سيلا
من الافكار عن مشاق الحياة البشرية وعن ميل الانسان لتعقيد هذه الحياة
باتيان حركات لا فائدة منها . وعندما تخيل هذه الشوارع التي ستزدحم خلال
ثلاث ساعات بحشود من الناس الذين لا يحركهم دافع اخر غير العمل اليومي ،
ولا يقودهم يقين عميق لمواجهة هذا الاضطراب ، شعر بالامتنان لصمت هذه
الشوارع والصمت الداخلي الذي تسبب عن اعيائه الداخلي .

واستطاع ان يميز بين واقفا الى جانب مدخل قطار النفق . كان
يشعل سيكارة ويضرب بقدميه على الارض ليدفئهما .
وصاح سورم :

— هلو ، بيسل !

— هلو جيرارد — يسرني انك توفقت في المجيء .

واسند سورم دراجته الى الجدار وراح يبحث في الحقيبة عن السلسلة :

— حسبتك ستنتظر في المقهى ؟

— لقد خرجت منذ دقيقة فقط ، طلبا للهواء . هل ستترك دراجتك هنا ؟

— اظن ذلك . ليس في الامر ضرر .

- طيب . هيا لنذهب ، اذن .
- اين يقع المحل ؟
- مايتز سكوير . على الجانب الاخر من هاوندسدريتش .
- ماذا حدث ؟
- لا اعلم بعد . عثر على امرأة اخرى . وقبل ذلك بنصف ساعة كانوا قد وجدوا امرأة اخرى في شارع برنر اي في الجانب الاخر من الشارع التجاري .
- يبدو ان القاتل كان يحيي مهرجانا !
- سيخلق هذا الامر بعض المصائب ، يا جيرارد . ستكون اكبر قضية بحث عن قاتل عرفتها انكثرا ، فلن تجرؤ الشرطة على ان تتركه يفلت الان .
- هل رايت الجثتين ؟
- القيت نظرة على الجثة التي وجدت في مايتز سكوير . اما الاخرى فقد نقلت .
- في اي ساعة وجدت ؟
- هذه الاخيرة ؟ منذ حوالي الساعة . كنا في طريقنا الى المكتب عندما وصلنا النبا . ولقد خففنا مسرعين الى هذا المكان قبل ان يصل احد اخر .
- شكرا على مخابرتك لي .
- لا شيء . فامور كهذه لها فائدتها بالنسبة لمؤلف مثلك . في الواقع ، هذه اول حادثة قتل اراها عن كتب . ولكن ، اتعلم يا جيرارد ، ان الامر في غاية الغرابة . لا بد انه قتل المرأة في شارع برنر ثم جاء مباشرة الى هنا ليقترب جريمته الثانية خلال خمس عشرة دقيقة .
- هل اتصلت تلفونيا بمكتبك لتنقل اليهم القصة ؟
- بالطبع . نكاذ ان نحصل على سبق صحفي . اول من يصل الى موقع الجريمة ؟ وقد اخذنا صورا وغيرها ...
- كان سورم مندفا للكلام بصورة منفعة ، فقد احتشدت في رأسه عشرات الاسئلة تبغي كلها مخرجا في آن واحد . وقال :
- حدثني عن الجريمة بالتفصيل . قل لي ماذا وقع بالضبط .
- لا استطيع فنحن انفسنا لا نعرف القصة كاملة بعد .
- اقصد - حدثني ماذا حدث لك طوال الليل .
- انتظر لحظة . فنحن على وشك الوصول .
- كيف قتلت ؟
- الاخيرة ؟ ذبحت من حنجرتها . ولكن جثتها مثل بها تمثيلا فظيما .
- كيف ؟

— اشبع وجهها طعنا وتمزيقا .
— يا للمسيح !
وقال بين عبارة قصيرة : جعلني النظر اشعر بالغثيان .
ودلفا الى شارع ضيق ، ونظر سورم الى الرقعة التي كتب عليها اسم
الشارع ، فقرأ : شارع ديوك . وقال بين :
— ايه ! بدأ الناس بالاحتشاد من الان .
ورأيا في نور الفسق الخافت اناسا متجمهرين على طوال الجزء الثاني
من الشارع . وقال بين :
— يحسن بنا ان نذهب من الطريق الاخر . هنالك زقاق ضيق يؤدي
الى الساحة من هذا الجانب .

وسال سورم :
— ماذا تظن سيحدث الان ؟ لا شك ان الامر سيثير الرعب العام .
— لا استطيع التكهن . واني لارتاب في ان الحكومة تريد ان تجعل
الصحف تنشر اخبار هذه الجرائم بعناوين بارزة لتصرف اهتمام الناس
عن الموقف الدولي .
— فكرة مثيرة ! انك تعتقد بان وزارة الخارجية هي وراء حوادث
القتل هذه ؟

— لا يدهشني ذلك ! يقولون ان الوزارة مليئة بالمنحرفين الجنسيين ...
ليس من النوع الذي يميل الى النساء ، على كل حال .
ثم استدارا ثانية تاركين شارع اوليفيت ودلفا في الشارع الذي كان
يسير باتجاه شارع ديوك . كان شارعا ضيقا وقد احتشد فيه الناس من
الرصيف الى الرصيف .
وقال بين بياس :

— اخشى انه لا يمكنك رؤية شيء . كان عليك ان ترافقني ليلة امس .
وشعر سورم بالخوف والانفعال يحركان احشائه . كان الصمت مطبقا
على الشارع ، وقد اثار فيه هذا الصمت جوا من التوتر والتوجس . وعندما
اقتريا من الجموع ، وجد سورم انهم كانوا يتهايمسون فيما بينهم باصوات
خفيضة ، وقد تجمعوا كتلا كتلا . وكانت اكبر هذه الكتل جمعا من المصورين
الفوتوغرافيين حاملين الات التصوير ذات المصابيح الوامضة . فاقترب بين
منهم وقال :

— هل وقع شيء ، يا سيد ؟
فاجاب رجل بدين قصير القامة احمر الوجه :

- هلو ! هل عدت ؟ كلا - لم يحدث شيء بعد .
 كان الرجل يدفن يديه عميقا في جيوب معطفه الضخم . وكان يعقد حول
 عنقه لقاعة صوفية ذات خطوط ملونة ، كتلك التي يلبسها طلاب المدارس .
 - هل وصل ماكردو ؟
 - أجل . جاء منذ عشر دقائق . ذلك هو .
 وأشار برأسه الى الحبل الذي يفصل الساحة عن الشارع :
 - هل اخذت صورة له .
 - نعم . ولكنه استاء لذلك .
 فقال أحد المصورين :
 - لقد آن له ان يعتاد على ذلك !
 ثم بصق في مجرى المياه .
 واقترب سورم من الحاجز ، ولم يكن من الصعب الوصول اليه ، فالحشد
 لم يكن متراصا . ولكنه لم ير ما يستحق المشاهدة . كان على يسار الساحة
 مستودع للبضائع عال يحمل اسم « كيرلي وتونج » . وكان المخرج الوحيد
 من هذه الساحة زقاقا ضيقا في طرف الزاوية اليمنى . وكان رجال الشرطة
 متجمعين هناك ، وكان اثنان من الشرطة يجلسان القرفصاء على الرصيف
 ويقومان ببعض القياسات بواسطة شريط القياس . وقد استطاع سورم
 ان يرى ، من خلال سيقان الشرطة ، جثة القتيلة مغطاة بالقماش .
 وكانت على احد جوانب الساحة البعيدة امرأة تولول ، لم تكن تصرخ ،
 ولكنها كانت تنتحب بصوت خشن . وبدا الاهتمام على الناس المحيطين
 بسورم . وقال احدهم :
 - هه ! هه هل تعرف عليها احدهم ؟
 فاجابت امرأة :
 - كلا . لم يقترب من الجثة احد .
 وانقطع العويل فجأة . واقترب بين من جيرارد وقال :
 - هل فهمت ما حدث ، يا جيرارد ؟
 - كلا . صدر الصوت من ذلك الزقاق .
 وتقدم بين الى احد رجال الشرطة الذي كان يقف بجوار الحاجز وابرز
 هويته الصحفية وسأل :
 - هل استطيع المرور ؟
 - كلا ، مع الاسف يا سيدي . لدي امر الا ادع احدا يمر حتى
 يصل الطبيب .

— نعم . وقد تأخر كثيرا .
 — من الطبيب ؟ سيمبسن ؟
 — لست أدري ، يا سيدي . كل ما أعلمه انه تأخر كثيرا .
 وتقدم شرطي آخر من بين الجماعة التي تقف في الزاوية . وسأله بين :
 — هل لديك فكرة عن سبب النحيب ؟
 وكان الشرطي عريفا في متوسط العمر وقال بعدم اكتراث :
 — مجرد امرأة اصببت بنوبة هستيرية .
 وشق احد الواقفين قرب الحاجز طريقه متدافعا بوقاحة وقال :
 — واني لامتقد ذلك ايضا . بالله ماذا تعملون ايها السادة لقاء ما تتقاضونه
 من اجور ؟ اريد ان اعرف .
 وقالت امرأة بدينة كانت تضع شالا على راسها :
 — رويدك يا بيرت ، لا تكن قذر اللسان . انهم يفعلون ما في وسعهم .
 فقال الرجل وقد تصلب براهه :
 — انا لست قذر اللسان . بصفتي مواطنا يدفع الضرائب لي الحق
 ان اعرف لماذا يقف الشرطة مكتوفي الايدي . اليس كذلك ؟
 ولم يبد الامتناع في وجه العريف .
 وتقدم صحفي اخر شاقا طريقه خلف سورم . وسأل :
 — هل تعرف من هي ، ايها العريف ؟
 — كلا .
 — طيب ، لماذا يستمر قتل النساء ؟ هذا ما اريد معرفته .
 ثم اشترك في النقاش رجل طويل القامة هزيل كان يقف وراء المرأة
 ذات الشال . كان صوته عصبيا حادا . والتفت اليه العريف ببطء ، ثم هز
 كتفيه وقال :
 — هذا ما نريد معرفته كلنا .
 ثم استدار وراح يمشي لينضم الى جماعته . فصاح الرجل خلفه :
 — فهذا ما تتقاضون اجوركم عليه ايها الحمقى لجرد اكتشاف السبب !
 وهمس بين في اذن سورم :
 — هنالك شعور شديد ضد الشرطة .
 — لا يدهشني ذلك .
 واخذ بين يحاول التخلص من بين الحشد . وقال :
 — هلم ، ليس هنالك ما يستحق المشاهدة .
 وتقدم رجل ضخيم الجثة له شارب اشقر ووقف خلف بين ولطمه

- على كتفه . فقال بين :
- هلو ، توم ! وصلت الان فقط ؟
- فقهره الرجل الضخم وقال :
- ربما . كنت هنا قبل ان تنهض انت من النوم .
- انك لم تكن هنا ، اتعلم ! كنا اول من وصل الى محل الحادث .
- فقد كنا في وايتشابل عندما وصلنا النبا .
- صحيح ؟ فاني اعتذر في هذه الحالة .
- لا تفتنم ، ايها الصبي . سلني ما تشاء من الاسئلة . ولكنني انتقاضي منها اجرا طفيفا بالطبع .
- والتفت بين الى سورم وقال :
- انك لم تتعرف بتوم موزلي ، اليس كذلك يا جيرارد ؟ توم ، اقدم لك جيرارد سورم .
- هل يشتغل للصحيفة ايضا ؟
- كلا . جيرارد مؤلف ..
- فقاطعه موزلي بقوله :
- بالمناسبة ، هل سمعت صراخ تلك المرأة ؟
- نعم ، ماذا كان السبب ؟
- اشاع احدهم بان الشرطة عثرت على قضيب حديدي ملطخ بالدماء ،
- فصرخت المرأة : كنت اقف على بعد قليل منها . جعلت شعر رأسي ينتصب .
- هل وجدوا فعلا قضيبا ملوثا ؟
- كلا . كان الامر مجرد اشاعة . هل رأيت الجثة الاخرى ؟
- نعم . كنا هناك عندما وصلتنا انباء هذه الجريمة .
- هل صحيح ان رأسها وجد مهشما ؟
- نعم . ولكن يبدو انه تلقى ضربة واحدة فقط .
- هممم ... لا يلوح ان صاحبنا هو الذي فعل ذلك ، هه ؟
- لست ادري . ربما اضطر الى ان يقطع جريمته .
- وقال سورم :
- ماذا حدث ؟
- وقبل ان يستطيع بين الاجابة ، اخذ احدهم يصيح :
- افتحوا الطريق !
- واقتربت عربة اسعاف من الحاجز . وراحت ومضات آلات التصوير تنطلق فتضيء الساحة برهة كأنها البرق . وقال بين :

— يظهر ان ستار وصل .

— من ؟

— الطبيب .

ونظر سورم باهتمام الى الرجل العريض المنكبين ذي الوجه البلي يبدو لين الطبع كوجه مزارع . وكان يشق طريقه ليصل الى الساحة . وتبعه بين فوراً وهو يمسك بسورم من كفه . فاوقفهما الشرطي واعاد الحبل الى محله . فالتأم الجمع ثانية في كتلة متراسة في مدخل الساحة وقال بين :

— اردت ان اجد مكانا لراقب الامور من هنا .

— ماذا سيحدث الان ؟

— لا شيء . انهم سيرفعون الجثة فقط . راقب وجوه بعض هؤلاء الناس .

ونظر سورم حوله بحذر فوجد وجوها جامدة لا يبدو عليها التأثير . ولم يكن فيها شيء من التطلع والانفعال المريض الذي كان يتوقعه . وهمس :
— يبدوون معبسي الوجوه .

واوماً بين براسه باقتضاب وهو يحدق عبر الساحة . وقد شكل رجال الشرطة دائرة حول الجثة وقد جثا الطبيب الى جوارها . واجرى فحصاً مختصراً للجثة ثم املى شيئاً الى فتاة كانت تسطر بعض الكلمات على دفتر . ثم نهض الطبيب واثار الى رجال سيارة الاسعاف الذين كانوا يحملون صندوقاً معدنيا رمادي اللون فوضعه بالقرب من الجثة . ولكن سيقانهم حجبت الجثة عندما حملوها ، ولم ير سورم غير حافة تنورة ممزقة كانت تجرجر على الارض عندما كانت الجثة ترتفع الى الصندوق . وبعد لحظة ، انفلق باب سيارة الاسعاف ، وتحركت السيارة . فاذاح الشرطي الحبل ثانية وهو يقول : افسحوا المجال !

وبدا الحشد يتفرق . وخرج من مستودع البضائع على الجانب الاخر من الساحة رجل عجوز يحمل سطلا وفرشاة . واخذ يرش الماء على الرصيف حيث كانت الجثة ملقاة ثم يفرکہا بالفرشاة . وخرجت سيارة الاسعاف من الساحة ببطء . وسرت رعدة في ظهر سورم ارتعش لها . فاستدار ومرا امام شباك حائوت صغير فواجهته ابتسامة فتاة في اعلان لمعجون الاسنان . وطاف في ذهنه ، لبرهة وجيزة ، حدس لحالة القاتل الدهنية ، فتمرد على التلميحات المجردة ، والوجوه المقطبة الازلية والرسوم الخشبية التي تطل من لوحات الاعلان التي تهيمن على عربات القطار

والمستودعات التي تقع على جانب الطريق .

وقال بين :

- لنذهب ونتناول شيئا من الشاي .

فقال موزلي :

- فكرة طيبة .

- اناي معنا ، يا جيرارد ؟

- اجل .

- يلوح عليك التعب .

- قليلا .

وكان يتقدمهم رهط من المصورين . كانت السماء قد استنارت الان وتأخر سورم قليلا وراء الجماعتين ، اذ كان يتوق الى ان يركز على بصيرته التي طافت في ذهنه حتى تلاشت ، وهو يعلم انه لا يستطيع التعبير عنها بالكلمات . كان جائعا ، وقرر ان يتناول شيئا في المقهى . كيف يتسنى لاية بصيرة ان تبقى بعد المد والجزر اللانهائيين اللذين يعتسوران الدم ، وبعد تقلبات الفصول الجسدية ؟ لقد خسر المعركة مقدما .
وقال بين :

- اجلس انت يا جيرارد . اما انا فذهاب لاحضار الشاي .

- اريد شيئا اكله ايضا .

- حسنا . سأجلب لك شيئا . سندويتش جبن ؟

وجلس سورم بجوار موزلي الى طاولة في احد اركان المقهى . واخذ المخبر يدون بعض الملاحظات بالكتابة المختلة . وشغل المصورون الطاولة التي تقع قرب النافذة . وشعر سورم بالتعب ، وقد ثببت عزيمته فكرة العودة بدراجته الى كامدن تاون . ورفع موزلي بصره اليه فجأة :
- ما رأيك ؟

- فيم ؟

- الطريقة التي تصرف بها كل واحد من الناس ؟

- يبدو انهم جميعا كبخوا جماح عواطفهم ، هذا ما ينبغي ان اقوله .

- بالضبط . كبخوا جماح عواطفهم .

وجلس بين في مواجهتهما . وقال :

- الا يدهشكما ذلك ؟ هذه الجريمة ترفع العدد الى ست جرائم

خلال اشهر قليلة . ان الناس ليتساءلون كم جريمة تنتظروهم .

- هل تعتقد ان التقصير هو من الشرطة ؟

— ماذا يمكنهم ان يفعلوا ؟ انهم لا يستطيعون سوى ان يتنبعوا
الدلائل ويأملوا بانه سيقع في الفخ .
وقال موزلي :
— كما حدث في قضية كومنز .
فسال سورم :
— وما هي تلك القضية ؟
— اثناء الحرب . كان كومنز مصابا بجنون الاجرام الجنسي . قتل
اربع نساء — اكثرهن مومسات — في منطقة سوهو . واخيرا ، باغتته
احدهم حينما كان يخنق فتاة في مدخل احد البيوت في هايماركت . ففر
هاربا وترك كمامته الفازية فاستطاعوا ان ينالوه . . . ولكن ما يلد في الامر
هو انه عندما فوجيء في قضيته الاخيرة هرب على الفور ووجد فتاة
اخرى في بادنغتن وحاول ان يقتلها ايضا . ولكنها تخلصت منه .
وقال بين :
— حدث ذلك قبل ان ابدأ انا بالعمل . على كل حال ، هل تعتقدان
ان هذا القاتل مصاب بجنون الاجرام الجنسي ؟
فهر موزلي كتفيه وقال :
— انه مصاب بالجنون على كل حال .
واقبل سورم على سندويتش الجبن بشراهة ، ولما اتمها اجتاز الى
طاولة البار وطلب اخرى . وعندما عاد الى طاولته ، القى بين يقول :
— . . . ووجد شخصا ينحني فوق الجثة . وصاح : هل وقع شيء ؟
وقال الرجل : نعم ، اعتقد انها ميتة . اذهب واستدع احد رجال الشرطة ،
اسرع ! وعندما عاد الرجل بعد خمس دقائق وجد الشخص قد هرب ولم
ير غير جثة المرأة .
فسال سورم :
— ما الخبر ؟
— عن حادثة القتل الاولى في الليلة الماضية ؟
— هل يعتقدون ان ذلك الشخص كان هو القاتل ؟
— لست ادري . ولكن الامر يبدو محتملا .
وقال موزلي :
— سيكتشفون ذلك حالما يعرفون الوقت الذي فارقت فيه الحياة .
وسال سورم :
— هل يستطيع الرجل ان يصف ذلك الشخص الذي طلب منه

الذهاب لاستدعاء الشرطة ؟

— كلا . حدث ذلك في الظلام ، ويقول الرجل انه لم يقترب من الرجل اقل من عشرة ياردا ت . ولا يدهشني ان يكون ذلك الشخص هو القاتل !

— كيف قتلت ؟

— بضربة على رأسها . لا بد انها كانت ضربة شديدة سددت الى رأسها بقضيب ما .

— وهل وجدت الاخرى ذبيحة من حنجرتها ؟ انه يلجأ الى وسائل متنوعة بالتاكيد !

وسأل سورم :

— هل تظن ان القاتل هو نفسه الذي اقترف جريمة غرينتش ؟

وهز موزلي رأسه :

— اشك في ذلك . وانك تعرف الجرائم التي اقترفها هذا القاتل ، اليس كذلك ؟

فقاطعه بين :

— كان القاتل مل عناوين الصحف التي تتساءل: هل توغل جنوب النهر؟ بالضبط .

وشرب ثلاثتهم الشاي بصمت .

وقال موزلي اخيرا :

— ما لا يمكنني فهمه هو هذا . لا بد وان ملابسه تلوثت بالدماء بعد الجريمة الثانية . ولا بد وانه مر باحد الشرطة اثناء هروبه ، فقد كان ذلك المكان يزخر بهم . فكيف تم له ذلك ؟ فقال سورم :

— من المحتمل انه كانت لديه سيارة تقف قرب موقع الجريمة .

— ذلك خطر جدا . ان رجال الشرطة يسجلون ارقام جميع السيارات التي تقف في هذه الاصقاع ليلا .

فقال بين :

— لا يهمننا من يكون القاتل ، ولكنه اما ان يكون ذا شجاعة مذهلة او انه مجنون .

— مجنون ؟

— ولكنه لا بد وان يبغي شيئا في وايتسابل ... اما ذلك ، او انه يسكن في هذه المنطقة . والا فلم يلتصق بهذه البقعة ؟

فقال موزلي :

— انه لا ينبغي شيئا . كيف ينبغي شيئا وهو لا يختار ضحاياه ، وانما يتناول كل من يعترض طريقه ؟ هل سمعت بفكرة الفوطة الجلدية ؟
— كلا . ما هي ؟

— اوه . يعتقد الكثير من الناس انها رجل يدعى « الفوطة الجلدية » ولا يعلم احد من هو وماذا يفعل سوى انه رجل اجنبي يرهب بعض العاهرات اللواتي يتجولن هنا .
وسأل بين :

— هل ذكرته في تقريرك ؟
— نعم . ولا اعتقد ان الامر سيتمخض عن شيء ، ولكني سمعت اسمه يذكر عدة مرات هذا الصباح .
— وهل وجهت اية اسئلة ؟
— بالطبع . ولكني لم اتوفق . يبدو انه مجرد اسم .
فقال بين :

— قد يكون من النافع تعقيب الاسم .
— هل سمعت قصة الخبراء الاجانب في الجرائم ؟ يقولون ان هناك عددا منهم يعملون في هذه القضية .
فقال سورم :

— سمعت بذلك . يقال ان هناك خبيرا المانيا ... نسيت اسمه .
فقال موزلي :

— بالمناسبة ، هل قرأت رسالة في صحيفة التايمس يوم امس ؟
— كلا .

— من الممتع جدا ان تقرأها فيلوح انه قد حدثت عدة جرائم قتل في محل يدعى بوكوم في المانيا بعد الحرب — جرائم مثل هذه تماما . ويلوح ان الرجل كتب رسالة الى الشرطة يخبرهم فيها بانه سوف يقتل نساء اخريات ثم يتوقف . وتوقفت جرائم القتل حالا بعد رسالته .
— ولم يقبضوا عليه ابدا ؟
— كلا .

فاطلق بين ضحكة ناعمة :

— سمعت بنظرية تقول ان القاتل تركي قتل عدة نساء في اسطنبول ينبغي ان يتفرغ فرغ خاص من الامم المتحدة ليتعقب هذه القصص !
واتم سورم احتساء قدح الشاي ، وراح يحرق في فتات الخبز

التي تركها في صحنه . كان يحاول ان يتخيل ما سيفعله لو انه التقى بالقاتل في احدى الليالي القاتمة في وايتشابل . وراح يتخيله رجلا نحيفا في متوسط العمر ، اصلع الرأس ، اصفر الشفاه ، له عيون المتعصبين . وعندما طفق يتصور القاتل ، في تلك اللحظة ، في احدى نواحي لندن، طليقا ، وربما يتناول الشاي مع امرأة ما في احدى المقاهي ، او متشبها بالكلابة الجلدية المتدلاة وهو في قطار النفق ، احس بحركة خفية في معدته. ونهض موزلي فجأة وقال:

— اوه ، طيب ، لنعد الى العمل ! هل تأتي يا بيل ؟

— كلا سأتناول قدحا اخر من الشاي أولا .

ونهض سورم وهو يدفع كرسيه الى الامام ليُفسح المجال الى موزلي ليمر . وقال موزلي :

— شكرا ، ايها الرجل . حسنا ، وداعا . اذا ما وصلتك اية معلومات عن القوطة الجلدية فاخبرني ... فقال بين :

— سأفعل . ما عليك الا ان تعود الى مكتبك وتتناول قسطا كافيا من النوم ، واترك الامر الى بين .

وبينما كان موزلي خارجا ، ذهب بين نحو طاولة البار وهو يقول :

— قدحا اخر من الشاي يا جيرارد ؟

— ارجوك . دعني اقتنيهما .

— لا ! هذا جزء من مصاريف العمل .

واحضر قدحي الشاي السميكين ووضعهما على الطاولة التي كان يكسوها مطاط مخدش عكر اللون . وتمطى بين ثم تنأى .

— يجب ان اعود لنام قليلا . كيف تشعر يا جيرارد ؟

— كالميت .

— هل انت نادم لانني اخرجتك من مخدمك باكرا ؟

— كلا . بل يسرني ذلك . كان شيئا ممتعا ..

— لماذا ؟

— كل ما يمنحك احساسا بالواقع شيء ممتع . فاني لم استطع ان

ادرك لسبب من الاسباب ان هذه الجرائم حدثت فعلا . لم تعتقد ، يا بيل ، ان الانسان يقدم على فعلة كهذه ؟

— الامر يعتمد ، يعتمد على الشخص ومن يكون . فالاسباب تختلف

اذا كان القاتل استاذنا في جامعة او اذا كان بحارا سكيراً او مراهقا استبد

به الجنس ...

وقال سورم :

— لا يهمنا من يكون ، ولكنه الان حي في احد اطراف لندن ... وله
اصدقاء ربما لا يرتابون فيه مطلقا ..

* * *

وفجأة ، بينما كان يمر بسوق سميثفيلد قرر ان يقوم بزيارة للاب
كارائرز . كان قراره عفويا ، لم يتخذ بدافع معين يمكنه تحديده .

وفتح القس الهنغاري الباب . كان سورم يتوقع ان الوقت الذي
اختاره للزيارة لم يكن مناسبيا ، ولكن الاب راكوسي لم يبد اية دهشة .
ولم يطل جلوسه لحظات معدودات في غرفة الانتظار الباردة التي تثير
الكتابة حتى عاد الاب .

— يود الاب كارائرز ان يراك الان .

— اشكرك . اسف لازعاجك .

ورد عليه القس بابتسامة حييه .

كان الاب كارائرز يقف بجوار المكتبة ، مرتديا روبا مطعما باللون
الاحمر . وكان يلوح وهو واقف صغير الحجم ، كانه قزم . ولكنه كان
يبدو احسن مما كان عليه في المرة السابقة .

— اه ، جيرارد . كيف حالك ؟

— بخير شكرا . تبدو احسن هذه المرة .

— بل اني احسن اليوم ... طيب ، ان الساعة مبكرة جدا للزيارة
نوعا ما . هل من امر خطير ؟

— ليس شيئا خاصا . ايها الاب .

— لماذا ؟

— دعاني صديق لي يعمل صحفيا . اسمعت عن الجريمة المضاعفة ؟

— كلا . ماذا حدث .

واقاعد الاب الكرسي الكبير ومد ساقيه باتجاه نار الفحم التي كانت
تخنق الغرفة بحرارتها . وقال سورم :

— قتلت امرأتان في الليلة الماضية — وقعت الجريمة الثانية بعد
الاولى بنصف ساعة .

— ولم ذهبت الى وايتشابيل ؟

وادرك سورم ان السؤال كان في محله . وقال وقد شعر بالاحراج :

— اوه ... لمجرد ان صديقي خطر له ان يدعوني لمصاحبته ... فمن

المثلذ بالنسبة لكاتب مثلي ...

كان سورم ، وهو يتفوه بهذه الكلمات ، يعلم بانه غير صادق فسى قوله ، وشعر ايضا بيقين غريب بان القسيس عرف ايضا انه غير صادق . بيد ان ذلك الوجه القبيح البالي لم يظهر ما ينم عن عدم التصديق . وقال القسيس فقط :

— تبدو متعبا .

— صحح .

وسمعا طرعا على الباب . فصاح القسيس : هلو ؟
فأطل رجل قصير القامة ابيض الشعر براسه من الباب . كانت عيناه تنتقلان بين الاب كارتز وسورم .

— صباح الخير يا لاري . اخشى ان اكون قاطعتكما ؟
كان صوته عميقا رنانا ، وكان ينطق بلهجة المانية واضحة . وقال القسيس :
— هلو ، فرانز . كلا ، انك لا تقاطعنا . تفضل بالدخول .
ودخل الرجل الالماني واغلق الباب خلفه بعناية . وامسك يدي القسيس بيديه وهزهما ببطء رزين ، سائلا :

— طيب ، وكيف حال صديقي اليوم ؟ انك تبدو احسن حالا .
— اشعر احسن هذا اليوم ، اشكرك يا فرانز ، دعني اقدم لك جيرارد سورم — البروفسور شتاين من دوسلدورف .

والتفت شتاين الى سورم وانحنى له قليلا . كان وجه الرجل المعجوز الذي يفيض بالشوق عريضا واضح التقاطيع . كانت شفته التي سلو ذقنه البارزة ، مستقيمة مزمومة . وكانت عيناه صلبتين صافيتين كأنهما الزجاج الازرق . وكانت خصلة الشعر الابيض التي بالاشتراك مع بقية تقاطيع وجهه تكسبه مظهر انسان ذي قوة عظيمة تلوح غير منسجمة مع جسمه القصير البدين . وصافح سورم يد الرجل والفي نفسه ينحني قليلا ردا لتحيته . وقال شتاين :

— آمل الا اكون قد قطعت الحديث بينكما ؟

— كلا ، ابدا . اني اقوم بزيارة عرضية فقط .

— فقال شتاين .

— كما افعل انا ، اذن .

واطلق ابتسامة ساحرة لسورم وشرع يصارع معطفه ليخلعه عنه . ولما اخذ يعاونه في خلعه قال :

— الجو هنا حار الى حد فظيع يا لاري . انا واثق ان الحرارة لاتفيدك .
آه ... اشكرك يا سيدي .

وبدا استعماله للكلمات الدارجة بلهجته الألمانية مضحكا . ووضع سورم
المعطف على السرير . وقال شتاين :
- عن اذنك يا لاري ، اريد ان اجلس الى جوار معطفي ، فلا ارجب ان
اجعل من نفسي قطعة شواء .
وقال القسيس بلطف :
- الشيباك مفتوح .

واخرج شتاين من جيبه منديلا وراح يتمخط بصوت عال ، كصوت
البوق . ثم فتح علبة سعوط وقدمها الى القسيس ثم الى سورم . وقال سورم :
- كلا اشكرك .
وراح يرقب الرجلين باستمتاع خفي وهما يتنشقان السعوط كأنهما من
الدواقة . واخذ القسيس يمسح بعض ما سقط من هذا المسحوق على
ملابسه . وقال :

- حسنا يا فرايزر ، اذن كنت انت ايضا تطوف في وايتشابل ؟
وبدت الدهشة في وجه شتاين .
- انك سمعت بها ؟ لم يخطر ببالي انك قرأت الصحف .
- انا لا اقرأ الصحف . كان صديقنا جيرارد هناك .
ونظر شتاين الى سورم ، وسأل وقد قطب جبينه :
- هل تسكن هناك ؟
فقال سورم :

- كلا . لكنني ذهبت ... عندما سمعت بالحادثتين .
- لا شك وانك سمعت بهما في وقت مبكر !
- أجل لي صديق يعمل صحفيا اتصل بي في الساعة السادسة صباحا .
ارجو المذرة ، هل لك علاقة ما بالتحقيق بهذه الجرائم .
- انا ... ا ... لي علاقة بهم ... بطريقة معينة . انا طبيب في علم
الامراض بالإضافة لكوني عالما نفسيا . ولكن قل لي ، لم اردت ... ا ...
ان تزور المحل الذي وقعت فيه الجرائم ؟
واحس سورم بالدم يصعد الى وجهه . كان يحس بالقسيس يشخص
ببصره اليه وهو يجيبه :

- انا مؤلف . وهذه تجربة تثير اهتمامي ...
وقال شتاين بلهجة مؤكدة :

- بكل تأكيد . ان تجربة مثل هذه ذات قيمة عظيمة لدى الكاتب . لقد
سمعت هاينريخ مان مرة يدلي بهذه الملاحظة ... قال ان قليلا من الكتاب

الحادين يبحثون القتل بالصدق اللازم - ما عدا زولا ، ربما . هل قرأت قصته « تيريز رakan » ؟
- كسلا .

والتفت شتاين الى القسيس وقال :
- لكن هذه الجرائم شيء فظيع حقا ! انك تتحدث عن الشرور البشرية ، ايها الصديق ولكنك لو قضيت ثلاثين حولا ، كما فعلت انا ، تبحث في الجريمة والعنف لما تحدثت بغير المرض البشري .

وانتظر سورم ان يجيب القس ولما اكتفى بالابتسام ، قال سورم :
- هل تعتقد ان القاتل انسان مجنون ؟
ونقل شتاين نظره النفاذة نحو سورم :
- كيف لنا ان نعرف ، ما لم نمسك به ؟ ان الجرائم التي قام بها تثبت شيئا واحدا - هي ان حالته مرضية .

وقال القسيس :
- هل تعتقد ان الشرطة على وشك القاء القبض عليه ؟
- من يدري ؟ لقد استلموا رسالتين كتبهما رجل يدعي بأنه القاتل . قد يساعد هذا في معرفته .

وقال سورم وقد لاح عليه الاهتمام :
- صحيح ؟ وهل نشرت الرسالتان ؟
- اعتقد بانهما نشرتا اليوم . انا شخصا اعتقد انهما مجرد لغو .
- وماذا في الرسالتين ؟

- اوه ... انهما تسخران من رجال الشرطة لفضلهم في التوصل الى معرفته ، وتندرانهم بجرائم اخرى . وقد وصلت الرسالة الثانية صباح هذا اليوم ، بعد ساعات قلائل من جريمة القتل الثانية .
- يبدو ان القاتل هو الذي كتبها .

- لماذا ؟ كان في امكان اي شخص من وابتشابل ان يكتب هذه الرسالة في ذلك الوقت ، حتى انت . تقول انك سمعت بالجريمة في الساعة السادسة؟ القيت الرسالة في صندوق بريد سكوتلانديارد في حوالي الساعة .
فقال سورم مبتسما :

- فهمت وجهة نظرك . ولكن ما كنت اعنيه هو انه يبدو ان من ميزات القاتل ان يكتب الى الشرطة .

- ولماذا تقول ذلك ؟
- كانت صحف الامس تتساءل اذا كان قد انتقل الى غرينتش . وفي

اللبلة الماضية تجده يرتكب جريمتي قتل في وإيتشابل . انه يشبه شخصا يعرف انه قد أصبح مشهورا بين الجماهير .
فقال شتاين باسمها :

— هذا صحيح . ومع ذلك فأنني اشك ان في الامر نكتة مؤذية .

وقال سورم متسائلا :

— الديك سبب معين لذلك ؟

كان سورم يحاول ان يسبغ على حديثه التأدب والحذر ، وكان يدرك انه كان في موقف ممتاز لانه كان في وسعه ان يوجه الاسئلة الى شتاين، بيدانه كان يحاول ان يبدي فضوله . وعقد شتاين اصابعه وراح يحملق بجسد في ركبتيه ، ولاح عليه انه كان يعتبر اسئلة سورم طبيعية تماما .

— لنبدأ بالقول بان المصاب بمرض القتل لا يفخر في الغالب بما يقوم به من أعمال . وهكذا ترى ان جرائمه تصدر دائما عن دافع شديد الالاحاح ، فاذا اختفى هذا الدافع فانه قد يصبح شخصا مختلفا . ونحن نطلق اسما معيننا على هذا النوع من الجرائم في المانيا . اننا نسميه Instmort

— القاتل الذي يحس بالاستمتاع . القاتل الذي يحس بالاستمتاع دون ان يكون لديه حافز ما . ومثل هذا القاتل لا يكون عادة فخورا بالدافع الذي يحوله الى حيوان وحشي بين حين وآخر . هل رايت ما اعنيه ؟
فقال القس بنعومة :

— ولكن ، اذا لم تخني الذاكرة ، اعتقد ان صديقك كورتن قد بعث برسالة الى الشرطة .

— هذا صحيح ، ولكنه لم يفعل ذلك ليفخر — وانما ليجتلب الانتباه الى جثة . ولعلك تذكر ايضا قضية القاتل في شيكاغو — الذي نسبت اسمه — فقد كتب رقعة وضعها على احد ضحاياه : امنعوني قبل ان اقتل ثانية . فتمتم سورم قائلا :

— هايريتز .

— آء ، انت اذن تعرف القضية ! حسنا . انك لترى ان هذا هو القاتل المريض بالشيذوفرنيا .

فالتفت الى القس وارتسمت على وجهه ابتسامة شريرة وقال :

— ها انت ترى يا لاري لماذا تعين علي ان اصبح طبيبا نفسيا بدلا من ان اكون قسيسا . اذ كيف استطيع ان افرض عقوبات على الخطايا حين لا اكون واثقا من ان الشخص الذي يعاني من العقوبة هو نفسه ذلك الذي يقترب الخطايا . تلك هي مشكلة لا يمكنك ان تجيبني عليها .

فقال القس باسم :

— اننا نعتزف بامثال شخصيتك المنقسمة فى الكنيسة ، كما تعرف يا فرانز ، ولكننا نتحدث عن الخطيئة والندم بدلا من ذلك ، وليس هنالك خلاف بين هذا وذاك ...

فندلت من شتاين ضحكة مختنقة ، كان يلوح واضحا انه كان يستمتع باستدراج القس الى النقاش . وقال شتاين :

— كلا ، كلا ، يا لاري . انه ليس الشئ نفسه ابدا . فانك عندما تصف العقاب تفترض ان الشخص الذى اقترف الخطيئة هو نفسه الذى سيجرى عليه العقاب . ولكن ما قولك اذا كانا هما فى الواقع شخصين مختلفين ، هه ؟ ما قولك فى ذلك ؟

وقال القسيس بهدوء :

— انى لا افرض العقاب على انسان كهذا .

فقال شتاين وهو يرفع حاجبيه الكثرين :

— كلا ؟ وماذا كنت تفعل اذن ؟

— احاول ان اساعده ، كما تفعل انت تماما .

— كيف يمكنك مساعدته اذا كان التعريف الوحيد الذى تطلقه على حالته هو انها خطيئة .

فقال القسيس :

— انى لا احتاج الا الى كلمتين لفهم حالته — الروح والمادة .

فقال شتاين مبتسما :

— وليس الله والشيطان ؟

— وليس الله والشيطان !

— فقل لى اذن ، يا سيدي ، كيف تفسر سلوك انسان مثل كووتن حسب

هذين المفهومين ؟

— ينبغي ان افكر فى الامر اولا ...

— اه ! قلت ذلك فى اخر مرة دخلنا فيها بنقاش !

والتفت الى سورم وغمز له بعينه وقال :

— انه انسان من التفسير الجدال معه . ان جميع هؤلاء القسس

الدرميين كان سواسية ... عندما تحصرهم فى زاوية ، يطلبون وقتا للتفكير !

وبقى التعبير المرتسم فى وجه القسيس هادئا تأمليا . ثم قال ببطء :

— طيب ، ان اردت منى المحاولة فى الشرح ... فاننى اصبر عنها على هذا

النحو . يعرف الانسان نفسه على انه جسد ، وما يعرفه عن الروح يصل اليه

عن طريق النعمة الالهية ، اي ما يسميه الشاعر بالوحي . غير ان الروح ترسل نفحاتها حين تشاء ، وليس للانسان سيطرة على وحيه . فاذا حركت قطعة موسيقية او قصيدة شعرية عواطفه مرة ، فليس بوسعها قط ان يكون على يقين من انها ستحرركانه مرة ثانية . ولكن الانسان يكره التفكير في انه يفتقر الى السيطرة على روحه . لان هذا يشبط من شجاعته كثيرا . انه يميل الى الاعتقاد بان في امكانه ان يستحضر روحه بطريقة اعتيادية . وبدلا من بلبل الجهود ليهيئ نفسه لها بالتزام نظام صارم وبالصلاة ، يحاول ان يستحضرها بطريقة غير منتظمة وبالصدفة عن طريق عملية مادية - كان يحتسي بيرة دوسلدورف ، مثلا ...

فقال شتاين مقهقه :

- وهي الطريق التي يستقدم بها جميع سكان دوسلدورف الطيبون ارواحهم ، ما دامت بيرتهم افضل بيرة في جميع المانيا .
وضحك القسيس معه . ومر بسورم لبرهة من الزمن انطباع غريب كأنه يصغي الى نقاش بين طالبين في اوائل دراستهما الجامعية بدلا من رجلين في القعد السابع من عمرهما . دفن نفسه في كرسية لكي يغيب عنهما وجوده . وكان القس اول من توقف عن الضحك ولمح سورم تلك النظرة التي تكمن دائما في اعماق عينية . وعاد شتاين ايضا الى وقاره وقال :

- طيب ، ولكن ما علاقة ذلك بالقاتل ؟

- هذا له علاقة بالجنس . ان الجنس هو الوسيلة المفضلة لدى الانسان للوصول الى الروح . ولما كانت هذه الوسيلة هي في الوقت عينه هبة الله لتكاثر النسل ، فهي دائما وسيلة ناجعة ... ليس كالموسيقى والشعر .
فقال شتاين : او البيرة .

- بالضبط . ولكن الجنس ايضا غير معصوم من الخطأ . والانسان يكره التفكير في انه يفتقر الى السيطرة على روحه . وكلما خيبت هذه الوسائل الجسدية المادية اكثر لاحقا بنهم اعنف . وتصبح محاولاته لاحضار الروح اكثر جنونا . فاذا كان معتادا على الشراب ، شرب المزيد حتى تسري الخمر في عروقه بدلا من الدم . واذا كان شبقا استنبط الانحراف الجنسي .
فقال شتاين :

- آه .

- هنالك طرق اخرى كثيرة ، بطبيعة الحال - شهوة المال والسلطان ، مثلا . وكلها تستند الى رفض الانسان مواجهة حقيقة ان الروح تهب حيث تشاء ، وان ليس هنالك فعل مادي يضمن استحضرها ...

ونسى سورم اعتزامه ان يلزم الصمت ، وقال :

— ولكن اليست هنالك ابداء طريقة معينة لاستحضارها ، ايها الاب .

وظل القس ينظر الى شتاتين وهو يجيب :

— كلا ابداء . افضل ما يمكننا فعله هو ان نروض انفسنا على الصبر .

وعندما يبتهل القسيس الى الروح ان تهبط اثناء القداس لا يتوقع ان يراها او يحس بها . انه يسلم بايمانه في ان الخمر قد تتحول الى دماء سيدنا والخبز الى لحمه . ان القسيس ليعلم بان كل ما يمكنه فعله هو ان ينتظر . وظيفه الدين هي تعليم الانسان على الصبر . وحالما يفقد الانسان صبره ، يفقد كل ما يملك ...

فقال شتاتين :

— هكذا ! وبماذا اخبر مريض الذي يشعر بدافع شديد لاغتصاب طفل ؟

اقول له ان يتجمل بالصبر ؟

فاجاب القسيس بلهجة حادة غير متوقعة :

— فبماذا تخبره اذن ؟ لماذا يريد ان يغتصب الطفل ؟ كيف تفسر ذلك ؟

فهر شتاتين كتفيه :

— ينبثق هذا الدافع عادة من الشعور بالقلق وعدم الاستقرار . او من

الضجر . كثير من مرضاي كانوا يشكون من شعور مستديم بالظلم — بان من حقهم ان يحيوا حياة اكثر متعة . والانسان الذي يعاني من الخيبة الجنسية يعبر عن احساسه بالظلم عن طريق جرائم القتل الجنسية .

وبدا التعب على القسيس ، فانخفض صوته واصبح رتيباً ، وقال :

— من تعاليم الدين ان الناس متساوون جميعاً بنظر الله ، وان المتسول

ليس افضل من الملك وان الناس جميعهم فانون وانهم خاضعون لصنوف

البؤس ذاتها . فاذا شعر الانسان بهذا كيف تنتابه الرغبة في اغتصاب الطفل ؟

فقال شتاتين :

— صحيح ، ولكن على الانسان ان يكون فيلسوفا ليحس بذلك ، واكثر

المرضى نفسياً ليسوا بفلاسفة ...

فقال القسيس بهدوء :

— لكن الانسان اما ان يكون فيلسوفا ... او مسيحياً .

ونهض شتاتين ، وقال :

— لعلك على حق ، ايها الصديق . ولكنني اعتقد انه ينبغي علينا ان نترك

الامر الان . اعتقد اننا اخذنا نتعبك قليلاً .

ولم يستطع سورم ان يكتم ابتسامته على ظلم شتاتين له في استعماله

ضمير الجمع . وقال القسيس :

— كان لطفاً منك أن تأتي لزيارتي .

فقال شتاين مبتسماً : يطيب لي أن أراك .

ثم التفت إلى سورم وقال : يعرف أحدنا الآخر منذ خمسين عاماً .

فقال سورم بأدب : حقاً ؟

فقال شتاين : اذن ! نتركك الآن إلى تأملاتك .

وقال القسيس : تعال ثانية يا جيرارد .

— أشكرك جداً ، يطيب لي ذلك .

— هل رأيت أوستن منذ أن زررتني في المرة الأخيرة ؟

— نعم . عدة مرات . أريد أن نتحدث عنه يوماً من الأيام ، أيها الأب . . .

وبالمناسبة أيها الأب . . .

ونظر بعدم ارتياح إلى شتاين قبل أن يتفوه بالسؤال ، ثم مضى في قوله :

— هل تعرف . . . المسزّن عن . . . أوستن ؟

وفهم القسيس ما يعنيه حالا وقال بسرعة :

— كلا . لماذا ؟

— كنت أتساءل . أن عمته — وهي من شهود يهوه — كانت قد اكتشفت ذلك بواسطة أحد أصدقائها الفضوليين . ولكنني لا اعتقد بأنها ستذكر لوالديه شيئاً .

كان شتاين قد ارتدى معطفه ووقف قرب الباب . كانت قطرات العرق مستقرة على وجهه . كان ظاهراً أنه وجد حرارة الغرفة خانقة . وقال سورم :

— حسناً . وداعاً أيها الأب . . .

— وداعاً يا جيرارد ، وداعاً يا فرانز . أرجو أن تزوراني إن مررتما من هنا مرة أخرى .

فقال شتاين بالألمانية :

— أراك فيما بعد ، يا لاري .

واردف بالانكليزية :

— أني سأزورك بالتأكيد .

وتبع سورم هذا الرجل القصير القامة العريض المنكبين هابطاً السلم .

وقال شتاين من فوق كتفيه :

— لاحظت أنه كان تعباً . أنه يتعب بسهولة .

— تماماً .

وخرجاً من الباب الامامي . وقال سورم :

- طيب ، وداعا ايها البروفسور . ارجو ان نلتقي ثانية .
 — الست ذاهبا في هذا الاتجاه .
 — كلا ، هذه دراجتي .
 — اه ، معقول جدا . طيب . . . الا تشاركني احتساء بعض القهوة ؟
 فقال سورم :
 — يسرني ذلك .
 ودهش سورم لعرض الرجل الالماني . حيث انه عندما كان في غرفة
 القسيس كان واثقا من ان شتاين كان ينظر اليه كشخص ثالث زائد عن الحاجة .
 واحس فجأة بالمودة لهذا الرجل القصير . واعاد كلابات الدراجة الى جيبه
 ومنى الى جنب شتاين في شارع روزبري ومنه الى طريق فارينكتن . وفيما
 هما يسيران ، راح شتاين يشرح :
 — انا ولاري تلقينا دراستنا معا في روما منذ اربعين عاما . كنت في ذلك
 الوقت اتميا لكون قسا من الجزويت . تصور !
 — وماذا حدث .
 — اكتشفت مؤلفات فرويد فغيرت رأيي .
 وقهقه الرجل الالماني بصوت صادر من حنجرتة .
 — اكان عليك ان تدرس الطب ايضا ؟
 — درست . كان والدائي يفضلان ان اكون طبيبا بدلا من قس . ولهذا
 فلم تكن على اختلاف . وغادرت روما الى فيينا لافتش عن فرويد . . .
 كانت المقهى خالية . وكانت هنالك امرأة تنظف الارض بفرشاة وسطل .
 واسندت الفرشاة في احدى الزوايا ثم جفت يديها بصدرتها لتصب لهما
 القهوة . واخرج شتاين علبة سيجار وقدمها لسورم . واشعل هو واحدة ثم
 استلقى الى الخلف في كرسيه ، وراح ينفث الدخان بتأمل ريثما تصل القهوة .
 وبينما كانت المرأة تنحني بينهما ، نظر الى سورم وسأل فجأة :
 — كيف حال اوستن هذه الايام ؟
 وفاجاه السؤال ، فقال بدهشة :
 — هل تعرف اوستن ؟
 — على . . . معرفة بسيطة به . ولكنني اعرف الكثير عنه .
 وادرك سورم ييقين مفاجيء ان ذلك كان السبب الذي دعاه شتاين من
 اجله لتناول القهوة . وقال :
 — اوه ، انه بخير ، شكرا .

وشرع يسكب من وعاء الكريمة في فنجاناه وترك الخطوة التالية لشتاين .
— هل أنت من اصدقائه المقربين ؟
ونظر سورم في عينيه الزرقاويين الثلجيتين ودهش للموقف الدرامي
السدي تولد في نفسه .

— اعرفه جيدا نوعا ما . اني شديد الاهتمام به ...
وابتسم شتاين فجأة ، ومال الى الامام قائلا :
— لا داعي لان تجزع . اعرف عنه بواسطة لاري . واعرف انه سادي .
— ما سبب اهتمامك به ، اذا سمحت لي بالسؤال ؟
— بالطبع . ولكن لا تخبره بما سأقوله .
— كلا .

— كان في دوسلدورف مدة من الزمن وكان معروفا لدى الشرطة . ليس
في الامر شيء خطير ، بالطبع ، ولكنني عرفت بذلك خلال صلتني بالشرطة .
واستلقي شتاين الى الراء ، وسحب نفسا عميقا من السيجار . وبدأ
عليه كأن الموضوع لم يعد يثير اهتمامه . وشرب سورم القهوة ، وترك الصمت
يستطيل . ومضى يتساءل : ترى هل ان شتاين هو من الاشخاص الذين
يوثق بهم ؟ وماذا كان يتوقع منه ان يخبره عن نسن . والتقت نظراتهما فابتسم
شتاين ، كأنهما مسافران في عربة قطار واتفق ان يجلس كل منهما في مواجهة
الآخر . وقسمال سورم :

— ايها البروفسور ، ارجو اجابتي عن هذا السؤال ، ان شئت ... هل
هناك سبب يدعو اوستن الى التخوف من الشرطة ؟
فاجاب شتاين على الفور :

— حسب ما اعلم ، كلا . هل لديك انت اية اسباب ؟
— كلا . ولكنني لست منحرفا جنسيا ولست ساديا .
— اه . قل لي اذن ، كيف تكون صديق اوستن ان كنت لا تشترك معه
بهوايته ؟

— اتفق اني اميل اليه ...

— تماما . لا غرابة في ذلك . منذ متى وانت تعرفه ؟

فقال سورم مبتسما :

— منذ اسبوع بالضبط .

واستطاع سورم ان يرى الخيبة وفقدان الاهتمام . واطفا شتاين عقب
سيجارة وافرغ بقية فنجان القهوة وقال :
— يجب ان نتحدث الى لاري عن اوستن . انه على معرفة افضل مني

به . ولكن دعني اقدم لك نصحا . قد يخطر ببالك بأن في امكانك ان تنشئ
علاقة مع اوستن بحيث لا تكون فيها اهمية لانحرافه الجنسي ولساديته . لا
تؤمن بذلك . قد يفاجئك يوما .

— اشكرك . سوف لا اخذ العلاقة على علاتها .

ونظر اليه شتاين مليا لحظة وقد اقترب حاجباه الكثيفان . وقال
باقتضاب : طيب .

ونهض والقي ببعض قطع النقود على طاولة البار . وقالت المرأة :
— اشكرك ، يا سيدي .

وعندما صارا في الخارج مرة اخرى ، في طريق فارينكتن الباهت النور ،
قال شتاين :

— لاري رجل رائع . ولكنه لن يعيش طويلا . اذا كنت تميل اليه
فيجب ان تراه اكثر مما يمكنك .

— سأفعل ذلك . اني اميل اليه كثيرا — بالرغم من اني تعرفت عليه
منذ اقل من اسبوع .

— حقا ؟ انك شخص كثير الاتصالات .

— كلا ، ابدا .

— كلا ؟ حسنا ... يجب ان اودعك الان . سنلتقي ثانية .

وهز سورم اليد التي مدت اليه ، كانت قبضتها شديدة . وظل واقفا ،
يرقب شتاين وهو يمشي باتجاه الشارع الذي يحاذي النهر ، وقد القى
براسه الاشيب الى الوراء .

* * *

واوصد باب غرفته واشعل النار الغازية . كان يحس بالخدر في يديه
وقدميه . كان سرواله مبتلا عند الركبة ، فقد بدأ المطر بالهطول عندما مر
بسانت بانكراس . وخلع سرواله وقميصه وارتندي الروب ثم ملأ الابريق بالماء
ووضعه على النار الغازية . وجلس ومد ساقيه صوب النار . كان اشد نعاسا
من ان يرغب في القراءة ، وادهشه ذلك الصمت الداخلي الذي استحوذ عليه
وهو يتفرس في النار الحمراء . كان تركيزا تاما وقينا تاما . وراح يحرك
لسانه بين اسنانه فعثر على فجوة في احد الاسنان كانت تحتاج لان يملأها
واخذ يمتص بها . ولم يكن يحس بالعجلة ، ولم ينتبه شعور بالذنب لتسويفه
الامور . ومد يده وتناول الكتاب الملقى على الطاولة — كان عنوانه : « جون
وطسن لوري » — وطفق يقرأ مقدمته . وبعد ان قرأ بضع صفحات منه القاه
على الطاولة . كانت حادثة القتل في اران تبدو عادية مملة بالنسبة لجرائم

وايتشابيل . وغلى الماء فى الابريق . فحضر الشاي ثم دخل الفراش ليحتسيه ، بعد ان اخفض درجة حرارة المدفأة ، وهو يحس بالدفء والاسترخاء التامين . وبينما كان يشرب الشاي شعر بالميل لكتابة شيء فى يومياته ليحاول ان يدون الرؤيا التى كانت تتمطى فيه . ولكن الخوف من ان يحطم الرؤيا بمحاولة فلسفتها ومنطقتها منعه من ذلك . وعندما انتهى قدحه وضعه على الكرسي وجلس يحدق فى الجدار المقابل ، ولم يكن يراه تماما ، ولكنه علم انه بلغ الحالة الذهنية الخلاقة التى كانت تتحاشاه طوال السنة الماضية . وبدأت له حالته مضحكة . كان فى غرفته ، وكان الباب موصدا ، فاذا جاءت كارلوتة لتبلغه بئذاء تلفوني له فستفترض انه خارج . واحس فجأة كان العالم تقلص حتى احتوته جدران غرفته الاربعة . ولم تساوره بعد اية شكوك . ان ما حققه هو يقين بوجوده ، استعادة لذائذته . ومضى يتأمل : ان الانسان الذى يملك ذاتيته يملك كل شيء . وعلم ان هذه حقيقة صائبة . ولكن كان من الصعب عليه ان يبقى مستيقظا . وقد اكسبته الرؤيا احساسا بالقبول ، بالوثوق ، اغرياه بان يضطجع ويفلق عينيه . ووجد نفسه فى عيسى الوقت مضطجعا على مرتفع يطل على البحر ، وقد هنته الى النوم اشعة الشمس والهوام ، وظل كذلك واقفا على اسوار القصر فى مايسيناي يستعرض الجنود فى تدريبهم فى ساحة القصر . لقد كان هذا اليقين يشتمل على كل الشعور والفلسفة .

ولكى يقهر نعاسه ، فتح الفرامافون ووضع فيه اسطوانة لاحدى مقطوعات سبيليوس ، وركزت النغمات الاولى من السمفونية بصيرته تلك ، وادراكه الماضى . وذكره هذا الاحساس بالحلم الذى راه عن نين فى الماخور ، وقاده نين الى التفكير بنجنسكي . لقد احس بان كل ما كان نجنسكي يمثل به بالنسبة اليه قد تركز فى عاطفة واحدة - تلك هي الايمان ، الايمان بنفسه ، والايمان بالحياة والايمان بالله . واحس كأنه يقول : اني اقبل الحياة . اقبل كل شيء .

وراح يفكر ، بدهشة فارغة : لقد استعدتها . لقد استعدت ذاتيتي . لو استطعت ان اعيش دائما على هذا النحو ، لما شككت ابدا .

اللاحقيقية . اللاحقيقة هي فقدان الذاتية . عشت خمس سنين فى تدريبهم فى ساحة القصر . لقد كان هذا اليقين يشتمل على كل الشعر والفلسفة . مدينة لا حقيقية . انها الان مدينتي انا .

وبدا يحس بان من العسير عليه ان يحتلم الرؤيا . وراح يبلل جهدا عقليا لئبتعد عنها ، وذلك بان يسد عليه منافذ مدركاته . وهيمن عليه نوع من

الظلام البارد . وعندما انتهى الشوط الاول من السمفونية مد يده واطفا
الغرامافون ثم استلقى .
وقبل ان ينام اعد الساعة لتوقظه في الساعة الرابعة والنصف . وتذكر
كارولين واحس بالانهك والتقاء ، وطاب له التفكير فيها .



عندما استيقظ الفى النار منطفئة ، وقد اخذ الظلام يزحف على المساء
الشتائي . لم تكن الساعة في الرابعة والنصف بعد . فمد يده الى الساعة
وضغط على الزر لكي يمنع جرسها من الرنين ، ثم نهض من الفراش وفتح
النور . واخرج سرواله الجديد من دولاب الملابس ولبسه ، كان السروال
الاخر لم يزل مبتلا عند الركبة . وبينما كان ينقل تقوده الى السروال الجديد
ويبحث عن شلن لوضعه في مدفأة الغاز عطس عطسة فشعر بصفاء في رأسه .
ثم ملا قدحا بالماء وراح يشربه مرة واحدة دون ان يبعد القدح عن فمه ، فبدد
اخر ما علق في رأسه من النعاس وكانت حالة اليقين التي احس بها لم تختف
بعد . ولبس سترته ثم تناول معطفه الثقيل من دولاب الملابس وهبط السلم .
كان الهواء يتنفس برائحة الشتاء - مزيج من الدخان والبرد والغروب . وراح
يمشي في شارع اوكسفورد الكبير مارا عبر واجهات الحوانيت المضاءة ، ووجد
من الضروري ان يكبت رغبته في الضحك بصوت عال .

ولما عاد الى غرفته كانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعا . كانت
الحوانيت تعج بالزبائن الذين اجلوا التسوق الى مساء الجمعة ، وكانت عليها
لافتات كتب عليها : « اقتن حاجياتك لعيد الميلاد مبكرا » . ووضع زجاجتي
النبيد الابيض على عتبة الشباك ، بالقرب من الشباك المفتوح . ثم قضى ربع
الساعة التالي بكنس الغرفة وتنظيف الكتب وتنظيم الفراش باغطية نظيفة . وجمع
الصحون الوسخة ، التي تركت منذ مساء الليلة الماضية ، والتقط كذلك الاكواب
والاقداح وصعد بها الى المطبخ . وريثما يغلي ابريق الماء ، راح يقرأ الجريدة
المسائية ، وهو يجلس على حافة الطاولة التي طلى اعلاها بالميناء . كسنت
الصفحة الاولى متفرغة للرسالتين اللتين استلمتهما الشرطة وقد نشرتا
بالنص . وقد نشرت كذلك صورة احدهما وكتب تحتها : هل تعرف هذا
الخط ؟ كان الخط لا يدل على ان الكاتب مثقف ، وكانت في الرسالة بقعتان ،
ولكن لم تكن هناك طبعات اصابع مرئية . كان هذا نص الرسالة الاولى :

« عزيزي الرئيس ، الشرطة اذن تبحث عني طولا وعرضا ، اليس
كذلك ؟ عليها ان تجهد نفسها للعثور على صديقهم القديم لانه يتحاشى رجال
الشرطة ولكنه سيمتكم بطبخات فيها المزيد من التوابل اذا لم تحاولوا ان

تجهزوا عليه . انه ، في المرة القادمة ، سيقطع اذان النساء ويبعثها لكم . انا لست شيوخا ، وعليه فلا تدعو هؤلاء المجانين ينالون المديح لمخاطر تجشمتها انا - خادمكم المخلص : الفوطه الجلدية . ملاحظة : ارجو الاحتفاظ بهذه الرسالة حتى استطيع ان اقوم باعمال اخرى » .
وكانت الرسالة الثانية اقصر من الاولى :

« عزيزي الرئيس ، انا لم اكن مازحا عندما وعدتكم باعمال اخرى . ولكن احدهم قاطعني اثناء العمليتين فلم احصل على الاذان . سارسلها فيما بعد . وقد حصلت على المادة الحمراء الحقيقية لاكتب لكم هذه الرسالة ولكنها تخثرت . اشكركم على الاحتفاظ برسالتى الاولى . خادمكم المطيع : الفوطه الجلدية . »

واشارت الصحيفة الى ان الرسالتين كتبتا بالحبر الاحمر وان كلتيهما لا تحملان طبعات اصابع .
— هلو ، جيرارد !
وافزعه الصوت الذي صدر من اسفل السلم . وعندما اقبلت عليه قال :
— يا الهي ، ايها العزيزة ، كدت تسببين لي سكتة قلبية .
— اسففة .

واحاط بيديه معطفها السميك وقبلها ، ثم رفع يافته الكبيرة وشدها على اذنيها وهو يقبل انفها البارد وجفنيها . وقالت :
— ممممم ! تحتاج الى حلاقة .
— اعلم . كنت على وشك ..
— هل اعاونك في المطبخ ؟
— كلا ، اشكرك يا عزيزتي . يمكنك ان تذهبي وتجلسي امام النار وتضمي بعض الموسيقى .

وهمست وهي تمر بشفتيها على خده :
— انا لست عائدة الى البيت هذه الليلة . لقد قلت لوالدتي بان عندنا حفلة ساهرة حتى الصباح .
— طيب .

وسألت : — لسم تبتسم ؟
— افكر في جيرترود . ترى ماذا ستفكر لو اكتشفت الامر ؟

* * *

بعثت اصفاء النيون في كامدن تاون الشعور بالرضى في نفسه . ومشى وفراعه يلتف حولها ، واحس بالارتياب من المتعة التي كان يحس بها وهي الى

جنبه . لم يستطع ان يتناسى ابدا افتقارها الى التجربة ، وبأنها اقل منه سنا
بعض سنين . وقالت :

— عزيزي ، احس اني ثملة الى حد فظيع .

— لا تكثرني . نامي وسيدهب عنك .

— الا تعارض صاحبة البيت ، تعتقد ؟

— لن تعلم بالامر . لن يعلم احد اذا غادرت في وقت متأخر قليلا .

وشعر بنوع من الاشفاق عليها . افتقارها الى التجربة جعلها تقدم
نفسها له دون قيد او شرط ، كان شيئا لطيفا ولكنه مخيف قليلا .

وفتح الباب الامامي بهدوء ودفعها امامه . وفيما هما يصعدان السلم
رن جرس التلفون . وقال مزجرا :

— او ، يا للمسيح ، ارجو الا يكون اوستن .

اذهبي الى غرفتي ، عزيزتي ، سارد عليه .

وقال ، هـلـو ؟

— هل يمكنني ان اكلم كارلوتة ، رجاء ؟

— سأناديها .

واخذ ينادي في الطابق السفلي : كارلوتة !

ثم عاد يصعد السلم ويتمتم بصوت خافت : شكرا لله !

كانت راقدة على الفراش ولم تزل مرتدية معطفها ، وقالت :

— اوه ، يا عزيزي ، اشعر اني ثملة جدا . . .

— طيب . اجلسي ، تشعرين بسكر اشد اذا اضطجعت .

وجمع الصحون الوسخة من الطاولة وزاجتي الشراب الفارغتين واخذها
الى المطبخ . وخلص الصحون مما علق بها في سلة الاوساخ ثم وضعها في
المغسلة . ومن شدة النعاس تقاعس عن الذهاب الى الحمام لاحضار الماء المغلي .

ولما عاد الى غرفته وجدها في الفراش : وشعر بالخيبة ، لقد كان يتمنى

ان يتأملها وهي تنعري . كانت ملابسه ملقاة على الكرسي . وكانت هي ترقد

على السرير وقد ادارت له ظهرها ودفنت وجهها في الوسادة . وابتسم لهذا

الوجه الاشقر الذي اختفى اكثره تحت الاغطية . كان في عدم محاولتها لاضفاء

اي غموض على انوثتها شيء طفولي يثير الحنان . ولم تكد تمر ثوان معدودات

حتى كان يرقد الى جنبها في الفراش ، وقد لامست ذراعاها العاريتان كتفيها

العاريتين فاهتز لذلك .

وكان على حق في فرضه ان نعاسها لن يمنعها من ادراك غرابة موقفها

وهي تضطجع مع رجل للمرة الاولى . فاستدارت في الحال وطوقت رقبتها

بفراغها . فأحس بالنشوة تغلي في عروقه ، وتذكر فشل محاولته عندما كانا في العوامة وبعدئذ في سريرها عند العمة جيرترود كوينسي ، ومن ثم شغوكه بأن قد يحدث ما يمنعه إلى الأبد من الاستمتاع بدفع جسدها إلى جواره في الفراش . لم تكن هذه الشكوك صائبة ، وقد بدا له أن ادراكه لذلك تضمن حقائق عامة ، ولكنه كان أكثر هيجانا من أن يبدأ بتحليلها . وظلا راقدين هنالك في الظلام ، لا ينبسان بكلمة ، وإنما يتحسس كل منهما جسد الآخر . وشعر في تلك اللحظة بالرغبة في أن يحتويها بجسمه ، وأن يندمج بها كلية . فأوقفته عندما هم بدفع جسده عبر جسدها ، وقالت :
— هل ... هل الأمر مأمون ، يا عزيزي ؟ فلا أريد طفلا الآن .
— سيكون كل شيء على ما يرام . . . لا تقلقي . . .

* * *

وسمع من بعيد صوت ساعة تدق الثالثة ، فيما هو يحدق في الظلام . وظنها راحت في اغفاءة ، فقد كانت انفاسها هادئة . ولم يكن يحس بالتهيج الآن ، ولا بالقربية إلى جانبها . وظل مضطجعا على ظهره ، وتذكر مناسبات سابقة مماثلة ، والعنف الذي تورثه المشاعر التي لا تجد لها متنفسا ، والتي ينسى كل شيء عنها في اليوم التالي ، ما عدا ما تكشفه وهي في اندفاعها المتدفق من جوانب نفسه التي لم يسبر غورها بعد . وتذكر الفتاة التي رآها في الشارع المحاذي للنهر والتي طار رداؤها حتى أعلى رأسها ، وحمى الشهوة التي أثارتها ، واخذ يتأمل : لعل هذا هو الجنس . . . أنه حمى . أنه خداع . فلو كانت تلك الفتاة هي كارولين لشعرت بنفس الشهوة تعتريني . ومع هذا ، فهي ترقد الآن هنا ، واني أحس بالهدوء . لعلني أكسب ثقتها كي أخدمها ؟ ولنفرض اني افلحت اذا ما حاولت مرة أخرى . فماذا سيكون عليه الفرق ؟ انها ستكون « خليلتي » ، هذا كل ما في الأمر ، ستكون رمزا لقوتي ، ولنجاحي . ولكن هل ستهبط علي ايحاءات جديدة وانا اغازلها ؟ هل سأحس بانني تجددت على نحو غريب ، وكان الخلود قد مسح جيبيني ؟ وما رأيك في كل ما تحدث عنه د . هـ . لورنس ؟ انه كان مجنوننا ودجالا . يمكن ان يكون جيدا بالطبع ، ولكن ليس إلى هذا الحد . لا يكون جيدا بحد ذاته أبدا ، وإنما كجزء من اهدافك الكبرى . ان الاتصال الجنسي مجرد طاقة خام ، ضوء وحرارة . وما يجعل منه امرا مهما هو المثل التي ينيرها .

وجلست فجأة ، فقال : — ما الخبر ؟
— أريد ان اذهب لشاتي . . . سألبيس معطفي . . .
— خذي مصباح دراجتي . انه فوق المكتبة .

وتمدد في الفراش . كان سريرا لشخص واحد ولكنه واسع ، يكفي لاثنتين . وانتابه احساس بالتurf وهو يستأثر به لفترة قصيرة . لم تكن الغرفة مظلمة . كان يمكنه رؤية انحناءات ملابسها على الكرسي . فمد يده وراح يتحسس بين ابهامه واصبعه الآخر النعومة الحريرية التي يثيرها ثوبها الداخلي . فذكره بسفرة بالقطار قام بها بين ليفربول ولندن . كانت هنالك طالبتا مدرسة تجلسان امامه، كلتاهما في حوالي الرابعة عشرة، وترتديان ملابس العطلة وهما تحملان حقائب كبيرة . كانت احدهما رشيقة القوام الى حد كبير ، وكانت ترتدي تنورة صوفية بنية ، وقد انزلت حوالي بوصتين الى اعلى ركبتها ، فكشفت عن رداء داخلي من النايلون ذي حافة موشاة باتقان مفرط . وكان جورباها ، وكان من الواضح جيدا ان يتفقا والمناسبة ، من النسيج الخالص . وشعر انها كانت تحس بالزهو لهذه الحافة الموشاة في ثوبها الداخلي ، حيث انها لم تقم الا بمحاولتين باردتين لتسدل تنورتها طوال السفرة التي دامت اربع ساعات . وحاول في اول الامر ان يفض الطرف عن المنظر ، واحس بالخجل من الرغبة التي تنحنحت في اعماقه . وحاول ان ينظر من خلال النافذة ، وترك لخياله العنان ليتخيلها بين ذراعيه . واخيرا ، امتلكها كليا في خياله حتى شعر بهزة من الدهشة عندما التفت اليها ونظر الى قطعة النايلون الموشاة المغربية ، وادرك انها لم تزل انسانا غريبا عنه . والتفت نظراتهما مرة ، فاشاحت بوجهها وقد احمرت خجلا . وادهشه انها مع ذلك لم تكلف نفسها اخفاء الحافة المزركشة التي توشي بغرف النوم والاستسلام . وعندما هبط في بادينغتون ، امسك بحقائبه واندفع الى الرصيف وقد تملكه شعور مفاجيء بانها ستركب نفس الباص وتجلس امامه ثانية لنصف ساعة اخرى ، لتطبع صورتها في ذهنه الى الابد . ولكنه لم يرها ثانية .

ولو كانت هي نفسها الفتاة التي كانت تضطجع بجواره الان والتي تركت ملابسها على الكرسي الى جانب السرير ، فلا يستطيع اي اشباع للرغبة ان يعيد اليه هذا التوتر النفسي الذي حدث له وهو يسافر في مواجهتها من ليفربول الى لندن . لقد كان ذلك خلعة ، رغبة دون هدف .

وعادت كارولين الى الغرفة . واحس بجسدها باردا عندما تلامسا . واخذ يقبلها بقوة . وهو يبتهج للشهوة التي تدفقت فورا في عروقها فجعلتها تضغط بجسدها عليه . ولم يات هذه المرة بحركات مفاجئة ليفزعها ، واكتفى بملاطفتها بيده وهي ترقد الى جنبه ...

الفصل الثالث

واصرت على ان يبقى في الفراش ريثما تحضر الشاي . غير ان فكرة رؤيتها تروح وتجيء وهي ترتدي روبه ازعجته ، ولكن سرورها كان من الوضوح بحيث انه لم يشأ ان يوقفها . وجلس في فراشه ، محاولا ان يقرأ ، وقصد انصرف نصف اهتمامه الى القراءة ، بينما راح ينتبه الى صوت كاليه يتحرك في الغرفة المجاورة او كارلوتة تنظف السلم . كانت كارولين في الحمام . وبعد لحظات خرجت واخذت ترقى السلم وسمع في الوقت نفسه صوت خطوات اخرى تصعد الجزء الاول من الدرج . فسألها وهي تدخل الغرفة :

— من كان ؟

— من كان من ؟

— ذاك الشخص ؟

وسمع صوت وقع الاقدام امام غرفته ثم على الجزء الاخر من السلم فقالت :

— لا اعلم فلم انتبه .

— لعل كارلوتة ذهبت لتنظف غرفة الرجل المعجوز . او ربما قدم مستأجر جديد .

وتحركات الاقدام على الارضية فوقهما . وقال :

— تبدين حلوة في هذا الروب ، ولكن ينبغي ان يكون اقصر من هذا قدما واحدا .

وجلست على حافة السرير وقبلته . كانت تبدو ، حتى بدون المساحيق وبشعرها الاشعث ، وردية البشرة كأنها طفل .

— كيف تشعرين اليوم .

— اشعر بالضيق . ولولا ذلك لكنت بخير .
 — متعبة ؟
 — كلا . سأدخل الفراش ان اردت !
 وسحبها من كتفها الى الخلف وقبلها . وسمعا قرقرة شديدة في
 الغرفة العليا . فنظر سورم الى السقف وقال :
 — هل انت هناك ، يا حلوه ؟
 كان هنالك دوي يشبه صوت كرسي يجر على عجلات .
 وقالت كارولين :
 — اعتقد ان الفتاة ترتب الغرفة . دعني انهض . ساحضر الشاي .
 وراح يرقبها وهي تقف على طنفسة الموقد تضع الشاي بالملقعة في
 الترس الكبير ، وهو يحاول ان يحلل الانفعالات التي كانت تثيرها فيه . لقد
 سره ان يضطجع معها ، وسره ان يتعرف على جسدها الان — غير ان هذا
 كان كل ما في الامر . انه لم يحس بأشباع اعمق من ذلك ، لم يحس
 بتهدة للجوع . كان شيئاً لا يمكنه تعريفه ، قد اقلقه . اذ لم تترك له
 التجربة شيئاً سوى قليل من التعب الجسمي . وقال في نفسه : وماذا
 اريد ، على اية حال ؟ ماذا يريد جميع الرجال ؟ ان هذه الحاجة عامة بين
 الجميع ! كارولين ...
 كانت ترتدي ملابسها ، وهي تقف عارية الجسد على طنفسة الموقد
 امام النار الغازية ، كانت تندس في ملابسها دون اي حياء . انها ولدت
 لتقوم بدور الخلية ، او الزوجة فالامران متساويان ، على ما اظن . انها
 تريد زوجا ، وتحسب انها عاشقة .
 — ولكني لا اريد ان اكون زوجا — زوجا صالحا ، كلبا امينا .
 انا انطوي على اكثر من انسان واحد . انا بحاجة الى التعبير عن
 نفسي . وذلك بان يرقد جسدها تحت جسدي . والا فكيف ؟ ارقب
 الفجر ينبلع فوق مايدروك تسو أو ساديا . ولم لا يكون اسلنفتون او القيثارة
 لويلزي ؟
 ... من اسلنفتون الى ماريلبون .
 والى تل بريمروز وغابة القديس يوحنا .
 كانت تغطيها الاعمدة الذهبية .
 وهنالك كانت تنتصب اعمدة اورشليم .
 ولا استطيع القتل . ان الحياة تبتهج للحياة . لدي اكثر من الحاجة .
 مرتاح اكثر مما ينبغي . انا بحاجة الى معركة اخوضها . وطبقت كبسولة

الملابس عند خصر تنورتها برنة معدنية . وصبت الشاي في القدحين خلال مصفاة . وقالت :

— اود لو يمكننا الرحيل الى محل ما . لفترة طويلة ... ما اجمل ان نعيش معا !

فقال مبتسما :

— لم لا ؟ يمكنك الانتقال عندي .

— وصاحبة البيت ؟ وامي ووالدي ؟ والعمة جبرترود ؟ واوستن ؟

— طيب ، وما دخل اوستن ؟

— انه يحس بالغيرة .

— اشك في ذلك ...

وفيما هو يهم بتناول قدح الشاي منها ، طرق احدهم الباب ، فقال بصوت خافت :

— اوه ، يا للسماء !

وقفز من الفراش واختطف الروب من على مسند الكرسي ، فقد خشي ان يفتح الباب قبل ان يتمكن من الوصول اليه . وكان يعقد شريط الروب وهو يفتح الباب فقالت كارلوتة :

— احدهم يطلبك على التلفون ..

— اوه ، شكرا ..

ومالت اليه وقالت :

— لقد ...

واومات برأسها في اتجاه السلم . واخذ سورم يحدق في وجهها دون ان يفهم .

— ماذا ؟

فقالت ، كأنها تشركه في مؤامرة :

— لقد عاد !

— من ؟ ارجو ان لا يكون الرجل العجوز ؟

فاومات بالايجاب . كان موزعا بين الانتكار الفاضب وبين خوفه من ان تطل في الغرفة فتري كارولين . فقال :

— او ، يا الهي ... ينبغي ان اذهب لاجيب التلفون .

واومات برأسها باستجابة ، وهي تبسم . كان ابتسامتها مفعمة بالودة والالفة على نحو لم يالفه من قبل ، فراد ذلك من قلقه لاحتمال ظهور كارولين فجأة خلفه . وتمتم قائلا :

- سأذهب لالبس نعلي ...
- واغلق الباب . ورفع أصبعه الى شفتيه مشيراً الى كاروليس ان لا تنيس بكلمة ووجد نعليه . ولحق بكارلوتة على منتصف السلم .
- هل تعلم المسز ميلر بعودته ؟
- اوه ، اجل . هي التي بعثته .
- لا شك انها مجنونة ! ألا تخشى ان يشعل النار في بيتها ؟
- والتفتت الفتاة ونظرت اليه ، وكان في عينيها هراء غريب . اذ افسد وجهها عبوس غريب اكسبه مظهرها شيطانيا . وقالت بهدوء :
- لقد رفعت ايجاره !
- وقبل ان يجيب ، كانت كارلوتة قد ركضت نازلة السلم الى الطابق السفلي ، وتركه يحرق في سماعة التلفون التي ترقد على طاولة الصلاة .
- هلو ؟
- هلو جيرارد . اوستن يتكلم .
- اوه ، هلو ، كيف حالك .
- بخير . اسمع ، هل يمكنك تناول الغداء معي اليوم ؟
- ا... نعم ، اعتقد ذلك . هل من سبب خاص ؟
- نعم . اريدك التعرف على صديقين لي ؟
- من هما ؟
- كاتبان امريكيان .
- هل اعرف احدا منهما ؟
- لا اعتقد ذلك . انهما شابان ، واعتقد انك ستجد متعة في لقائهما .
- انهما ينتميان الى جماعة تسمى «متمردو شيكاغو» .
- هل يمكنك المجيء عند منتصف النهار ؟ سنحتسي بعض الشراب ثم نذهب الى سوهو .
- طيب . شكرا ، وبالمناسبة ، لم اشكرك لتلك الليلة .
- تشكرني لجعلك تتقياً من المرض ، تعني ؟
- كلا ، ولكن ... لقد كنت طيباً حقاً .
- كلا ابداً ، ايها الصبي . سأراك فيما بعد ، حسناً ؟
- وعاد الى غرفته وقد اذهله كيف انه لا يمكن لاحد ان يتكهن بطباعه .
- فقد كان اخر مرة اتصل بها تلفونيا يلوح كالطفل المدلل ، والان يبدو كالاخ الاكبر الذي يرمي اخاه الاصغر .
- من كان على التلفون ؟

— أوستن .
— هذا الشيطان !
— دعاني لتناول الغداء معه . ولكنني استطيع ان الغي الموعد ان اردت ان تكون معا .
— كلا ، لا تفتح ، يا عزيزي . ينبغي ان اسود الى البيت ، والا فسيحاول والداي الاتصال بالصديقة التي يفترض اني قضيت الليلة معها ! وسحبها اليه وقبلها . كان لثغرها مذاق الشاي الدافئ . وساوره شعور مترف ان يحس بدفتها يشد على جسده . وسرى احساس يشبه التيار الكهربائي في صدره وفخذه . وقال بصوت غليظ :
— ما اسخف ان تلبس ملابسنا .
ورقدا جنبا الى جنب وهما ينظران الى السقف . وقال :
— لقد عاد هذا الحيوان الى الطابق العلوي .
— هل انت واثق ؟
— نعم .
ونهض مستندا الى مرفقه وذاق الشاي الفاتر .
وقالت :

— ساهيء لك قدحا اخر .
— لا تكلفني نفسك . اتعلمين ، اعتقد بانني ساسال اوستن اذا كان يعرف شقة اخرى . يملك والده نصف ماريلبون . لا اعتقد اني استطيع ان اتحمل هذا السكير العجوز اسبوعا واحدا . انه سيحطمني .
وطرق احداهم الباب ، فافزع سورم . فهمس في اذن كارولين : ششش ! وانزلق خارجا من فراشه وارتمى الروب .
كان يتوقع ان يرى كارلوتة ولكنه وجد الرجل العجوز . كانت عيناه اقل بللا . وكان يرتدي بذلة صوفية تلوح من النوع الجيد وقميصا نظيفا .
وابتسم بحياء :
— اسف لازعاجك يا سيدي ولكن هل لديك علبة ثقب ؟
كان صوته واضحا رصينا . وبحث سورم في جيب روبه ثم ناوله علبة الثقب .

— اشكرك ولكنني لن اخذ العلبة كلها . . .
— لا يهم . انها تكاد تكون فارغة .
وابتسم الرجل العجوز ، كأن لهما سببا سريا يدعوهما لتبادل

الاعجاب . ووضع العلبه في جيبه . وراح يجرجر قدميه بتثاقل .
وقال سورم : - ارجو ان تكون احسن الان .
- اجل . شكرا .
وكان كلمات سورم وضعت حدا لتردده فالتفت ومضى مبتعدا .
وفيما كان سورم يهم بفتح الباب ، التفت العجوز ، وابتسم بنظرة امتداح
وقال :
- لعلك تريد قراءة جريدة الصباح ؟
وسحب من جيبه جريدة مطوية وناولها لسورم - ثم اختفى على
عجل ، كأنه يخشى ان يكون قد اقترب خطأ .
وعاد سورم الى غرفته وفتح الصحيفة . فقرأ العنوان التالي : القاء
القبض على الزوج في حوادث القتل في غرينتش .
- من كان هذا ؟
فقال وهو يرفع وجهه الى السقف :
- هو .
- يبدو في حال جيدة .
- اوه ، اجل . انه يبقى في حال جيدة الى ان يبدأ بالشرب . وهو
يشرب ثلاثا وعشرين ساعة في اليوم .
ووقف بالقرب من الطاولة يقرأ الصفحة الاولى . وكانت كلوولين
ترتدي ملابسها مرة اخرى . وقال :
- اذن فهو لم ينتقل ابدا .
- من ؟
- مجرم وايتشابيل .
وفيما هو يلبس حذاءيه ، قالت فجأة :
- ينبغي ان تشتري لك شقة في وايتشابيل . يمكنني ان اراهنك على
ان قيمة الاملاك قد هبطت منذ تلك الحوادث .
- ملاحظة تدل على الذكاء ، يا عزيزتي .
- الا تعتقد ذلك ؟
- لم لا ؟ لعل اوستن واباه مشتركان في ذلك - اوستن يقتصر
جرائم القتل وابوه يشتري المقارات بأسعار منخفضة .
فقال وقد قطبت جبينها :

— ولكنني لا اظن ان في وسع اوستن ان يقتل النساء . الا تعتقد ذلك ؟

— لست ادري . سأسأله عندما يراه .

وتأخر في الوصول الى شارع الباني بنصف ساعة . وقال البواب :
— اه ، المستر ن في انتظارك ، يا سيدي . وانك لم تأت بالسيدتين معك اذن ؟

— كلا . ألم يصلا ؟

— ما كانا قد وصلا بعد ، عندما اتصل بي المستر ن تلفونيا منذ خمس دقائق .

وفتح ن الباب ، فقال سورم على الفور :

— اسف لتأخري .

— لا يهم . انهما ايضا لم يصلا بعد . كيف حالك ، يا جيرارد ؟ يلوح عليك التعب .

— من جراء العكوف المهلك على الكتابة ، حسب ما اظن .

— ويسكي ؟

— شكرا . وبالمناسبة ، يا اوستن ، اردت ان اسألك عندما نكون وحيدين ... هل تعرف اذا كانت في هذه المنطقة شقق او غرف غير مؤثثة ؟ لك ؟

— نعم . اني افكر في تغيير مسكني .

— ولكنك كثير التنقل .

— اعلم . هل تذكر الرجل المعجوز الذي حدثتك عنه ؟

— نعم . هل خرج من المستشفى ؟

— فأوما سورم بالايجاب ، وقال :

— وصل صباح اليوم . ولذا فاظنه سيحرمني من النوم حتى يقنع له حادث اخر .

وجلس ن على الكرسي الكبير واشعل سيكارة .

— السبل والوسائل موجودة دائما ، اليس كذلك ؟

وقال ، بعد ان رأى الحيرة ترسم في وجه سورم :

— يمكننا ان ندبر حادثا له ، الا تتفق معي ؟

— هل انت جاد ؟

— تماما . مثلاً . . .

ورن جرس الباب ، فذهب نن نحوه . واثناء اللحظة التي ظل سورم فيها لوحده أخذ يحدق في قضبان المدفأة الملتهبة وراح يتساءل : ترى اي جانب من شخصيته يتهاى نن ليكشفه له . وتناهى اليه صوت امريكي اللهجة يقول :

— هاي ، ايها الرجل ! سعيد برؤيتك .

ودخلا الغرفة يتبعهما نن . وقال نن :

— اقدم لكما جيرارد سورم . جيرارد ، اقدم لك كال تيشميسير

ورودي جيمس .

وقال اقصر الرجلين ، الذي يشبه الايطاليين ، بلهجة ودودة :

— هاي ، جيرارد . كيف حالك ؟

اما صديقه فقد مد يده من فوق الكرسي وربت على كتف سورم قائلاً،

بلهجة عميقة لطيفة :

— مسرور برؤيتك ايها الرجل .

وارتمى على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه وترك ذراعيه يسقطان باسترخاء على مسنديه . كان ، جهه مستطيلاً غائر الخدين وقد نبت على ذقنه اشعر اشقر لم ير الحلاقة منذ ثلاثة ايام . وكان ، كزميله ، يرتدي سترة جلدية تحتها قميص ذو الوان زاهية . وجلس الرجل الذي يشبهه الايطاليين الى جوار سورم على الديوان ، قائلاً :

— ماذا ندعوك — جيرري ؟

— يمكنك ان تدعوني كذلك ان اردت .

— طيب . انا كال ، وهو جيمي .

وهتف نن ، وهو يقف الى جوار الدولاب :

— ماذا تشربان ؟

— الديك ويسكي بوربون ؟ .

— نعم .

واستدار جيمي في كرسيه ونظر في دولاب المشروبات وصفر

بصوت حاد :

— هي ، انظر الى هذا الرجل المجنون ! لديه عشرون زجاجة شراب

هناك ! يستقبلنا حظ سعيد ، ايها الصبي ، وا هوووو .

وقفز من كرسيه وراح ينطنط صوب نن ، وامسك باحدى الزجاجات

وراح يقبلها بلهفة ، وقال بصوت اجش :

ـايها الصبي ، يسرني ان اراك !

وسأل كال سورم :

ـ هل انت كاتب ؟

فهز سورم كتفيه وقال :

ـ ليس الى الدرجة التي تستحق الحديث عنها . ماذا تكتب انت ؟

ـ انا اكتب الروايات . وجيمي ذاك يقرض الشعر . لقد اسس

مدرسة خاصة به ...

فقال جيمي :

ـ او ... لا

ـ ... التي اشار اليها صديقنا ومرشدنا الودود البروفيسور تريلنك .

فصاح جيمي :

ـ ابن الكلب ! ...

ـ ... على انها مدرسة الزحار في الشعر !

وانطلق ضاحكا ، كانت ضحكة عالية مفعمة بالهزات والزميق ، ذكرت

سورم بسيارة قديمة تتعثر على طريق وعر . فقال جيمي بقصد الانتقام :

ـ اجل ، وهل تعلم ماذا قالت مجلة « تايم » بصدد رواياته .. ؟

وناوله ن قدحا مليئا الى منتصفه بالويسكي . فامسك به ، واخذ

يشمه بانتشاء وسكبه في فمه على الفور . وقال بلهجة عاطفية :

ـ اوستن ، اني احبك ان هذه الخمرة تساوي ثمنها حقا .

وجعل نـن يصب له المزيد من الويسكي ، وقال متصنعا الحدة :

ـ من يكثرث لما يقوله النغول ؟ فكما قال عمر الخيام : « القافلة

تسير ، فلتنبج الكلاب » .

وناول نـن لكال قدحا ، وسأل بجد :

ـ هل كنتما تشربان قبل ان تاتيا ، ايها الصبيان ؟

فقال كال :

ـ اوه ، انه ليس ثملا . انه دائما على هذا النحو . الست كذلك ،

داداي ؟ لقد كان يثرثر طول الليل .

فسأل سورم :

ـ عـم ؟

ـ اوه ، يا الهي ، عن شيء ما .

فسال جيمي :
 - اين تضع اسطواناتك ؟
 - هناك .
 وقال كال :
 - حدثه احدهم عن ميريجكوفسكي او لست اعلم ماذا ، كيف ان
 الروس اعتادوا ان يجلسوا حتى الصباح ، فاذا ما ثاءب احدهم ، يقولون له . .
 وصاح جيمي :
 - هي ، انظر ، دعني انا اقص الحكاية . اصغ ! انهم يبقون طسول
 الليل يتناقشون فاذا ما اقترح عليهم احدهم غلق الموضوع ، اتعلم بماذا
 يجيبون ؟ « لا يمكننا النوم بعد . لم تقرر بعد اذا كان الله موجودا » .
 واطلق صغيرا حادا من الفرح ، والتفت الى درج الاسطوانات . وقال
 بعد لحظة باعجاب :
 - هي . ايها الرجل ، لديك كل هؤلاء ! مايلز ديفيز وديزي و . . .
 واو ! . . . المجموعة الكاملة لموسيقى بيرد . امكننا عزف بعضها ؟
 وقال ن بحدرد :
 - الاتعتقدون انه ينبغي ان نذهب لناكل شيئا أولا ، الساعة
 تجاوزت الواحدة .
 فقال جيمي :
 - لنسمع اسطوانة فقط ، وجها واحد من بيرد . ثم بعد ذلك نستطيع
 الذهاب للرعي .
 وقال كال سائلا سورم :
 - هل تتذوق الانواع الجديدة من موسيقى الجاز ؟
 - اننا . . .
 وقبل ان يجيب ، طمس الفرامافون صوته . واستلقى جيمي على الارض
 وضرب برجله في الهواء ، ثم صاح : « ايها الاجراس ، داداي - اووو . . . ! »
 ومال كال وصاح في اذن سورم :
 - هل انت من المغممين بموسيقى الجاز ؟
 - ليس كثيرا . يعجبني بيكس بيدرييك .
 فصاح كال :
 - عظيم !
 ثم اشار الى جيمي واردف :

— ولكن جيمي لا يميل اليه ، يعتقد غناؤه جافا .
ونظر سورم الى ساعته بحذر ، متسائلا متى يمكنه الخلاص من
هؤلاء . وقد ترك هذا الضجيج وهذه اللهجة الغريبة في نفسه الانطباع بانهما
يتعمدان الفات النظر اليهما . ورفع بصره فوجد نين ينظر اليه باهتمام :
كانت عيناه البنيتان ناعمتين كعيني حيوان وفيهما من الرقة والازدراء
والمداعبة ما في عيني اله وثني . ومرت بسورم لحظة احس فيها بالخسوف
الغريب والخضوع اللذين كان يحس بهما في حضور نين ، الاحساس بوجوده
مع شخص من نوع اخر . واغلق نين عينيه واسترخى في كرسيه .
وعندما انتهت الاسطوانة ، اعتدل جيمي ، وقال بحزن :
— لقد افل نجم شارلي . لقد قتل نفسه .
ونظر الى سورم ، فرأى سورم فيهما الصدق . وسال :
— ماذا حدث له ؟
فقال كال باقتضاب :
— ادمان على الخمر ، والنط .
فقال جيمي :
— هذا الرجل القصير السمين . كان عذبا ، ولكنه متقلب المزاج . كنا
نعرفه في الضفة الغربية .
واطفأ نين الغرامافون . وقال :
— لنذهب ونأكل . احس بشراهة .
وتبعهم سورم خارج الغرفة . ومشى جيمي بكسل وترهل كالقرد .
وتساءل سورم ماذا كان يعني كال بكلمة « النط » وخمن انه يعني بها
الرقص ، واورثته فكرة الرجل السمين الذي كان قصيرا يرقص حتى يموت
على انها تبعث على الكتابة الى حد غريب .

* * *

وتوقف الرجلان الاميركيان عن الكلام اثناء الاكل ، وراحا ينسفن
الطعام بشراهة ، فظن سورم انهما لم يتناولوا لقمة واحدة منذ ايام . بيد انه
لما قال نين عرضا :
هل انتما جائعان ؟
قال كال :
— لقد تناولت فطورا ضخما . وهذا ما يجعلني نهما للطعام طول اليوم .
وكانا يحتسيان الخمر كأنها بيرة ، جرعات طويلة . وقال جيمي فجأة :
— مشكلتكم انتم معشر الكتاب البريطانيين ، هي انكم لا ترفسون الى

الحد الكافي .
 فسأل سورم :
 - نرفس من ؟
 - ايهم تشاؤون . فمثلا - ماذا تكتب الان ؟
 - قصة .
 - ما هو موضوعها ؟
 - عن قاتل جنسي .
 ولاح عليهما استحسان للموضوع . وقال كال :
 - هذا موضوع جيد . لم تريد ان تكتب فيه ؟
 - للحصول على المال .
 فقال جيمي :
 - طبعا لم لا . سبب معقول .
 وبدت عليه الحيرة . فقال نن مبتسما :
 - انه يريد الايقاع بك .
 فاشرق وجه جيمي بابتسامة عريضة دمثة وقال :
 - اوه ، اكيد ؟ على كل حال ، انه سبب معقول . ولكن ، جديا ، هل
 انك حقا تكتب عن قاتل جنسي ؟
 - نعم .
 فمال اليه كال وقال :
 - هل تعرف اي قاتل جنسي ؟
 فقال سورم :
 - بالتأكيد . امرف الكثير ، اولهم انا واوستن . ولعلكما - انت وجيمي ،
 منهم ايضا . لست ادري .
 فقال جيمي بصورة غير متوقعة :
 - انه على حق . لقد افحمك يا كال ، فلا حاجة به ان يعرف واحدا
 منهم . اي انسان يمكن ان يكون قاتلا جنسيا .
 فسأل كال :
 - هل هذا ما تقصده ؟
 فأجاب سورم ، وهو يكبح رغبة قوية في النهوض ومغادرة الغرفة :
 - كلا . كلا في الحقيقة .
 - فماذا تعني اذن ؟

فقرر سورم ان يحاول ان يجني ما يمكنه ان يجنيه من هذا الحديث ،
فقال لحظة من التفكير :

— اريد ان اعزل هذا الشعور بالسلب الذي يصيب الانسان الحديث .
الشعور بأنك متروك في البرد ، بأنك لا تحيا بما يكفي من الحياة . هل
تفهمان ما اعنيه ؟

فقال كال :

— هل نفهم ؟

وقال جيمي بانفعال :

— بالتأكيد ، افهم ما تعنيه . مثل رجل كنت اعرفه في اميركا قضى
معظم ايامه في المدارس الاصلاحية والسجون ، ومع هذا فلم يكن هنالك سبيل
الى ايقافه . كانت تسليته المفضلة هي انجاب الاطفال من صديقاته . وقد
احس بأنه بهذه الطريقة يعيش على احسن ما يمكن ان تعاش به الحياة . لقد
اراد هذا الصبي ان يأكل ويشرب حريته . . . وليذهب كل شيء الى الجحيم .
كان عليه ان يظل يتحرك ، يفعل ما يفعل ، يشرب ويدخن ويزامل الفتيات .
كان هذا الصبي يريد ماضيا يستعيده في ذاكرته اذا ما دخل السجن ثانية .
والتفت الى نن وقال :

— هل قرأت توماس وولف ؟ هنالك انسان مسلوب الممتلكات لك . . .
المعدرة ، ايها الرجل ، اريد الذهاب الى التواليت . في اي اتجاه هي ؟
فأرشده نن الى محلها ، وراح هو وسورم يراقبانها يجتازان الصالة
وهما يتحدثان بانفعال فيجذبان انتباه اكثر بقية الرواد في المطعم . فقال نن :
— ما رأيك فيهما ؟

— انهما مضجران . اود العودة الى البيت .

— حقا ؟ انك لست جماعيا هذا اليوم . ويمكنني الجزم انهما يميلان اليك .
— انا اميل اليهما ايضا ، ولكنهما لا يعرفان كيف يتحدثان . ولا يحاولان
الاندماج بالحديث . انهما يقدفانك فقط بسيل من الاسئلة والتعليقات ،
ويعتقدان انهما بهذا يحققان شيئا ممتعا . لم استطع مقاومة الرغبة فسي
الحديث عن هذا الشعور بالسلب ، وانهما اسوأ امثلة رأيتها في حياتي .

— انك لتتسرع في الحكم عليهما . اعلم . لدى كال اراء ممتعة عن
التصوف ، وقد اعتنق الاسلام منذ بضع سنين . . . وبالمناسبة ، هل انت
جاد حول موضوع روايتك ؟

— كلا . كان الموضوع من وحي اللحظة . فليس من الممكن التحدث
بصورة جدية عن كتاباتك بهذا الشكل ، خلال خمس ثوان .

- فقال نن بلهجة لائمة :
- انك لست مولعا بالناس الى الحد الكافي يا جيرارد . لقد لاحظت ذلك فيك قبلا .
- فقال سورم بعدم اكتراث :
- ربما .
- وعاد الرجلان الاميركيان ، وكان جيمي يمشي مشية القرد بطريقة مبالغ فيها وهو يتحدث ويطلق الاشارات بيديه . وحالما جلس جيمي وجه السؤال :
- هل حاولت رياضة اليوغا ؟
- فقال سورم :
- ليس بصورة جديدة .
- امر يدعوا الى الرثاء . اعتاد كال ان يمارس اليوغا — الطريقة « الصوفية » كما كان يطلق عليها . كنت اعرف شخصا هنا في لندن كان يمارسها ايضا ويا الهي ، كان غريب الاطوار .
- وراح سورم يكشط باظافره رقعة العنوان الملتصقة بزجاجة الخمر ويفكر بطريقة للاعتذار والخروج بسرعة . كان يحس بداية اجهاد عقلي كان يؤثر على جهازه الهضمي . وقبل ان يتمكن من اختلاق سبب للخروج ، سمع اسما يذكر امامه فصاح بسرعة :
- هل قلت غلاسب ؟
- نعم . اتعرفه ؟
- اوليفر غلاسب ، الرسام ؟
- فقال جيمي :
- لا ادري اذا كان هذا الشخص رساما ، كما لا اذكر اسمه الاول . ولكنه كان غريب الاطوار حقا .
- فقال سورم :
- ربما كان نفس الشخص الذي اقصده . انه اسم غريب .
- محتمل . كان ذلك منذ خمس سنين . كان منحرفا ايضا
- صحيح ؟ كيف ؟
- كان مولعا بالفتيات الصغيرات . . . يتحدث دائما عنهن . كلنا توقعن انه سينتهي الى السجن .
- فسال سورم نن :
- هل من الممكن ان يكون هو اوليفر ؟
- اشك في ذلك . وبالنسبة ، يا جيرارد ، ينبغي ان تذهب الان اذا اردت

اجراء مكالمه تلفونية فى الساعة الثانية والنصف .
فتنظر اليه سورم بامتنان . وقال :
- نعم ، اعتقد ينبغي ان ارحل . يؤسفني ان اذهب .
فقال جيمي :
- لنتلقى ثانية فيما بعد . اريد ان نتحدث اكثر حول فكرة «السلب» هذه .
- اخشى الا يمكنني المجيء اليوم ولكن اوستن يمكنه ان يدبر
الامر بسهولة
ولدهشته نهض كلاهما وصافحاه بكل اصول وادب عندما هم بالمغادرة .
واسرع خارجا الى شارع « غريك » وهو يتنفس الصعداء . وبدأ المطر ينهمر .

* * *

وسار تحت المطر ، وقد قلب ياقة معطفه الى الاعلى ، وهو غير آبه
بالناس الذين كانوا يمرون عبره مسرعى الخطى على الارصفة الضيقة . وعند
المنعطف الذي يؤدي الى شارع شافتزبيرى ، حاولت مخاطبته امرأة زنجية
غير انه رد عليها بابتسامة ليست ذات معنى ومضى فى سبيله . وساوره القلق
وتمنى لو كان نسن ما زال هناك . واحس بدافع مفاجيء يدفعه الى ان يدلف
الى أحد اكشاك التليفون . ورد عليه القسيس الهنغاري . وكشف له سورم
عن اسمه ثم سأل ان لم يكن الاب كارائز مشغولا . وبعد لحظات عاد
القسيس وقال ان الاب كارائز غير مقيد بموعد حتى الساعة الرابعة . ونظر
سورم الى ساعته كانت الساعة قد تعدت الثالثة . وقال :
- اشكرك جدا . انا قادم الان .

وبينما كان الباص يسير به فى هولبورن راح يتساعل ما الذي سيقوله
للقسيس ، كان يحس بان هناك عقدة هو مكره على حلها ، ولكنه لم يكن على
يقين من معرفته العقدة التي يريد حلها بالذات . واحس بانه يقف على حافة
بحر من الانفصالات التي لا تحتل تعريفا وتحديدا .
وقاده القسيس الهنغاري الى الطابق العلوي ، وتركه عند نهاية الرواق .
كان الاب كارائز يجلس امام المدفأة ، مرتديا الروب فوق منامته . واحس
سورم بالسرور لهذا الدفء الذي سرى الى يده من قبضة القسيس وهو
يصافحه . كان فى دخيلة نفسه يخشى ان يكون سببا فى ادخال السام الى
صدر هذا الرجل المعجوز .

- يسرني ان تأتني ، يا جيرارد . اجلس .
فجلس سورم ، وقبل ان يفتح فاه بالكلام ، مال القسيس الى الامام
واردف قائلا :

- هل وجه شتاين بعض الاسئلة اليك يوم امس ؟
- نعم . ذهبنا وتناولنا فنجانا من القهوة ...
- ممن صدر الاقتراح بذلك ؟ ..
- منه .
- فبدأ الوجوم على القسيس .
- وهل سألك عن اوستن ؟
- نعم . كيف عرفت ؟
- وتجاهل القسيس السؤال . كان ينظر باتجاه راس سورم خلال النافذة .
- كان في وجهه شيء يوحي الى سورم بالصمت ، كان وجهه ينطق بتعابير لم يالفها سورم في القسيس — كانت مزيجا من القوة والتركيز مع الشمسور بالاسف لشيء منفصل عنه . وهيمن الصمت طويلا . ونظر سورم الى ساعته بحذر فالفها تشارف على الرابعة الاشرين دقيقة . ونظر اليه القسيس ، ولاح كانه قد توصل الى قرار . فقال بهدوء :
- اعتقد انك شخص يعتمد عليه ، يا جيرارد ، الست كذلك ؟
- امل في ذلك ، ايها الاب .
- كان القسيس يتكلم بلهجة واضحة كمن يتحدث في شؤون العمل :
- بحكم مهنتي ، اضطر في بعض الاحايين الى اتخاذ قرارات مخالفة للقانون — او بالاحرى متجاهلة اياه . علي ان اعمل على فرض ان للنفوس البشرية قيمتها . فالقانون يحاسب الانسان على عمله ، اما انا فأحاسبه على ما هيته . هل تفهم ؟
- فأوما سورم .
- وان ما سوف أخبرك به ، يضعنا كلينا في هذا الموقف ...
- وصمت . وراح سورم ينتظر ، بتوقع . وادرك ما سيقوله القسيس فها نفس له :
- تلقى فرانز شتاين ، ليلة الخميس الماضي ، معلومات من شرطة هامبورغ تدعو الى اعتقاده بان اوستن قد يكون هو نفسه مجرم وايتشابل . وتوقف القسيس وظل سورم جالسا ، مندهشا للهدوء الذي تلقى به النبأ . وسأل اخيرا :
- هل سيقبضون عليه ؟
- ليس بعد .
- لماذا ؟
- ليس لديهم الدليل . من العسير ايجاد الدليل في هذه المرحلة .

- انه تحت المراقبة في الوقت الحاضر .
- وهل هو ... القاتل ؟
- من المحتمل .
- واحتشدت الاسئلة في اعماقه ، وراح يزاحم بعضها البعض كأصطدام سيل من السيارات عند تقاطع عدد من الطرق . واحس بها تبتخر في هذه المعمة . ومضى القسيس يرقبه دون كلام . وقال سورم :
- ولكن نـن ليس مجنوننا . انا واثق انه ليس مجنوننا .
- لست ادري .
- ولكن ... هل من المعقول ؟ هل ... قرأت تقرير هامبورغ ؟
- نعم . انه معروف لدى المومسات اللاتي يعملن للساديين . وقد اشتبه بارتكابه جريمة قتل .
- قتل ؟
- قتل شاب يعمل للاغراض الجنسية . ليس هنالك دليل قاطع ، ولكنه واحد من عدد من المشبوهين .
- فقال سورم بغيظ مفاجيء :
- كفى ، ايها الاب ... ! ليس هذا سببا كافيا لتهمة انسان ...
- بالقتل الاجماعي ، اعني ، هل هذا يكفي ؟ هل هذا هو كل ما في الامر ؟ الديك شيء اخر ؟
- كلا ، هذا هو كل ما في الامر .
- ففي هذه الحالة ، ليس الامر بهذه الخطورة . لعل اوستن واحد من مئات المشبوهين . وهناك حقيقة واحدة في صالحه ، وهو انه يميل لجنسه . قلت انه مشتبه به في قتل رجل يعمل للاغراض الجنسية ؟ بالتأكيد ذلك ...
- بالضبط ، ليست الادلة كافية ، ولكن هنالك ادلة . فلو كان اوستن فعلا القاتل ... وهذا شيء محتمل ، على كل حال ... لو كان هو القاتل ، فلن يفلت من قبضة البوليس الان . الشرطة حاذقون ، وهم يعلمون بان لا معنى لافزاعه الان . لو كان لديهم ثمة دليل لقبضوا عليه . ولكن ، والحالة هذه ، سيراقبونه حتى يقدم لهم الدليل . فاذا ذهب هذه الليلة الى وايتشابيل وراح يتجول في شوارعها – وحتى اذا لم يفعل شيئا اخر ربما يقبضون عليه .
- وقال سورم ، بعد فترة من الصمت :
- افرض انه القاتل ... ماذا يحدث له لو امسكوا به ؟
- فقال القسيس بصوت ناعم دقيق المقاطع :
- سيشنقونه .

— هل انت واثق ، ايها الاب ؟

— واثق تماما .

— لا امل في السجن ؟

— كلا ابدا . وحتى اذا ثبت انه مريض عقليا ، فانهم سيشنقونه . ليس له سجل ماض يجعله في عداد المصابين بالخلل العقلي ، لم يدخل محاجر المجانين ابدا ، ولم يسبق له ان ادين بقضايا تعتبر اسبابها مرضية . سيشنقونه كما شنقوا هيث وهاي وكريستي — لان الصحف ما فتئت تنشر اخبارهم حتى استولى الرعب على الناس كلهم .

وعلم سورم فجأة السبب الذي دفع القسيس الى ان يوليه ثقته . واحس بالغضب يغلي في داخله ، واحس بالاحتجاج على هذا الامر الذي يخالف العقل ، وذلك الغباء وتلك القسوة اللذين اصبحا قوة من قوى الطبيعة ، وليس قصورا بشريا ، فلم يعد هناك سبيل الى الوقوف بوجهها . وسأل بهدوء :

— وماذا علي ان افعل ، ايها الاب ؟

— هذا امر عسير . اريد ان اطلب منك شيئا واحدا . لا تخبر اوستن بذلك مطلقا ، ارجوك . هنالك طرق اخرى . فان التقيت به كثيرا ...

— كنت اتناول الغداء معه قبل قليل !

— طيب . هنالك سبل لذلك . يمكنك التظاهر بانك لاحظت ان احدا يتبعك . يمكنك ايضا اختلاق شخص على انه سالك بعض الاسئلة عن اوستن . ولكنك ان اخبرته بالامر ، وقبض عليه بعد ذلك واجريت محاكمته بتهمة القتل فستعتبر انت شريكه هل تفهم ؟

— آه ... تظن اذن انه يقول كل شيء ؟

— في الاخير نعم . انه سيشعر عاجلا او آجلا بالحاجة الى الاعتراف بكل شيء . على فرض انه القاتل الان .

فقال سورم :

— ايها الاب ... اعدك بالا افضي اليه بالقضية مباشرة .

— حسنا .

— ولكن ... لا ادري كيف اعبر عنه ... هل تظن ان اوستن يحتمل ان يكون القاتل ؟ ...

فهز القسيس كتفيه :

— كيف لي ان اعلم ؟ لم ار اوستن منذ وقت طويل .

كان الجواب مخيبا بالنسبة لسورم ، والى نفسه يفقد القدرة على

- التعبير بوضوح وهو يحاول شرح احساسه وقال :
- ولكنني استبعد الاحتمال ، اتعلم ! ان الامر بعيد الاحتمال !
- لماذا ؟
- لان ... في العادة لا يتحول الاصدقاء الى مجرمين ، على ما اعتقد .
- فابتسم القسيس وقال :
- حدث ذلك معي .
- حقا ؟
- في حالتين . على كل حال ، ينبغي الانشغول عن الموضوع . كما ان مسألة الاشتباه لا يمكن ان تكون مفاجئة بالنسبة لك . فقد حدثتني انت عن شكوكك .
- نعم ، ولكن اظنني على معرفة اوثق به الان من ذي قبل . انه مشوش الفكر ، يكاد يكون نفس ذلك الطفل المشوش المعتوه . ولكنه بالإضافة لهذا رقيق ، لطيف المزاج ، كريم الخلق . هذه الصفات لا يمكن ان تتناسب وطبيعة القاتل بأي حال من الاحوال .
- وقال القسيس :
- ومع هذا فلم تبد عليك الدهشة عندما حدثتك عن حادثة القتل في هامبورغ . اكننت وانما بان هذه الحادثة ايضا لا علاقة لها باوستن ؟
- لـ ... لست ادري . لا اعتقد ... ربما . ولكن ... طيب ، كيف لي ان اعرف ؟ لست محيطا بظروف القضية . من الممكن . مدينة قريبة ، وثمة محاولة ابتزاز ماله او لسرقته في الليل ... واعتقد ان اوستن انسان ذو قوة هائلة . قد يقع امر كهذا ولم يزل الامر لا يدل على شيء ...
- ولنفرض ان الجريمة لم تكن على هذه الصورة ؟ لنفرض انها جريمة سادية اعتيادية ؟ فكيف شعورك في هذه الحالة ؟
- لست ادري ، وليس من الضروري ان يتبدل في شيء . سوف لا انفك عن المحاولة في معرفة السبب قبل ان اقرر شيئا . اعني اريد ان ادخل في اعمال اوستن واحاول ان اشعر كما شعر هو عندما ... قام بالفعل .
- لماذا ؟
- لانه ... من المتعذر الحكم عليه بطريقة اخرى . فضلا عن ذلك ، ليس من العسير فهم موقفه . ويحدث احيانا انك لاتقوم فعلا بالاشياء . انما يقوم بها جزء اخر من نفسك ، وانك لا تعدو ان تكون متفرجا . يمكنني بكل سهولة ان اتقمص موقف السادي .
- صحيح ؟

— اظن ... ذلك .

— هل سبق ان سببت الالم لاحد ... الالم الجسمي ؟

— اظن ذلك . كنت اقتل فراخ الدجاج ايام عيد الميلاد عندما كنت

صبيا . ولكني لم اشعر بلذة خاصة في القيام بفعل كهذا . واغرقت مرة
جرذا وجدته في سلة الاوساخ ، ورحت اسكب عليه ماء يغلي بينما كان
يسبح يئنا ويسرة . ولكني فعلت ذلك لاني كنت اخشى ان يستغرق موته
ساعات . ولكني لن افعل ذلك الان .

— لماذا ؟

— عمل كهذا يسبب جيشانا في معدتي . وبلاضافة لذلك ، هنالك في

نفسي غريزة تكره القتل .

وقال القسيس بهدوء وبلهجة قاطعة :

— ليس في وسعك اذن ان تضع نفسك موضع السادي ، ام يمكنك ؟

— هذا لا يتبع ما قلته . السادي قاتل جنسي ، اليس كذلك ؟ هذا ما

يجعل المسألة تختلف . في امكان اكثر الناس الشعور بالتعاطف الى حد ما
مع الجريمة الجنسية .

— افني امكانهم فعلا ؟

— اعتقد ... هذا في امكاني انا ، على كل حال . اعتقد ان الناس جميعا

يتملكهم شعور دائم بانهم لا يتمتعون بامتيازات الجنس بصورة كاملة . ولكن
علي ان افكر في الامر . فليس هو هينا .

— هل تعتبر نفسك غير متمتع بالامتيازات الجنسية كاملة ؟

— نعم . ولكن هذا هو الجانب السلبي من المشكلة فقط . اظنها رؤيا

بشكل من الاشكال ... رؤيا عن الحياة التامة المليئة التي تكمن وراء الجنس .

وعلى كل حال ، ليس الدافع الجنسي بهذه الاهمية . تحدوني الرغبة احيانا

في ان اتناسى الجنس كليا . . اعلم ان لكلامي وقعا غريبا ، ولكنه صحيح .

— لا يبدو غريبا ابدا ، وخاصة بالنسبة لي . لا ينبغي على الانسان ان

يكون قديسا ليترفع عن الجنس . لقد فعل هذا كثير من العلماء والرياضيين ،

وعدد كبير من الفلاسفة .

— اعلم هذا ، ايها الاب ، اعلم هذا . غير ان الامر ليس بهذه البساطة

— ليس مجرد التعويض عن الجنس بالحياة العقلية او ما شابه . كان لسي

صديق من اتباع فرويد ، وكانت العبارة المفضلة لديه هي : كل انسان مريض

الاعصاب . كنت اظنه معتوها ، بيد اني بدات ادرك ما كان يعنيه . وما هو

المرض العصبي ، على كل حال ؟ حفة من رغبات لم تتحقق - اي نوع من
الرغبات . والبشر يعملون لهدم تحقق رغباتهم - لا غير .

- ماعدا العادة .

- نعم ، ولكن العادة تعيننا على الاستمرار في الحياة ، اما الرغبة فتعيننا
على التقدم الى الامام . وليس منا من لا يريد التقدم ، ولذا فليس منا من لا
ينمي رغباته . اتعلم شيئا ، ايها الاب ؟ ظلت مرتبكا مشوشا خلال السنين
الخمس المنصرمة ، لانه لم تكن لي الرغبات الكافية . كنت اظنني استطيع
العيش ، مسترشداً بافلاطون وبيتهوفن فقط ، ولكنني وجدتني لا استطيع .
ليس لان الخطأ يرجع الى افلاطون او بيتهوفن . الخطأ يعود لي - لم اكن
متهيئا لهما . الا ترى ، ايها الاب ، لو لم احاول ان اترك المشاكل الجنسية
خلفي لما كنت عرفت بها . والمشكلة هي نفسها مع اوستن . فان كان ساديا ،
فذلك لانه منقسم الى جزئين . انا شخصيا لا اعرف اوستن ساديا وانما
اعرفه هاويا سخيا مولعا بالباليه والموسيقى والفلسفة . واعتقد ان الامر
نفسه معه ومعني . اتدري ، ايها الاب ، قال برنارد شو باننا نحكم على الفنان
في اسمى لحظاته ونحكم على المجرم في اوطأ هذه اللحظات . ولكن ما الذي
يحدث عندما يكون الانسان مريجا من الاثنين ؟ لا يمكنك ان تحكم على النصف
المجرم بالموت وتمنح الحرية الى النصف الفنان ، ايمكنك ؟ وخاصة عندما
تعلم بانه لم يكن مجرما لو لم يكن فنانا .

- اعتقد انه يجب ان يسمح للمجرم بقتل الآخرين ؟

- كلا ، ايها الاب . حاشا ! انا اعتقد فقط بانه ...

واحس بفتور مفاجيء ، وانهي عبارته متعثرا بالكلمات :

- ... معالجته اهم من معاقبته .

- ووافقت على ذلك . مشكلة اوستن هي هل انه قابل للعلاج ...

واطل الى الساعة الموضوعة على رف الموقد . كانت تشير الى الرابعة

الا ربعا . وقال سورم :

- الافضل ان ارحل . ساحاول ان ابحث عن اوستن .

- احترس ، يا جيرارد . انك لا تريد ان تدخل السجن كشريك لاوستن .

- كلا ايها الاب .

فقال الاب مبتسما :

- ولا تذكر اسمي .

- اعدك بذلك .

- قبل ان تذهب . . . هلا سالت الاب واكوسي اذا كان هنالك احد

ينتظرني اسفل ؟

— حسنا ، ايها الاب .

والتقى بالمرأة الاسكوتلاندية وهو يفتح الباب . وقالت :

— ذهب الرجل . أنتظر عشر دقائق ، ثم قال انه ذاهب في نزهة .
فقال القسيس :

— طيب ، انا متعب . هل يمكنني تناول فنجان من الشاي ، يا

مسز داوتي ؟

وخرج سورم الى المطر يلغعه ظلام الفسق المخيم ، ويحس بأنه يكبت
قلقه تجاه احساسه بلا حقيقته . كان يشعر وكأنه فرغ توا من اداء دور في
مسرحية .

وفي اول الامر ، لم يميز الرجل الذي كان يعبر الشارع اليه ، ولكنه
سرعان ما تبين انه غلاسب .

— هلو ، اوليفر ! اين انت ذاهب ؟

ولاحظ على الفور شيئا من الحدة في سلوك غلاسب . وقال غلاسب :
— كنت انتظر ك .

كان صوته يوحى بالتهديد ، مما عجز سورم عن فهمه :

— كيف علمت بأنني كنت هنا ؟

— اخبرتني تلك المرأة . كنت انتظر الاب كارائز لاراه .

— آه ! اذن انت كنت ذلك الشخص ؟ حسنا ، ماذا ستفعل الان ؟

وبدا التردد على وجه غلاسب . ونظر سورم اليه مليا ، وهو مذهول .

وقال غلاسب :

— لم اكن اعلم انك صديق حميم للاب كارائز .

— انا لست صديقه الحميم . ولكنني ذهبت لزيارته مرات عديدة .

كانا يقفان على حافة الرصيف . ووضع سورم يده على ذراع غلاسب

قائلا :

— تعال لنشرب فنجانا من الشاي . لا يمكننا ان نبقي تحت هذا السيل .

ومشى غلاسب الى جواره حتى بلغا شارع فارينغتن دون ان ينبس

بكلمة . وسارا حتى وصلا المقهى التي جلس فيها سورم مع شتاين . كان

غلاسب مرتديا معطفا رثا باليا لم ير سورم مثله في حياته ، وكان منقوعا بماء

المطر . ولم يكن يلبس قبعة . كان شعره الاحمر يلتصق بجمجمته وجبهته

على شكل خصلات ، ولاح لونه بنيا غامقا في المطر .

كانت المقهى دافئة ، تكاد تحلو من الرواد . فجلسا بالقرب من النافذة

وكان الزجاج الذي كساه البخار جدارا يفصلهما عن الظلام الذي بدأ يزحف .
كانت حدة المزاج التي اظهرها غلاسب تكفي في الظروف الاعتيادية لدفع سورم
الى الامتعاض ، ولكن الانفعالات التي اثارها الحديث مع القسيس جعلته لا
يكتوث لها . وراح يشرب الشاي ويفكر في نين ، ويتساءل اين تراه الان ، ثم
اخذ يستعيد في ذاكرته الكلمات والاعمال التي من شأنها ان تدعم شكوكه حوله .
وكان على وشك ان ينهي فنجانه عندما تكلم غلاسب :

— ماذا يمكنك ان تتحدث به معه ؟

— مع ... ؟ اوه ، الاب كارائز ، اوه ... اشياء كثيرة . لا شيء مما

يهمك .

— لا ؟

— لا اظن ذلك .

ولمح دلائل الشك في وجه غلاسب . وقال :

— لماذا ؟ هل كنت تظن اننا كنا نتحدث عنك ؟

— ألم تكونا تتحدثان عني ؟

— كلا . وما الداعي لذلك بالله ؟ في رأسك افكار غريبة !

كانت نبرته اكثر عنفا من كلماته ، كانت تنطوي على المعنى : ما الذي
يجعلك تظن اننا مشغولان بشخصك ؟ فأحمر وجه غلاسب وشرب جرعة
كبيرة من الشاي . وأحس سورم بالندم حالا . وقال :

— كنت اتحدث معه ... بعض الامور المهمة ... لا يمكنني توضيحها .
فقال غلاسب :

— أوستن .

لم يضع الكلمة بصيغة السؤال ، وانما بصيغة اخبارية .

— نعم .

فقال غلاسب فجأة :

— يؤسفني ان ظني كان خاطئا . ولكن ... كان هناك بعض من كان

يبدى اهتماما بي . وكان الاب كارائز عضوا في جمعية اوليفر للاصلاح .

— لا تغتم . هل انت ذاهب لرؤيته الان ؟

— كلا . لن اعود اليه الان .

— الا يتساءل اين انت الان ؟

— لا يهم . لعله يفرح لتخلصه من الاجتماع .

— فماذا ستفعل الان ؟

— اعود الى البيت .
— لم لا تأتي معي الى البيت ، لنأكل ونتحدث .
وكان وهو ينطق بالكلمات يكاد يكون واتقا من ان غلاسب سيرفض .
وادهشه ان يبدي غلاسب التردد ، وفي تلك اللحظة طاف عليه حدس داخلي
بالوحدة التي تكمن في اساس حياته . وقال غلاسب :
— سبق وان تناولت وجبة معك .
فقال سورم :
— ليس لدي طعام فخم . ولكن عندي ما يكفي لاثنين ، على كل حال .
يمكنك مشاركتي .
— حسنا ، شكرا .
وشعر بالضيق الشديد من فكرة الركوب في قطار النفق ثم تبديله في
محطة توتنهايم كورت رود ، فاوقف سيارة تاكسي بالقرب من هولبورن .
فقال غلاسب :
— انك تلتقط عادات اوستن !
فقال سورم :
— لا يهمك . لا اريد التعثر في هذا المطر .
وكظم احساسه بأنه تسرع بعمله عندما تذكر ان اوستن هو الذي دفع
ثمن غدائه ، ووفر عليه ثمن التاكسي .

* * *

وترك غلاسب يعد الشاي ، ونزل هو الى الطابق الارضي ليتصل بنن
تلفونيا . ولم يتلق اي جواب من شقته ، وسألته فتاة البدالة هل يريد ان يترك
له رسالة ، فأعرب سورم عن عدم رغبته بذلك وعاد الى غرفته . واورثته
فكرة احتمال فرض المراقبة على التلفون احساسا بالخطر ، وادرك ان النداء
قد يكتشف مصدره بسهولة ويؤدي الى الاهتداء الى عنوانه . واحس وهو
يتذكر تردده ، عندما كان ينتظر الجواب ، وحيرته هل يخبر نين بأن لديه
شيئا مستعجلا يريد ان يفضي به اليه ، بشيء اخذ يعصر حنجرتة باحاساس
بأنه يفلت من موقف دقيق .

ولم يجد غلاسب عند عودته الى الغرفة . وانزل الستائر وهو ينظر
الى اضواء شارع كينتش تاون ، متسائلا ترى هل يظن البوليس ان من الصواب
مراقبته هو ايضا ، وجلس على الكرسي الكبير ، وانطلق في تخيلاته فراح
يتصور نفسه مقبوضا عليه مع نين بتهمة الاشتراك معه في الجريمة . وتخيل
كيف ان المدعي العام سيصف نزواته مع نين الى سبيتالفيلدز ، وقيامه

بالعمل على اصطیاد النساء ودفعهن الى الازقة المظلمة . ثم تذكر فجأة انه اخبر شتاین بأن صداقته لنس تعود الى فترة قصيرة جدا ، وسره هذا الشعور بالارتیاح الذي باغته . وافزعه دخول غلاسب الى الغرفة ، حيث كان قد نسيه تماما . وقال غلاسب :
- اسمع ، ما رأيك في ان نترك امر الشاي ؟ تعال لتتناول شيئا من الشراب معنا .

ونظر سورم الى ساعته :
- طيب . . . معقول . فكرة جيدة .
واحس بأن غلاسب كان يشعر بشيء من الاضطراب لقبوله ضيافة سورم للمرة الثانية خلال ثلاثة ايام ، ولم يرتح لهذا الشعور . ما كان يرغب ان يجعل غلاسب يشعر بأي التزام تجاهه . وعليه فقبوله دعوة غلاسب للشراب لاحت له فرصة لتبيد هذا الاحراج . ولمس معطف غلاسب الذي كان معلقا على ظهر الباب والماء يقطر منه على الارض .
- الافضل ان تستعير معطف المطر مني . لنضع هذا المعطف في المطبخ ليجف .

- لا يهم ، سبق لي ان لبسته وهو اكثر بللا منه الان .
- اجل ، ولكن . . . الافضل ان يجف . فكر في الامر ، لدي معطف من البلاستيك هنا في مكان ما .

واخذ يعبك بيده في صندوق من الورق المقوى في اسفل دولاب الملابس فعثر عليه مربوطا في رزمة محكمة الشد . كان غلاسب يجلس منحنيا على النار وقد باعد بين ساقيه ، وكان البخار يتصاعد من سرواله . وكان قد مشط شعره الذي انسرح الى الوراء بعقصة لماعة بطلائها بدهان الشعر . وقال :

- هذه احدى حسنات كون الانسان كاتباً - اذ من السهل تدفئة غرفة صغيرة كهذه . بينما الطريقة الوحيدة لايجاد الدفء في الخان الذي اعيش فيه هي ان الازم الفراش .

وبدا غلاسب كئيب المظهر الى حد غريب في معطف المطر من البلاستيك هذا ، فقد ابرز اتحناء كتفيه .

ودهش سورم ، وهو ينظر اليه ، كيف لاح له قبلا ذا مظهر مخيف . كان يبدو الان لا حول له ولا قوة . كان في قبحة اللزج شيء غير مألوف ، وكان من المتعذر الشعور بأن في امكانك ان تحمي هذا الانسان .

* * *

كانا اول الواصلين الى الحانة . وكانت النار ، من وراء المشبك

الحديدي ، قد بدأت تضطرم شيئاً فشيئاً . وجلس غلاسب بجوار النار ، وهو يحتسي زجاجة من البيرة . وعندما اقترح عليه سورم ان يلعبا لعبة النبال ، وافق دون تردد ، وفاز بنقطتين في ضربته الاولى . وكان سورم يميل الى اعتبار هذه الضربة فوزاً عن طريق الصدفة ولكنه سرعان ما اضطر الى اعادة النظر في رايه هذا . كان غلاسب يلقي بالنبله بحركة غير رشيقة بطيئة وهو يلوي يده كالثعبان ، ولكنه كان يصيب الهدف بدقة مدهشة . وعندما عادا الى مجلسهما كان غلاسب قد فاز ضد سورم ثلاث مرات . وقال سورم:

— اين تعلمت اللعب بهذا الشكل ؟

— في سن الراهقة . ولم امارسها منذ سنين .

وافرغ قدحه ووضعه على الرف بعنف . فقال سورم:

— قدح اخر ؟

فلاحت الدهشة على غلاسب ، وقال : — اوه ، شكراً .

لقد تغير مزاجه تغيراً تاماً خلال عشرين دقيقة ، وبدأ عليه الانبساط والمرح . وراح سورم يرقبه يفرغ القدر الثاني ، وهو يفكر في نفسه باستمتاع : متى سأتعلم ؟ الناس اشياء حقيقية . ذهني يميل الى خلق النماذج أكثر مما ينبغي .

وقال غلاسب :

— اعتقد انه ينبغي ان اتصل تلفونيا بالاب .

— انه سيفهم على كل حال . كان شديد التعب .

واوماً غلاسب برأسه .

— انه انسان طيب . يجب ان التقى به أكثر .

فقال سورم :

— قلت سابقاً انه كان عضواً في جمعية اوليفر للاصلاح ؟ ماذا كنت

تعني بذلك بالضبط ؟

فقال غلاسب مبتسماً :

— تعني ، ماذا ارادوا اصلاحه في ؟

— نعم .

— ليس الامر جدياً . كانوا يظنون اني « شاغال » الجديد .

— الم تكن كذلك ؟

— لا اقصد هذا . أنا فقط . . . لا احب ان تكون للناس اراء سابقة

عني . . . اراء ينبغي ان اميش بموجبها . اريد ان اترك لشاني .

— ممممم . ماذا كنت تريد ان تفعل لو كانوا تركوك وشأنك ؟

— لا يهم ما افعله .

فقال سورم بلهجة تأملية :

— افهم ما تعنيه . الامر صعب ، اليس كذلك ؟ تشعر كأنك لا تريد اكثر من ان تترك وشأنك . ثم يخونك ضعفك . فتجد نفسك تائها في طريق جديدة — تجد نفسك تحس بالضجر والوحدة . اتعلم ، اني احس بالخجل لانني احس بانني افضل حالا بسبب لقائي بأوستن . فليس هذا التفوق الذي احس به تفوقا حقيقيا عليه . انه وهم ، انه صدفه محضة .
وسأل غلاسب :

— هل من محض الصدفة انك لست ساديا ؟

— ١ . . . اظن ذلك .

— كلا . وعندما تقرأ كتابك هذا عن مجرم « اران » ، هل تشعر انه من محض الصدفة انك لست قاتلا ؟

وفكر سورم في الامر ، ثم قال :

— كلا . لاني لا اقتل رجلا في سبيل بعض الدراهم كما فعل لوري .

— ولكنك قد تقتل لاسباب اخرى ؟

— كلا . بالطبع لا . ليس هذا ما عنيته . لست املك اية غرائز تدفعني الى العطف على اي قاتل . ولا اعتقد ان الكثير من الناس لديهم هذه الغرائز . غير ان لكل انسان دافعا جنسيا . فما هو السبب ، كما تعتقد ، في العدد الهائل الذي يباع من صحف ايام الاحاد من النوع الذي يتخصص في الجرائم الجنسية .

فقال غلاسب :

— ليس الجرائم الجنسية فقط . اي نوع من الجرائم . لانك اذا استخدمت هذه النقطة في جدك فليكن ان تقر بأن قراء صحف ايام الاحاد كلهم يكتبون رغباتهم ليصبحوا قطاع طرق ولصوصا وهم مصابون بجنون السرقة .

— طيب ، ماذا تستنتج انت ؟

— ولم يجب غلاسب على الفور . كانت الحانة قد بدأت تزخر بالرواد . واقبل رجل ومال فوق كتفه ليتناول حزمة من ورق اللعب من الرف . وعندما ابتعد الرجل ، مال غلاسب الى الامام وقال بلهجة جادة :

— دعني اقل لك . من الغباء ان تقلل من شأن نفسك . انت لست من امثال أوستن او جيرترود كوينسي او اي واحد من الناس الاخرين الذين تمنزج بهم . انهم يضيعون عليك وقتك .

- فعبس سورم وهز كتفيه .
 — احسب ذلك . ولكن لهم قيمتهم مع ذلك .
 — ليس بالنسبة لك . انهم بالنسبة لك طفيليون لا اكثر .
 — لم يكونون طفيليين ؟ المسألة بالعكس . فهم يقدمون لي وجبات
 الطعام ، وانا لا افعل شيئا .
 — ما عدا انك تقدم لهم دمك .
 — ربما .
 فقال غلاسب مؤكدا :
 — انك تقدم دمك فعلا . لم لا تدرك ذلك ؟ انهم لا ينتمون الى فصيلتك .
 فقال سورم ميتسما :
 — او فصيلتك ؟
 واحس كان غلاسب شعر بالاهاة . كانت نظره صلبة متسائلة . ثم قال :
 — على كل ، انت الذي تجيب على ذلك .
 وكم سورم الفرخ الذي شعر به بالمديح الذي تنطوي عليه تلك
 العبارة . وقال :
 — نوع من اخلاق السيد والعبد على طريقة نيتشه ، هه ؟
 — لم لا ، ان كانت تنسجم والحقائق ؟ ما معنى ان تتصور نفسك واحدا
 من الفوغاء ان كنت لا تنتمي اليهم ؟ انك ذئب يحاول ان يظهر بمظهر الحمل ،
 هذا هو كل ما في الامر .
 وافرغ قذحه . وعندما حاول سورم ان يأخذه منه قال غلاسب :
 — كلا ، جاء دوري الان .
 وذهب صوب البار . وظل سورم يحدق فيه . ووقع نظره على معطف
 البلاستيك الذي كان ملقى على الكرسي فتذكر غلاسب وهو يرتديه في غرفته ،
 مائل الكتفين ، شاحب الوجه ، غريب المظهر ، انسانا لا حياة فيه ولا هدف .
 واحس بالحرارة تسري في عروقه التي كانت تفرز انفعال التوقع في نفسه ،
 وراح يفكر : ترى كم هو عدد امثاله في لندن ؟ لعل هناك عددا يكفي لخلق
 عصر كامل . ليس كمتبردي شيكاغو ، وانما لخلق جيل له غاية . من الافضل
 ان اعرف اوليفر . انه محق في قوله عن اوستن . لقد سامت هذا الضعف
 الذي اعترف به دائما .
 وعاد غلاسب حاملا قذحين . وقال سورم :
 — ما رايتك في البحث عن شيء نأكله ؟
 — طيب . وما رايتك في زيارة لجيرترود ؟

- جيسر ترود ؟
- لم لا ؟
- وحملق سورم في وجهه مندهشا .
- هل انت جاد ؟
- لم لا ؟ انها مسيرة عشر دقائق من هنا . ولا داعي للمكوث طويلا عندها . اريد السلام عليها فقط . لم ارها منذ مدة طويلة .
- حسنا . اعرف حانة في هامبستيد حيث يمكننا ان نجد شيئا نأكله .
- وافرغ غلاسب نصف قدحه بجرعة واحدة . وقال سورم :
- هل تخاصمتما انت وجيسر ترود ؟
- كلا . لا اظن .
- وحدق غلاسب في قدحه ، وهو يمسكه بين راحتيه . كان يبدو كعراف يتفرس في كرة بلورية . ثم مضى قائلا :
- ابدت يوما رايًا صريحا في قضية شهود يهوه . وانا اسف الان . انها على ما يرام . انها لطيفة .
- لا استطيع ان افهم لم لم تتزوج حتى الان . اذ لا يعوزها الجمال .
- .للفت مرة واحدة . الا تعرف ؟
- سمعت شيئا عن القضية . ذكرت كارولين شيئا .
- كارولين ؟ اوه ، تلك الشقراء .
- فسأل سورم :
- الا تميل الى الشقراوات ؟
- فأجاب غلاسب باقتضاب :
- ليس كثيرا .
- الا تميل الى الجنس من اي نوع كان .
- الامر يعتمد .
- وافرغ قدحه ونهض .
- انا ذاهب خارجا . هل انت على استعداد للخروج ؟

* * *

كان سورم قد قرر الاتصال بها تلفونيا من محطة تشوك ، ولكن كان الباص قد وصل الى الموقف حال وصولهما هناك ، وكانا قد طفرا الى الباص ، وهما يلهثان من الركض ، قبل ان يتذكر قراره هذا حول المخاطرة ، وذكرته محطة نفق هامبستيد بنسن . فقال :

- اتعلم ، اوليفر ، اني قلق بشأن اوستن .

- لماذا ؟
 - انه يزج نفسه في متاعب .
 - لقد بلغ نهايته .
 - نعم ، ولكن ... الشرطة تشتبه فيه حول امور اسوأ من ضرب
 اصدقائه من الذكور .
 كيف عرفت ؟
 - اوه ... حدث ان اكتشفت ذلك .
 واستدارا نحو شارع « فلاسك ووك » . والتفت اليه غلاسب وهما
 يمران تحت احد مصابيح الشارع .
 - من الاب كارائرز ؟
 - نعم .
 - كيف عرف ذلك ؟
 - عاهدته الا ادع الخبر ينتشر .
 - اذن ، فلا داعي ان تبوح به .
 فقال سورم :
 - اعتقد انه ليس هناك ضير في اخبارك بالامر . ولا يهم الان . لـ لـ لـ
 كارائرز صديق الماني يدعى فرانز شتاين - طبيب لدى الشرطة . واخبر الاب
 كارائرز عن رسالة استلمها من شرطة هامبورغ . كان اوستن من المشبوهين
 في قتل صبي من الدين يعملون للاغراض الجنسية .
 فقال غلاسب :
 - بالفعل .
 - ماذا ؟ كيف عرفت ؟ هل انت واثق ؟
 - تقريبا .
 - متى عرفت ؟
 - لم اكن اعلم الى ان اخبرتني انت الان . ولكنني اعلم ان الخبر صحيح .
 - كيف ؟
 كان يحاول ان ينظر مليا في وجه غلاسب ، لا يدري الى اي حد
 يحمل كلماته على محمل الجد . واحس بشعور سابق بالخيبة ، وبالشك
 في ان غلاسب قد يتضح انسانا محتالا . ولكن لهجة غلاسب كانت عادية
 مما حير سورم . وقال غلاسب :
 - عندما عرفت نـ نـ لأول مرة ، كنت احلم دائما بانه قاتل ، كان هناك
 حلم واحد واضح بصورة خاصة ... كنت امشي خلف رجلين على ساحل

النهر . وفجأة ضرب احدهم الآخر بسلاح ما ودفعه الى النهر . كان الوقت ليلا فلم استطع ان اتبين وجهيهما ، ولكنني كنت اعلم ان احدهما كان اوستن ، والرجل الذي قتله نن كان احد المتشردين . واستيقظت فجأة ... وبعد ساعات قليلة جاء اوستن ليزورني . وحالما رايته ، عرفت ان الامر لا يعدو ان يكون هراء . لم يكن يبدو كالرجل الذي رايته في الحلم ..
— هل احلامك دقيقة ؟

— كلا . انها في الغالب مخطئة . ان لي عقلا مريضا . انه يلتقط الانطباعات العفوية ويعمل على تضخيمها . والعملية نفسها تعمل عملها في الصور التي ارسمها . عندما كنت صغيرا حلمت مرة بان احد طلاب صفنا قتل في حادثة قطار . وبقيت سنين كثيرة وانا مقتنع بانه سيموت في حادثة قطار . ولكنه الان رجل متزوج ..

— ولكنك لم تزل تعتقد بان اوستن هو الذي قتل هذا الرجل ؟
— اعتقد ... انك ... عندما قلت ذلك ، تذكرت الحلم الذي رايته . وفجأة ، شعرت باليقين . لذا ترى ، احلامي دقيقة فعلا في بعض الاحيان . وكيف تفسر ذلك ؟

— لم احاول التفسير . يحدث هذا احيانا .
كانا قد وصلا بوابات الطريق المؤدي الى دار المس كوينسي . ولمح سورم نورا في غرفة الجلوس . وقال :
— عظيم . انها في البيت ، على كل حال . سنتحدث في هذا الموضوع عندما نخرج .

فقال غلاسب بلا مبالاة : طيب .
— يجب الاتصال بنن ، ايضا . من الافضل ان نحدده .
ونظر اليه غلاسب فيما هو يفتح البوابة . فسأل بطريقة عرضية :
— هل يجب ان يعلم ؟

الفصل الرابع

ورأى خلال الباب الزجاجي ان باب المطبخ كان مفتوحا . وسمع صوتها وهي تتحدث الى احدهم .
- يلوح كأن عندها ضيفا .
فقال غلاسب :
- لعننا الله . كان يجب ان نتصل تلفونيا .
- هل نعود ؟
- وخرجت المس كوينسي من المطبخ وهتفت :
- هل هناك احد ؟
فقرع سورم الجرس . وقالت :
- جيرارد ! او . هلو ، اوليفر !
وتسمرت في مكانها وهي تنقل نظرها بدهشة من احدهما الى الآخر وهي تمسك بالباب . وشعر سورم بالحرجة .
- خطر لنا... ان نأتي للسؤال عنك . كنا في هذه الجهة من المدينة .
- لدى الاخ روبنز لتناول العشاء معي . تفضلا بالدخول :
- ا... كلا . لم اكن ادرك اننا سنضايقك . لن ندخل .. فلا اريد مقاطعتكما ..
وبدا عليها كأنها استعادت سيطرتها على نفسها :
- لا يهم ابدا . تفضلا لبضع دقائق ، على كل حال . اني اهيء الشاي .
وفكر سورم مليا للعثور على سبب للخروج . ودون ان ينظر الى غلاسب ، علم انه قد انتابه الشعور نفسه . ولكنه لم يعثر على سبب ، فقال بتعثر :

- حسنا ، شكرا . ولكننا لن نمكث طويلا . نحن على موعد مع شخص بعد نصف ساعة .

وتبعه غلاشب الى الصالة . لم يكن قد تكلم بعد . وقالت المس كوينسي :
- يسرني ان اراك ثانية ، يا اوليفر . لقد مضى وقت طويل . اخلع معطفك . اوليفر ، اعتقد انك تعرف الاخ روبنز .

ونهض الاخ روبنز من كرسيه المريح ، وتقدم وعلى وجهه ابتسامة تفيض باللفظ . وعندما قدمتهما المس كوينسي اليه ، صافح يديهما بقبضته الشديدة التي كان العرق ينضح منها . والقى سورم نفسه يفكر :
يا الله ، ديل كارنيجي يقف لرئيس الجمهورية ، كان صوته الخشن ذو اللهجة العامية قد غمره بسيل طافح من الدفاء ورائحة البصل .
وقالت المس كوينسي :

- كنت حدثتك عن جيرارد .

وقال الاخ روبنز :

- يسرني جدا ان اتعرف بك .

كان اول انطباع تركه في نفس سورم هو انه بقال موفق في عمله او مراهن على الخيول مريب . كان اقصر من سورم بقدم واحد ، له وجه ممتلئ وبطن تشبه البرميل . وكانت ملابسه تبدو مجمعة قليلا وقد لوثتها بعض البقع الدهنية ، غير ان ياقة قميصه كانت منشأة ، نقيّة لا شائبة فيها ، وقد تدلت منها ربطة عنق من النوع الذي يلبسه طلاب المدارس ، وكانت تبدو حديثة الغسل والكي . وتولد في نفس سورم في الحال كره صارخ لهذا الرجل .

وقال الاخ روبنز :

- انت الشاب الذي يفكر في الانضمام الينا ؟

ونظر سورم بدهشة الى المس كوينسي . فبادرت الى القول :

- لا اعتقد انه قد قرر ذلك بعد .

- آه ، كلا . بالضبط .

وجلس الاخ روبنز ثانية . وظل غلاشب واقفا ، يبدو عليه الوجوم وعدم الانسجام . فنظر الاخ روبنز اليه فجأة وقال :

- سمعت انك تريد الانضمام ايضا ، ايها المستر غلاشب .

- غلاشب .

- اه ... العذرة . انك رسام ، اليس كذلك ؟

- نعم .

وقالت المس كوينسي :
 - شاي لكليكما ؟
 فقال سورم :
 - آ ... كلا ، شكرا . ليس لي .
 وقال غلاسب :
 - وليس لي .
 وتبعها سورم الى المطبخ . وقال :
 - اعتقد ينبغي ان نذهب ...
 - طيب . ولكن ابقيا قليلا . اتريدان ان تشعرا الاخ روبنز المسكين
 وكأن به جداما ؟
 - حسنا .
 - الا تشربان الشاي ؟
 - كنا نحتسي البيرة .
 - اوه ... اخشى ان ليس باستطاعتي تقديم البيرة لكما ... ما
 دام الاخ روبنز موجودا هنا .
 - انه لا يقر ذلك .
 فترددت المس كوينسي ، وقالت :
 - لعله لا يهتم . لست ادري . اتريد بيرة ؟
 كان سورم يميل الى الرفض ، فقد نظقت بالسؤال بطريقة لا يمكنه
 بها غير الرفض . فاغاضه ذلك ، وتلقاه وكأنه تحد له . فقال :
 - افضل من الشاي بالنسبة لي .
 - اذن اسال اوليفر ان كان يريد شيئا من البيرة .
 وعندما دخل سورم الفى غلاسب يحدق عابسا في البساط .
 وقال سورم :
 - تقول جيرترود هناك بعض البيرة ان اردت .
 فهز غلاسب رأسه ، وقال سورم :
 - كلا ؟ انا ساتناول بيرة .
 ونظر الى الاخ روبنز وساله بأدب :
 - آمل الا اعتراض لديك .
 وبدا على الاخ روبنز كأنه تلقى السؤال بصورة طبيعية ، كأنه سيده
 عجوز في قطار وسألها احدهم ان كانت لا تعترض على تدخين السيجار
 امامها . فقال بلهجة ودودة :

- اوه ، كلا ابدا . كلا مطلقا .
 — وانت يا اوليفر ؟
 فقال غلاسب ، على مضض :
 — لا بأس .
 وعاد سورم بعد لحظات حاملا قدحين من البيرة الخفيفة ، باردة
 كالثلج ، من الثلاجة . كان يحس بالعطش بعد صعودهما التل . وشرب اكثر
 ما يمكنه ان يشرب جرعة واحدة قبل ان يحس بحنجرته تتجمد . وسأل
 الاخ روبنز :
 — هل تشربان كثيرا عادة ، كلاكما ؟
 واحس سورم بان غلاسب كان على وشك ان يرده بكلام خشن ،
 فقال على عجل :
 — كلا . ليس كثيرا . ولا نلتقي كثيرا . هل تشرب انت ؟
 — كلا ، ولكن ليس لاني لا اقر الشرب ، وانما لاني لا احب طعمه .
 وكان في اسلوب هذا الرجل شيء اغاظ سورم . كان الاخ روبنز
 يبالغ في ادبه ولطفه كأنه يزور سجيناً في سجنه . كان يحاول ان يفهم
 سورم بان شرب البيرة هو من الرذائل القادرة بصورة خاصة وان له مدارك
 اوسع من ان يقوم بشحبها صراحة . وشرب سورم بقية القدر ليتحداه ،
 ثم ذهب الى المطبخ ليحضر زجاجة اخرى . وقالت المس كوينسي ، وقد
 ارتسم الرعب في محياها :
 — هل شربت قدحك بهذه السرعة ؟
 — كنت عطشان . هل لي بآخر ؟
 وفتح الثلاجة ، ولما التفت خلفه رأى نظراتها القلقة المعاتبية . كان
 يبدو عليها أنها ترتاب في انه كان ينبغي ان يشير خصاما ثملا . وقال
 بلهجة حادة :
 — سنرحل بعد لحظات .
 — اوه ، كلا ! انا لا اعني هذا ! مجرد لا اريد . . . ابقيا ما شئتما .
 — شكرا .
 وعاد الى الغرفة حاملا الزجاجة .
 كان غلاسب يجيب على سؤال وجهه الاخ روبنز بههمة غير مفهومة
 وبدا الارتياح على الاخ روبنز عندما رأى سورم ثانية . وقال :
 — دعني احزر — انك من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ؟
 — كلا .

- كنيسة انكلترا ؟
- كلا . انا وجودي .
- نعم ؟ ولكن ... آ ... اعني من حيث الدين .
- اعلم . هذا ما اعنيه انا ايضا .
- اوه . لا اعتقد اني التقيت بهذه الطائفة قط . هل هي جديدة ؟
- كلا في الواقع .
- من هو مؤسسها ؟
- رجل دانماركي يدعى كيركفارد .
- وهل يؤمن المنتمون الى هذه الطائفة بقوة يسوع المسيح على تخليص البشر ؟
- كيركفارد نفسه كان يؤمن بذلك بالتأكيد .
- اه ، وهل كان يؤمن بمذهب لوثر في التبرير عن طريق الايمان ؟
- اوه ، كلا ! كان دائما يتهجم على الكنيسة القائمة . كان يعتقد بان على الناس ان يعيشوا مثل المسيح بدلا من اعتمادهم على الكنيسة . .
- رائع ! لقد كان اذن يسير في السبيل الصحيحة ! مشكلة اكثر الناس في الوقت الحاضر هي انهم لا يدركون اهمية اطاعة قوانين الله . انهم يظنون ان مجرد قبولهم اياها يكفي . يلوح عليهم انهم يدركون بان الكتاب المقدس قد اعطانا قوانين للسلوك صارمة تشمل جميع نواحي حياتنا . وهز سورم رأسه برزاة . كان صمته مشجعا للاخ روبنز . فمال الى الامام ، واطلق ابتسامته التي تشبه ابتسامة ديل كارنيجي .
- ينبغي ان تحضر اجتماعاتنا . انا واثق انها ستروق لك .
- فأجاب سورم وهو لا يعني ما يقول :
- انا واثق من انها ستعجبني .
- وفجأة تكلم غلاسب ، كان معتدلا بجلسته يحملق بوقاحة في وجه الاخ روبنز :
- هل صحيح انكم تتوقعون نهاية العالم في اية لحظة ؟
- والتفت الاخ روبنز الى غلاسب وابتسم ابتسامة جدابة ، كما لو كان غلاسب يوجه له مديحا :
- نعم . ولكن ، بالطبع ، ليس في اية لحظة . ان سفر الرؤيا يشير الى ان ذلك يقع خلال الثلاثين سنة القادمة .
- وان الدمار سيعم كل من في العالم ما عدا شهود يهوه ؟
- هذا ما يقوله لنا الكتاب المقدس .

واطلق غلاسب زمجرة مفعمة بالازدراء واسترخى في كرسيه .
وبالرغم من كره سورم للاخ روبنز لكنه اتخذ موقفا مدافعا عنه وقال بسرعة:
- هل يشير الكتاب المقدس الى هذا كله ؟

- بالتأكيد . ان الدليل واضح تماما . يقول الكتاب المقدس ان
الشيطان نزل الى الارض في عام ١٩١٤ ، وانه امتلك العالم منذ ذلك
التاريخ . وهل يساورك الشك وانت تنظر حواليك في ارجاء العالم ؟ خطر
الحرب في كل مكان ، وان الجريمة والشر قد بلغا مستوى عاليا جدا .
لاحظ جرائم القطاع الشرقي من لندن ، وانظر الى ما يفعله الروس في
هنغاريا . انظر الى التجارب التي تجري على القنبلة الهيدروجينية . لقد
اصاب العالم جنون ، لانه ملك الشيطان الان . وهذا سبب اضطهاد رعية
المسيح . ان الوضع الان هو تماما كما تنبأ به الكتاب المقدس . ويشرح
سفر الرؤيا للقديس يوحنا الامر بوضوح تام . انه يتنبأ بان الناس سيسعون
لاصلاح الامور ، ولكن بعد ان يفوت الاوان : « ففتح بشر الهاوية وصعد
دخان من البشر كدخان اتون عظيم فاظلمت الشمس والجو من دخان البشر » .

كان يميل الى الامام ليقرأ النص بلهجة خطابية . وعندما رفع صوته
ليترنم في المقاطع بدا كأنه ينفخ في بوق منبه الضباب . وذكر سورم بعم
له كان يقرأ نشيد « وقف الولد على السطح الملتهب » في حفلات عيد
الميلاد . وقبل ان يبدي تعليقه على العبارات ، اندفع الاخ روبنز قائلاً :

- لا شيء يمكنه ان يوقف سلطان الشر في العالم لان العالم ملك
للشر القديم الان . قد ينجحون في اقرار قانون يمنع الاعدام ، وقد
ينجحون في اقناع روسيا على وضع حد للحرب الباردة ، ولكن لا شيء
يوقف العالم عن السير قدما نحو الحساب الاخير .

وتوقف عن الكلام برهة ، ومر يده على جبينه ، ثم مسح اصابعه
المبتلة بمسند الكرسي . وقال سورم :

- تبدو عليك الكتابة .

ولمح من طرف عينه ان غلاسب كان يتسهم . وجعل وجهه صامدا
واجما حتى لا يشعر الاخ روبنز بانه موضع سخريه .

كثيب ! كلا ، انا لست كثيبا . نحن لسنا متشائمين . اننا نمضي في
سبيلنا مستبشرين ، لاننا واثقون من الحياة الازلية . وعندما تنتهي معركة
هرمجدون سنعيش على جنة من الارض الى الابد .

- هذه الارض ؟

- بالتأكيد . هذه الارض . ولكن بعد ان تتحول الى فردوس .

- ولكن بعد ان تريحوا المعركة اولا ؟
 — بالطبع .
 — ولنفرض ان طرفكم لا يربح المعركة ؟
 — هذا محال ، ان الله على كل شيء قدير . يجب ان نربح المعركة .
 فقال سورم :
 — في هذه الحالة اذن ، ليس ثمة فخر في ربح المعركة ، اليس كذلك ؟
 فتكون مجرد زحف .
 فقال الاخ روبنز بوجوم :
 — انك لا تفهم .
 ولح سورم الشك يرف في عينيه برهة وجيزة . وقال على عجل :
 — لا تظن اني اريد مشاكستك بالاسئلة . اني اريد ان اعرف .
 — فعليك ان تقرأ الكتاب المقدس اذن . انا واثق من ان الاخت
 كوينسي ستعيرك بعض كتبنا وكرايسنا .
 وباغت غلاسب بالقول :
 — ينبغي ان نرحل .
 والتفت اليه الاخ روبنز وحده بنظرة عابسة . وقال :
 — يجب ان تكون مثل صديقك وان تعير اهتماما جديا للمسائل
 الجدية . لن يسخر من الله احد !
 ومرت لحظة ، ظن سورم فيها ان غلاسب عزم على تجاهل ذلك
 التعليق . ولكنه عبس وحذب كتفيه وجعل جبينه ينكمش في ثنيات .
 وقال باقتضاب :
 — يجب ان اكون بليدا لاصدق هذا السخف .
 ودخلت المس كوينسي في تلك اللحظة . وبدت كأن هواجسها على
 اشدها قد تحققت ، وكأنها كانت تتوقع في تلك اللحظة ان ينهض غلاسب
 ويتبول على البساط . وقالت :
 — اوليفر ! ساطلب منك ان تغادر اذا ضرت سمجا !
 وقال الاخ روبنز بصوت متزن :
 لا ، لا ، يا عزيزتي . لا داعي لفعل ذلك . اذا كان لا يريد ان يؤمن
 فلا يمكنك ارقامه على الايمان بطرده خارجا .
 — اذن فعليه ان يعتذر . كان كلامه غير مؤدب .
 فقال غلاسب باستياء وسخرية :
 — اوه ، كلا . ليس من الادب ان اقول ما اعتقد به انا . اما هو فلا

بأس أن يصم اسماعنا بآرائه . اللعنة علي ان لم اصدقك ، ولكن غير مسموح لي بالجهر برأيي . ولانه لا يملك احساسا بالواقع ، فانا فظ لاني اناقضه . كان وقع هذه الكلمات في نفس المس كوينسي حسنا الى حد لم يتوقعه احد . وقالت :

— انك انت الذي تفتقر الى الاحساس بالواقع ، يا اوليفر . كل حقيقة كبرى تبدو ضربا من الوهم . انك تظن ان الحقيقة يجب ان تكون شيئا مألوفا عاديا . ولكنك على خطأ .
انك انت المقيد باحساسك الواقعي ...

— لا اتفق معك تماما ، يا جيرترود . لا اعتقد ان اوليفر يرفض معتقداتك لانه يفضل الحقيقة اليومية المألوفة . في الواقع ، اعتقد ان لكل فنان الاحلام نفسها — ارض قد تحولت الى فردوس ، والناس تحولوا الى ارواح خالدة . ومن الناحية الثانية ، فان افترضنا ان الامر سيحدث في مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم لهو من احلام اليقظة . اننا كلانا نعتقد بأنه ان كنتم تريدون تحويل العالم الى فردوس فعليكم ان تفعلوا ذلك بانفسكم .

ونهض الاخ روبنز بينما كان سورم يتكلم ، ومد يديه كانه يدعو سورم وغلاسب الى ان يضم احدهما الآخر .
— ولكنك ، ايها الرجل العزيز ، واحد منا . انك تريد نفس الاشياء .
ان المسألة مسألة سبل تحقيق ذلك ، ويمكننا ان ندلك على الطريق .
وقال سورم :

— اتفق معك على ان المسألة هي مسألة سبل التحقيق . وينبغي ان نناقش هذا الموضوع في وقت اخر .
كان الجميع وقوفا ، ينظر احدهم الى الآخر . وكانت المس كوينسي بادية القلق على غلاسب . وفيما كان سورم بهم بالقول : اعتقد ينبغي ان .. وقاطعه الاخ روبنز قائلا بحماسة :

— ولماذا لا نناقش الموضوع الان ؟ يسرني دائما ان نبحث هذه الامور . هل هناك اهم من هذا الموضوع ؟
فقال سورم وهو ينظر الى ساعته :

— علينا ان نذهب للقاء شخص ما، ولكن في اي وقت اخر سيسرني ان ..
وليسد ثغرة في الحديث نظر الى غلاسب قائلا : امستعد ، يا اوليفر ؟
وتتم غلاسب ببعض الكلمات ، وادار ظهره لهم . وقال سورم :
— ا .. يسرني ان اتعرف بك . وداعا . وداعا يا جيرترود .

وهرع للحاق بغلاسب ، ولحق به قرب الباب الامامي . وتبعته المس كوينسي ، ولمست كتفه وقالت على عجل :

— تعال غدا ، يا جيرارد .

— طيب . اريد ان اتحدث اليك .

وهتف صوت غلاسب من الظلام في الخارج فجأة :

— طابت ليلتك ، يا جيرترود .

فبدت الدهشة عليها ، وصاحت بهدوء :

— طابت ليلتك ، يا أوليفر .

ثم اردفت قائلة بسرعة لسورم :

— اطلب منه ان ياتي ثانية — عندما اكون لوحدي .

— حسنا . طابت ليلتك .

كانت تحرص على ان تجعل صوتها منخفضا ووجهها قريبا من وجهه .

وعندما رأى سورم ان الاخ روبنز وغلاسب كانا غائبين عنهما ، انحنى عليها

على عجل وقبلها . فتراجعت خطوة الى الوراء ونظرت بسرعة خلفها صوب

الصالة ، ثم قالت ببرود : طابت ليلتك

واغلقت الباب خلفه . وخرج الى الظلام وهو يفكر : لكل النساء

موهبة على حبك الدسائس .

كان غلاسب يقف الى جوار البوابة الخارجية . وقال لسورم :

— كيف تشعر ؟

— لا بأس .

— اخبرني جيرترود ان اطلب اليك العودة لرؤيتها يوما — عندما لا

يكون ذلك الرجل هناك .

فزمجر غلاسب . وقال لسورم :

— الا تميل اليها هي ايضا ؟

— اوه ، لا بأس بها .

— اعجب .

— فقال غلاسب والاشمئزاز باد عليه : حتى نهاية الطريق .

كانا في تلك الاثناء يمران بكشك للتلفون عند نهاية شارع ويل ووك .

وقال سورم :

— الا يضيرك ان احاول الاتصال بأوستن مرة اخرى ؟

— كلا .

واجاب الصوت من طرف التلفون بان لن يعد الى البيت بعد وسال

- ان كانت هناك رسالة يبلغها له .
فقال سورم :
- كلا ، ليس الامر مهما . اردت فقط ان اطلب منه مشاركتنا
في حفلة .
- هذا المساء ؟
- نعم .
- ان اردت ان تترك عنوانك كي ابلفه له عندما يعود .
وتردد سورم قليلا ثم اعطى عنوانه ، وهو يفكر بان وجود غلاسب
قد يبرر له الكلام عن حفلة ، اذا ما طلب اليه تبرير النداء التلفوني .
وقال غلاسب :
- ان لم يعد بعد ؟
- كلا .
- وماذا ستفعل ؟
- لا ادري . يجب ان احذره بطريقة من الطرق ؟
- ليس الامر ذا خطورة تذكر .
- لماذا ؟
- ليس من اليسير اتهامه بجريمة اقترفت منذ زمن بعيد في
هامبورغ .
وادرك سورم لدهشته ان غلاسب لم يجد الصلة بعد بين ن وبين
جرائم وايتشابل . كان سورم قد ظن ، لسبب يجهله ان غلاسب على علم
بذلك . واعرض عن فكرة سرد القضية لغلاسب الان بعد ان تذكر ثورة
غلاسب اثناء العشاء قبل بضع ليال ، وارتاب فجأة في ان يكون في امكان
غلاسب ان يشي بنن لدى الشرطة وقال :
- آمل ان تكون على حق .
- انك اكثر اهتماما بنن من اهتمامه بك .
- لماذا ؟ هل تعتقد انه يكرهني ؟
- كلا . ولكنه من النوع الذي يفتقر الى العاطفة . انه لا يهتم
بالآخرين مطلقا .
ولما صاروا على قمة تل هافرستون . قال سورم :
- ما راياك في قدح اخر من الشراب ؟
- فكرة صائبة .
- اعرف حانة هنا .

كانت الحانة مكتظة بالرواد . فدخلوا الصالة الخاصة ، فالفياها
 اقل زحاما .
 - نفس الشراب ؟
 - اجل .
 - اذهب واحجز تلك المقاعد التي في الزاوية . انا ذاهب لاحضار
 المشروب .
 كانت وقائع زيارتهما لجيرترود كوينسي قد هدمت شعوره بالانسياط
 والدفاء المناسب في نفسه . ولكن الشعور شرع بالعودة عندما شرب نصف
 زجاجة من البيرة المركزة .
 وقال غلاسب :
 - عم كنا نتحدث ؟
 - اوستن .
 اه . نعم . لننسه ، فلا يهمنا امره .
 - حسنا .
 كان غلاسب يتسهم ، كانه تذكر نكتة ما . فنظر سورم اليه بتساؤل
 وهو يرفع احد حاجبيه . وقال غلاسب :
 - وجيرترود ؟
 - ماذا عن جيرترود ؟
 - انك تنشئ علاقة معها ؟
 - آه ، لقد لاحظت ذلك ، ها ؟
 - انك لم تحاول اخفاء الامر ، والضياء من خلفك .
 - طيب ، ان الجواب هو كلا . يعجبني استشارتها فقط .
 - كان ذلك بقصد اثارها اليس كذلك ؟
 - الى حد . لمجرد المزاح .
 - ارجو الا اكون متطفلا في امورك ؟
 - كلا ! ليس هنالك ما اريد اخفاه . انني امزح فقط .
 - هل فعلت ذلك معها قبلا .
 - نعم . لاستشارتها فقط .
 ومضى غلاسب يحتسي البيرة . كان من عادته ان يلقي بالاسئلة
 فجأة ، كما لو انه يبغى مفاجأة الشخص . وتوقع سورم سؤالا اخر من
 هذا القبيل . وتأخر السؤال قليلا .
 - اريد مضاجعتها ؟

وفكر سورم في السؤال مليا . في الواقع ، كانت فكرة مضاجعة جيرترود قد فقدت لمعانها منذ ان اضطجع مع كارولين . وقال بروية :
- لا أعتقد تماما اني اريد ذلك ... لست ادري .

- طيب ، اما ان تريد او لا تريد .
- كلا . المسألة ليست بهذه السهولة . فاني احس بطريقة ما بانني اريد ان اضاجع النساء جميعا دونما تمييز ، اتعلم ... عندما اسمع عن شخص منح « امانة » مدينة لندن ، اتخيل احيانا كم من الجميل ان يمنحك احد امانة جميع النساء في العالم .
لا يهم انه امرأة . كل ما في الامر انك تبرز رقعة جلدية كتب عليها بالحفر ، ولها مفتاح مذهب ، وتقول : «أسمي سورم ، تعالي الى غرفتي» .
فكرة رائعة .

فقال غلاسب ضاحكا :

- عواطف الشخص الذي له ولع جنوني بالجنس .
- كلا . كلا في الحقيقة !
- كلا . لست الا مازحا .
- ولكن ، في الواقع ، هنالك شيء من الحقيقة فيه .
- ولا شك .

- هل تعرف تلك الابيات من بليك التي يتحدث فيها عن الاسد الذي يرقد مع الحمل ؟ شيء عن العصر الذهبي . ذلك اساس المسألة ، اتدري؟
اننا نعيش في عالم منهار ونحلم عن عصر ذهبي حيث لا محل فيه للفشل .
الناس جميعا تحولوا الى الهة لان في امكانهم ان يفعلوا ما شلؤوا . وهذا هو السبب الذي اجد لاجله من العسير علي ان ادين وستن ، مهما فعل . ليس هنالك شيء يدعى بالانحراف الجنسي ... ولكن ، على كل حال ، قد لا يوجد شيء يدعى بالجنس اطلاقا . الجنس برمته جزء من هذا التدهور اتعلم ان فكرة تولستوي عن الجنس هي انه ينبغي على الناس الا يمارسوا الجنس الا لانجاب الاطفال ؟ انها فكرة منطقية . اما ان يكون الجنس باجمعه طبيعيا ، او لا يكون . ليس ثمة خط يفصل الجنس الطبيعي والشاذ من الجنسي .

كان يدرك اثناء الحديث ان كلماته لم تكن تبدو منطقية . وكان غلاسب يصغي وقد مط شفته السفلى ، ووجهه ينطق بالارتياح . فاخذ سورم يبذل جهدا واعيا ليلوح كلامه منطقيا :

- لنضع المسألة على هذا النحو . لو انني انجذبت الى الفتاة ، فاني

اعلم علم اليقين بان الامر ليس الرغبة في مضاجعتها فقط. واذا ما دفعني الفضول الى معرفة ما تبدو عليه في الفراش ، فتصبح المسألة هنا رغبة في تحطيم الحواجز القائمة بين البشر اكثر مما هي رغبة في اقتحام الفتاة . واذا انتهى الامر بالفراش ، فمن المحتمل ان تخبو شهوتي لها . وذلك موقفي مع جيرترود . هنالك شيء يتعلق بموقفها العذري الجامد الذي يستفزني . ولكنني لا اعتقد انها الرغبة في اتخاذ جيرترود خليفة لي. ولاحظ وجهه غلاسب هذه المرة يشرق بشيء من التجاوب مع قوله، ولكن رغبته في التعبير عما كان يختلج في نفسه من الحسد الذهني بالكلمات كانت اقوى من ان تدفعه الى التوقف وانتظار غلاسب ليلدي بانطباعه . واحس بالانسياط التام عندما انهى قدحه ووضع على الطاولة، وهو يميل الى الامام ، ويدرك أن الافكار تحتشد في رأسه وتبغى مخرجا. — هل حدث ان كنت في غرفة مع امرأتين كانتا خليلتيك ؟ وعندما تنقل نظرك من الواحدة الى الاخرى لا تشعر بالاهتمام لابة واحدة منهما. واذا ما اعادت احدهما ساقبها المعقودتين الى وضعيهما الطبيعي وهي تجلس امامك على الكرسي لا تكلف نفسك عناء التطلع لترى الى اي ارتفاع ستخسر تنويرتها . وتؤلف هاتان المرأتان بالنسبة لك مجموعة صغيرة ، منفصلة عن بقية الجنس النسائي . قد تشتهيها ، ولكن الاهتمام والفضول قد تلاشيا . وعلى اية حال ، فاني اشعر تجاه جيرترود بالفضول لا الشهوة . وعليه فلا يمكنني حقا ان اقول هل اني اريد مضاجعتها ام لا . قدح اخر ؟

وكان غلاسب قد انهى زجاجة البيرة . وكان ينقل نظره حواليه في الصالة وفي وجهه علائم الامتعاض . وقال :

— المكان مزدحم . ما رايتك في الذهاب الى حانة اخرى ؟ كانت الصالة قد اخذت مزدحم منذ ان قدما . ولم يكن هنالك في تلك اللحظة كرسي واحد خال ، وكانت تقف الى جوارهما جماعة مسن الناس ، يتضحكون بصخب .

وقال سورم :

— اكثر حانات لندن في ليالي السبت على هذه الشاكلة . يمكننا ان نعود الى غرفتي .

— كم الساعة ؟ الثامنة ، طيب ، ان اردت .

* * *

وملا المفصلة بالماء الساخن ثم غمر يديه فيه ومال بجسمه الى الامام

مستندا اليها ، وهو يحس بالتعب المفاجيء . وسمع خلال باب الحمام المفتوح قليلا رنين التليفون ، فاحس بالتوتر بصورة تلقائية ، وراح ينتظر ليناديه احد . وعندما توقف الرنين ولم يناده احد اخذ يجفف يديه ، وهو يفكر باعياء : الناس . كيف اتخلص من الناس ؟ لقد احس باشمئزاز مفاجيء ، كان رد فعل للانفعالات التي اعتورته عند المساء ، والان الاحساس بمعرفة غلاسب معرفة افضل خلال بصيرة جلبته اليه . كان ذلك احساس من ربح لعبة ، الاحساس بقوة داخلية متنامية ، طاقة لا يستطيع ان يجد لها منفذا آتيا .

كان غلاسب ممددا على الكرسي الكبير ، وقدماه على المقعد . وكانت السمفونية الخامسة لبروكوفيف ، التي كان الغرامافون يعزفها ، عند شارفت على خاتمة الشوط الاول . وكانت على المنضدة اربع زجاجات مليئة بالبيرة .

— هل اقلب الاسطوانة ؟

— كلا . بل الافضل ان نتحدث .

ومد غلاسب قدحه ، واخذ يهزه عندما كان سورم يصب البيرة فيه . وقال سورم :

— تبدو جدلا ؟

— صحيح ؟

— يبدو في وجهك الرضى .

فقال غلاسب :

— ربما .

وارتضى سورم على الكرسي الاخر ، ورفع قدميه المتعلتين ووضعهما على المقعد الصغير ، فازاح غلاسب قدميه اللتين كان يلبس فيهما زوجا من الجوارب ليدع مجالا لقدمي سورم . ولاحظ سورم باهتمام ان غلاسب كان يرتدي زوجا جديدا من جوارب النايلون . وقال غلاسب :

— اصغ ، يا جيرارد . ألم يجلب بخاطرك انه يحتمل ان يكون اوستن مجرم وايتشابل ؟

وقال اخيرا :

— هممم ...

وظل سورم مثبتا بصره في نعليه ، وحرص الا تبدر منه اية دهشة .

— تعتقد ان الامر غير محتمل ؟

— اعتقد انه ممكن . فنحن نعلم ان اوستن سادي ، كما ان هنالك

شكوكا حول قتله احدا في هامبورغ .

— نعم ، ولكن ...

— ماذا ؟

— ونحن على معرفة باوستن ايضا . هل يمكنك بعد ان تنظر اليه ان تجد الصلة بينه وبين حوادث القتل ؟ لا يمكنني ذلك .

وبقي غلاسب ممسكا بقدر البيرة في موازاة انفه وهو يعبس فيه .

— لا يمكنني انا ايضا . ولكن هذا لا يبرهن شيئا . انك تعلم او

اوستن سادي . فهل يمكنك ان تتخيله يضرب احدا باسوط ؟

— كلا ..

— ومع هذا فمن المحتمل انه يفعل ذلك .

— طيب ، ثم ان هذه الجرائم تدل على اهتمام القاتل بالجنس الاخر ،

في حين ان اوستن ينزع الى جنسه . فلم يختار النساء ؟

— انهن اسهل منالا في وايتشابيل .

— حسنا . وثانيا ، لم يختار وايتشابيل حيث احتمال القاء القبض

عليه اكثر منه في اي مكان اخر ، كلما يقترب جريمة ؟ لم لا يتنقل في

اطراف لندن ؟ وثالثا ، لم بالله عليك يجب ان يكون هذا المجرم هو اوستن

من بين سبعة ملايين شخص يعيشون في لندن ؟

ونظر اليه غلاسب مليا . وقال :

— انت لا تريد ان يكون القاتل اوستن ، اليس كذلك ؟

فهز سورم كتفيه . وقال :

— لا اعلم . انا اميل الى اوستن ولكنني لن اخشى مجابهة الحقائق ان

كانت تشير اليه فعلا .

وقال غلاسب :

— على اية حال ، لا داعي للقلق . لن اشي به لدى الشرطة ، حتى

لو علمت بانه هو الذي اقترف هذه الجرائم .

— كلا ..

— وعلى كل ، كن على ثقة بان الشرطة تراقبه . ان كان مشبوهها بقضية

القتل في هامبورغ ، فهو الان مشبوه بصورة طبيعية في قضية وايتشابيل .

— لست ادري . لا افهم كيف تحدث هذه الامور .

— هل تفهم معنى السادية ، على اية حال ؟

فسأل سورم باهتمام :

— ماذا يدفك الى هذا القول ؟

- أنت لست من هذا الصنف .
- لا ؟ فمن اي صنف انا اذن ؟
- فقال غلاسب ، وهو يهز كتفيه :
- انك على شبه بي . ليس لك اهتمام خاص بالجنس .
- ويلاه ! اتظن ذلك حقا ؟
- فابتسم غلاسب . وقال :
- انك تعتقد بانك مولع بالجنس ، والحقيقة انك لست كذلك .
- حاول ان تفهم ما اعنيه . اوستن انسان يؤمن بالحس ، انه ليس رجل فكر . لا شيء يثير اهتمامه في الحقيقة الا ما يمكنه رؤيته ولمسه .
- اوه ، لا ادري . لا يمكنني القول انه عديم الافكار .
- انه عديم الافكار . ربما يبذل مجهودا ليلوح رجل فكر عندما يتحدث اليك . واذا ما تعود عليك والفك كف عن بذل هذا المجهود .
- نعم ، ولكن ... هناك شيء من البراءة في اوستن . انك لا تفهم .
- بل افهم ذلك جيدا . هنالك دائما شيء من البراءة في الحسية
- لا يشترط في الرجل الحسي ان يشتهي ويسيل لعابه فحسب ، ولكنها لا ترتفع عن الارض ، مع هذا . كان اشد الناس انغماسا في اللذة الحسية رجلا عرفته وكان مولعا بجمع المدي والخناجر . وقد كتب مقالات عديدة في الموضوع - وقد اشتهر في اوربا على انه اكبر حجة في هذا الموضوع .
- لم تكن رأسه تتسع لفكرة واحدة ، ولكنه كان مفعما الى حد مذهل بالاف الحقائق عن الخناجر .
- فقال سورم بلهجة مترددة :
- فهمت ما تعنيه .
- كان يشعر بالجوع . فاخرج من الدولاب قطعة من الرغيف وبعض البصل الاسباني وكيسا من البلاستيك يحتوي على الجبن . وقال :
- تفضل ان كنت جائعا .
- وقطع كسرة غير منتظمة من الرغيف وطلاها بقليل من الزبدة وقال غلاسب :
- فكرة لا بأس بها .
- وقال ، وهو يقطع الرغيف :
- لا تكون اراء مقلوبة عن اوستن . انه ليس زميلا روحيا . انه لا بأس به ، ولكنك ان اشتبكت معه فسيقضي عليك .
- اعلم ذلك . ولكنني اعتقد انك تسيء الحكم عليه . انه يسيء الحكم

عليك ايضا .

— صحيح ؟ ماذا يقول عني .

فتردد سورم ، ليقدر نتائج صراحته التامة . قدفعته الى الكلام
الرغبة في استشارة رد فعل لدى غلاسب . وقال بلا مبالاة :

— انه يعتقد بان لك بعض ... الهوايات الجنسية الخاصة .
فقال غلاسب باحتقار :

— بالطبع . عليه ان يعترف بذلك .

فقال سورم ضاحكا :

— اوه ، اني اوافقك . انهم دائما يريدون اتهام الآخرين بما لديهم . .

— بماذا يظن ... اني مولع ؟ الرجال ام الاولاد ام الحيوانات ؟

— ليس واحدا من هؤلاء ، وانما بالفتيات الصغيرات .

كان الاثر الذي احده اعنف مما كان يتوقع . فوضع غلاسب السكين
على الصحن ، وظل يحرق بذهول ، وقال :

— ماذا ؟

وتجاهل سورم انفعاله ، وقال :

— اوه ، تعرف ماذا يعني ...

— هل قال ذلك ؟ اخبرني بما قاله بالضبط .

وفيما هو يتكلم ، سمع سورم احدا خارج الباب . ومرت به لحظة

توقع فيها ان يرى وجه ن ، ثم سمع المفتاح يتحرك في باب الغرفة
المجاورة وعلم ان الرجل الفرنسي كان يفتح غرفته . كان قلب سورم يخفق
بعنف ، فقال على عجل :

— اوه ، ان اردت ان انصف اوستن فانه كائن ينقل الي خبرا سمعه .

— هل انت واثق ؟

— تماما . كان هنالك اثنان من الاميركيين يعتقدان بانهما التقيا بك

في لندن منذ بضع سنين . ولكن على كل ، ربما كانا يتحدثان عن شخص
اخر . او ربما قال ذلك لمجرد الكلام .

فقال غلاسب ببطء :

— لا حول ولا قوة !

وافرغ قدح البيرة ثم ملاه مرة اخرى ، ثم جلس على الكرسي منحني
الظهر وراح يحرق في النار . وكان في هذا التوتر الظاهر في جسده
المثني ما جعل سورم يشعر بانه كانت تعتمل في نفس غلاسب هزة داخلية
كان لا يريد ان يظهرها . وكان قلب سورم ما زال يخفق بعنف من جراء

الحركة التي كان سمعها خارج الباب . وقال :

— اسمع لم لا نترك الموضوع ؟ اسف لاني اخبرتك به .

— الم يقل شيئا اخر .

— كلا .

فقال غلاسب ببطء :

— يحيرني هؤلاء الشاذون الملعونون .

— لماذا ؟

— لا يهمهم شيء اكثر مما يهمهم الاشخاص . لو اني رسمت اعظم لوحة منذ رامبرانت لما اكرث بها بقدر اكترائه لو كانت لي علاقة بالموديل الذي رسمت عنه .

ولم يبلل سورم جهدا هذه المرة لمناقضة رايه . ونظر الى ساعته ، وهو يود ان يقترح على غلاسب الخروج . لقد اقلقه فكرة مجيء نن فجأة . فقال بخفة :

— لا افهم لم تائرت لذلك . قلت ذلك لتسليتك فقط . انا لا اخذ اوستن على محمل الجد .

— فنظر اليه غلاسب معبسا :

— ولكن لم قال ذلك ؟ ومن اين جاءته هذه الفكرة ؟ هل اخبرته بصورة الفتاة الصغيرة التي رايتها في غرفتي ؟

— كلا .

واحس سورم بالضيق الشديد . كان قد شاهد صورة الفتاة بينما كان غلاسب خارج الغرفة ، ولم ترق له فكرة الكذب على غلاسب . وقال :

— اخبرتك ، على كل حال . كانت هذه فكرة الامريكيين الاثنين .

يمكنني ان اؤكد لك . لاني التقيت بهما .

فهر غلاسب كتفيه بامتعاض وقال :

— لا يهمني مطلقا على كل حال . ولكنني اراهنك بانه راآني اتمشى مع الفتاة الصغيرة التي في الصورة ، او اخبره احدهم عن الامر .

فقال سورم كاذبا :

— لا اتذكر الصورة على اية حال . واشك في ان يعرف اوستن عنها شيئا .

وغابت حدة غلاسب وظل صامتا ، وهو يمضغ الخبز والبصل الاسباني الذي ملا فمه . كانت عضلات فكه تنتصب بارزة كلما كان يمضغ اللقمة ويبتلعها . وسمع من الاسفل صوت باب يعلق بشدة . وحسب سورم مرة اخرى ان اوستن يحتمل ان يكون قد وصل . وقال :

— اتعلم ، اني واثق من انك مخطيء بصدد اوستن ...
وقال غلاسب :

— هل تصدق اني اميل الى القتيات وهن في الثانية عشرة من العمر؟
— انا ... على كل ، لا اصدق ذلك . ولكني اقولها لك باخلاص
لو كنت فعلا كذلك لما افزعني الامر . تبدو الفتاة احيانا على جانب من
النضوج وهي بعد في سن الثانية عشرة .

— تلك الفتاة لم تبد كذلك . انها تلوح وكأنها في التاسعة .
فقال غلاسب بكآبة :

— نعم ، ولكن ... انظر يا اوليفر ، انا لا اريد ان ادس بانفي فسي
حياتك الخاصة ، فلنترك الموضوع ، ها ؟

— هل يضايقك ؟

— كلا ولكن ...

— اذن ، فهو لا يضايقني انا ايضا . لا يخرجني الكلام فيه .

وتساءل سورم ترى هل ثمل غلاسب قليلا . كانت الطريقة التي
يؤكد فيها على الموضوع واهنة ثقيلة . وقال سورم :

— حسنا : ان اردت ذلك ، فلنتحدث عنه . من هي هذه الفتاة ؟

وافرغ غلاسب بقية ما في زجاجة البيرة في قدحه على مهل ، ثم
وضع القطاء على الزجاجاة بعناية ثم وضع الزجاجاة على الارض . وقال :

— اسمها كريستين .

ولكي يخفي سورم الحراجة التي كان يحس بها فتح زجاجة البيرة
الاخري وراح يملأ قدحه . وشعر بان الحديث قد بدا يصبغ بلون سخيف .
فغلاسب ، على كل حال ، لم يكن ملزما بان يحدثه عن الفتاة . ولاحظ له
تلك اللحظة غير مناسبة للكلام عنها ، كما لاحظ له طريقة الكلام غير مناسبة
ايضا . ولاحظ ان النار الغازية بدأت تخفت ، فاخذ يبحث في جيبه عن
قطعة نقود ، وسره ان يشغل نفسه بشيء وهو ينتظر من غلاسب ان يمضي
في حديثه . وعندما شرع غلاسب بالكلام اخيرا ، لم يكن في صوته اثر
للسكر . وقال بجهد :

— اتعلم ، يا جيرارد ، ان الدم ليغلي في عروقي عندما يتدخل
انسان مثل اوستن في شؤوني مع اني لم اقترف ذنبا تجاهه ، اليس
كذلك ؟ اني اعيش لوحدي ، مهتما بشؤوني الخاصة . انا لا اطلب من
الناس مراقبتي . اني اتجنب الناس لاني لا اجد متعة في الاشتراك باللعبة
هل تفهم ما اعنيه ؟

— تعني اللعبة الاجتماعية ؟

— اعني اللعبة الشخصية . اترى ...

ورأى سورم ، وهو ينظر اليه ، الكلمات تكاد تنتزع نفسها من رأس غلاسب ، والفي نفسه يميل الى الامام وهو يركز اهتمامه لمعاونة غلاسب . ومضى غلاسب قائلاً :

— اذا اندمجت مع الناس فعليك ان تترك بالقواعد . مثل ذلك مثل الدخول الى مدرسة نموذجية او الانضمام الى احد النوادي الراقية ، فان اردت التمتع بفوائدهما ينبغي عليك ان تترك بالقواعد . طيب ، انا افضل الا انضم الى النادي ، اريد ان استغني عن تلك المنافع . والامر كذلك يشبه عرض لوحاتك . فانك اذا وضعت لوحاتك في معرض تضع نفسك تحت رحمة نغول ذوي عقول عفنة لا يفرقون بين الاصباغ والعائط ! ولا فائدة من الشكوى بان احدا لا يفهمك . انك ان عرضت صورتك فمعناه انك تسال الناس ان ينظروا اليها ، فاذا ما ابدوا ملاحظات بليدة فليس لك ان تبدي شكواك ، لانك انت الذي طلبت ذلك . ولهذا ، فاني لا اقوم بعرض صوري ، واذا ما ابدى احدهم ملاحظات سخيطة حول عملي فلي الحق في ان الطمه على فمه واقول له :

— اغلق فمك ايها الحقير ، لم يطلب اليك احد التعليق .

كانت الكلمات تندفق ، وكان غلاسب يتكلم كالالة ، وقد تورد وجهه ، وهو لا يشعر بفتاة الخبز التي التصقت في طرف فمه . وكانت في عينيه بهجة ، لدهشته بان احساسه كانت فعلا تتحول الى كلمات يتفوه بها . ومضى قائلاً :

— والامر نفسه مع الاشخاص . اذا كنت تحتاج الى الناس ، فعليك ان تحملهم الى الحد الذي تريده . ان الامر على ما يرام مع بيكاسو لان الناس كلهم يحتملونه ، على اي حال . هل تفهم ما اعنيه ؟ ولكنك ان اردت ان تنتج عملاً عظيماً ، فان ذلك يكلفك جهداً هو اكثر مما يستحق الناس لحملهم على قبولك ...

فقال سورم :

— اعرف تماماً ما تعنيه . لقد حدث ذلك لي مرارا كثيرة . قبل ان اترك العمل ، كنت اشتغل موظفاً في احدى الدوائر مع موظف اسكوتلاندي كان شديد التبجح . وكان يعلم بانني اريد ان اصبح كاتباً ، فكان يتلذذ في اثارتي — قائلاً بانني اهتم بالمسائل العقلية ولست على اتصال بالواقع . فبقال غلاسب :

— كان عليك ان تلقي عليه درسا عمليا .
— شعرت بالرغبة في ذلك . ولكن ما نفع ذلك ؟ لقد افلح في اكتساب ودي . اعتقد انه كان يعاني من الشعور بالنقص الذي كاد ان يحطمه .
ولكن كان علي ان احتمله لانه كان يجلس الى جوارى . وكانت انفعالاتك نفسها تعتمل في صدري — كان ينتابني شعور بالاهانة من انتقاده لي .
كنت اود ان اقول له : انك لاحمق ، انا لا اريد معرفتك . ولكن لسوء الحظ لم يكن في وسعي غير ان اعرفه وان اتحدث معه وان اعمل معه . .
فقال غلاسب بمرارة :

— حسنا ، هذا ما اشعر به تجاه اوستن ن . ما عدا اني قلت له فعلا : « انك لاحمق وانا لا اريد معرفتك » . ولم ازل لا استطيع الخلاص من تفاهاته .
فقال سورم :

— اما كنت شعرت غير هذا الشعور لو اصبحت شهيرا ؟
— بالطبع ، لاني في ذلك الوقت لست مضطرا للنقاش مع الحمقى .
كنت اترك المعجبين بي يفعلون ذلك لاجلي . خذ هذا الرجل الذي رايناه الليلة — الاخ « لا ادري من » عند جيرترود . استطعت ان ادرك انه احمق وانه لم يكن هناك اي معنى في تبادل كلمة واحدة معه . ولذا فلم افعل .
هذا ما يجب ان يكون عليه الامر .

فقال سورم كانه يشعر بالاثم :
— اتعلم ، انك قسوت على اوستن ، بصدد هذه الفتاة . اني لوائق بانه لا يعرف عنها شيئا .
— ولكنك قلت انه يعرف . . .

فقال سورم بلهجة صارمة :
— قال ذلك شخصان امريكيان ، ولم يكونا واثقين من ان الشخص المقصود هو انت .

فقال غلاسب بامتعاض :
— اوستن انسان احمق ، على كل حال .
فقال سورم مبتسما :

— دهشت للضراوة التي جابهتني بها عندما قدمت نفسي لك كصديق لاوستن .

— لان ذلك كان اسوأ ما يمكن ان يقوله لي شخص . ولكنني عندما تحدثت اليك وجددتني اميل اليك .

- شكرا .
- هل اخبرك لماذا ؟
- فهز سورم راسه موافقا ، وقال غلاسب :
- لان لك وظيفة تؤديها . انك لا تبدد وقتك كما يفعل اوستن .
- فقال سورم ، وهو يهز كتفيه :
- انا اضيع الكثير من الوقت .
- ولكن ليس بطريقة اوستن . اتعلم ، لا بد ان الشخص الذي يبدد وقته مصاب بشيء ما . انه يبدأ بالتعفن حتى لتستطيع ان تشم رائحته الا تحس بذلك تجاه اوستن ؟
- كلا . انا لا اشعر بانه يختلف عني كثيرا .
- فقال غلاسب :
- ستكتشف ذلك .
- وغاص في كرسيه ، وحنى ركبتيه فوق المقعد ، وقال بتأمل :
- سأقدمك الى كريستين في يوم من الايام . انك ستميل اليها .
- انها طفلة ذكية .
- هل هي مولعة بالرسم ؟
- قليلا . اني احاول ان اعلمها . لها موهبة عظيمة . . . اكثر مني .
- جديا ؟
- جديا . انا لا املك الموهبة . علي ان اعمل بجهد شديد لاطهر ظلالا معينة ولكنها تفعل ذلك بسهولة .
- كم يبلغ عمرها ؟ تسعة ، قلت ؟
- كلا ، اثنتي عشرة . ولكنها تبدو في التاسعة .
- كيف التقيت بها ؟
- بطريقة غريبة نوعا ما . كنت في يوم من الايام اقف امام احدي المكتبات في شارع مايل ايند لاتفرج في خزانة الكتب ذات سعر ستة بنسات ، وكانت هذه الفتاة تقف بجواري . وظلت تنظر الى دفتر « اوتوغراف » قديم ذي غلاف جلدي ، وقد محل لون اوراقه ، ولكنه لسبب من الاسباب غير مستعمل . وكنت ارى انها كانت تريد . وعندما نظرت في داخله وجدت انه اغلى سعرا من بقية الكتب - ليس اغلى كثيرا - شلن واحد ، او شلن وست بنسات . وبقيت تعيد الكتاب الى محله ثم تنظر الى الكتب الاخرى ثم تخرجه ثانية . ورحت اتساءل في نفسي هل سترقه . ولكنها لم تفعل . وتركته اخيرا ومضت في سبيلها . وكنت

قد اخترت كتابين ، وكنت قد بعث قبل قليل بعض الصور ، فاخذت
الارتوغراف مع الكتابين الآخرين الى الحانوت واشتريتها . وعندما
خرجت ، كانت قد ابتعدت حوالي نصف الميل ، فركضت خلفها ، وادركتها
واعطيتها الدفتر .

فابتسم سورم وقال :

— وماذا فعلت ؟

— اخذته وراحت تحديق في . وشعرت بسخاقتي قليلا لشرائي اياه،
فاستندارت وانصرفت . وهكذا كان الامر . ولم يتكلم اي منا .

— ما اغرب فعلتك !

— اوه ، لست ادري . كان مجرد دافع .

— وكيف تعرفت عليها ؟

— حدث ذلك فيما بعد . رايتها مرتين في الشارع وخمنت انها
تسكن في تلك الاصقاع . ولم اكن مكثرنا لها بصورة خاصة ... على كل
حال ، كنت في احد الايام امر بقرب السينما في الشارع التجاري — كان
ذلك في مساء يوم سبت وكان هناك صف من الصبيان خارج السينما .
وخرجت هي من الصف وهرعت نحوي وهي تصيح : هلو : وعادت تركض
الى الصف قبل ان استطيع الكلام . ثم التقيت بها بعد يومين بينما كنت
خارجا من حانوت الخباز في شارع فالانس ، فمشيت معي . وشعرت
بالحرجة قليلا — فاني اكره ان اسأل الاطفال عن اعمارهم وماذا يفعلون
في المدرسة وغير ذلك من اللغو — اذكر كم كانت تضجرنني هذه الاسئلة
عندما كنت صبيا . ولكن كان من العسير علي ان اجد شيئا اخر اقله لها.
على كل حال ، سألتني هي عن مهنتي فاخبرتها بانني رسام . فقالت : «اوه»
ولم يبد عليها الاهتمام ظانة اني صباغ جدران . ولكنني عندما قلت لها بانني
ارسم الصور بدا عليها الاهتمام ، ورايتها تقيم احلام يقظة رومانتيكية عن
الرسام الحقيقي . على كل حال ، وكان عليها في ذلك اليوم ان تعود الى
البيت ، ولكنني قلت لها بانني اود ان اريها لوحاتي في احد الايام . وفي
اليوم التالي رايتها خارج مسكني في حوالي الساعة الرابعة مساء . فطلبت
اليها الدخول . وتصرفت تصرفا مضحكا . أخذت تنظر في كلا الجانبين
لتتأكد من ان احدا لم يكن يراقبها ، ثم اندفعت الى الداخل كالارنب
المدعور . ورايتها لوحاتي وقدمت لها قدحا من الشاي وقلت لها ان تأتي
لزيارتي في اي وقت تشاء . كانت على ما يظهر خجولة ... وفي امسية
السبت التالي اقبلت واصرت على ان تراقبني كيف ارسوم . وظن والدها

انها ذهبت الى السينما ايضا ... وتعرفت عليها بهذا الشكل .
فقال سورم :

— تبدو فتاة ساحرة . هل كانت لها احلام رومانتيكية عن الرسامين؟
— اوه ، نعم . اكتشفت عاطفة كبيرة نمت فيها . فقد التقيت بها يوما مع احدى صديقاتها فاحمر وجهها احمرارا شديدا . وذكرت بذلك في السبت التالي فاعترفت لي اخيرا بانها ادعت امام صديقتها بانني طلبت منها الزواج عندما تبلغ السادسة عشرة !

فقال سورم ضاحكا :

— طيب ، لم لا ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

— على كل ، من الممكن — اعتقد انها ستبلغ السادسة عشرة بعد ثلاث سنوات فان سننها الان يشارف على الثالثة عشرة .

فقال سورم مندهشا :

— هل انت مولع بها الى هذا الحد ؟

— انا ... انك لا تفهم . اتعلم ، انها من عائلة كبيرة — لها سبعة اخوة واخوات . وقد اضطروا مرة ان يشغل اربعة منهم غرفة واحدة . ابوها حارس في سجن بريكستون — انسان شكس الاخلاق ينفق كل ما لديه على الشراب . واختها الكبرى متزوجة . متزوجة من رجل بولندي ، وهما يسكنان في البيت المجاور . وعندما يعود البولندي الى البيت ثملا ويحاول ان يضرب زوجته ، تذهب اليهم وتنام مع كريستين واختها الاخرى على سرير واحد ... وتنام كريستين على طرف السرير . ورايت امها مرة — امرأة مسكينة متهدمة ، لها ثديان كبيران متدليان وليس لها اسنان . كان عمرها لا يزيد على الخمسين ، ولكنها كانت تلوح في السبعين .

هذا هو المحيط الذي عاشت فيه الفتاة . وهي تريد ان تدخل مدرسة للرسم — ولها من الذكاء ما يساعدها في الحصول على منحة دراسية — ولكن والديها لا يرضيان مطلقا ان تدرس الرسم . حتى ان امها اخبرتها ان طالبات الرسم اسوأ من العاهرات . وعلى كل حال فهم يريدونها ان تجد عملا بعد ان تنهي دراستها لكي تحصل لهم على بعض الدراهم ريثما تتزوج . كان اهلها يعيشون في الاحياء الفقيرة منذ اجيال . وهم لا يريسون حياة افضل .

— هذا سخف الا يمكنك اقناعهم ؟

— لا امل في ذلك البتة . ولا تجرؤ كريستين حتى على اخبارهم

بانها لم تزل تلتقي بي . وقد تخاصمت مع ابيها مرة .

يا للسماء ! كيف ؟

وهز غلاسب كتفيه ، ثم ارتعش جسمه وقطب وجهه كأنه لا يريد

ان يستعيد ذكرى كريهة :

— انه سكير متعجرف غبي . لقد رأنا اخوها في المقهى فاخبر والديها .
فاشبعوها ضربا وحملوها على ان تعدهم بالا تراني ثانية . ولحسن الحظ
رأينا اخاها عندما شاهدنا ، فاوصيت كريستين الا تخبر والديها بكل
شيء ، وان تقول لهم بانها التقت بي مرة او مرتين فقط في معرض الرسم
في وايتشابل . ولو لم اوصها بذلك لكان من المحتمل ان تخبرهم بانها
جلست لارسمها وكانوا سلخوا لها جلدها . وعلى كل ، كنت مارا فسي
اليوم التالي امام حانة في هانبري ستريت فرأيت اباه يخرج وبدأ بالشجار
معي .

— كيف عرفك ؟

— اوه ، كان رأني قبلا ، وكنت انا رأيتة ايضا — انهم يسكنون قريبا

مني ، عند منعطف الشارع .

— ولم كان يصرخ ؟

— اخذ يتفوه بالكاذيب الحمقاء . . . القدرة . لو كان ربعها صحيحا

لاستطاع ان يلقي بي في السجن . لم اكن ادري ماذا افعل . . . ولم اكن
اريد ان اجر كريستين الى متاعب اخرى . فحاولت تهدئته ، ولكنه ازداد
سوءا . لم يكن ثملا تماما . وامسك بياقتي وشرع يصرخ في وجهي — فيطفر
من فمه رذاذ البصاق والبيرة علي . وطلبت منه ان يدعني وشائي ولكنه
اخذ يصرخ بصوت اعلى . فضربته بركبتي على بطنه ولطمته في وجهه .
فصاح سورم :

— يا للمسيح !

وجد من العسير ان يتصور غلاسب يضرب احدا .

— ولحسن الحظ اقبل في تلك اللحظة احد رجال الشرطة وهددنا

بجونا الى المركز ، فافترقنا حالا . ان شرطة وايتشابل لا صبر لهم ، وانهم

من النوع الخشن .

وتوقعت انه سيقول للشرطة بانني افتصبت ابنته . ولكنه لم يفعل .

بل مضى حالا . وكنت قد انفعلت و . . .

— الم ينتقم لحالته من كريستين .

— كلا ، هذا هو الغريب في الامر . اقبلت الي في اليوم الثاني واخبرتني

القصة . كانت في المطبخ عندما دخل وصار يصرخ بانه سيأخذها الى الطبيب ليقيم الدليل ضدي . ولكن امها استشاطت غيظا لذلك وهددت بتركه اذا فعل شيئا من هذا وسألتها امها عني فيما بعد - كانت تريد ان تعرف ان حدث شيء بيننا وبالطبع انكرت كريستين ذلك وصدقته امها . واصغى سورم باهتمام جدي ، وهو منخفض الرأس ، ولم يسر كيف يصوغ السؤال الذي بزغ في ذهنه وهو يحرص الا يظهر على وجهه ، وقال :

- وحتى لو اخذها الى الطبيب لما ظهر اي شيء ؟
- لا شيء ... ما عدا ، ربما ، الاقاويل عنها ، وهذا امر يحد ذاته سيء . ولو عرفوا بانها جلست لارسم صورتها لسبب ذلك متاعب كثيرة .
- هل تجلس لك كثيرا ؟
- اوه ، نعم . رسمتها اول مرة جاءت ، ولكن ليست عارية بالطبع .
- فما السبب في المتاعب اذن .
- لانني اخذت ارسمها عارية فيما بعد .
- آه ... هذا امر صعب . هل كانت تريد ذلك ؟
- اوه ، نعم . كانت حية اول الامر . ولكنها وقعت يوما في ساقية في حديقة فكتوريا فابتلت ملابسها . وكانت امها قد حذرتهما الا تلعب بالقرب من الماء ، ولهذا جاءت عندي حتى تجف ملابسها . ودخلت القرائش بينما كنت أشعل النار - كان الوقت امسية من امسيات الصيف - وبقيت عندي حتى جفت ملابسها . واقنعتها بأن تجلس وهي عارية امام الموقد ، ورسمت لها صورة تخطيطية جميلة والنار من خلفها - من احسن ما رسمت . وبعد ذلك غالبا ما كانت تقف لارسمها عارية .
وقال سورم :

- لا استطيع ان اتجاهل الشعور بانك تلعب بالنار . لا يبدو والدها من النوع الذي ينسى خصاما .
فقال غلاسب بيأس :

- اعلم ذلك . ولكن ماذا يسعني ان افعل ؟ اكف عن رؤيتها ؟
- على كل حال ، الامر يعود لك . هل من فرق ان كففت عن رؤيتها بضعة شهور الى ان تعود الامور الى حالها الطبيعي ؟
- بالطبع .

- ولكنك فعلت الكثير بالنسبة لها . لقد عودتها على طريقة جديدة في الحياة ، ولا يمكنها ان تتغير الان .

فعبس غلاسب وهو كتفيه :
- لست واثقا من ذلك . اثنان من شقيقاتها تعملان في مصنع
للجوارب . وهذا ما يريد والدها ان تفعله . وثانيا ، ان محيطها مخيف
ومن الصعب الكفاح ضده .

- يلوح البيت زريا بهؤلاء السبعة .
- اجل ، الارضية مفروشة بالخيش بدلا من البسط ، والصناديق
تستعمل بدلا من الكراسي . وتعتبر هذه العائلة احسن حالا من غيرها
لانها تدفع ثلاثين شلنا في الاسبوع للشنقة .
- ولكن ، كما تقول ، ستبلغ السادسة عشرة بعد سنوات قليلة ،
فيمكنك اخراجها من هذا المحيط حينئذ ...
- اخرجها الى اين ؟ الى شقتي التي ادفع بها ثلاثة باونات وعشرة
شلنات .

- ستبدو لها حياة مترفة بالنسبة لحياتها السابقة .
- ليست النقطة هنا ... ليس لاني اريد الزواج بها ، ولكن مجرد
ان سيكون هنالك عندئذ عذر قانوني لانتزاعها من قبضة والديها . هذا
ما يهم في الامر .
وتمطى سورم بجسده على الكرسي ، وقد خنقته حرارة الغرفة .
وقال ببطء :

- هنالك طرق اخرى للقيام بذلك . حاول ان تجد من يريد ان يكون
وصيا عليها وارسلها الى مدرسة للرسم . احد مثل جيرترود مثلا ، اذا
كان في الامكان اقناع والديها ...
فقال غلاسب :

- جيرترود ! من الرضاء الى النار !
- هل تعتقد ذلك ؟
ومال غلاسب الى الامام وراح يحرق في سورم . كانت جبهته ترتعش
ثانية ، فتكسب وجهه النحيل مظهر المجنون . وقال :
- انك لا تفهم . انا لا اريد ان يفعل ذلك انسان اخر . لا اريد من
الناس الاخرين ان يتدخلوا .

كان للتوتر الظاهر في صوته ولجبهته المرتعشة اثر كره الى حد
غريب على سورم . وحاول ان يجعل نبرته تدل على اللامبالاة وقال :
- نعم افهم قصدك . ولكنك قلت الان انك لست تريد الزواج منها
بصورة خاصة .

فقال غلاسب :

— ولم اتزوجها ؟ ..

كان هنالك شيء من الامتعاض والتوتر في اندفاعه . واردف :

— ماذا يمنحني الزواج سوى الحق القانوني للاضطجاع معها ؟

— اوه ، اشياء كثيرة ...

فقاطعه غلاسب :

— ولكنني لا اريد مطلقا الاضطجاع معها . انا لا اريد حتى ان المسها .

انا لست شاذاً جنسيا . الا ترى ذلك ؟ انا احتاجها فقط . احتاجها اكثر

مما احتاج الى اي شيء ...

ومال الى الخلف ، فانحنى كتفاه . وكاد سورم يرى الاجهاد يحيط

به كالضباب الاشهب . وقال ليدهته :

— هذا امر حسن . ليس هنالك ما يدعو الى القلق ، اليس كذلك ؟

لا يحتمل ان تنقذها انت ، وهي سعيدة بمعرفتك . فماذا يقلقك ؟

فقال غلاسب بصوت متعب :

— لا شيء . لا شيء ابدا .

فنهض سورم وقال :

— اسمع ، انا ذاهب الى اسفل لبعض شائي ، ولم لا نخرج لتتناول

بعض الشراب قبل ان تغلق الحانات ؟

كان صوت غلاسب واهنا يكاد لا يسمع :

— لا اريد جرعة اخرى . لقد حان الوقت لاعود ، على كل حال .

— كما تحب ...

احس سورم وهو يهبط السلم بالاشمئزاز من غلاسب ومشاكله ،

واحس بيقين مفاجيء بان عقلية غلاسب لم تكن افضل من عقلية نين في

شبهها بعقليته ، واحس بان ذهن غلاسب تسوقه انفعالات سريعة جدا .

وبدا له جو الغرفة الخائقة صورة فيزيائية للجو الدهني الذي كان يعتمل

في غلاسب . وراح يستنشق الهواء البارد في الحمام بعق وامتنان ،

الهواء الذي كان مفعما برائحة صبغ الجدار والغاز الذي يفلت من الانبوب

واخذ يفكر بامتعاض : انه كبقيتنا جميعا يحتاج الى الوقوع في حب شيء ،

ولكن لا يمكن ان يكون هذا الشيء الذي يحبه قطرة او دمية او حتى امرأة ،

وانما فتاة لم تبلغ سن النضج ، لكي تصل انفعالاته الى ضغط شديد .

وسينفجر هذا الرجل يوما ما .

وسره ان يقرر غلاسب الذهب ، لقد سرى هذا الاجهاد المفاجيء الذي انتاب غلاسب الى سورم .

* * *

ورأى عبر الارض الخربة الضياء في غرفته مفتوحا . وادهشه ذلك . لقد تذكر بانه اطفأ النور . وفكر فجأة ، وهو يدخل من الباب الامامي : اللعنة ، انه اوستن . وسره انه رافق غلاسب حتى السلم في محطة قطار نفق كامدن تاون . وارتقى السلم الى غرفته فوجد الباب المفتوح وسلسلة القش المستندة الى الباب . كانت مليئة بقناني البيرة الفارغة . ودفع الباب وقد هيا نفسه ليقول : هلو ، اوستن .

كان الرجل العجوز يقف على البساط وقد ادار ظهره الى النار . وهو يعقد يديه خلف ظهره . كان يرتدي بذلة سوداء مهندمة وياقة وربطة عنق . وابتسم ابتسامة اعتذار لسورم .

وظل سورم واقفا عند الباب ، لا يرغب في ان يتقدم خطوة اخرى داخل الغرفة ، ويحس بالفيظ المكبوت يصعد الى حنجرتة . وابتسم الرجل العجوز . وقال سورم :

— ماذا تريد ؟

— انا ... اسف جدا لازعاجك . وجدت غرفتك مفتوحة ... ارجو ، الا اكون متطفلا .

لقد خفف ادبه المفرط من حدة مزاج سورم ، ولكن فقط الى الحد الذي منعه من مجابته بخشونة . وشعر بالاهانة للتدخل في حياته الشخصية . وقال ببرود :

— كان الافضل الا تدخل في غرفتي اثناء غيابي .

وقرر ، بينما كان يتكلم ، ان يقفل باب الغرفة وشباكها كلما خرج في المستقبل .

وظل الرجل العجوز مبتسما ، وهو يعث بيده في ازرار صدرته المحكمة باناقة . و اشار الى زجاجة البيرة الفارغة على الارض وقال :

— لا ادري هل تحتاج اليها ؟

فحدق سورم في وجهه متسائلا :

— ماذا ؟

— قنينتك هذه ؟ وربما لديك عدد منها في خزانتك ؟ ان اردت التخلص منها فيسرني ان اخذها .

وفهم سورم على الفور . وفتح الخزانة وشاهد قناني البيرة الفارغة

في اسفلها . ولم يشك في ان الرجل العجوز قد فتح الخزانة قبله
ورآها . وقال :

— نعم . خذها ... ليست كثيرة .

— اه ، انك انسان رقيق ! رقيق جدا .

وتوقف الرجل العجوز واخذ يلتقط قناني البيرة الاربع . وراقبه
سورم مليا ، وهو يتساءل اتراه ثملا ايضا . كان في صوته من الوضوح
والدقة ما كان يفقر اليهما اخر مرة رآه فيها سورم . وكان يلبس زوجا
من الاحذية الجلدية لمعة الدهان . وقال سورم :

— اعتقد انك تعلم ان الساعة قد جاوزت النصف بعد العاشرة . وهذا
يعني ان الحانات مغلقة .

كان الرجل العجوز يقف بجوار الباب وهو يضع القناني بعناية في
سلة القش . ورفع نظره ، معبسا وقال :

— النصف بعد العاشرة ؟ كلا .

وراح يعبث في جيب صدرته ولاح كأنه تذكر شيئا . وقال :

— ولكن ساعتني تشير الى النصف بعد التاسعة .

— اظنها مخطئة .

— اوه ، يا الهي ...

وظل واقفا ينظر الى سورم ، كان حل مشكلته كان بين يدي سورم .
ومرت لحظة ، احس سورم فيها بالخجل من القنعة التي شعر بها وهو
يشير الى الوقت . وقال :

— عليك ان تنتظر حتى الغد .

وقال الرجل العجوز والخيبة في نبرته :

— او ، كلا . لا يمكنني ان افعل ذلك !

واقبل الى الطاولة وأخرج حفنة من النقود من جيبه . ثم وضعها
على طرف الطاولة واخذ يحصيها . ورأى سورم انها لم تتجاوز بعض
الثلثات والبنسات . وقال سورم :

— اسمع ، الا تعتقد ان من الافضل ان تحصي هذه النقود في غرفتك؟

والقى الرجل عليه نظرة عتاب ومضى يحصي النقود . ثم رفع نظره
وسأل ببساطة :

— هل يمكنك ان تقرضني اثنين وعشرين شلنا وستة بنسات ؟

— كلا . لا اعتقد ذلك .

— سارجعها لك .

— انا واثق انك سترجعها. ولكن على كل حال فالحانات مغلقة جميعا. .
— اعلم ، ولكني اعلم اين استطيع شراء شراب الجن . هل انت متأكد من انك لا تستطيع ان تقرضني اثنين وعشرين شلنا وستة بنسات؟
— نعم ، لا يمكنني ذلك .
فقال الرجل العجوز بنبرة مرتفشة :
— يا الهي ... لا ادري هل يقرضني الرجل الفرنسي الذي يسكن الغرفة المجاورة ؟

وطرق باب غرفة كاليه . ولم يكن بوسع سورم ان يفتح الباب وقد انكأت عليه السلة . والتفت الى المدفأة وراح ينظر الى نفسه بياس فسي المرأة . ولم يتلق الرجل جوابا من غرفة كاليه . كان سورم واثقا من ان الرجل كان في الداخل ، ولعله سمع صوت الرجل العجوز فقرر ان يلزم الصمت . وكرر الطرق مرة ثانية . ووجد سورم المشهد مثيرا لاعصابه . فهبط السلم الى غرفة الحمام واوصد بابها . وسمع بعد لحظات الرجل العجوز ينزل السلم ، ففتح سورم صنبور الماء ليتدفق في المرحاض ثم عاد الى غرفته . وقبل ان يدخلها ازاح السلة من الباب واسندها على الجدار في الخارج . ثم افلق بابه وقذف بنفسه على الكرسي وهو يفكر : سأتترك هذا المكان الملعون واجد محلا اخر . يجب القاء هذا الخنزير العجوز في مصحة .

وفيما هو يصفي سمع طرقا على الباب . ففزع وهو في مجلسه وصاح : من هناك ؟

فقال صوت الرجل العجوز : هل لي ان احدثك ؟
فاطلق سورم زفرة ثم اجتاز الغرفة وفتح الباب . وقال العجوز :
— في الحقيقة يجب ان استميتك العذر للتطفل على هذا النحو .
اعلم ان الامر لا يمكن غفرانه ولكن ... يجب حقا ان احصل على هذه الشلنات من احد .

فقال سورم وقد بدا عليه الاجهاد :
— يؤسفني الا استطيع مساعدتك .
فنظر الرجل العجوز حواله كانه يخشى ان يكون احد منصتا . وارسم المكر في وجهه . ثم تقدم نحو سورم ودفعه الى الغرفة ثم همس في اذنه :

— اريد ان اقول لك شيئا يثير اهتمامك .
ومرت لحظة ، وكان سورم على وشك ان يقول : انا واثق بانك لا تستطيع

ثم يدفع الرجل العجوز خارجا . ولكن كرهه الفطري للفظاظة ويقينه من ان الرجل العجوز سوف لا يتوانى من طرق الباب ثانية حالا دون ذلك . ورفع الرجل اصبعه لسورم واخذ يحدجه بنظرة عارفة لا تخلو من التعنيف . وقال :

— لست مخطئا ان افترضت انك رجل ذو اهتمام شديد بالدين ؟
— لماذا ؟

— آه ، اراك ترتاب ، وانك لعلى حق . ليس للكثير من الناس الحق في التكلم عن الدين . اما انا فلي ذلك الحق . والان ، دعني اقل لك شيئا يدهشك . استطيع ان افتح لك عينك الثالثة .

مال الى الامام وتتم الجملة الاخيرة في وجه سورم ، واستطاع سورم ان يلحظ ان ليس هناك اثر للكحول في انفاسه . فتقهقر خطوة وقال :
— ولكنني لا املك عينا ثالثة .

— اها ! انك تظن انك لا تملكها . ولكنك لا تعلم . ظننت انك لست واحدا من الذين جرى تدريبهم . ولكن لديك الاخلاص . لديك الاخلاص والا لما تكلمت معك . هل تعرف ما هي العين الثالثة ؟

كان يتكلم بسرعة . لعله احس برغبة سورم في ان يلقى به خارجا . وهز سورم راسه .

— عينك الثالثة هي عينك الخفية . لديك عينان ترى بهما الظواهر ، ولكن عينك الخفية في وسعها ان تريك اعماق الاشياء . ارى لديك مؤلفات بليك وبوهمة على رفوف مكتبك . كان لهذين الرجلين عين ثالثة . انما استطيع ان ارى بعيني الثالثة — على الاقل كنت استطيع ذلك حتى بدأت بالشرب . ان الامر يحتاج الى عملية بسيطة . . . اذا كان الوسيط مستعدا لذلك ، بالطبع . وانك اجدك مستعدا . الان ، الا تريد ان تكون لديك عين ثالثة ؟

وقال سورم بتردد : وقد ثار اهتمامه بالرغم منه :
— اعتقد ذلك .

فقال الرجل العجوز :

— حسنا . اذن يمكننا الاتفاق . كم تعتقد اجرة العملية ؟ باونان ؟

ولم استطع سورم ان يكبح ابتسامته وقال :

— انك تريدني ان ادفع لك المال ، ها ؟

فقال الرجل ببساطة :

— انا بحاجة الى المال .

فقال سورم :

— ولكنني لا أملك المال .

— حقا ؟ انها فرصة نادرة . اذ لا يسعني ان اطلب هذا المبلغ في اي وقت اخر . فمثلا ، يوم الاثنين ، عندما تفتح البنوك . سيكون طسلي اغلى كثيرا .

كان يحرق في وجه سورم بقلق طفولي ، كأنه كان يمثل دورا في مسرحية . وكان سورم يعلم ان المعجوز لم يكن يمثل ، وبأن التفسير الوحيد لهذا الموقف هو ان الرجل معتوه . ولم يثر فيه هذا الادراك فزما او امتعاضا . وقال معتدرا :

— يؤسفني الا استطيع منحك الباونين ، حيث ليس لدي مبلغ كهذا يمكنني الاستغناء عنه .

فقال الرجل بلهجة حزينة :

— اوه ، يا الهي . في هذه الحالة ، اذن ...

ولوى وجهه عن سورم وراح يحرق في قبضة الباب . وقال بلهجة غير مفهومة :

— لست ادري من يستطيع . . ؟

ووجهه سؤالا الى سورم فجأة :

— لا ادري هل لديك شيء من شراب الجن تخفيه لديك ؟

— كلا . مع الاسف . ما عدا بعض البيرة .

— ممم . اني لم امس البيرة منذ سنين . واعتقد ... في حالة

انعدام شيء افضل . طيب . هل تمانع في شرب قدح من بيرتك ؟

فقال سورم :

— كلا ابدا . خذ القنينة .

واختطف القنينة من فوق المنضدة ودفعها في يد الرجل . وتناولها

الرجل بتردد ، وقال :

— هل تستطيع ان تقرضني ثمانية شلنات وتسعة بنسات كي اشترى

نصف زجاجة جن ؟ رغم ان البائعين لا يرحبون بذلك .

— انا اسف . موقعي مثل موقفك تماما . ليس لدي مال استغني

عنه حتى اذهب الى البنك .

— اواه ، حسنا . في هذه الحالة اعتقد يجدر بي ان اشرب البيرة .

هل لديك قدح ؟

وتناول سورم قدحا من فوق الطاولة وقلبه على رأس القنينة ، وقال :

- لو تعيد الي القدح بعدئذ .
- اوه ، انا لا انوي اخذه معي .
- ورفع القدح ثم فتح القنينة ووضع الغطاء بعناية على الطاولة . وغمر سورم شعور بالاستسلام المضحك . وتخيل بيل بين معه في الغرفة الان ، يرقب باستمتاع حركات الرجل ليستعد لتقليد براءة الرجل العجوز القلقة وامتعاض سورم الخائب . وجلس على الكرسي وراح يحملق في العجوز وهو يصب البيرة . والتقت نظرتهما فابتسم الرجل العجوز بلطف . واعاد القنينة الى المنضدة ووضع عليها الغطاء ، ثم تقدم وجلس على الكرسي الاخر . وقال :
- سامحني لعدم تقديم شيء لك . ولكن ، قبل كل شيء ، لم تكن القنينة مليئة تماما ، واخشى الا يكفيني هذا . ارجو ان تفهم ان هذه ليست انانية ، وانما محاولة اعتيادية لحفظ النفس . حسنا ، «شن شن» كما تقولون انتم معشر الشباب هذه الايام .
- وبدت العبارة العسكرية غريبة في شفتيه . واحتسى البيرة بنفور واضح . وعندما فرغ نصف القدح اخفضه ، قائلا :
- انا لا اشرب البيرة لو خيرت .
- فقال سورم :
- كلا .
- وحرص على الا يضع كلماته في صيغة السؤال كي لا يعطيه مجالا للانطلاق في الايضاحات . وقال الرجل العجوز متفكها :
- اراك لطيفا . ماذا اقول لاسرك ؟
- فقال سورم بلهجة خشنة :
- لا شيء شكرا .
- طيب . الم تكن مهتما بقضية جاك السفاك ؟
- ولم يستطع سورم ان يخفي دهشته وقال :
- اظن ذلك ، لماذا ؟
- علمت بذلك . اعرف امورا كثيرة عنك ..
- وتسائل سورم ترى هل ذكرت كارولوتة الموضوع له . وقرر الا يدع الرجل يتغافل ابعد في الموضوع ، فقال :
- لست مهتما بصورة خاصة .
- كلا ؟ مع ذلك ، اعتقد ان في امكاني ان اقول لك شيئا يشير اهتمامك . كم ابلغ من العمر في اعتقادك ؟

وظل يحدق باصرار في سورم حتى وجد من العسير ان يتجاهل
سؤاله . وقال اخيرا :

— في السبعين ، ربما .
ولمعت عينا الرجل بالسرور . ومد يده نحو قنينة البيرة .
— اخطأت مرة اخرى . انا في التاسعة والثمانين .
فقال سورم وهو يكاد لا يصدق : نعم ؟
— يمكنني ان اطلعك على شهادة ميلادي . وضعتها في محل ما ...
واخذ يتحسس معطفه فوق صدره ، ثم قال :
— ظننت اني احملها معي . يجب ان تكون في الدرج . ولكن لا يعنيها
امرها الان . اني افترض انك لا تصدقني ، في حين ، في الواقع ، انا واثق
انك تصدقني . اليس كذلك ؟
فقال سورم :

— نعم .
— اشكرك يا سيدي . يفضل الرجل ان يصدقته الاخرون . طيب ،
لنعد الى موضوعنا . انا في التاسعة والثمانين . ولدت في الثالث والعشرين
من شهر آب ١٨٦٧ . واضيف قائلا بان والذي كان في الخدمة الدبلوماسية
في كراكاو حيث تعرف على زيرومسيكي . كانت امي بولندية . طيب ...
كان الشخص الذي تذكر الصحف ان اسمه جاك السفاك في الواقع صديقا
مقربا لابي . كان اسمه سيرجي بيداتشنيكو وقد اقبل من نفس القرية
التي نشأ فيها غريغوري ايفيموفيتش راسبوتين . وكان في الواقع قريبا
شرعيا لغريغوري ايفيموفيتش . وترعرع الاثنان في بوكرفسكوي في
توبولسك ، بالرغم من ان سيرجي بيداتشنيكو كان يكبره بسنين عديدة . .
وبينما هو يجلس مستندا على الكرسي ، ويحرك يده اليسرى وهو
يتكلم ، تخيل سورم الرجل العجوز ممثلا في احدي مسرحيات تورجنيف .
كانت الكلمات تنساب كأنها عبارات حفظها عن ظهر قلب . وعندما تسوقف
ليشرب بقية ما في القدح ، وجد سورم نفسه يتلهف ليمضي الرجل في
كلامه . ومضى الرجل العجوز يتكلم وهو يملأ قدحه ثانية :

— طيب ، كان غريغوري ايفيموفيتش وسيرجي فيودوروفيتش
ينتميان الى احدي « الراسكولنيكي » ، وهي طائفة دينية هرطقية تعرف
بـ « خليستي » . وكانت طائفة الخليستي تؤمن بالخلاص عن طريق
الخطيئة . اتفهم ؟ انها نقطة جيدة في الالوهيات ، كما ستري . كلما اوغل
الانسان بالخطيئة ، كانت امكانية التوبة اوفر . تقول انها سفسطائية كلامية ؟

كلا مطلقا . تأمل ، كثير من الناس الذين يميلون الى الروح القديسية يعانون من الضجر ، من احساس بالعبث . تأمل ، من الافضل ان تشعر بانك انسان تسير في طريق الخطيئة من ان تشعر كما وانك معدوم الذاتية يجب الاعتراف بأن هذا ضعف بشري ، كون الانسان يلجأ الى طريقة مسرحية لابرار ذاتيته والا فيعاني من الركود . انا وانت ، يا سيدي ، نعلم بأن الانسان اله . ومع هذا ، فهو لا يستطيع ان يفعل شيئا لجعل من نفسه الها ما لم تشفق عليه الظروف فتمنحه فرصة السلوك مسلك الاله . والفي سورم نفسه يصغي بحيرة متزايدة، وطاف احساس باللاحيقة . ومر به خطر غريب بان هذا الرجل العجوز كان في الواقع ملاكا متنكرا ، مبعوثا اليه ليعيد له الاحساس بعدم نضجه . ولاحظ الرجل العجوز على ما يظهر التأثير الذي كان يتركه ، فبرقت ابتسامة باهتة في عينيه عندما كان يتكلم . ورفع أصبعه موبخا .

— ذلك هو التناقض في طبيعتنا ، نتيجة للخطيئة الاولى ، يمكن للشجرة ان تحقق شخصيتها بان تقف ساكنة بلا حراك . ويحقق الانسان شخصيته بمجرد ان يترك طاقاته تتأجج ، وعلى ضوء افعاله يرى شخصيته وهي تختفي بشخصية اخرى

وتوقف ليشرب جرعة طويلة ثم قال : — اين كنا ؟
— جاك السفاك .

— آه نعم . صديقي بيداتشينكو . حسنا ، وبالاختصار ، فقد جاء سرجي فيودوروفيتش الى لندن لبحث عن الخلاص عن طريق الخطيئة . وكان قرا كتابا لدوستوفسكي يقول عن لندن انها افظع مدينة في أوروبا . وكنت في ذلك الوقت صبيا في الثامنة عشرة . وسافرنا انا وهو من اوديسا معا . وكان جلب معه خياطة نمساوية تدعى ليمبرغ ، امرأة كانت تتميز باليول السادية . واستأجرا شقة في شارع ليمان وشرع بمهنة شق البطون . وكانت خليلته الى قربه دائما وهي تحمل عباءة . فعندما يقترب الجريمة كانت تناوله العباءة فيغطي بها بدله الملوحة بالدماء — واشترى عددا كبيرا من الملابس من سوق شارع بيتيكوت — ثم كانا يعودان مشيا الى البيت وكل منهما ممسك بلذراع الاخر كاي رجل محترم وزوجته يعودان في وقت متأخر من سهرة لدى احد الاصدقاء . وقد حدث ثلاث مرات أن أوقفهم رجال الشرطة في الوقت الذي كانت فيه نظرة واحدة على ملابسه تكفي لسوقه الى المشنقة . وفي كل مرة ، كانا يدعيان انهما زوجان ، فيخلى سبيلهما على الفور . وبعد اخر حادثة قتل ارتكبها سافر

الى اميركا حيث اصبح صاحب بيت للدمارة في نيو اورليانز .
وافرغ الرجل العجوز قدحه الثاني ، وملاه بعناية مرة اخرى حتى
الحافة فافرغ الزجاجاة .

— وبطبيعة الحال فقد لاقى حفاوة شديدة لدى عودته الى روسيا .
وعين في منصب ارشمندرت لتلك الطائفة واعتبره الجميع في مصاف
القديسين . ثم بدأ نشاطه نحو التوبة . اما خليلته ليمبرغ فلم ترق لها
فكرة التوبة فتركت روسيا مع شاب اخر كان يأمل ان يحذو حذو سيرجي
فيودوروفيتش . واما صديقي بيداتشينكو فقد رافق غريغوري
ايفيموفيتش الى سانت بطرسبرج حيث شاركه نجاحه الغريب لعدد من
السنين . وماتا بفرق سنة واحدة من كل بينهما — مات راسبوتين في عام
١٩١٦ ، بعد ان قتله قاطع الطريق يوسوبوف ، وبيداتشينكو في عام ١٩١٧ ،
حيث اصيب في ظهره برصاصة من قبل احد رجال كيرينسكي .
ورشف العجوز رشفة من قدحه المالن ، ثم نهض وهو يمسك به
بعناية . وقال بادب :

— ساتركك الان ، واستعير ، ان استطعت ، قدحك .
وحدق سورم فيه ، وهو لا يجد ما يقوله . وانحنى الرجل العجوز
قليلا وهو يقول بوجوم :
— طابت ليلتك .

وتناول القنينة الفارغة ومشى نحو الباب . وسمع سورم صوت
القنينة يقرقع وهو يضعها في سلة القش . وبعد لحظة ، عاد الرجل
العجوز وهو لم يزل يمسك بالقدرح المالن . وقال :
— هل أنت ما تزال واثقا من انك لا تستطيع ان تقرضني ثمانمائة
شلنات وتسعة بنسات ؟

وفتش سورم في جيبه الخلفي فعثر على ورقة بعشرة شلنات
مغضنة . ودسها في يد الرجل دون ان ينبس بكلمة وانحنى الرجل العجوز
وقال بطريقة رسمية :

— سيدي ، لقد انقذت حيبي . الف شكر .
ثم قبل الورقة النقدية ، وانسحب خارجا من الباب . وقال سورم :
« طابت ليلتك » ، عندما كان الباب يفلق ، ولم يجب الرجل . ثم سمعه
يرقى الجزء الاخر من السلم ، والقناني تصلصل .
كان التعب قد اختفى . ووقف الى جوار النافذة يفكر فيما يفعله .
وبعد دقائق قليلة سمع الرجل العجوز ينزل السلم ثانية ويذهب خارج

البيت . وبعد فترة من التردد ، نزل الى الطابق الارضي واتصل تلفونيا بشقة ن . ولم يلق جوابا . ثم ذهب ووقف في عتبة الباب الامامية برهة من الزمن ثم عاد الى غرفته . كان الوقت متأخرا بالنسبة للعودة الى بيت المس كوينسي ، كما ان كارولين كانت في الطرف الثاني من لندن . ولسم يملك الا ان يذهب الى الفراش .

وبقي مستيقظا مدة ساعتين ، وهو يفكر في الرجل العجوز وفي اوستن . وعندما ذهب في غفوته ، كان الرجل العجوز يجول في احلامه . وفي حوالي الساعة الثانية صباحا نزل السلم الى غرفة الحمام وغسل يديه ووجهه بالماء الحار . وبعد ذلك ، ذهب لينام . ولم يكن هناك صوت يصدر من غرفة الرجل العجوز .

واستيقظ مرة اخرى عند الفجر القارس ، وكان يحلم بجيرترود كوينسي ترقد الى جنبه وهي مشدودة اليه . واثناء ما كانت عيناه مغلقتين احس بجسدها ملتصقا باطرافه المسترخية وذراعاها حول عنقه . واختفت فجأة عندما استيقظ بصورة تامة ، ولكن ذكرى الحادث كانت واضحة كما لو انه مر بالتجربة الجسمية . وراح يحدق في السماء التي اخذ الشحوب ينتشر فيها . واختفت الرغبة الجنسية تحت نور التأمل الساطع . اذ كان يحس بها فقط عندما كان يتأرجح بين النوم واليقظة . واتسع في اعماقه الاحساس بالعافية . كان احساسا بالقوة المتنامية في اعماقه . ومرت به لحظة احس بها بالفرح لهذا العالم ولكل ما يوجد فيه . ثم حمله النوم مرة اخرى وهو يفكر في كارولين .

الفصل الخامس

كان يحلم بنن محكوما عليه بالاعدام ، وكان يقول لشتاين بان هذا الحكم حماقة مريعة وبان نن انسان عبقرى وخسارة لا تعوض في الادب . ولكنه في الوقت الذي كان ينطق فيه بهذه الكلمات لم يكن يصدقها . كان يعلم بانه من المحال عليه ان يفضي بالاسباب الحقيقية للدفاع عن نن امام شتاين او اي شخص اخر .

وايقظه صوت ما . وراح يحرق في الجدار وهو يصفي الى صوت رجائي في الغرفة السفلى يترنم باغنية شائعة . وبدا له كان هنالك عمالا يصبغون الجدران في تلك الغرفة . وانتقل على قفاه ومضى يحملق فسي السماء من خلال النافذة . كانت السماء رمادية كالرخام . والقى نفسه يتسائل اتراه سيهب للدفاع عن اوستن اذا ما ادى الامر الى محاكمة نن بتهمة القتل . سيكونون انذاك على خطأ ، سيكون شتاين والقضاة كلهم على خطأ . غير انه لا سبيل الى تغيير ذلك . ان ايسر الحلول هو ان يجد طبيبا للامراض النفسية يشهد بان نن معتوه ، ولكن نن ليس بمعتوه .

وخرج من الفراش ليضع الابريق على الموقد ، وفتح صنبور الغار بدرجة متوسطة ثم عاد الى الفراش . وفي هذه الاثناء وقع بصره على يوميات نجنسكي ، فشعر بشيء يتركز في داخله . كانت هنالك صورة رجل يسير ليلا في شارع تحفه الاشجار وهو يصفي الى انغام موسيقية تنبعث من صالة لفندق مجاور . وكان الرجل مصابا بهوس السوبرمان ، وتحدهه رغبة في ان يرتفع بكل طهارة وتلقائية عن التفاهة البشرية، ويرتفع بصورة مطردة لا قلق فيها . ومرت به لحظة احسي سورم بها كأنه فهم اوستن ، كما لو تلقى رؤيا نقية فنقل الى هذا الاشتمزاز الذي تحول الى

العنف . و صوب نظره نحو السماء الرمادية ، وهو يحتضن هذه الرؤيا بقوة ، وراح يفكر : لا شيء يهم غير هذه القوة . ليس هناك سعر اعلى مما تستحقه .

وتناهى اليه بنفس الوقت وقع خطوات على الدرج ، وتوقع انها قادمة نحو غرفته . وهتف صوت كارلوتة : مستر سورم !
- هلو ؟

ففتح الباب .

- هل استيقظت ؟ هنالك سيد يود مقابلتك .

- من هو ؟

فهزت كتفيها وقالت :

- لست ادري . انه الماني .

وفكر مليا برهة من الزمن ثم سألها :

- رجل عجوز ؟

- نعم .

- اه ، اطلبي اليه المجيء ، ارجوك ؟

وارتدى سرواله ، وكان يحزم روبه عندما دخل شتاين الغرفة .

والقى شتاين نظره على الفراش غير المنتظم وابتسم معتذرا وقال :

- هل بكرت في المجيء ؟

- فهز سورم يده الباردة وقال :

- لا ابدا ، كنت مستيقظا . ماذا تريد ان تحدثني به ؟ اوستن ؟

كان يريد ان يدخل في الموضوع عمدا ، فلم يكن يريد ان يسدي

تجاهلا الامر . وقال شتاين :

- اوستن ؟ كلا ، ليس بصورة خاصة . انا مهتم اكثر بهذا الرجل

الذي يسكن فوق .

ومرت لحظة من الدهشة صدق فيها سورم كلام الرجل .

- لماذا ؟ لا اظنك تعتقد انه هو مجرم وايتشابل ؟

- كلا . ولكنه قد يعلم شيئا . لما كان في المستشفى كان يصرخ

باشياء غريبة في نومه .

فقال سورم بلهجة قاطعة :

- انا واثق من انه لا يعرف شيئا .

- كلا ؟

- تحدثت معه الليلة الماضية . انه مجنون كالقط في شباط ، ولكنه

لا يعلم شيئا . على كل حال ، كيف علمت به ؟
فأتى شتاين بحركة معبرة وقال :
- اتفق ان رأيت عنوانه في سجل النداءات التلفزيونية للمحقق ماكمردو .
وعرفت انه عنوانك ايضا . وعليه جئت لعلي اجد عندك ما تقوله لي ...
وبدت الاكذوبة لسورم وهو يرقبه واضحة مكشوفة ، ولكنه تذكر ان
شتاين لم يعلم بان الاب كارترز قد حدثه عن نسن . اما بالنسبة لشتاين ،
فلم يكن هنالك سبب يدفع سورم الى عدم تصديقه ، وقال سورم :
- سأخبرك ما استطعت . غير انه ينبغي عليك أن تراه بنفسك . ستجد
عند ذاك انه مخبول .
- لقد كان في المستشفى يهذي عن جريمة قتل .
- نعم . ولكن ليست هذه الجرائم . ان جرائم وايتشابيل التي اثار
اهتمامه هي الجرائم التي وقعت منذ ستين سنة .
- جرائم جاك السفاك ؟
فقال سورم :
- ما الذي يجعلك تهتم بانسان في هذا السن ؟ اذ لا شك من الجلي انه
لا يستطيع اقتراف سلسلة من هذه الجرائم ؟
فقال شتاين وقد لاح عليه التعب :
- هنالك قاتل في احدى نواحي لندن . وليس لنا من حيلة سوى ان
نفحص جميع الاحتمالات .
- اوافقك . ولكنك تضيع وقتك مع رجل عجوز . انه طاعن في السن .
فضلا عن انه معتوه .
- القاتل ايضا معتوه .
- انظن ذلك ؟
فقال شتاين :
- نعم ، انظن ذلك .
واخذ الابريق يصدر وشوشة . وقال سورم :
- اجلس وتناول قدحا من الشاي . يبدو عليك الاجهاد .
- اشكرك . اجل ، انا متعب .
- الا تأخذ قسطا من الراحة في ايام الاحاد ؟
فقال شتاين وهو يهز برأسه :
- لا مجال للراحة في قضية كهذه .
والقى بنفسه على الكرسي ووضع قبعته على المنضدة . والقى سورم

نفسه يحس بالاسف لهذا الرجل . ووضع الشاي بالملقعة في قدح الترمس
وسكب عليه الماء المغلي . ثم اغلق الموقد الغازي واشعل المدفأة . كانت الغرفة
دافئة بسبب الموقد . وخلع الروب ولبس قميصا . وقال :

— لا تهتم . من المحتمل ان تقبض عليه متلبسا بالجريمة يوما ما .
فقال شتاين :

— ربما .

وراح يتأمل في البخار الذي كان يتصاعد من القدر ، و اضاف قائلا :

— قام بمحاولة اخرى في الليلة الماضية .

— ماذا ؟

وحملق سورم فيه ، وهو يتساءل في نفس الوقت هل كان شتاين يحاول
ان يوقعه في الفخ بطريقة من الطرق . وسال :

— ما الذي حدث ؟

— لا اعرف التفاصيل . هجم احدهم على امرأة صباح هذا اليوم .
وسمع الجيران صراخها فهرعوا اليها . فقفز الرجل من النافذة واختفى .

— في ويتشابيل ؟

— نعم .

— ولكن ماذا حدث للمرأة ؟

— كانت ما تزال فاقدة الوعي في الساعة الثامنة هذا الصباح . كانت قد

اصيبت بكسر في جمجمتها .

— هل ستعيش ؟

— من المحتمل . لحسن الحظ ، لم تمس الكسور الدماغ .

— اذن فينبغي ان تحصلوا على اوصاف القاتل .

— تأمل هذا . ولكن الغرفة كانت مظلمة .

وفكر سورم وهو يصب الشاي : مسكين يا اوستن . ليس في وسعي

ان افعل شيئا لاجلك . ثم اوقف تفكيره هذا ، وقال في نفسه : لم اوستن ؟

قد لا يكون اوستن القاتل ؟

واخذ شتاين قدح الشاي وقال :

— وهكذا ترى كيف سئنا الامر كله .

— أجل . لا تهتم . قد يحالفكم الحظ فتحصلون على الاوصاف .

— ربما .

وراح شتاين يحتسي الشاي بصمت .

— تقول ان القاتل معتوه ، ايها الطبيب ؟

— أظن ذلك .
واوقف سورم نفسه بعد ان كاد يقول : هل جنونه من الخطورة ليبعث
به الى مستشفى المجاذيب في برودومور ؟ ولكنه — بدلا من ذلك ، سأل :
— هل تظن ان جميع القتالين الجنسيين معتوهون ؟
— لا . لا بالتأكيد . كأنك تقول هل جميع الذين يسرقون رغيف خبز
لشدة الجوع هم معتوهون .

— آه .
ونظر اليه شتاين وسأل :
— ماذا يدور في ذهنك ؟
— اتساءل . . . الا يحتمل ان يكون القاتل اسلم عقلا من الانسان العادي .
— كيف ؟

وحقق سورم خلال النافذة قليلا ثم قال :
— مثلاً، في الايام التي كانت تقدم فيها الضحايا في المعابد، كان للقسس
بصيرة لحقيقة الاشياء اعمق مما هي عند اكثر الناس . وكان القتل يعتبر
رمزا .

فقال شتاين بعدم تصديق :
— رمزا ؟

— نعم . شيء ينطوي على رفض ضوء النهار العادي ، انحراف متقص
عن منطق النهار الراضح .
فقال شتاين معبسا :
— ولكن الرجل الذي يرتكب القتل ، انما هو تحت توتر شديد . انه
ليس فيلسوفا .

وطرق احدهم الباب . وهتف صوت الفتاة :

— تلفون للدكتور شتاين .

فقال شتاين بلهجة متعبة :

— مرة اخرى !

وبدرت منه حركة مجهدة معبرة عن اشمئزازه وخرج من الغرفة .
واتم سورم احتساء الشاي وهو يجلس على الكرسي . واحس احساسا
غامضا . بان امرا مهما يكاد يقع ، ولكنه وجد من العسير عليه ان يحمله على
محمل الجد . كان في نفسه شعور بالواقع يتمرد على التعقيدات التي تنطوي
عليها الدبلوماسية والخداع . وبالرغم من معرفته ان حياة نسن كانت مهددة
لم يزل من المستحيل عليه ان يجد الامر يرتبط به تماما . وحاول ان يركز

في نفسه الاحساس بلا حقيقة الاشياء وهو يتساءل متى يعود شتاين فيقطع عليه السلسلة . وبعد لحظة ، عاد هذا الاحساس اليه فترة وجيزة ، فأخذ يحاول صياغته في كلمات . ان خطورة الموقف تكمن في ارتكاب القتل — قتل عدد من النساء . فاذا ما ماتت النساء نتيجة لذلك ، فالسبب هو افتقارهن الى مبرر جيد للبقاء احياء . وان الحياة التي فقدتها كانت مجرد انصاف حياة . ولذلك ، فمجرم وايتشابل هو نصف قاتل . وربما كان القاتل نفسه يعيش نصف الحياة فقط . ففي تلك الحالة ، القضية هي قضية ربع عملية قتل . ألتفاهة تقوم بقتل البلادة والعيب . قال نيتشه : الشعب الكامل هو انحراف في عملية انتاج عشرة عباقرة ..

وعاد شتاين الى الغرفة . كانت ملامح التعب قد تلاشت . وقال :
— لقد قبضنا عليه .

واعتدل سورم في جلسته :

— ماذا !

كانت عينا شتاين ذات بريق يدل على الانفعال المكثوم :

— القاتل . القي القبض عليه منذ ساعة .

وحقق سورم فيه دون تصديق :

— من هو ؟

— عامل من عمال بركستون . كان الرجل الذي هاجم المرأة الليلة

الماضية فقد اذيعت اوصافه ووجدته سيارة للشرطة بينما كان يحاول ان يتسلق

جدار حوض للسفن . وقد تعرفت عليه المرأة منذ ساعة .

— هل انك واثق من انه القاتل ؟ هل اعترف بذلك ؟

— كلا . في الواقع ، انه اعترف بهجومه في الليلة الماضية ، ولكنه قال

انها محاولته الاولى .

— هل الشرطة على يقين من انه الرجل الصحيح ؟

— تماما . كان قد طلى وجهه بالفلين المحروق . وعثر على اسفنجية

ملطخة بالفلين المحروق في جيبه .

وقال سورم مبتسما :

— حسنا ، تهانينا . ارجو ان تكونوا عثرتم على الرجل الصحيح .

فقال شتاين وهو يهز كتفيه :

— قد لا يكون الرجل الصحيح . القاتلون يميلون الى التقليد . ففي

قضية كورتن القي القبض على احد الاغبياء وهو متلبس بجريمة اغتصاب

واعترف بأنه مرتكب كل الجرائم . ولكن لسوء الحظ ، لم يكن هو القاتل .

ولدي امثلة عديدة حيث يقوم قتلة كثيرون بتقليد احد المجرمين ... على كل حال ، نأمل ان يكون هو الشخص المطلوب .

وقال سورم بتشكك :

— بريكستون بعيدة جدا عن وايتشابيل .

فابتسم شتاين :

— ولد هذا الرجل ونشأ في وايتشابيل . ولعله يعرف وايتشابيل خيرا من بريكستون وبلاضافة لذلك ، لعل لديه دوافع للانتقام من النساء فى وايتشابيل .

ورفع شتاين قدح الشاي وافرغه . وقال مبتسما :

— ولنر الآن اذا كانت نظرياتك عن ذهنية القاتل صحيحة .

ووضع القدح على الطاولة والتقط قبعته .

— اشكرك على الشاي ، امل ان اراك قبل عودتي الى المانيا .

— امل ذلك ... ا ... الا تريد ان ترى الرجل العجوز فى الطابق

العلوي ؟

فقال شتاين :

— سنبقى نريد ان نراه ، بطبيعة الحال ، حتى نتأكد من ان الرجل المقبوض عليه هو القاتل . ولكنني اريد شيئا من الراحة الان .

ولم يبد الاعياء فى ابتسامته الان . وقال بأدب :

— اتمنى لك نهارا سعيدا ، واشكرك .

وصافح سورم يده .

— ارجو معذرتي اذا لم ارافقك الى اسفل ؟

فقال شتاين بعزم :

— لا مطلقا . وداعا .

واصفى سورم الى خطوات الرجل تهبط السلم ، وهو يعد ببطء الى الخمسين ليتأكد من ان شتاين قد ترك البيت. ثم اطل في المراة ومسح ذقنه

غير الحليق باصابعه ولبس السترة والمعطف .

لقد تركته زيارة شتاين والشكوك تساوره. ولاح ان خبر القاء القبض قد وقع فى الوقت المناسب تماما ، كان الامر قد اعد سابقا . واطفا النار

الغازية وتأكد من انه احكم اغلاق النافذة ثم قفل الباب خلفه .

* * *

وقبل ان يلقي السؤال علم بأن جوابه سيكون بالنفي . وظل واقفا ، ممسكا بالسמاعة فى يده ، وهو يتأمل بنفور البلب الذي تركه عليها الشخص

الذي استعمل السماعة قبله . وبعد قليل عاد صوت الفتاة :
- يقول البواب انه حسب ما يعلم لم يعد المستر نن الى البيت في
الليلة الماضية . هل اخبره بانك اتصلت ؟

ومشى في شارع كامدن وهو لا يدري ماذا يفعل . ومرت بقربه سيارة
تاكسي ، واخذ يفكر لو يوقفها ليذهب بها الى شقة نن في كنسيفتن . ولكن
خوفه الا يجد نن هناك ايضا ثبط فكرته . وظل واقفا ، مترددا ، في زاوية
شارع كراونديل وهو يتأمل في صناديق البريد خارج مبنى دائرة البريد .
واستقر رايه على قرار عندما لمح سيارة الباص تذهب الى شارع «فارينغتن» .
وقفز داخل السيارة قبل ان تتحرك عند اشارة المرور . وعندما استرخى في
مقعد الطابق العلوي احس ثانية بالصفاء الداخلي الذي احس به صباح اليوم
وهو في الفراش . واختلج في اعماقه شعور بالحيوية وقد فرض هذا الشعور
نفسه وهو ينظر الى بناية محطة بانكراس ، وقد امتزج لديه تذكر القطارات
فيها بشعور الانتصار .

كان القسيس الهنغاري يقف عند باب المنزل . وقال على الفور :

- اتريد ان ترى الاب كارائز ؟

- ان امكن ، رجاء .

- نعم ؟ لا ادري اذا كان موعد استراحته .

- الامر مهم جدا .

- وفتح القسيس الباب بمفتاح .

- انتظر هنا ، رجاء .

- اشكرك .

لقد ضايقته الشكليات . واقتعد الكرسي ذا المساند بجوار النار الغازية
ثم نهض ثانية وهو يغطي كتفيه بفراغ صبر . واطل برأسه من خلال الباب
فراى روبن مونسيل يصعد السلم . فسحب رأسه على الفور ، لا يدري هل
لمحه مونسيل . وسمع الخطوات تستدير عند منعطف السلم وتصدر الجزء
الثاني . فابتسم وتنفس الصعداء . وعاد القسيس الهنغاري في الحال :

- هلا صعدت الى غرفته ؟

- شكرا .

وتظاهر كأنه يبحث عن قفازيه على الكرسي ليتأكد من ذهاب مونسيل .
وقال القسيس : - هل فقدت شيئا ؟

- اوه ... لا . تلك هي في جيبي .

وراح يرقى السلم درجتين في كل خطوة ، ويسير بعجلة وحذر في

وقت واحد .

وقال الاب كارائز :

— صباح الخير ، يا جيرارد . لقد عدت سريعا .
— صباح الخير ، ايها الاب . ارجو الا اسبب لك مضايقة .
كان القسيس في الفراش ، يبدو عليه المرض والتعب . كانت النار فوق
المشبك الحديدي حمما من الفحم المتوهج . ودهش سورم للاختلاف بين
حرارة الغرفة وبرودة يد القسيس الثلجية وهو يصفحها .
— انك لا تضايقني ، ولكنني لست على ما يرام اليوم . علينا ان نختصر
الحديث .

— طيب ، ايها الاب . واقولها باختصار ، اذن ، كان شتاين قبل قليل
في زيارة لي عن قضية اوستن .
— هل كان صريحا معك ؟
— ا . . . كلا . في الواقع لم يذكر اسم اوستن ابدا . ولذلك اردت
رؤيتك . قال انه تم القاء القبض على مجرم وايتشابيل .
— متى ؟

— منذ حوالي الساعة . رن جرس التلفون بينما كان عندي . وقد
ادعى انه جاء ليتحدث معي عن الرجل الذي يسكن الغرفة العليا . الشخص
الذي حاول احراق البيت .

فقال القسيس ببطء : — نعم . وماذا تظن انت ؟

— لا ادري هل يقوم الدكتور بتنفيذ لعبة .
— هل وجه لك اسئلة عن اوستن ؟
— كلا . لم يذكر اسمه .
— ولكنك تعتقد بانه لم يكن مخلصا في ادعائه عن سبب زيارته لك ؟
— كلا . لا اظن ان الشرطة تشك بالرجل العجوز . انه طاعن في السن .
اذا كان الامر كذلك فقد يشكون . . . فقد يشكون بسك ايضا ، اذا فهمت
قصدي . . .

— في الحقيقة ، ربما يشكون ! اذن ، فتظن انهم لا زالوا مهتمين باوستن ؟
فقال سورم معبرا عن عجزه :

— انا عاجز عن معرفة ذلك ، ايها الاب .
— انا اميل الى الاعتقاد بانهم ما زالوا يتبعونه . هل رأيته ؟
— طيب ، تلك مسألة اخرى . يبدو ان اوستن قد اختفى . لم يعد الى
البيت منذ اربع وعشرين ساعة . وتذكر ، لعله في كنسيفتن الان .

- الا يمكنك الاتصال به تلفونيا .
- ليس لديه تلفون هناك .
- آه . وهذا الرجل الذي قبض عليه ؟
- رجل هاجم امرأة الليلة الماضية في وايتشابيل . عامل من عمال بريكستون . ويظهر انه صبح وجهه بالسواد .
- آه ، حقا ؟
- هل سمعت به ايها الاب ؟
- فقال القسيس :
- نعم . واخشى انك على حق .
- لماذا ؟
- ذكره لي فرانز شتاين منذ بضعة ايام . قال بان هناك رجلا يلقي الروع في قلوب النساء في وايتشابيل وذلك بان يقفز من وراء الابواب بوجهه الاسود . ولا يعتقد الشرطة انه القاتل حقا . وبالتأكيد لا يعتقد ذلك فرانز ايضا .
- لماذا ؟
- لان الرجل الذي يقفز من وراء الابواب ليخيف النساء يبدو مسألة اخرى تختلف عن القتل . انه بالطبع سادي بطريقة ما ولكنه ليس من النوع الذي تبحث عنه الشرطة .
- ولكن هذا الرجل هاجم امرأة ، ايها الاب . وسبب لها رضوضا خطيرة في رأسها ، كما ادعى شتاين . حدث ذلك في غرفة في وايتشابيل وقد هرب بأن قفز من النافذة .
- حقا ، آه . . .
- واخذ سورم يتحرك بقلق وهو يجلس على حافة السرير . وفك ازرار معطفه . كانت الحرارة تسيل عرقه . وقال القسيس اخيرا :
- ان كنت واثقا من انه هاجم المرأة . . . فربما انا مخطيء .
- قال شتاين ان الرجل اعترف بانه قام بالهجوم ، ولكنه انكر قيامه بالجرائم الاخرى .
- اه . يبدو انه صادق في قوله . اذا كان يريد خداعك لما قال لك ان الرجل انكر الجرائم الاخرى .
- تعني انه اما ان يقول لي ان الرجل اعترف بالجرائم او لا يذكر الموضوع مطلقا ؟
- اعتقد ذلك .
- وسرت رعشة في ظهر سورم . وقال :

— لم تعتقد ذلك ، ايها الاب ؟ هل تعتقد ان اوستن هو القاتل ؟
— حسب معرفتي بنسن لا اعتقد ذلك ؟
— لماذا ؟

وقال القسيس :

— لاني ... اعرف اوستن منذ نعومة اظفاره . اي انني كنت اعرف
عنه منذ طفولته . وكانت امه تحدثني بالكثير عنه . ما قولك انت في احتمال
كونه القاتل ؟

كان السؤال مفاجئاً بالنسبة لسورم . وقال بعد تردد :
— ليس من اليسير الاجابة على هذا السؤال . لا يحتمل ان يكون هو
القاتل بالمعنى الذي تقصده ، فليس هو بالوغد الخسيس ، وليس قساصي
القلب ... ولكن ... لا يمكنني التوضيح .
— حاول ان توضح ، يا جيرارد .
وخلع سورم معطفه والقي به على السرير . ثم فك ازرار مئزره
ومسح العرق عن جبينه . وقال ببطء :
— اترى ، ايها الاب ، الامر كله هو اني التقيت به في معرض دياغيليف ،
ها ...

— وما علاقة هذا بالمشكلة ؟

— له علاقة كبيرة . انك لم تجد العلاقة ، اليس كذلك ؟ كلا . طيب .
— لقد اثر المعرض في نفسي ، لانه ... كان كالقصة الخرافية . تلك الملابس
القديمة والتصاميم والموسيقى العذبة ، والعطر — بالمناسبة ، العطر نفسه
الذي يستعمله اوستن — كانها من عالم اخر . حسنا ، هذا هو عالم اوستن ،
ايها الاب ، العالم الذي يريد هوان يعيش فيه . انه ليس انسانا متوقفاً
الذكاء . ولن يجد ثمة فائدة يستخلصها من كتابات القديسين او قسس
الكنيسة ، ولكنه مع ذلك يريد ان يجد عالماً مثالياً ... اذكر ، لقد حدثتك
بلفس الشيء عن شقته في الطابق السفلي ؟
— نعم .

— اعتقد ان العيش يجهد . انه لا يستطيع ان يقبل الواقع . استطيع
ان افهمه لان الاحاسيس نفسها تعاودني . ان واقع العالم يحطمه ، ويقض
عليه مضجعه . ولهذا فيريد ان ينظر الى العالم من زاوية منفصلة جميلة .
وهذا هو سبب ميله الى الجانب المسرحي . اي انه يريد بدلا من الاحياء
الفقيرة الحقيقية مسرحا يبدو كالاخياء الفقيرة . ويريد بدلا من الياس
والهزيمة ممثلا تراجيديا يهذر عنهما . انه يريد ان يبسط كل شيء ...

— فهمت وجهة نظرك . ولكنها لا تلوح تعريفا ينطبق على قاتل بالنسبة لسي .

— انه يجعل من نفسه ممثلا تراجيديا يقوم بحركة تنطوي على التحدي . الا ترى ذلك ، ايها الاب ؟ انه يحاول ان يحول اشمزازه الذاتي الى عمل مسرحي . فاذا اقترف جريمة قتل ، فانه لن يكون قاتلا حقيقيا ، وانما يكون ممثلا تراجيديا يقوم بدور ماكبث .
وقال القسيس :

— اظنك تبالغ في تقدير حاجته الى القيام بدور تمثيلي . واني اشك في ان حاجة كهذه تتسع الى درجة تدفعه الى ارتكاب جرائم القتل .

واحس سورم بالارتباك وبالاشتباك في المناقشة ، ولم يعد يستطيع ان يمسك بالخيط الذي يقوده الى اعماق بصيرته . وقال اخيرا :

— لست ادري ، ايها الاب . . . انه بأجمعه الشعور بانك تريد ان تفرض نفسك على العالم . القتل هو آخر المحرمات ، وهو في بعض الحالات النفسية لا يختلف عن عملية الانتحار . اظن ان هذه هي الطريقة التي يشعر فيها اوستن . فما لم يتمكن من تحويل العالم الى مسرح يصبح العالم غريبا عنه الى حد لا يطاق . انه يريد ان يصبح شيئا ايجابيا ليبرر وجوده .
ومرت على وجه القسيس غمامة وقال :

— فهمت . . . ما تعنيه . على كل حال . . . لا اعلم . لا يبدو الامر محتملا بالنسبة لي .

— كلا ، واني لاتفق معك ، ليس هذا برهانا نهائيا على ان اوستن سينتفح جرائم القتل . . .

— عليك ان ترى اوستن . . . وربما ينبغي ان تحذره .

— ظننتك لا تريد مني ان احذره ؟

— ليس بصورة صريحة ، ربما . ومن الناحية الثانية فيبدو لي محتملا جدا بانه ليس ملذبا . وفي تلك الحالة . . .

وتوقف عن الكلام وهو يحدق في الغطاء وقد استند ذقنه الى صدره . ولم يكن سورم واثقا هل أن حالته تدل على التفكير العميق أم مجرد التعب . فنهض واجتاز العرفة الى النافذة التي كانت مفتوحة بمقدار بوصة من اعلاها . وشعر بالانتعاش لتيار الهواء الخفيف البارد . وفيما هو ينتظر ، مضى القسيس قائلا :

— ما كنت تحدثني به عن اوستن قد ينطبق عليك . فبوسعي ان انصور انسانا بحاجة الى هدف اخلاقي ، انسانا يشعر بان الحياة عديمة المعنى . . .

فقاطعه سورم بقوله :

— قال لي أوستن مرة شيئا من هذا القبيل . قال انسه كان يشعر بالتفاهة واللامعنى ... كلا بل باللاهدف ، هذا ما قاله .

— صحيح ؟ وماذا قال ايضا ؟

— اوه ... تحدث عن شعوره بأنه ينبغي ألا يكون حيا . وقال انه اذا كانت هنالك عدالة على وجه الارض لكان مات ، شيئا على هذا النحو . ولكن لا تنس انه كان في حالة من الكآبة في تلك الليلة .

— اللاهدف . ينبغي ان اعترف لك بانك تدهشني . ولكن الكلمة تدعم قولك . غير اني كنت على وشك ان اقول لك ... بوسعي ان اتصور انسانا يحس بالحاجة الى ان يذهب مذهب الخير والشر ، ان يهرب من الاحساس بالعبث . ويمكنني ان اتصوره يرتكب جريمة ما لمجرد ان يبرهن لنفسه بأنه قادر على اتيان الشر ، وعليه فهو ليس من ... دون هدف . لم تمر بي قط طوال حياتي حالة كهذه — ما عدا، ربما ، في الاحداث الجانحين . فقال سورم وهو يهز كتفيه :

— بالطريقة التي تحدث بها ، اني اتفق انها لا تبدو محتملة . ولكني لا اتحدث عن الدوافع الواعية . انا اقول لو فرضنا جدلا بان أوستن هو القاتل ، فاني افهم دوافعه . اعني ، خذ اوليفر غلاسب مثلا ... انه من نفس الفصيلة . لقد التقيت به مرارا عديدة خلال هذا الاسبوع ، ايها الاب ، واظنني اعرف الكثير عنه الان . على كل حال ، اني اعلم بأنه ما كان ليعاني اي نوع من التوتر لو كان يؤمن بعبقريته . لكان لديه هدف حينئذ . ولكن والحالة هذه ، فقد اشبك نفسه في علاقة مع طفلة في العاشرة من عمرها من الاحياء الفقيرة . وتمنحه هذه العلاقة احساسا بالمعنى من يوم لآخر ، وهذا هو ما يحتاجه ليتسمر على الحياة . ولكنه لا يؤمن بواقعه الى الحد الكافي الذي يبقيه حيا دون شيء من هذا القبيل . اتفهم ما احاول ان اقله ، ايها الاب ؟ اوليفر بحاجة الى الاشخاص اكثر من الافكار — انه انسان عاطفي . وعليه ، فاذا ما احس بالتوتر مضى يفتش عن الاشخاص . اما انا فاحتاج الى الافكار اكثر من الاشخاص . واذا ما تمردت ، كانت ثورتي ثورة فكرية . ولكن أوستن شخص حسي وعاطفي في نفس الوقت . انه يريد مخرجا ماديا جسديا لثورته — سيطرة السيارات السريعة ، قيادة الطائرات . الا يبسود التفسير صائبا ؟

كان مندفعاً في كلماته المنفعلة ، وعندما توقف انتابه احساس بالاثم . كان الاب كارائز يصغي وهو متدلي الرأس معلق العينين ، ولعله كان نائما .

وقال دون ان يفتح عينيه :

— نعم تبدو على صواب .

وقال سورم :

— اخشى اني اتكلم اكثر مما ينبغي .

— انا آسف . اريد ان اسدي لك عوناً اكثر . ولكنني في غاية التعب .

— نعم ، سأرحل الآن .

— اذهب وابحث عن اوستن .

— ان استطعت ايجاده !

— جرب شقة كينسيغتن . خذ تاكسي .

— طيب . ولكنني سأذهب بقطار النفق .

وقال القسيس :

— افتح ذلك الدرج خلفك . . . كلا ، ذلك الذي على اليسار . هناك

علبة من البلاستيك . . . نعم ، شكراً .

وفتح العلبة السوداء التي ناوله اياها سورم واخرج منها باونا .

— خذ هذا واذهب بواسطة تاكسي .

— كلا ، حقاً ، ايها الاب .

— خذ . انا لا احتاج الى النقود هنا — اذ اقضي ايامي في الفراش .

وبالإضافة لذلك، فانك تقوم بمهمة لي، لاني كنت سأذهب لو استطعت. خذه.

وتناول سورم الباون على كره منه ودسه وهو مطوى في جيبه

العلوي . وقال :

— شكراً ، ايها الاب . هل اتصل بك تلفونيا لاعلمك بالنتيجة ؟

— كلا . اذا وقع امر مهم ، فعد الي . فاني سأنام الآن .

— حسناً ، ايها الاب ، شكراً . اتمنى لك شفاء عاجلاً .

— شكراً يا جيرارد .

وخرج من الباب الامامي . وفيما هو يلتفت عند الزاوية التقى بروبين

مونسيل الذي كان يعدو نحوه عبر الشاوع . وقال مونسيل :

— طيب ، يا جيرارد ، انك انسان غريب ، اذ اني اسمع بانك تروح

وتغدو دائماً لدى الاب كارائز .

وقال سورم وهو يشعر بالأحراج :

— كيف حالك ؟

— انا بخير جداً . ولكن كيف تجري الامور معك ؟ هل انتما تهيئان حملة

لتغيير عقائد نن ؟

فقال سورم بابتسامة مفتعلة :
- شيء من هذا القبيل .
- تفضل لتناول كوب شاي .
- كلا ، شكرًا ، يا روبن . كلفني الاب كاراتز بالقيام بمهمة له .
- حقًا ؟ وهل ستعود ؟
- اظن ذلك . في وقت متأخر من النهار .
- طيب ، اراك على عجل شديد . ربما سأراك فيما بعد .
فقال سورم وهو غير صادق :
- انا ذاهب لتناول الغداء الان . احس بالجوع قليلا . ولكنني سأراك
فيما بعد ...

- طيب ..
وبينما كان سورم يهتم بالانصراف ، قال مونسيل :
- بلغ تحياتي لاوستن .
فالتفت سورم مندهشا ، ولكن مونسيل كان قد بلغ مدخل البناية .
واختار شارع روزبري افينيو ، وهو يمشي نحو للدغيت سركس وقد
قرر ان يستقل سيارة تاكسي من هولبورن . كانت رقبته لم تزل رطبة من
العرق الذي اسالته حرارة الغرفة ، وكان يحس بجفاف بحنجرته . ولسبب
لايعلمه ، لم يكن يتوقع وجود نين في شقته في كينسنغتون . انه لن يجد نين
في اي من الامكنة التي اعتاد ان يقصدها ان كان يبغي تفادي رجال الشرطة ...
وتذكر فجأة الالبسة النسائية . كان الايضاح الذي قدمه نين في ذلك
الوقت غير مقنع . بيد ان شكوكه الجديدة لم تمنحه فرضية مقنعة ايضا
بصدده هذه الالبسة .

وعندما بلغ شارع غليت دخل اول حانة مر بها . وطلب قدحا من
البيرة الخفيفة ، وشرب نصفه قبل ان يحس بحرارتها في حنجرتة . فابتسم
لصاحب الحانة قائلا :

- آه ، ذلك افضل .
وسمع صوت احدهم يصيح :
- وداعا يا جورج !
- وداعا يا مستر بين .
فقال سورم :

- كان هذا بيل بين ؟
- نعم ، يا سيدي .

فأسرع الى خارج الحانة والفى بين على وشك عبور الطريق . وهتف:
 - هلو ، بيل !
 ولكن صخب المرور طمس صوته ، وبينما كان بين يهم بترك الرصيف
 قفز سورم نحوه ومس ذراعه . وقال بين :
 - هلو ، يا جيرارد ! ماذا تفعل هنا ؟
 - اتناول جرعة من الشراب . تعال وشاركني .
 - هناك ؟ اين انت ؟ لم ارك ؟
 وقال صاحب البار :
 - عدت سريعا !
 فقال بين ضاحكا :
 - جئت بصديقي هنا كحجة لقדومي معه . ماذا تشرب ، يا جيرارد ؟
 - لدي قدح ، شكرا . شاركني بالشراب . اي نوع ؟
 - كالمعتاد ، رجاء ، يا جورج . لنذهب الى الطاولة المجاورة . برودة
 الخشب هنا تخترق العظام .
 كانت النار تشتعل في صالة الحانة . وحمل بين قدحه الى الطاولة
 ووقف الى جوارها . وقال :
 - هل سمعت بالانباء ؟
 - عن القاء القبض ؟ نعم .
 وقال بين بدهشة :
 - اين سمعت بها ؟
 - من أحد الاطباء التابعين للشرطة .
 - ستار ؟
 كلا ، شتاين - الطبيب الالماني الذي امره يعمل لهذه القضية . جاء
 صباح هذا اليوم ليتتبع قضية الرجل العجوز . واتصلوا به تلفونيا اثناء
 ما كان عندي .
 - صحيح ؟ تعني انهم قالوا له بأن المطاردة انتهت ؟
 - اوه ، كلا . قبض على ذلك الرجل فقط . وقد اعترف شتاين بانه
 من المحتمل الا يكون هو الرجل المطلوب .
 - لماذا ؟
 - على كل ... الامر واضح بالتأكيد ؟ انه لم يعترف بانه ارتكب
 كل حوادث القتل .
 - آه ، انك اذن لم تسمع باخر الانباء . لقد اعترف اعترافا تاما .

- ماذا ! اعترف بماذا ؟
 - اعترف بجميع حوادث القتل - ما عدا احدى المراتين اللتين وجدنا قتيلتين في تلك الليلة .
 - انت متأكد ؟
 - تماما . وصل النبا قبل ان اترك المكتب بقليل .
 - ما هو النبا ؟ هل تعرف التفاصيل ؟
 - قسما منها . هل سمعت بالهجوم الليلة الماضية ؟
 - نعم .
 - طيب . رأى الشرطة اثار الفحم على حنجرة المرأة وبديها . كانت فاقدة الوعي طبعا . فقاموا بتنفيذ خطة تامة للاحقته . ولا يعرف كيف وصل الى الاحواض - بالقرب من مرفأ لايمهاوس . فرآه احدهم في الوقت الذي كان يهم بتسليق الجدار هذا الصباح . ويقولون انهم وجدوا ركبته مكسورة . وحاول ان ينظف الفحم من وجهه ، غير ان اثاره بقيت غارقة . فساقوه الى مركز شرطة الشارع التجاري ولكنه انكر الجرائم - بالرغم من انه اعترف بمهاجمة المرأة في الليلة الماضية . ثم اخذوه الى سكوتلانديارد ، فاعترف بكل شيء . هذا ملخص الامر !
 - كان من العسير على سورم ان يخفي شعوره بالارتياح المنعش الذي دفعه الى الرغبة في الضحك . وقال :
 - اذن فقد اصطادوه !
 - فقال بين :
 - اجل اصطادوه .
 - هل يعرفون شيئا عن دوافعه ؟
 - كلا . ولكنه معتوه قليلا . لا يستطيع التكلم جيدا - له شفتا ارنب - وقد كان تحت المراقبة لجريمة سرقة كان قد ارتكبها .
 - معتوه ؟ لا يبدو الامر مشجعا .
 - لماذا ؟
 - اخبرني شتاين بانه في قضية دوسلدورف القوا القبض على معتوه اعترف بالجرائم ، ولكنه لم يكن القاتل فعلا .
 - اعتقد ان الشرطة نفسها واثقة من ذلك . لو لم يكونوا على يقين لما اذاعوا اعترافاته . على كل حال ، من اجل الشرطة ، نأمل ان يكونوا قد قبضوا على المجرم .
 - كل واحد يأمل ذلك . لكن لماذا قام بطلاء وجهه بالفحم في الليلة

الماضية ؟ لم تكن هنالك اية علامة للفحم في الجرائم السابقة . وقد اخبرني شتاين بانهم يبحثون عن هذا الابله منذ اسابيع حيث كان يشب من خلف مداخل الابواب ويخيف النساء . لا يبدو انه القاتل .

وقال بين بتأمل :

- لملك على حق . هذه نقطة صائبة . ساذكرها للشخص الذي يعد المقال الصحفي عنها . وعلى كل حال ، لماذا يعترف بالجرائم اذا لم يكن هو القاتل ؟

- ربما كانت الشرطة فظة معه . تقول ان ركبته كانت مكسورة . فلم يستطع المقاومة اليس كذلك ؟

- ولكن الشرطة لا تريد منه اعترافا اذا لم يكن القاتل .

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

- لست ادري . انها مسألة تخمين فقط . آمل ان يكون هو الشخص المطلوب . ما اسمه ، بالمناسبة ؟

- اوه ... بينتلي ، الفريد بينتلي ، يعيش في بريكستون .

فقال سورم :

- ولكنه كان يعيش في وايتشابل قبل .

- صحيح ؟ هل انت واثق ؟

- هذا ما قاله شتاين لي .

- لم اكن اعرف هذا . فهو اذن يعرف المنطقة جيدا . اسمع ، يا

جيرارد . الافضل ان اذهب الان الى المكتب . ما اسم هذا الطبيب الالماني ، اذا ما اردنا الاتصال به ؟

- شتاين . فرانز شتاين . انه يعمل مع ماكردو .

- طيب . اشكرك جدا . قد اتصل بك فيما بعد . لنلتقي ونشرب كأسا .

- حسنا . سأراك فيما بعد ، يا بيل .

وبعد ان ذهب بين اتم بقية شرابه وهو يحرق في النار . كسان انفعاله قد تحول الى شك . واعاد القدح الى طاولة البار ، وذهب الى شارع فليت ووقف سيارة تاكسي .

وعندما استدار التاكسي نحو بالاس غيت ، سال سورم سائقه :

- هلا انتظر في نهاية شارع كانينغ بليس ؟ لن يطول غيابي .

وفيما هو يسير نحو البيت ، فكر انه في استطاعته ان يعود ليصرف التاكسي اذا كان ن موجودا . ولم تكن لديه رغبة في ملاقة فانيت ، وخشي ان يستوقف التاكسي اهتمامه .

وانفتحت البوابة الخارجية بصري . كانت الستائر خلف قضبان النوافذ مسدلة . فضغط على الجرس وراح يصغي بانتباه . وتناهى اليه صوت الجرس يرن في الداخل . ولم يسمع صوتا اخر . وضغط الجرس ثانية . وبعد انتظار نصف دقيقة اخرى اخرج من جيبه ظرفا قديما وكتب عليه رسالة قصيرة ودسها في صندوق الرسائل . وفتح باب البيت الامامي ، في اعلى ، واطل منه رجل لم يقع عليه بصره في حياته وقال الرجل :
- اوه .

ثم اختفى الراس ، وانطلق الباب الامامي ثانية . وقرر سورم المغادرة على الفور وهو يخشى ان يراه فانيث . وشعر بتحسن عندما انغلق باب التاكسي خلفه . واعطى السائق عنوانه في كامدن تاون .

* * *

واذ هو يمر بالتلفون في الصالة توقف وادار القرص برقم شقة نن ، وهو يعلم ان الامر لا يجديه شيئا . وبعد هنيهة قالت الفتاة :
- لا جواب من الشقة يا سيدي .
ويبحث في جيوبه عن قطعة اخرى من النقود . وفتح دفتر العناوين واسنده على صندوق النقود وادار رقم كارولين . فاجابه صوت رجالي ذو لهجة لندنية :

- انتظر لحظة . سانادبها . من المتكلم ؟
وبعد لحظة قال صوت كارولين :
- جيرارد ! هلو ، يا عزيزي .
- هلو ، اينها الحلوة . كيف الاحوال ؟
- بخير . ماذا تفعل الان ؟
- لا شيء . هل سمعت بالقاء القبض على مجرم وايتشابيل ؟
- نعم ، سمعتها من الراديو الان . اليست مثيرة ؟
- مهولة . كيف تشعرين ؟
- اوه ، بخير الان . لقد شفيت .
- هل هناك احد معك ؟
- كلا ، لقد ذهب والدي الى الطابق العلوي .
- متى يمكنك المجيء عندي ثانية ؟
- ليس اليوم ، يا عزيزي ، اخاف .
- هل لديك ما تفعلينه الليلة ؟
- كلا، ولكن والدي لا يريد اني اذهب الى المدينة يوم الاحد . يقولان

اني اقضي كل اوقاتي هناك . يمكنني ان آتي غدا ...

— غدا . فليكن غداء مساء ، اذن ؟

— طيب ، يا عزيزي . اني اتوق لرؤيتك .

وصعد الى غرفته وهو يحس بخيبة غريبة . كان التوتر الذي انتابه في الصباح قد اثار فيه الشعور بالتوقع . وبدا له قضاء بقية يومه لوحده ضربا من الانتكاس .

وفي غرفته فتح علبة من حساء الطماطم ، وراح يتناول محتوياتها مع قطعة من الخبز والزبدة . ثم اخذ مجلدا لاشعار بليك من الرف وحاول ان يقرأ فيه اثناء تناوله الحساء الحار . ولكنه اعاد الكتاب الى الرف بعد دقائق قليلة واخذ كتاب « عودة شرلوك هولمز » كانت هذه المحاولة موفقة اكثر . وقرأ اربع قصص قبل ان يصيبه التعب . كانت الساعة الان في الثالثة مساء . وتذكر دعوة المس كوينسي له ، ولكنه لم يشعر برغبة حقيقية في الذهاب الى هناك . كان يفضل ان يقضي المساء مضطجعا في الفراش مع كارولين . فتمطى وتشاءب وراح يمدك عينيه باصابعه ، ثم نهض واخذ ينظر من خلال النافذة . كان اليوم رماديا باردا . ثم طبع ملحوظة على ورقة صغيرة بالالة الكاتبة ثم ارتدى معطفه وهبط السلم ، بعد ان اقفل باب غرفته . ووضع الملحوظة على التلفون وخرج .

* * *

ولاح عليها السرور برؤيته .

— تعال ودفيء نفسك . كنت اتوقع مجيئك .

— حقا ؟ لماذا ؟

— اتصلت بك تلفونيا توا ، وقالت لي الفتاة انك تركت رقما تلفونيا ، وعندما سألتها عنه فاذا به رقمي !

كانت نار الفحم تشتعل في غرفة الجلوس . كانت الستائر مسدلة وقد اضفى المصباح الكهربائي على الغرفة جوا من الدفء . واحس فجأة بالسرور لمجيئه .

— اين اوليفر اليوم ؟

— اوه ... في البيت ، على ما اعتقد . ماذا كان رأي الاخ روبنز فيه ؟

— اوه ... ظن انه شيوعي . ولكنه شعر بميل نحوك .

فقال سورم :

— هممممم .

وسأله وهي تبسم :

- انك لم تمل اليه كثيرا ، اليس كذلك ؟
 — كلا . وانت ؟
 — انه انسان طيب جدا . انه يقوم بقسط هائل من الفعاليات الاجتماعية بالاضافة الى عمله لنا .
 — ورات سورم يقطب عند ذكرها كلمة « لنا » فامتقع وجهها . وسالت :
 — ما الذي يجعلك لا تميل الى الاخ روبنز ؟
 فقال سورم :
 — انا لم اكرهه بصورة خاصة . ولكني لا اسمعني ان اتصور كيف تختلطين بهذا الضرب من الناس . انا لا اعترض على الاشخاص المتدينين الاذكياء . ولكن ليس هناك من لا يدرك ان هذا الانسان هو بهلول .
 فاجابت وهي تهز كتفها :
 — صحيح انه لا يتميز بالدكاء . ولكنه رقيق القلب ، وهذا هو اهم شيء .
 — اظن ذلك . اذن ، ما الذي يمنعك من الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية او المعمدانية اذا كان هذا هو كل ما يهم في الامر ؟ ستجدين هناك ايضا رقيقي القلوب ، على ما اظن .
 — يمكنني ان اجيبك بعارة واحدة ، وهي اني لا اطيق الكنائس .
 — لا ؟
 — لا . لست اعلم لماذا . عندما كنت طفلة صغيرة ، كنت اصاب بالفتيان داخل الكنيسة .
 — وهذا هو فقط سبب كونك من شهود يهوه ؟
 — كلا بالطبع . ولكنه سبب عدم انضمامي الى طائفة كنسية قبل ان اصبح من شهود يهوه .
 — ولكن بالتأكيد لشهود يهوه كنيستهم ايضا — قاعة الملك ، او لا اعلم ماذا يسمونها ؟
 — نعم .
 — الا تذهبين هناك .
 — ليس غالبا . مرتين في العام ، ربما . ولكني احضر اجتماعات الصلاة في بيوت اعضاء آخرين — وبالطبع اعقد مثل هذه الاجتماعات هنا .
 ونظر سورم الى وجهها الذي كان يضيئه اللهب ، واحس بها كأنها شخصية مختلفة . لاحت اصفر سنا مما هي عليه ، وكذلك أكثر ضعفا .
 كان ينمو في أعماقه نوع من الفهم لها .
 — ولكنك لم تشعرني بالنفور عينه من الكتاب المقدس ؟

— اوه ، كلا . على الأقل ، كنت اشعر بذلك وانا طفلة صغيرة . او ،
بنبغي ان اقول ، كنت لا اكرث له . كنت لا افهم مطلقا لماذا يقولون « انت »
بدلا من « انتم » (١) وغير ذلك من الاشياء . ومرة من المرات لطمتني مربيتي
عندما ظنت اني كنت اهزا بالكتاب المقدس . كنت اريد ان اعرف لم يتحدث
الكتاب المقدس دائما عن الناس انهم « نهضوا » . مثلا ، « ونهض وذهب الى
ارض آز » . كنت اقول ان العبارة تترك انطباعا بأن العبرانيين القدماء كانوا
جالسين كل الوقت ، فاذا ما نهضوا على اقدامهم اعتبر الامر حدثا جليلا .
فقال سورم ضاحكا :

— يبدو انك كنت ميالة للنكتة !

— كلا . كنت جادة .

واخذ جرس التلفون بالرنين . فذهبت للاجابة عليه وهتفت بعد قليل:
— انه لك .

— طيب . انه اوستن .

— كلا ، بل اوليفر .

— اوليفر !

وذهب الى التلفون وقال :

— هلو ، اوليفر .

ولاح صوت غلاسب مكتوما .

— اسمع يا جيرارد . هل يمكنك مساعدتي ؟ اني في موقف حرج .

— كيف ؟

— انا في مركز شرطة الشارع التجاري . مقبوض علي .

— بالله لماذا ؟

— اوه ... الامر يتعلق بكريستين . لقد قدم والدها شكوى ضدي .

— ما هي التهمة .

— اغشاء قاصرة .

— ولكن ... لكن الامر جنون ! اعني ... ليس لديهم دليل . انهم

بمجرد فحصها سيعلمون ان الامر هراء .

فقال غلاسب :

— اعلم ، ولكنني الان في السجن . وقد هربت كريستين ، ولذا فقد

ابقي محجوزا حتى يجدوها .

(١) كلمة « انت » المقصودة هنا ، كلمة قديمة تذكر في النصوص الادبية القديمة ولا

يستعملها الفرد العادي . (المترجم)

- يا الهي ! مشكلة مزعجة حقا ! الا يمكن عمل شيء ؟
- نعم . يمكنك اخراجي من هنا اذا استطعت ان تقرضني خمسة وعشرين باونا لدفع الكفالة . واذا لم تستطع ، انا واثق ان الاب كارائرز يمكنه ذلك .

- حسنا انتظر . سأتي اليك حالا بالنقود . سارك خلال ساعة . خمسة وعشرين باونا .
- اشكرك جدا ، يا جيرارد . لا اريد ان ابقى اكثر مما ينبغي في هذا المحل الكريه .

وخرجت المس كوينسي من الغرفة وهي تقول :
- خمسة وعشرين باونا ؟ ماذا يريد ان يفعل بالنقود ؟

وكانت تحمل صينية عليها اثناء الشاي .
- كفالة . انه في مركز شرطة وايتسابل .
- لماذا بحق السماء ؟

- متهم باغواء فتاة قاصرة . الديك خمسة وعشرون باونا نقدا هنا ؟
- كلا ... اغواء قاصرة ؟

- لغو باطل ، بالطبع . في الواقع ، هناك فتاة صغيرة كان يبسدي اهتمامه بها . يعتقد ان لها ملكة فنية . وابوها رجل مدمن على الشراب وهو يحاول ان يثير المتاعب . ستعتبر الدعوى باطلة حالما يفحصها الطبيب ... لا ادري هل يقبل الشرطة صكا بالمال ؟

- ا ... اعرف شخصا لعله سيصرف الصك . ولكن ما اسخف الامر ! ينبغي على غلاسب ان يكون على حذر حقا . اينبغي عليك الذهاب حالا ؟ تعال واشرب قدحا من الشاي اولاً .

وتبعها الى غرفة الجلوس . وقالت :

- هل لديك خمسة وعشرون باونا ؟

- كلا ، في الواقع . ولكن اوليفر يعتقد ان الاب كارائرز لديه المال .

- هذا القسيس الكاثوليكي ؟ اشك ان يكون لديه هذا المبلغ نقدا .
اعتقد ينبغي ان اقرضه المال انا .

- ذلك لطف عظيم منك . وسيعيده بالطبع .

- اعرف شخصا يسكن قريبا من هنا يمكنه ان يصرف الصك . ولكن

ما اسخف الامر مع اوليفر !

وقص عليها ، وهو يحتسي الشاي ، ما قاله له اوليفر في الليلة الماضية . واستمعت اليه بوجوم ، وعندما اخبرها عن الطفلة عندما وقفت ليرسمها

قالت معلقة :

— كان ذلك غباء منه !

وقال :

— يمكنني ان افهم دوافع اوليفر . انه انسان وحيد . انه بحاجة الى الاشخاص . ونهضت .

— ساذهب للاتصال تلفونيا بصديق لي يعمل محاميا . انه يحتفظ عادة ببعض النقود في بيته لمثل هذه الاحوال الاضطرارية . وشرب قدحا اخر من الشاي عندما كانت تتحدث بالتلفون . وظلت تتكلم فترة طويلة . وراح يعدل النار وهو يجلس القرفصاء على السجادة ، ويفكر : لم يشتبك اصدقائي كلهم بقضايا العنف ؟ ولم امقت العنف الى هذه الدرجة ؟ هل سبب ذلك هو الجبن او الكبل ؟

وقالت :

— تحدثت الى صديقي عن الموضوع . اعتقد ان اوليفر في وضع سيء نوعا . وحتى لو كانت الفتاة لم تزل بكرا فيمكنهم اتهمه بمحاولة اغتصابها . وفي هذه الحالة ، الامر كله سيتوقف على ما ستقوله الفتاة . فاذا ما لمحت بآية كيفية كانت على انه حاول ذلك معها عندما كانت تقف ليرسمها ، فانهم سيسوقونه بالتاكيد الى السجن .

وهز سورم كتفيه ، محاولا ان يخفي شكوكه . وقال :

— هذا حسن . فمما قاله ليس هنالك اي احتمال لهذه الفكرة .

— امل ان تكون على حق . واذا ذهبت الى محطة « همبستيد هيث » فانك ستجد عنوان هذا المحامي مقابلها . اسمه بيتيفورد . ساكتب عنوانه لك ، وسيعطيك المبلغ . هل ستعود الى هنا فيما بعد ؟

— حسنا .

— اليك العنوان . اذهب باتجاه شارع ايست هيث الى ساوثنيد غرين ، ولا يمكنك ان تخطيء .

ولاح غلاسب اشعث الشعر مجهدا . وجاء الى المكتب يرافقه شريطان . وقال :

— شكرا لله ، لقد جئت يبا جيرارد .

ودهش سورم لابتسامته التي تعبر عن الطيبة والامتنان . وقال :

— آسف لتأخري .

وقال موجهًا السؤال الى المفوض :

— هل يمكننا الذهاب ؟

— نعم . ولكن ينبغي على صديقك ان يبقى حيث يمكننا الاتصال به
والا قد تفقد نقودك .

فقال سورم بصورة تلقائية :

— شكرا .

وفيما هما يغادران مركز الشرطة ، اقترب منهما رجل . ولاحظ سورم ان
غلاسب ينكمش بعصبية . واتى الرجل بيد سورم ورقة وقال :

— خذ واحدة .

— شكرا .

— واحدة لصديقك .

واتى سورم نظرة على الورقة المطبوعة وهما يعبران الشارع . كانت
معنونة : نريد العدالة لسكان وايتشابيل ! وكان النداء قصيرا :

« ان الرجل الذي يحتمل ان يكون قاتل النساء الست هو الان في
قبضة الشرطة . وان الاغنياء الكسالى والبرجوازيين القدرين يأملون ان يعتبر
القاتل معتوها ، وهم سيحاولون بكل الوسائل ان يحبطوا خطوات العدالة .
غير ان سكان وايتشابيل هم الذين عانوا ، وان سكان وايتشابيل هم الذين
ينبغي ان تكون لهم الكلمة الاخيرة . يجب ان يصعد بينتلي على المشنقة ! واذا
وقفنا صفا واحدا فلن نستطيع كل الاطباء النفسانيين في العالم انقاذه .
ونحن متهيئون للهجوم . »

وقال سورم :

— هذيان مشوش غريب ! لم يريد الاغنياء الكسالى ان يعتبروه معتوها؟
اما غلاسب فراح يلف ورقته ثم القى بها في مجرى الماء ، وهـو
يهز كتفيه بامتعاض . وقال :

— العالم مليء بالاشخاص الذين يجب ان يكونوا وراء القصبان — في
حديقة حيوانات ! انهم ليسوا افضل من الحيوانات .

واتى سورم بورقته في سلة اوساخ كانت مثبتة في سياج كنيسة رين .

— ماذا تنوي ان تفعله الان يا اوليفر ؟ تقول جيرترود انه يمكنك ان
تمكث عندها .

فقال غلاسب بتهكم :

— هذا لطف منها .

— هي التي اقترضتني النقود .

- صحيح ؟ هل كان من اللازم ان تخبرها بالامر ؟
- لقد اخبرتها ...
- وهز غلاسب كتفيه باستياء .
- ما دامت لا تفرض علي اصدقاءها الذين ينادون بالعودة الى المسيح .
- ولكن اين تعتزم الذهاب الان ؟
- اين تظنني اذهب ؟ الى البيت .
- وهل ... يضريك ... اذا تركتك الان ؟
- وقال غلاسب بدهشة :
- لماذا ؟
- ثم انطلق ضاحكا فجأة ، ووضع يده على كتف سورم لحظة .
- يؤسفني ان ظهرت حاد الطبع . انهم الشرطة الملاعين وهذا الوالد الخنزير ... كم اتلذذ بقتل هذا النفل . عندما تنتهي القضية سأذهب لاستشارة محام لاثبت هل استطيع ان اقاضيه لاساءة سمعتي ...
- كم بقيت هنالك ؟
- في مركز الشرطة ؟ منذ حوالي الساعة التاسعة صباحا . ثم اتصلوا بشرطي ذي رتبة عالية ليسألوه عن قضية الكفالة . هل تذكر ، اخبرتك عن الخصام الذي جرى بيني وبين ابيها ؟ كان الشرطي نفسه هناك اليوم . ولدا فقد بدا في قصتي عن حقه علي بعض الصحة .
- ولكن اين كريستين ؟
- لست ادري . لم ار اباها بعد . كل ما فهمته هو انه لا يمكن العثور عليها . لعلها مختبئة في مكان ما .
- متى بدأت هذه الضجة كلها ؟
- الليلة الماضية ، على ما اظن .
- ولكن لماذا ؟ قلت لي انه هدد بعرضها على الطبيب قبل ذلك ، ومن ثم سكنت العاصفة .
- لا يمكنك التكهّن حول اناس كهؤلاء . انه رجل سكير . ربما تخاصم مع زوجته ، او ربما اخبره احدهم بأنه رأى كريستين تخرج من بيتي . كل شيء ممكن .
- اتعلم انه يستطيع ان يتهمك بمحاولة الاغواء ، حتى اذا قرر الطبيب انها لم تول بكمرا .
- فقال غلاسب :
- واذا كان ذلك ؟ ما عليهم الا ان يسالوا كريستين .

- ولكنك ... لم تخبرهم عن وقوفها لترسمها ؟
- كلا .
- اتظنهم يعلمون ؟
- لا اعتقد ذلك . كيف لهم ان يعلموا ؟ انها لن تخبرهم .
- ولكن افترض انها ارتبكت وخافت ؟ الاطفال يفعلون ذلك ، اتعلم ؟
- وماذا يهم ؟ ما دامت تقول الحقيقة ، فلن ابالي بشيء .
- كلا ... اظن ذلك . انك تحتاج الى محام في الواقع .
- لا ارى سببا لذلك . ينتهي الامر كله عندما يفحصها الطبيب .
- متى هربت ؟
- صباح اليوم . يا لها من طفلة حمقاء ... اخبرها ابوها الليلة الماضية
- بانه سيأخذها ليعرضها على الطبيب صباح اليوم . اعتقد ان امها ليست
- هناك . وهكذا تسلمت هاربة صباح اليوم . وبطبيعة الحال ، ظن ان
- لديها شيئا تريد اخفائه ، فذهب الى الشرطة .
- وكيف يقبضون عليك دون اي دليل ؟
- لانه رفع شكوى . اعتقد انه اخبرهم بانها اعترفت له بشيء .
- ماذا ! بانك قمت بـ ...
- تماما . ربما كان سكرانا عندما سألها .
- ربما سبب لها اذى وجعلها تصرخ بآية كلمات لمجرد ان تتخلص منه .
- ودهش سورم للهدوء الذي يتميز به صوت غلاسب ، ولم يكن فيه
- الغيظ الذي توقعه .
- في هذه الحالة ... قد يمكنك مقاضاته فيما بعد لتوجيه تهمة كاذبة
- اليك . ينبغي ان ترى محاميا .
- فهز غلاسب كتفيه وقال :
- وادفع له اغطية القناني بدلا من النقود ؟
- لا يكلفك غالبا . وانا واثق من ان الاب كارائز او جيرترود
- سيقرضانك النقود ...
- فقال غلاسب :
- سافكر في الأمر .
- فأحس سورم بان غلاسب كان يحاول ان يسكته فقال :
- الامر متروك لك ، على أية حال .
- كانا قد وصلا بالقرب من بيت غلاسب في شارع داروارد . وفيما هو
- يحاول ادخال المفتاح ، انفتح الباب . وتوقع سورم ان يجد المرأة العجوز

مختبئة خلف الباب . وقالت :

— اواه ... اهذا انت . ظننتك في السجن .
فمال سورم الى الامام وصاح في اذنها :

— كلا . كل شيء على ما يرام الان .
— اواه ، كل شيء على ما يرام ، ها ؟ لماذا تركوك تخرج ؟
فصاح غلاسب :

— لا يمكنني ان اشرح الامر الان .
ثم اندفع الى الغرفة الامامية واغلق الباب وراءه . وصاحت العجوز :

— لا اريد اشياء مثل هذه تحدث في بيتي . اننا امرأة عجوز اميش
بتعبي ، ولا اريد اشياء مثل هذه تحدث في بيتي .
فصاح غلاسب :

— هل كان الشرطة هنا ؟
— الشرطة ؟ نعم ، كانوا هنا . يجب ان تغادر . لا يمكنني احتمال ذلك .
فالتفت غلاسب الى سورم وقال بهدوء :

— اذهب الى غرفتي ريثما اشرح الامر لهذه البقرة الشمطاء ...
وبينما كان سورم يرقى الدرجات العارية ، ويشم رائحة زيت البارافين
المعهودة ، سمع العجوز تصرخ :

— لم تحدث لي اية متاعب مع الشرطة قبلا ...
وصاح غلاسب :

— ليس الخطأ خطئي . يمكنني ان اشرح ...
ودخل غرفة غلاسب واغلق الباب خلفه . كانت رطوبة باردة . ووجد
علبة ثقاب على عتبة النافذة واشعل المدفأة النفطية والموقد الغازي . ووجد
ابريق الماء فملأه بالماء ووضع على الموقد . وبعد دقائق قليلة دخل غلاسب .
وقال :

— كان اولاد الله ... الشرطة هنا وتحروا المكان .
— ماذا ؟ ولكنهم بالتأكيد لا يمكنهم عمل ذلك دون امر ؟ هل كان
لديهم امر ؟
— كلا . انهم فقط طلبوا السماح من المرأة . والبيت بيتها .
ولكن الغرفة غرفتك . انا واثق انه غير مسموح لهم ان يفعلوا ذلك .
يجب ان ترى محاميا .
والقى غلاسب نفسه على المقعد ، وراح يدفيء يديه فوق المدفأة
النفطية وقال بكآبة :

— تريدني هذه العجوز النكراء ان انتقل من هنا . يا له من حقير والد كريستين هذا ! ... اود لو اقتله . لم تفعل هذه الحيوانات الحقيرة مثل هذا الارتباك في حياتي ؟
— لا تهتم . الامر كله مهزلة ... ولم يفتشون غرفتك ؟ ماذا يتوقعون ان يجدوا ؟

— كريستين بالطبع .

— اوه ، نعم .

وقال غلاسب بمرارة :

— او ربما يبحثون عن جثتها . لا اظنهم تركوا تهمة دون ان يلقيوا بها علي .

وراح يتمشى في ارجاء الغرفة ، وهو يطل على لوحاته . وقال فجأة :

— اواه ، يا للمسيح !

— ما الخبر ؟

— صورة كريستين لقد نسيت امرها .

وتذكر سورم في الوقت المناسب انه من المفروض فيه انه لم يسر الصورة . فعبر الغرفة نحو غلاسب واخذ ينظر في صورة الطفلة التي تنقصها التفدية . وكان غلاسب قد سحب عدة لوحات الى الامام ليعرض الصورة ، وكانت هذه اللوحات تستند الى ذقنه .

— اتظنهم راوها ؟ — لست ادري .

— اشك في انهم راوها . ولماذا ينظرون اليها ؟ انهم اذا كانوا يبحثون عنها

فليس هناك ما يدعوهم الى تفحص صورك .

وفتح غلاسب الدولاب واخرج مغلفا كبيرا من الورق الاسمر . ووضعه على السرير ثم فتحه . وتقصد سورم الا يبدي اي فضول ، بالرغم من انه لمح صورة تخطيطية لفتاة عارية . وسال :

— هل هنالك ما يدل على انهم راوها ؟

وتفرس غلاسب مليا في الصفحات .

— حسب ما ارى ، كلا . ولكني لا اتوقع من الشرطة ان تترك اثار

اصابعها .

واطبق غلاسب المغلف بصيحة اشمزاز . ثم رمى نفسه على حافة السرير واطلق زفرة . وكانت يده الضخمتان تتدليان بين ركبتيه . وقال دون ان يحرك اسنانه :

— خنازير اولاد القه ...

وبدا ابريق الماء يصدر ازيرا ، فافرغ سورم وعاء الشاي في المفصلة

وغسله بالماء الدافئ . ووجد الشاي على الرف في علبة مسدودة الغطاء .
وبينما هو يحضر الشاي ، نهض غلاسب واخذ يروح ويجيء في الغرفة ،
يبحث عن دلائل التلاعب بأشياءه . وقال أخيرا :
- انهم اذكياء . لم يتركوا اية اثار .
- خذ شيئا من الشاي .

واضطجع غلاسب على السرير ، وهو يزيح المغلف جانبا ، ثم اغلق عينيه .
وبدا بوجهه البادي العظام الشاخص نحو السقف ويديه الراقدين دون حياة
على الغطاء ، كأنه جثة هامدة . وقال سورم بهدوء :
- مسكين يا اوليفر . اني اعرف هذا الشعور . لم لا تكون الاشياء
بسيطة مستقيمة .

وارتفع صدر غلاسب بضحكة باهتة لا تعدو ان تكون زفرة قوية . وقال :
- كلا ، انك مخطيء ، انا لا اريد الاشياء بسيطة . لست اريدها هكذا .
انا لا اعرف ماذا اريد . لو كانت حياتي بسيطة لكنت كالسمكة التي اخرجت
من الماء . لقد تعرفت مرة على ممثلة لها هذه الطبيعة . كانت تصنع التعقيدات
في حياتها . كانت تجعل من علاقاتها الفرامية قضايا مشوشة . فاذا ما سارت
الامور باعوجاج ، شعرت على ما يرام . واذا سارت الامور على ما يرام ،
شعرت كأنها تفتقر الى شيء .

- اعتقد انك تقسو في حكمك على نفسك ، يا اوليفر .
فاعتدل غلاسب في جلسته وقال بصوت واهن :
- شكرا لله لانه يمنحني مثل هؤلاء الاصدقاء . انهم لا يتركونني
اقسو على نفسي .

ولاحظ سورم حزمة الخشب الملقاة على المشبك الحديدي .
- ينبغي ان تقتني بعض الفحم ، يا اوليفر . انك بحاجة الى نار .
- لدي فحم . انه امام الباب . كنت اهم باشعال النار عندما دخل
رجال الشرطة .

- دعني اشعلها لك .

فقال غلاسب :

- شكرا ، يا جيرارد .

ورشف جرعة من الشاي ثم استلقى على الفراش ثانية ، مغمض العينين .
ووجد سورم سلة الفحم خارج الباب وسطلا يحتوي على الرماد ، واشعل
النار ، بالبارافين أولا ، وسرعان ما كان اللهب يدوي مرتفعا في المدخنة .
وجلس القرفصاء امام النار . كانت برودة الغرفة قد نفلت خلال معطفه .

وكان غلاسب يضطجع بقميصه وقد فك ازراره يافته .
 - الا تشعر بالبرد يا اوليفر ؟
 - اعتقد ... اني اشعر بالبرد .
 ولاح غلاسب كان اللهب يحرقه . فاجتاز الغرفة وجلس على المقعد ،
 وهو يميل الى الامام ، وكوب الشاي بين يديه .
 - من الجميل منك ان تتعب نفسك معي بهذا الشكل ، يا جيرارد .
 - كلا ، ابدا .
 - لو لم تأت اليوم لكنت انفرزت هناك .
 - لا يهم . كنت انت تفعل الشيء نفسه لاجلي .
 وبدأت السنة اللهب المنبعثة من البارافين المحترق بالخمود ، ولكن
 قطع الخشب كانت تشتعل ج' ١٠ . وفي الخارج ، كان المساء يتلفع بالظلام
 رويدا رويدا . وراح سورم يتأمل الغرفة ، وهو يجلس على الكرسي
 الخشبي ، وكما كانت موحشة غير مريحة . وقال غلاسب :
 - لم يكن لي اصدقاء كثيرون قط .
 فقال سورم ، وهو يهر كتفيه :
 - ولا انسا .
 - ما قيمة الاصدقاء الذين لا يفهمون المشاكل التي تعاني منها ؟ ينبغي
 ان تكون لك القابلية على التحدث معهم . مثلا انت ... كان في استطاعتي ان
 اتحدث اليك بعد خمس دقائق من لقائنا اولا . وهذا امر غير معتاد .
 - شكرا .
 واحس سورم بالحرجة قليلا لهذا الاطراء وقال :
 - لدي نظرية حول الناس . انا وانت شخصان مختلفان تماما
 الاختلاف . انا افكر اكثر مما ينبغي ، وانت تحس اكثر مما ينبغي . انا اؤكد
 كثيرا على العقل ، وانت تؤكد كثيرا على القلب . وهناك اناس يؤكدون كثيرا
 على الجسد ... اوستن ، مثلا عندما يحس بالكبت ، فيحتاج الى متنفس
 جسدي .
 - وماذا تفعل انت ؟
 - اوه ، انا . انا احاول ان اجد طريق الخلاص من المشاكل بواسطة
 التفكير . واحاول ان افصل نفسي من المشاكل . انا لا اميل الى العواطف
 القوية كثيرا - انا ارتاب فيها . ولهذا انا لست مرتاحا مع علاقتي باوستن الان .
 - لماذا ؟ انك لا تضمر له مشاعر قوية ، اليس كذلك ؟
 - كلا . ولكنه اتقطني من الركود . لقد انغمست في مشاكله حتى

اصبحت موضوعيا تجاه مشاكلي نفسها . هذا امر لا بأس به . . . ولكنه ليس الطريقة الصحيحة لحل المشاكل .

— كلا؟ لم لا؟

واخس سورم ، اثناء حديثه ، بانه كان لافكاره صدى لدى غلاسب ، ولكنه كتم هذه الهواجس ، وهو واثق من ان غلاسب سيفهم ، على اية حال . وقال :

— اعتقد انه نوع من الضعف ان تتمادى في اشتباكك بحياة الآخرين . كنت امرف فتاة من اولئك اللواتي اذ رأهن المرء راح يقص همومه عليهن . وكان الانطباع الذي تتركه لدى الناس هي انها انسانة باردة العواطف هادئة الطبع ، وكان الناس يعتقدون انها قوية متعاطفة . ولكنني عندما عرفت هذا جيدا اكتشفت انها فارغة من الافكار والعقائد وليس لها ثقة بنفسها — في الواقع ، كانت في حالة من التشوش التام في داخلها . وكانت تحقق لنفسها شيئا من السعادة بالاهتمام بمشاكل الآخرين . كانت تميل الى الاشخاص التمساء — اعتقد لانهم كانوا يشعرونها باستعلائها عليهم . . . وعندما كنت التقى بأشخاص مثل جيرترود ، الذين يستهويهم النشاط الاجتماعي وتغيير مذاهب الناس ، اتساءل اتراهم يفعلون الشيء عينه . وقال غلاسب :

— وهل في ذلك من ضير؟

— اجل . فيه ضير اذا جعل من الناس طفيليين . قليل من الناس من هو حقيقي في داخله . انهم يحتاجون الى الآخرين كحاجة الكسيع السى العكاز . انظر الي . كنت قبل اسبوعين اشعر بالضياح التام . لم اكن ارجب في ترك غرفتي لان الشارع كان يشعرني كاني لست موجودا . لقد جعلتني لندن اشعر كاني حشرة ، وعندما عدت الى غرفتي وحاولت ان اكتب ظللت اشعر كاني حشرة . ثم ماذا يحدث ؟ اذهب الى معرض دياغيليف هذا والتقي بأوستن . واذا بي اكف عن الشعور باني حشرة . غير ان هذا هو سبب مفلوط . — وماذا يهم مهما كان السبب؟

— بهم جدا . كان ينبغي علي ان اخلف عالم اوستن ورائي منذ زمن طويل . انني ذهبت الى معرض دياغيليف لمجرد ميل عاطفي نحو نجنسكي . اني في الاحوال الاعتيادية لا اطيع رقص الباليه ، حتى ان اخر مرة ذهبت فيها لمشاهدة حفلة باليه كادت ان تسبب لي الاسهال . . . مجموعة من الرجال الشاذين جنسيا ينتطون ، والنساء اللواتي يحركن اطرافهن . فاضطرت الى ترك القاعة في منتصف البرنامج . ومع ذلك ، فهذا هو عالم

اوستن . انه انسان رومانتيكي ، وهو ليس حقيقيا في داخله ايضا . انه يحتاج الى اللاحقية لايقافه عن الشعور بانه حشرة .

وقال غلاسب بنعومة :

— نحن كلنا نحتاج الى شيء نتكئ عليه .

— ينبغي الا نفعل هذا . لو استطاع كل انسان ان يقتل اوهامه لاصبح الها .

فقال غلاسب :

— او يقتل نفسه .

— كلا . . . بل تكون لديه القوة الكافية على الحياة . يموت الناس لانهم

لا يعرفون ما هي الحياة .

فقال غلاسب :

— من يعرف ما هي الحياة ؟

— انا احيانا . في بعض الاحيان فقط . ثم اقضي وقتي كله في محاولة

استعادة الرؤيا .

— وما هي طبيعة الرؤيا التي طافت بك ؟

— كان . . . شعورا بالقبول . حدث مرة عندما كنت في همبستيد

هيت انظر الى لندن من ارتفاع . كنت افكر في كل الحياة وفي كل المشاكل . . .

ثم احسست فجأة بانني على حقيقتي . ورايت اوهام الآخرين ، فتلاشت

اوهامي ، فاحسست بانني حقيقي في اعماقي . وكففت عن التساؤل هل ان

العالم في النهاية خير ام شرير . شعرت بان العالم لم يعد يهمني . ان الذي

يهمني ، كان انا نفسي ، سواء اعتبرت خيرة ام شريرة . وشعرت فجأة بانني

تحولت الى عملاق . واحسست بالسعادة الى حد سخي .

وقال غلاسب :

— لم يمر بي شعور كهذا قط .

— كلا ؟

وحاول ان يسيطر على الانفعال الذي اثارته فيه كلماته ، وهو ينتظر

غلاسب ليتكلم ويرقب وجهه الذي بدا نحيفا في وهج النار . وتكلم غلاسب

بصوت خفيض ، دون تأكيد على الكلمات . وقال :

— هذا ليس ما اشعر به انا . . . اعتقد بانني احتاج الى اشخاص اخرين ،

كما تقول . فمثلا ، عملي السخيف هذا لا يناسبني لانه يجعلني افكر في

نفسي ، اما كريستين فانها تفيدني لانها تجعلني افكر في الآخرين . ليس التفكير

فيها فقط . انها تدفعني الى الادراك بان هناك مئات — بل الولا — من الناس

الذين يحيون حياة البؤس التام ، وليس لديهم المجال للاحساس بالاشياء

التي نتحدث عنها . انهم لا يشعرون كالعمالقة او الالهة ، كما انهم لا يشعرون كالحشرات ايضا . انهم مجرد رجال ونساء اعتياديين ، والجزء الاكبر من حياتهم ينطوي على المعاناة والسأم .

وتوقف عن الكلام وشرب بقية الشاي من كوبه ، ثم وضعه على البلاطات الخضراء التي كانت تعكس اللهب ودفع براس حذائه المتهريء شظية من الفحم كان الدخان ينبعث منها الى المشبك الحديدي . وقال :
- هذه هي الرؤيا التي اراها ... ان كانت رؤيا .

ونظر اليه سورم بصمت ، وهو يدرك البون الشاسع الذي يفصل بين طريقتيهما في الشعور ، ويحس بعبث الكلمات . وانهارت قطع الفحم فوق الخشب المحروق ، فاخذ الشرر يطفر منها . وقال غلاسب فجأة :

- ما رايك في الخروج لتأكل شيئا ؟ هل انت جائع ؟

- هل تعرف مطعما قريبا ؟

- اعرف محلا يمكننا تناول بعض السجق والبيض والبطاطا فيه بثلثين .

فقال سورم وهو ينهض :

- طيسب . لنذهب .

الفصل السادس

- اسف لاني تأخرت .
- تفضل . اين كنت ؟ هل تناولت طعاما ؟
- نعم شكرا . اكلت هذا المساء مع اوليفر . بقيت معه لتحدث .
- كان منفعلا قليلا .
- كانت النار لم تزل مشتعلة في غرفة الجلوس . وكان عقربا الساعة الكهربائية يشيران الى الربع بعد العاشرة . فلمست يده وقالت :
- اوه ، يا الهي ، انك لتشعر بالبرد حقا . تعال لتدفأ . هل لك في شراب ؟
- كلا ، شكرا . كنت اشرب مع اوليفر .
- وجلس في مواجهة النار ومد ساقيه نحوها . وشرعت المس كوينسي بتسوية النار بقطع الفحم الصغيرة ، بعد ان ارتدت قفازا كان على حاجر الموقد .
- هل هو على ما يرام الان ؟
- نعم . انه اهدأ من ذي قبل ، على اي حال .
- هل فحصوا الطفلة ؟
- كلا . تلك هي المشكلة . فقد اختفت . وعندما عدنا الى غرفة اوليفر كانت الشرطة قد تحرت غرفته . ويقول اوليفر ان الشرطة قد تتهمه بقتل الفتاة لاسكانها !
- يا للسخف .
- أجل . لم يكن جادا في الحقيقة . ربما شكوا بانه خباها . على كل ، من الحماسة ان تهرب على هذا النحو . لقد جعلت الامر اسوأ بالنسبة لاوليفر .
- كان هناك شيئا تخشاه . عندما خرجنا من المقهى شاهد اوليفر احدي صديقاتها في المدرسة واقنعها بان تذهب وتنادي كريستين - ليتحقق اذا

عادت . لم تكن قد عادت ، بالطبع ، فاخذ الاضطراب يستولي عليه فعلا :
 - لا يدهشني ذلك ، وهناك قاتل مطلق السراح في وايتشابل .
 - ألم تسمعي بالخبر ؟ القى عليه القبض .
 - كلا . متى ؟
 - الا تصفين الى الراديو ؟ القى القبض عليه صباح اليوم . قبض على
 رجل واحد على الاقل ، ويظهر انه اعترف فيما بعد .
 - طيب ! شكرا لله .
 - لست واثقا من ان القبض على هذا المجرم كان لصالح قضية اوليفر .
 لو كانت شرطة وايتشابل لم تزل يقلقها امر جرائم القتل لاعارت اكثرنا اقل
 لرجل سكير كهذا .
 - بالضبط . ولكن اين تختفي الطفلة في اعتقاد اوليفر ؟
 - آوه ، في اي مكان . لقد هربت صباح اليوم فقط . من المحتمل انها
 قضت النهار في سوق بيتيكوت لين او قرب احواض السفن . وربما عادت
 الان الى البيت - الا اذا كانت ستقضي الليلة مع احدي صديقاتها . او ربما
 تذهب الى اوليفر .
 - امل ذلك . لا يروق لي ان اتخيلها تطوف في الشوارع في ليلة كهذه .
 وتعالى صوت المطر على النافذة ، كانه جاء تأكيدا لتلك الكلمات وذهب
 سورم نحو النافذة وراح يطل خلالها ، ولم يتبين شيئا في الظلام .
 - هل تركت دراجتك خارجا ؟
 - كلا . جئت بالقطار .
 - افضل . هل تريد شيئا تأكله ؟ سأناول انا شيئا .
 - شكرا .
 واتكأ على التلاجة وراح يرقبها تقطع شرائح لحم الخنزير . كان الخمر
 الذي شربه مع غلاسب قد اشعره بالنعاس . وسألها :
 - هل سمعت من اوستن مؤخرا ؟
 - كلا ، منذ عدة ايام .
 - لا اعلم اين ذهب . كنت احاول الاتصال به منذ يومين .
 - ربما هو الان في بيته الريفي في ليدزهييد . فهو يقصده مرارا فسي
 عطش الاسبوع .
 - آه ، بالطبع !
 فنظرت اليه بشك .
 - هل ... تحدثت معه منذ ان كلمتني عنه ...

وتركت العبارة دون ان تتمها . وقال سورم :

– تناولت الغداء معه يوم السبت .

– نعم .

لاح عدم الاكتراث في لهجتها . وتناول سورم الصحن مع قطع
السندويتش وعاد الى الغرفة الاخرى . كان المطر يرشق النوافذ بعنف .
وفتح القوطة الورقية وتناول قطعة سندويتش ، ثم نظر اليها وهو يبتسم .
وقالت :

– كنت افكر في اوستن منذ تلك الليلة . من المؤسف انه ليس له
اقرباء يستطيعون ان ... يتحدثوا معه حول الموضوع . ليس هناك من
يعرفه معرفة وثيقة ليكون صريحا معه .

– ماذا يمكنهم فعله ، على كل حال ؟

واخفضت قطعة السندويتش بدلا من ان تقضم منها ، وراحت تنظر
اليه مليا . وقالت :

– لعلهم يقنعونه بمراجعة طبيب .

– هذا صحيح . ولكن من الناحية الثانية، ربما سيشرح بانهم لا يفهمونه
فيطلب منهم الكف عن مضايقته .

– لا يهم . اذا كان الشخص على وشك ان يموت نتيجة مرض ما فلا
تسأله هل يريد علاجاً .

– اوستن ليس على وشك الموت . كما لا اظن ان النزوح الى الجنس
المشابه يعتبر مرضا .

واحس بالخيبة تنامي في اعماقها ، ورفرت عينها من الامتعاض .

– ولكن ينبغي ان تكون لديه الفرصة ليعيش حياة طبيعية . انه سيرث
ثروة كبيرة من المال والاملاك . ويجب ان يكون له طفل يرث عنه هذه الثروة .
يجب ان تكون له الفرصة للزواج والاستقرار .

فقال بصبر :

– افهم وجهة نظرك . ولكنني اشك في ان اوستن يريد الاستقرار . كما
لا يمكنني ان اتصوره زوجا ! ثم لم تريد ان تغير حياته ؟ انه ليس شقيا – على
الاقل ، ليس لهذا السبب . ماذا تقولين لو طلب اوستن منك فجأة ان تراجع
الطبيب ليشفيك من الدين ؟

– اوه ، لا تكن سخيفا ، يا جيرارد !

– واذا كان الزواج والاستقرار بهذه الاهمية لم لم تتزوجي اذا ؟
وامتقع وجهها، ومرت به لحظة توقع فيها تقريرا. ولكنها ابتلعت بقية

قطعة السندويتش وقالت بصوت متزن :

— لا تشابه في الحالتين اطلاقا .

واحس ، وهو ينظر في وجهها ، رقة غريبة : كانت على حق ، لا تشابه في الحالتين اطلاقا . وخطر له ان يكون صريحا معها حول اوستن ، ولكنه عدل عن الفكرة على الفور . وقال عوضا عن ذلك :

— حسنا... ان رغبت ، فسأحدث اوستن عن الامر—باسلوب لبق.

ولكني اشك في ان يكون لذلك اي اثر عليه .

وطاف في عينيها شيء من اليأس . وقالت :

— لعلك على صواب . وربما ينبغي ألا ادس انفي في الموضوع . انا

مفرمة باوستن . انه الشخص الوحيد في العائلة الذي اكرثت له الى هذا الحسد .

فقال برفق :

— اتدريين ، لا يمكنك تحمل مسؤولية الآخرين . افضل ما يمكنك

فعله هو تقديم المساعدة عند الحاجة .

— ولنفرض ان اوستن بحاجة الى مساعدة ؟

— ألا تدركين ، يا جيرترود ، انه لا يمكنك المساعدة الا عندما تفهمين

الامر بصورة تامة ؟ ان مزاجك ليختلف كثيرا عن مزاج اوستن بحيث لا يمكنك اسداء العون .

— لم تقول ذلك ؟ هل تعتقد اني لم اشعر قط بالطريقة التي يشعر

بها اوستن ؟

فقال :

— لست ادري . هل شعرت كذلك ؟

— كنت اريد ان اطلق العنان لكل رغباتي . واعتقد هذا هو ما يريده

اكثر الناس . كان اوستن محظوظا — لديه دائما المال ليذهب اينما يشاء ويفعل

ما يشاء ، ولم يحاول احد ان يتدخل في اموره . وبكلمة اخرى كان محظوظا

لانه كان يتمتع بحرية واسعة . ولكنه في حقيقته انسان طيب . ولا يمكنه

ان يحطم الطيبة فيه مهما فعل .

— لعلك على حق . ولكن الا ترين ؟ مسألة انك اردت اطلاق رغباتك

لا تعني أنك تفهمين رغبات اوستن .

— هل تفهمها انت ؟

— انا ... لست ادري . اعتقد انني ربما افهمها ؟

— اوضحها لي اذن .

واخذ يتغرس في النار ، وهو لا يحس بالرغبة في الكلام . كانت الأمسية التي قضاها مع غلاسب قد اتعبته . ولما ادرك الاصرار في عينها قال اخيرا : — انه شعور الانسان بانه يقف على طرف سائب ... دون ان يكون له احساس بغاية او دافع — الشعور بالانقطاع . يحس الانسان كأن وجوده لا معنى له . وتمر به أحيانا لمحات من الرؤيا — يرى فيها أن حياة الانسان خالية من المعنى فعلا ، غير أنه مدعو الى أضواء نوع من المعنى عليها . ويحس فجأة بانه ينبغي عليه أن يكف عن الحياة كممثل رديء يؤدي دورا في مسرحية من المرتبة الثانية . انه يشعر بان عليه أن يبدأ على نحو ما بالعيش بصورة لائقة . وعلى كل حال ، فالحياة البشرية كلها محرمات وقوانين وقواعد . وعليه ، فأول ما يفعله — من يريد أن يبدأ الحياة من جديد — هو أن يخرج عن هذه القواعد والقوانين . هذا هو الشعور الذي ينتاب الانسان تجاه الحياة . أما نوع القواعد والقوانين التي يريد أن يخرقها فيعتمد عليه . الرجل المصاب بقلق عصبي لشعوره بانه مسلوب الامتيازات من الناحية الاجتماعية قد يسطو على بنك او يلقي قنبلة على مجلس اللوردات . غير أن أكثر الناس يشعرون بانهم مسلوبو الامتيازات من الناحية الجنسية ، وعليه من المحتمل أكثر أن يكسر القواعد المتعلقة بالجنس ...

وكبح رغبته في اتمام حديثه . وانتظرته ليمضي في كلامه ، ثم قالت : بعد لحظة ، بلهجة حزينة :

— انه لا يدرك ان هناك طرقا أخرى ... لتحقيق حياة مليئة . اتمنى لو استطع ان أعلمه اياها .

اثار الاستسلام الذي كان في صوتها رافة غامضة لديه ، والفي نفسه يتمنى لو تكون جالسة الى جواره على الاركة حيث يمكنه لمسها . ولكنه احس حالا بانه لا يثق بشعوره هذا ، عندما تذكر كيف حاول ان يلمسها آخر مرة . فنهض وقال :

— ينبغي ان اذهب الان ... معلرة لحظة .

وفي الحمام ، فتح النافذة وراح يلقي من خلالها نظرة على المرتفعات . كان المطر يهطل باستمرار . وراحت بعض القطرات تنحدر على وجهه . كان طست الفسيل مليئا حتى منتصفه بملابس منقوعة بالماء والصابون . وانحنى فوق حوض الحمام وغسل يديه من صنبور الماء الحار . وجلس على حافة الحوض ليجفف يديه ، وهو يستمتع بدفء المنشفة ونعومتها ، ويدشش للسعادة التي اخذت تسري في اعماقه ، والشعور بالتوقع . كانت ما تزال جالسة امام النار . وكان شيء في هياتها ، في ساقيها

المعقودتين ، في حذاءيها المتدليين من قدميها الصغيرتين ، يوحى بانهما
اصغر سنا . وقال :

— في اي ساعة يفادر القطار همبستيد ؟
— لست متأكدة . ان القطارات تغادر مبكرا ايام الاحاد . وبما
قادت الان .

— ينبغي ان اسرع .
— لا يمكنك ان تذهب الان . سيفمرك المطر . اليس الافضل ان تمكث هنا ؟
فسألها بدهشة :

— طول الليل ، تعنين ؟
— يمكنك ... ان اردت .
— وسمعتك بين الجيران ؟
فلوت رأسها عن وجهه المبتسم :
— لا يعنيه الامر ، اليس كذلك ؟
— طيب ... شكرا جدا . اين انا ؟
— هنا . او في غرفة كارولين ، ولكن أخشى انه ينبغي ان تكتفي
بغطية كارولين ان نمت هناك ..
— لا بأس . لا يهمني ابدا .
— وضعتها اخر مرة جاءت عندي . لا بد انها نظيفة . اليس الافضل
ان تنام في الطابق العلوي ؟

— لا يهم . في اي مكان يسبب اقل ما يمكن من الازعاج ...
— ساذهب لاشعل النار .

وشعر بأنها سرت لخروجها من الغرفة . وتساءل ترى هل اخرجتها
فجأة فكرة تقديم فراش كارولين له ، بعد ان ادركت انها رمز لتهيئة الالفه
بين سورم وكارولين . وبعد لحظة من التردد تبعها الى الطابق العلوي .
كانت تغير غطاء الوسادة عندما دخل الغرفة . وكانت الاغطية قد
قلبت الى الخلف لتعرض للهواء . وكانت قضبان المدفأة الغازية تزداد
احمرارا كلما ازدادت حرارة والتقط دشااشة نوم من النايلون كانت: قد
انزلت من السرير ، وسأل :

— هل هذا يخص كارولين ؟
فاختطفها منه ووضعها في أحد الادراج وقالت :
— كلا . انها لي وكانت قد استعارته .
وخرجت من الغرفة وهي تقول :

— ساحضر لك قنينة ماء حار .
ونظر الى صورة كارولين ، وخالجه شعور يكاد يكون شعورا بالالم .
وادرك بشيء من الدهشة ، انه كان يشعر بالحب لكارولين . كان اكتشافا غير
متوقع، لا بد ان هذا الشعور نما فيه منذ ان رآها اخر مرة. وفي ذلك الحين،
لم يكن يشعر بغير الحنان المسلي والامتنان الذي هو الجواب على تقديم
المراة جسدها .
ودخلت المس كوينسي بينما كان ما يزال يتطلع في الصورة وسالت:
— هل تميل الى كارولين ؟
— بالطبع . انها فتاة حلوة .
والقت قنينة الماء الحار داخل الفراش واعادت الاغطية وقالت فجأة :
— نسيت اني تركت حوض الغسيل مليئا الى منتصفه بالملابس . كنت
بدأت بغسلها عندما جئت . والافضل ان اكمل الغسيل الان . هل تريد ان
تنام الان ؟
— ا... لا ، ليس ضروريا . لماذا ؟
— اعتقد انني سأذهب الان . احس بشيء من التعب .
وتبعها خارج الغرفة ، وهو يحس بتوترها . وتساءل هل ندمت لدموته
للبقاء . وسالت :
— هل لك ببعض الشيكولاتة الحارة قبل ان تذهب للنوم ؟ ساهي
قدحالي .
— شكرا ، نعم .
ودخلت غرفة الحمام ، وسمع تكتكة القفل . وراح يحقق في الباب وهو
يهز رأسه . لقد اذهله قلب مزاجها . ونزل الى الطابق الارضي ببطء ، وفكرة
مغادرة المنزل تداعب رأسه ، ثم تخلى عن الفكرة، لقد كانت قد هيات الغرفة .
وفي غرفة الجلوس شرب قليلا من المارتيني الحلو واستلقى على
الاريكة ، وراح يفك شريطي حذاءيه . واكل بقية سندويش لحم الخنزير ،
واخذ يحقق في الظلال المتحركة على السقف . وتذكر التعابير التي ارتسمت
في وجه المس كوينسي وهي تتحدث عن اوستن ، واحس ثائية بانه متسلح
بالدفع واخذ يفكر بمرح : لهذه للعائلة موهبة في بث الحنان . ولكنهم
جميعهم ضعفاء : اوستن ، كارولين ، جيرترود . انهم بحاجة الى الاخرين .
غريب ، هذا الحب الذي لا علاقة له بالجنس . احس به تجاه اوستن ،
وتجاه كارولين ، وتجاه جيرترود ايضا. ولكن بصورة اقل بالنسبة لجيرترود .
لماذا يكون من المفروض الا يقع الانسان في غرام اكثر من شخص واحد ؟

وفيما هو غارق في هذه الافكار راح في اغفائة خفيفة على صوت الماء الذي كان يسمع جريانه من الطابق العلوي .
واستيقظ فجأة واعتدل قليلا . ودخلت جيرترود كوينسي بعد قليل وهي تحمل قدحا على صحن . كانت مرتدية دشداشة نوم زرقاء محزومة عند الخصر ، وخفين من النوع الذي يستعمل في غرف النوم . وكان شعرها ينسدل الى ظهرها . كان شعرها اطول مما كان يتصور . وبدا وجهها الخالي من المساحيق شاحبا .
- كم الساعة ؟
- بعد منتصف الليل .
- كنت نائما .
- اعلم . جئت توا : انا ذاهبة للنوم .
- انتظري لا تذهبي الان .
كانت قد وضعت القدح على الطاولة قرب الاريقة . فمد يده وامسك بيدها قبل ان تبتعد وسحبها برقعة .
كانت يدها نحيفة وباردة . وعندما جلست رفع يدها نحو شفتيه ولثمها . ولم تبد اية مقاومة .
- انك باردة .
- اعلم . احس بالبرد دائما بعد الاستحمام .
وحاول ان يسحبها نحوه الى جنبه ، وهو ممسك خصرها . ولكنها قاومته قليلا ثم نهضت . وقالت :
- تركت قدح الشيكولاتة خارجا .
وراح يتسمع بينما ذهبت الى المطبخ ، ثم عادت وهي تحمل قدحها . وعندما جلست بقربه ثانية ، احس برعدة من اللذة . كان واثقا انها ستجلس على الكرسي الاخر . وقال :
- ضعي قدميك على الاريقة .
- كلا .
- ارجوك .
- كلا ، يا جيرارد .
فسحبها من خصرها وجعل توازنها يقلق . فلما استند جسدها اليه ، كرر قائلا : ارجوك .
فرفعت قدميها ووضعتها على الاريقة الى جنبه وهي تدفع بهما طرف رداثها . وفي الحال سحبها اليه ومال ليقبلها ، ولكنها لوت رأسها فمست

شفتاه جيدها . كان جسدها باردا . ولم يحاول ان يقبلها عنوة وهو مسرور لاحساسه بالتصاقها به والدفع يسري في برودتها وجيدها ملتصق بوجهه . وقبل اذننها وجانب وجهها وراح يعبث بشعرها بيده الاخرى . كانت ترتعش وهي قربه ، ثم خفتت حركتها كأنها ميتة . كانت عيناه مغلقتين . ومد يده وتناول غطاء مقعد السيارة الذي كان معلقا على ظهر الأريكة وفرشه فوقهما ، ثم رقد الى جوارها ، واغلق عينيه ، واحس بالرضى يسري في عروقه برعشات خفيفة . وفي ظلام عينيه المغمضتين ، نسي انها ترقد بجانبه ، واحس بان كل الافكار والدوافع قد انجلت عنه ولم تترك غير هذه الراحة الجسدية . ولم تات بأية حركة ، كانت انفاسها الدليل الوحيد على انها كانت حية . ثم اعتدلت في جلستها وقالت :

— الافضل ان نشرب هذا .

ودفع نفسه الى الجلوس واخذ القدح منها . وشربه وهو يستند الى مرفقه وكفه على الوسادة . كان فاترا ، فشربه على عجل . ولم ينبس احدهما بكلمة . وعندما اخذت القدح منه ، اضطجع ثانية ، وبعد قليل رقدت هي الى جنبه ايضا . ولم تحاول هذه المرة ان تبعد شفتيها عندما هم بتقبيلها . واثارته شفتاها الرقيقتان ، وضغط عليهما حتى انفجرتا قليلا وهو يتنفس عميقا . كانت سلبية تماما . وراح يتحرك بحذر عندما احس بالتهيج يعلو فيه . فتعمد الاسترخاء ورقد الى جوارها ثانية وسحبها اليه . كانت راحة يده اليسرى منبسطة على ظهرها تنقل اليه شعورا حسيا لليدا بنعومة الحرير الذي يلف جسدها . كانت اللذة التي احس بها توترت في اعماقه يتحدى الزمن — كان يكفيه ان يحس بقربها منه . ومرت لحظة ، احس بوعيه يتملأ فيصبح كاملا ، يدرك الماضي والحاضر والمستقبل كشيء واحد ، يفوق الشك الدائري . وعندما نظر اليها عرف انها لم تكن تفكر ، كانت ترفض التفكير متعمدة . وظل راقدا يرقب النار تخبو شيئا فشيئا وعقرب الساعة الكهربائية ينتقل من النصف بعد الثانية عشرة الى الواحدة . وبالرغم من انها لم تتحرك ، علم انها لم تكن نائمة . واحس برغبة في النوم :

وقالت بصوت خافت :

— لنذهب الى الفراش .

وبقيت برهة راقدة بلا حراك ، ثم تمللت واخرجت ساقيها من تحت الغطاء . وتركها تخرج من الغرفة اولا ، ثم نهض واخذ يتملأ . كان القدحان الفارغان على البساط ، فالتقطهما ووضعهما على الطاولة . ثم ترك غرفة

الجلوس واطفا النور . وعندما مر بغرفة كارولين دخلها واطفا المدفأة الكهربائية .

كان باب غرفتها مسدودا ، ولكنه انفتح عندما دفعه . كانت الغرفة غارقة في الظلام . وصدر صوتها من الفراش وهي تقول :

— أرجوك أن تذهب ، يا جبرارد .

فقال برفق :

— لا تكوني سخيفة !

وخلع ملابسه في الظلام ودخل الفراش الى جنبها . كانت ترتدي قميص نوم رقيق ، كذلك الذي رآه في غرفة كارولين . وعندما مسه بجسده العاري أحس سورم بهدوئه ينهار . وبدأ يقبلها . وعندما انسحبت بعيدا عنه قال :

— أما كنت تحسّين بالخيبة لو نمت في غرفة كارولين ؟

وكان صوتها همسا ، كأنها تخاف أن يسمعها احد :

— لم أكن أريد هذا أن يحدث . لم أفكر بهذا عندما دعوتك ...

— أعلم ذلك . ولكن الآن ، عندما صعدت ، هل كنت تريدني مني أن

أذهب الى غرفة كارولين ؟

— لـ ... لست أدري .

وادرّك أن هذا صوت امرأة ترفض التفكير . وبدأ ينزع عنها قميص النوم .

— لا ، أرجوك . يجب ألا تفعل ذلك .

— دعيني أخلعه . أريدك عارية .

— لا يمكن . لم يحدث ذلك لي قبلا .

— طيب ، لن أفعل شيئا . ولكن دعيني أخلعه .

فحركت جسدها لتلمسه يخلعه عنها . وألقى به على الأرض . وعندما

أحس بجسدها ملتصقا بجسده علم أن لا شيء يمكن إيقافه عن المضي .

وبالرغم من مخاوفها والوعد الذي قطعه ، سيحدث الامر ، وأن جسديهما

ليعرفان ذلك . وأحس بها تستسلم ، وتلين في الوقت الذي كان يتحرك

فيه نحوها .

* * *

وبدأ الفجر يتسلل من خلال الستائر . ونظر اليها خلال النور الباهت

فراى عينيها مفتوحتين .

— كيف تشعرين ، يا عزيزتي ؟

— لا زلت حية .

- لماذا ، هل ظننت ان العملية ستقتلك ؟
- لفترة قصيرة ، نعم .
- وقبلها واحس بارتعاشة من الخنان ادهشته . ونظر الى وجهها ، كان شعرها مبعثرا على الوسادة . وقال :
- امر مضحك ...
- ماذا ؟
- اعتقد ... اني وقعت في حبك قليلا .
- فقالت :
- جيد .
- واطبقت ذراعيها حوله وهي تشده اليها . وقبل وجنتها وشعرها فوق اذنها . وقال :
- ما اسخف الامر ، يا عزيزتي . ماذا نفعل ؟
- ماذا تريد ان تفعل ؟
- ان ابقى على هذا الشكل ستة شهور . على هذا الشكل تماما .
- لا تستطيع . تصاب عندئذ بتشنج العضل .
- اعلم . ويدخل الملل اليك . وافقد انا شعوري . ماذا تريد ان تفعل ؟
- فقبلت اذنه ، وهي تداعب الشعر الثابت على فكها بيدها اليسرى .
- ماذا تريد ان تفعله انت .
- الا تشعرين ... بالندم ... لما حدث ؟
- كلا .
- ماذا تعتقدين ان الاخ روبنز سيقول :
- لا يهمني .
- وترك دفاها يسحبه ثانية ، فيدفع جسده عبر جسدها ويحس كأنه يفنى فيها . وشعر كأنه يقبلها للمرة الاولى . لقد جعل منها الليل انسانا آخر . وقال هاسا في اذنها :
- انه امر مضحك ... لم يحدث لي بهذا الشكل قبلا .
- لم يحدث ؟ ما هو الاختلاف ؟
- اشعر ... كأنني وقعت في حبك .
- جيد .
- تقولين دائما « جيد » هل الامر « جيد » الى هذه الدرجة ؟
- فهزت رأسها ، ووجهها على شعره ، وجسدها يتحرك برفق . وقال :
- اتعلمين ، يقول توماس مان ان الكلمات التي تتلى في مراسيم الزواج

لغو : سيكون هذان جسدا واحدا . ذلك لان الجنس يعتمد على الغريسة ،
على الاكتشاف . ولكني لا اصدقك . فمن الممكن لشخصين ان يكونا
جسدا واحدا ...

- كفالك تفسفا ، يا جبرارد .
- فقال ضاحكا :
- انك على صواب .
- وظل راقدا بجوارها ، وذراعه حول كتفيها ، وهو ينظر الى السقف .
- اخبريني بشيء ، يا عزيزتي ؟
- ما هو ؟
- لم لم يحدث ذلك قبلا ؟ اعني لك ؟
- لست ادري . انه لم يحدث فقط .
- كنت لا تريد ان يحدث ؟
- ليس ذلك . كان ... اوه ، دعنا لا نتحدث في الموضوع .
- حسنا .
- ساخبرك يوما ما . ليس لاني اريد ان اخفي شيئا .
- كلا . ليس لديك ما تخفيه ، على كل حال . لست من هذا النوع .
- ولا انت .
- هممم . لست ادري . هناك حادثة او حادثتان تخرجاني ...
- انا لا اكرث لها .
- لست واثقا . قد تزعمك احدهما .
- لماذا ؟
- اوه ، لا شيء ...
- هل تتعلق بي ؟ ان كانت لاتعلق بي ، فلن اكرث .
- طيب ، تتعلق بك ، بطريقة ما .
- وظلت راقدة بلا حراك . وسالت :
- ليس اوستن ، طبعاً ؟
- اوستن ؟ لم يجب ... ؟ لا اظنك تتصورين ... كلا ! هل هذا
ما تعنيه ؟
- انا اسفة . اعرف انه من السخف ...
- وقبل وجهها ضاحكا .
- مسكينة يا عزيزتي ! تظنني بهلوانا جنسيا ؟
- كلا . لم اظنك ذلك . كيف اذن يتعلق الامر بي اذا لم يكن اوستن ؟

- ثم انسحبت قليلا لتنظر الى وجهه وقالت فجأة .
 - اخشى ان تكون كارولين ، ها ؟
 ووجد من العسير الاجابة حالا . فكررت سؤالها :
 - كارولين ؟
 - نعم .
 - اوه جبرارد ! ...
 - اوه جبرارد ! ... ولكنك التقيت بها منذ اسبوع واحد فقط .
 - اعلم .
 - ولكن ... ماذا حدث ؟ بالتأكيد ... لا يمكن ان تتطور الى هذا
 الحد في اسبوع واحد ؟
 - لم تتطور علاقتنا خلال اسبوع واحد ؟
 - تعني .. ؟ هل حدث ما حدث ؟
 - اجل .
 - ولكن متى ؟ وكيف ؟ كيف حدث ؟
 وسحب نفسه بعيدا عنها ، واستند الى مرفقه ، حيث امكنه رؤية
 وجهها . وقال والجهد باد عليه :
 - عزيزتي ، لا يجدي شيئا ان تسالي كيف تحدث هذه الاشياء . انها
 فتاة حلوة . وفي اول امسية خرجت معها ، قالت انها تود ان اكون عشيقها ...
 ولم أعارض . اعتقد انه شيء شرير جدا ، ولكني لم اكن ارغب ان اكون
 انسانا فاضلا ...
 وظلت راقدة وهي تنظر اليه . ولاحت عيناها واسمعتين الى حشد
 غريب ، وشفتاها ممثلتين جدا . وسالت :
 - هل تحبها ؟
 واعطاها الجواب الذي كانت تبغيه :
 - كلا .
 - هل تحبك هي ؟
 - لا اظن ذلك . من المحتمل انها تهيم حبا بي ، ولكن لا يمضي اسبوع
 الا وتكون قد هامت حبا بممثل او مؤلف ..
 فقالت على مهل :
 - لست ادري ماذا اقول بالضبط ... فانك اذن عشيق كارولين
 وعشيقي ؟
 - كنت عشيق كارولين ، اذا اردت الدقة .

— قررت ألا تكون عشيقها بعد ؟

فقال بلهجة صارمة :

— اسمعي ، يا عزيزتي . لنجعل الامر واضحا بيننا . لقد اخبرتك بالامر لانه ليس من الصواب ان احتفظ به سرا . على كل حال ، رأيت من الافضل ان اعلمك به . فاذا اردت الان ان تطرديني وتطلبي مني الا اعود ثانية ... طيب فقد توقعت ذلك . اكان الافضل الا افضي اليك بشيء ؟ — كلا . اعتقد انني كنت ساعلم في الاخير . ولكن ماذا تريدني ان افعل الان ؟

فرقد ثانية وسحب الفطاء حتى كتفه .

— لم تادري يا عزيزتي . فكري في الامر .

وراح يحرق من خلال النافذة ، ثم على منضدة الريشة التي كانت تبدو واضحة في ضوء الفجر . وقالت بعد قليل :

— انا لا افهم كارولين . هل تفعل مثل هذه الاشياء دائما ؟

— كلا . على الاقل ، لم يسبق لها ان ... تذهب الى هذا الحد .

— ولكنها طلبت منك ان تكون عشيقها ؟

— لا تلقي اللوم عليها كليا . فيلزم شخصان للمضاجعة . على كل حال ،

لا فائدة من تقديم الاعذار . كل ما اعرفه هو ان الامر حدث الان .

ولما لم تجب انقلب على جنبه واخذ ينظر اليها . وفي الحال، كبح رغبته في ان يحيطها بذراعيه . وقال :

— طيب ... انا اذن مطرود .

— اتريد ان تكون كذلك ؟

— كلا .

فابتسمت له ، كانت الابتسامة حزينة مقتضبة .

— اذن فلا اظنك مطرودا .

فمال فوقها وطبع قبلة على حاجبها ، فاحس بمذاق اهدابها المالحة . وقال :

— مسكينة يا عزيزتي . انا اسف ، انا حقا اسف . ولكن ... ماذا تفعل ؟

— عمماذا ؟

— حول كارولين . من المفروض ان اراها الليلة . وعلى كل حال ، ماذا

ينبغي ان افعل بشأنها ؟ ينبغي ان اكف من لقائها . ولكن يمكنك ان تتحسسي مصاعب ذلك .

— هل تريد فعلا ان تكف عن لقائها ؟

— نعم .

فضحكت فجأة :

- ما أسخفك حقاً . بالله لم تكون علاقتك مع ابنة اخي بالذات ؟
- أنا اسف يا عزيزتي . انا حقاً اسف ...
- افرض أنك غيرت مسكنك ؟ تنتقل مثلاً الى همبستيد ؟ اعرف غرفة قريبة ...
- لا يمكنني ان افعل ذلك . سيبدو ذلك جيبنا مني . ان الحل الوحيد الذي يخطر في ذهني هو ان اكتب لها رسالة اخبرها فيها بأنني سافرت الى خارج أنكلترا .
- لم لا ؟ يمكنك الذهاب الى باريس او روما لبضعة اسابيع . ستعثر على شخص اخر اثناء غيابك .
- أوه ، لا يمكنني في الواقع ان ارحل الى الخارج . ليس لي المال .
- غير انه يمكنني الذهاب الى اهلي لبضعة شهور - في يوركشاير .

فقلت بتردد :

- أن رغبت ... ففي امكاننا ان نذهب كلانا الى باريس لنقضي عيد الميلاد وعيد رأس السنة . وحتى بعد ذلك لا حاجة ان نعود . اعرف بيتنا في منطقة البحيرات ...

فمال عليها وقبلها :

- لا تكوني سخيقة . انا لا اخذ تقودك .
- لم لا ؟ لو كنا متزوجين لآخذت مالي ..
- وتوقفت فجأة . ومرت به برهة ، لم يكذب يحس بأن قربها اليه كان يبعث فيه الهيجان الذي كان ينبعث من يده وهي تحسس نعومة جسدها ، وقال :
- هل تريدان الزواج مني ؟
- لا يهمني . اريد ان افعل ما ترغبه ...
- ما املبك ... ولكن هذا ليس بجواب .
- ولكن في امكاننا ان نغادر لندن ، يا جيرارد . لم لا يمكننا ان نفعل ذلك ؟
- سأخبرك بالسبب الرئيسي ، يا عزيزتي . لا يمكنني ان ائخذ من اوستن .
- وما دخل اوستن في الامر ؟
- لا ... لا يمكنني ان اوضح .
- ولكن ... انني لا افهم . هل وقع اوستن في مأزق ؟
- ونظر الى وجهها المذهول ، واحس بالشك الذي تضرره له في اعماقها

وقال :

- اسمعي ، يا عزيزتي ، لننهض ونهيه شيئاً من القهوة . وسأحاول ان

اشرح المسألة لك . ولكن دعيني افكر فيها قليلا .
ودون ان تتكلم ، انزلت خارجة من فراشها . وراح يتفرس بأعجاب
في جسدها النحيف المتماسك وهي تتحرك في الغرفة . واختلطت دشداشة
النوم من كلابة خلف الباب وانحنى لتشمل المدفأة الكهربائية . وبقي لوحده
واخذ يصفي الى المطر الذي اخذ ينقر النوافذ برفق .
وتدحرج قليلا فاحس بدفء البقعة التي تركتها ، فبعثت فيه شعورا
بالدفء والشفقة . ودفع الاغطية وانزل قدميه على البساط . كان الهواء
باردا ، فلبس قميصه على عجل ، واخذ يفكر وهو يقف قرب النار : هل
احبها ؟ هل ممكن ان احبها بعد ليلة واحدة ؟
ووضع الحزام في سرواله ، ثم توقف واخذ يدفئ يديه وركبتيه . انها
لمشكلة ان تكون موزع النفس . لا يمكنك ان تتكهن . اشعر كاني واقع في
حبها الان ، وماذا عن غد ؟
كارولين . انها فتاة عذبة ، ولكن احساسى معها يختلف . كانت حتما .
ستعلم بأمر جيرترود في الاخير . وعلى كل حال ، ليس من الحكمة الارتباط
بجيرترود ارتباطا دائما . بعد عشر سنين ، ستبلغ ما يقارب الخمسين من
العمر ، ولا اكون انا قد بلغت الاربعين بعد .
واخذ يتفرس في صورة فوتوغرافية لها على طاولة الزينة . كانت في
بدلة ممرضة ، وكانت تبدو اصغر سنا بعشر سنين . كان لعينيها التعبير
نفسه الذي لاحظته في وجهها قبلا وهما في الفراش . كانتا عيني حكيمتين
فيهما شيء من اللعز . وخطر في ذهنه : ولكني احبها في هذه اللحظة . حتى
اذا استمر حبي الى غد فقط .
وكان المطبخ دافئا . وكان ابرق القهوة يغلي بفقااعات على الموقد .
وانحنى عليها وقبل جبينها . كانت بشرتها صافية صحية ، فسر ذلك . وقال :
- انك تشبهين « لوريلاي » بشعرك المنسدل على ظهرك .
- ولكني لا اشعر بشعور « لوريلاي » .
- فضحكت ومرت باصابعها خلال شعرها .
- كيف تشعرين ؟
- شعورا غريبا . لست معتادة على الجلوس بدشداشة النوم امام رجل .
- لا يهم : تبدين رائعة . بل وتبدن اروغ وانت عارية .
- كلا ، لا ابدو كذلك .
- فازاح رداها ولثم طرف ثديها .
- بل تبدين رائعة . لك جسد مدهش . كجسد ... فتاة شابة .

وتوقف في اللحظة التي كان على وشك أن يقول فيها : كجسد فتاة في السادسة عشرة . ولكنها لاحظت تردده ، فابتسمت له ، ولاح في عينيها خبث مفاجيء .

وقال ضاحكا :

— اعتقد أنك تقرأين الأفكار .

— لست كذلك ... معك .

وقال :

— ألا تكثرين حقا ... حول كارولين ؟

— بالطبع أكثر . واتمنى لو أنه لم يحدث . ولكن لا فائدة من هذا

التمني . وعلى كل حال ... ما مضى مضى ... اليس كذلك ؟

واحاط خصرها بذراعه ، وسحبها اليه بينما كانت تمر به . وقال :

— أجل . أنا أيضا لا أكثر .

وضعت كوب القهوة أمامه ، وسكبت حليبيا ساخنا فيه ، وهي تمنع

القشطة من التسرب بواسطة مصفاة .

— ولكن ما هي مشكلة أوستن ؟

— أه نعم ... أوستن .

وانتظرها حتى جلست في مواجهته واخذت تصب القهوة .

— طيب ، أظن أنه من المحتمل أن تكون لاوستن متاعب مع الشرطة .

— لماذا ؟ ماذا فعل ؟

ووضع السكر بالملقعة في قهوته وهو يتفرس في غطاء المائدة . كان من

العسير عليه شرح الأمر بطريقة رقيقة :

— على كل ... أتذكرين أنك حدثتني مرة عن ولعه بتحطيم الدمى

عندما كان طفلا ؟

— نعم .

— لم كان يفعل ذلك ، في اعتقادك ؟

— لـ ... لست أدري . كثير من الأولاد لا يحبون الدمى ، يعتقدون

أنها سخيفة . أنه نوع من التعبير عن الإزدراء .

— ربما . ولكن ، تمر بأوستن فترات متعاقبة يحدوه فيها دافع قوي

لتحطيم الأشياء ، أو إيذاها . يدعى هذا السادية .

— سادية !

وانسكبت قهوتها في الصحن . فوضعت الكوب واخذت تحقق فيه .

فقال على عجل :

— اوه ، لا تضطربي . قد لا يكون الامر بالسوء الذي تظنينه . ولكن النقطة هي ... انه معروف لدى الشرطة بانه سادي .

— ولكن كيف ؟ لماذا ؟

— ولكن كيف ؟ لماذا ؟

فقال وهو يهز كتفيه :

— لانه يختلط باناس لا يهمهم ان يتلقوا الضرب من اجل المال . وهؤلاء الاشخاص معروفون لدى الشرطة . على كل حال ، لا اطيل الكلام عليك ، انه من المشبوهين بصورة اوتوماتيكية في قضية مثل قضية حوادث القتل في وايتشابل . هنالك بالطبع الاف المشبوهين الاخرين .

— ولكن الرجل قبض عليه ... كما قلت .

— اعلم . اذا كان هو الرجل المطلوب ، فالقضية انتهت الان . ولكنه قد لا يكون القاتل .

— انا ... لا افهم . اوستن لا يمكنه ابداء احد . لا يمكن مطلقا ان يكون قاتلا . ممكن ؟

— اعلم . واتفق معك . ولكنه زج نفسه في موقف كريبه . لو كان عاقلا ، لغادر القطر سنة واحدة . لست اعلم نوع المشكلة التي وقع فيها . اظن انه ربما يكون هناك احد يهدده .

— ما الذي يدفئك الى هذا الظن ؟

وحدثها بالتفصيل عن النداء التلفوني من سويسرا وعن الشقة في الطابق السفلي والنادي الليلي . وبينما هو يتفرس في وجهها وجد نفسه يعجب به . وقد اصبح وجهها بعد الصدمة الاولى هادئا وراحت تصفي بصمت وهي تحتسي قهوتها . وعندما ذكر لها الدكتور شتاين وحادثة هامبورغ ، قاطعته بقولها :

— ولكن ذلك سحف ، انه دخل ديرا في المانيا ! بالتأكيد انهم لا يظنون ...

— عزيزتي ، انهم لا يشتبهون باوستن بالذات . فكما ذكر شتاين ، على الشرطة ان تفحص الافا من المشبوهين في قضية كهذه . كان شتاين احده المسؤولين عن التحقيق في قضية كورتن في دوسلدورف ، وقد استجوبت الشرطة عددا هائلا من المشبوهين خلال ثلاث سنين — غاب عني الرقم ، ولكنه حوالي نصف المليون . وان حوادث الجرائم السادية لهي في الوقت الحاضر اكثر مما يمكنك تصويره . ماذا تظنين قد حدث لكل الحرس في محل مثل بيلسن وآوشفيتس ؟ لم يحاكموا جميعا على انهم مجرمو حرب — لم يحاكم

خمسة بالمائة منهم . وقد حدثني بعض الذين كانوا في معسكرات الاعتقال الألمانية - اشخاص كانوا في حركة المقاومة الفرنسية - واعتقد ان ذلك حدث في كل مكان . لم يكونوا جميعهم ساديين . ولكن بعض الحركات كالنازية تتمخض عنها السادية . اما في انكلترا فانها تظهر على شكل جرائم جنسية او حوادث العنف بين الاونة والاخرى .

كان يحاول عن قصد ان يسرد حوادث مجردة لكي يعيد الاطمئنان اليها، بعد ان احس بان الخوف الذي كانت تشعر به كان خوفا من المجهول ومما لا سبيل الى تفسيره . وقالت :

- ولكن بالتأكيد ... ليس الامر كذلك مع اوستن ؟ انه ليس من هذا النوع من الناس .
فقال سورم :

- آه ، لعلك على حق . ولكنه من الصعب التوضيح . هنالك نوعان من السادية .

واجتاز المطبخ الى النافذة وراح يسمح البخار المستقر على الزجاج . واورثه مشهد الاشجار المبللة بماء المطر احساسا بالسعادة .

- اعتقد ان السادية لدى بعض الناس لا تعدو ان تكون تعبيراً عن الحيوانية . انهم لا يشعرون بالمسؤولية تجاه الآخرين . انهم مجرمسون سيكوباتيون يعانون امراضا عقلية . ولكن السادية ، كما اعتقد ، يمكن ايضا ان تكون مجرد التعبير عن صراع .
- كيف ؟

ولم ينظر حواليه ، لم تكن لديه الرغبة في رؤية وجهها لثلا يحس بالحاجة لاقناعها . وقال :

- فمثلا ، اجد نفسي وقد اخذت انضج جنسيا . اتعلمين ، هناك مثل قديم في الجيش : الآلة الساكنة لا ضمير لها . واعتقد ان هنا موطن الاختلاف بين الرجال والنساء . الجنس بالنسبة لكلية شهوة جسدية خام بالاضافة لكونها وسيلة للتعبير عن الحب . وهو لدى الرجل احساس بفائية الحياة ، والرغبة لاتخاذ من كل امرأة جذابة اما لاطفاله . في حين ، نجد بالنسبة للمرأة ، ان الاتصال الجنسي هو ذروة الحب ، وتعبير عن الحنان ، وليس غاية بذاته . على كل حال ، انني اجد ان موقفي من الجنس يشبه موقف المرأة . فاذا ما تسنمت سريري اجمل غادة في لندن وقالت : « تعال خذني » لفشلت في تحقيق ذلك . لا يمكنني تعاطي الجنس كالالة .
فقالت بلهجة متهمكة :

— يسرني ان اعلم بذلك .

— ولكن هذا لمجرد ان الاحساس بالغاية يزداد قوة لدي ، ولهذا فانه يزداد رغبة في الانتقاء . اتلاحظين ؟ يتزاوج الحيوان ويولد صغاره بطريقة غريزية . ويفعل على هذه الشاكلة عدد كبير جدا من الناس . غير ان لبعض الرجال الحاجة لان يحسوا بوعي اكثر حول قضية الجنس كلها ، فيقاومون الفريزة التي تشدهم الى امرأة معينة . لانهم يوجهون رغبتهم الجنسية ليس تجاه امرأة معينة وانما تجاه جميع النساء . ولذا فبنساء معينات لا يثرن رجلا كهذا بقدر ما تثيره فكرة النساء عامة . وهنا تكمن المرحلة الخطرة التي قد تحول الى مجرم جنسي . فاحساسه بالغاية اقوى مما هو عليه لدى كثير من الرجال ، غير ان غرائزه تظل غرائز حيوانية . واذا استطاع ان ينمى ويخلف هذه المرحلة ، فانه يعود الى حاجته لامرأة واحدة ، ويمر الاحساس بالغاية الى ما وراء الجنس . ويمكن التسامي به عن طريق الحاجة لان يصبح فنانا او فيلسوفا او مصلحا اجتماعيا . ولكن حتى يصل هذه المرحلة يبقى حبيسا بين نارين . احساسه بالغاية يجعل منه متعصبا ، وشهواته لا تستطيع ان ترتفع عن الجنس . هل تفهميني ؟

— اظن ذلك . ولكن ... لا يمكنني ان اتصور كيف تقود الى ابداء الآخرين ، اذا كانت هي شعورا ارفع بالغاية ...

— بسبب الصراع . ياخذ الانسان بازدراء نفسه ، فيعبر الاشمئزاز عن نفسه بواسطة القسوة . لدى اناس معينين ، بطبيعة الحال . ولدى الآخرين — اوليفر ، مثلا — يثور الاشمئزاز على نفسه . وقد يحاول الانسان في هذه الحالة ان يؤذي نفسه . او مجرد ان يدمن على الشراب او المخدرات . — ومع هذا ... الرجل الذي يقتل لا يمكنه ان يحس بالغاية التي تحدث عنها .

— لماذا ؟ لا يغيب عن بالك ، انها المحاولة لحل الصراع . دعيني اورد مثلا . من المشاعر الكبرى التي يثيرها الاتصال الجنسي في نفسي هو الشعور بانني عاجز . تمر بي ثوان معدودات تتركز فيها ذكرياتي ويتسع مدى رؤيائي . ثم تتلاشى . وادرك ان عدوي الرئيسي هو جسدي . اني اميش دائما في الحاضر ، والزمن يخفف ذاكرتي . اتعلم اليوم شيئا ، وفي غدي يتلاشى كاثار الاقدام على الساحل الرملي . ويطبق علي الحاضر طيب ، لو كنت انسانا يختلف عما انا عليه لكنك قرنت فشلي هذا بالجنس . كان من المحتمل ان تفيظني مقاومة العالم المادي . والتقي بفتاة في الثانية عشرة من عمرها على قارعة الطريق واعلم بانني لا استطيع قط ان اشبع الرغبة التي تثيرها .

العالم المادي يخيبني وجسدي يخونني . وفي ليلة ليلاء ، التقى بالفنائة فسي شارع مقفر فاحاول اغتصابها . وتكافح للهروب فاقتلها خنقا . هل تفهمين ما اعنيه ؟ تصبح الجريمة وسيلة للتعبير عن الاشمئزاز وعملا متحديا ، ولكنها قد تنبعث من ادراك اعمق مما يملكه اكثر الناس . . . لو كنت فلاحا فسي احدى المزارع اتمتع بالعافية ولي زوجة وعشرة اطفال لما خبرت الشعور بالعجز هذا .

وهزت رأسها .

- افهم ما تعنيه . . . ولكني لسبب ما لا احس به . بالرغم من اعتقادي بانك مصيب بشأن اوستن . انه فعلا يبحث عن شيء ، وهو ليس من التضج بحيث يعرف ما هو . وأعلم انه موزع النفس . ولكني لا استطيع ان اتصوره يؤذي احدا .

- ولكن لم تريد رؤيته الان ؟ ولم تريد البقاء في لندن ؟ ماذا فسي وسعك ان تفعل ؟

- لست ادري . اريد ان اراه وان اتحدث معه . انه لا يعلم بان الشرطة مشتبهة فيه بصدد جريمة هامبورغ .

- هل انت واثق ؟

- اظن ذلك .

- الا تعتقد بانه كان يخشى الشرطة عندما اتصل بك من سويسرا ؟

- لا اعلم . قال ان الامر يتعلق « برجل غير مرغوب فيه » . فتصورت انه قد يكون هناك تهديد في الامر .

- الم تسأله ؟

- كلا . ماذا يسعني ان افعل ، سوى ان اطلب اليه الذهب السني الشرطة ؟ ولا يبدو هذا صوابا والحالة هذه . ولكني اعتقد انه يجب اقناعه بمغادرة انكلترا الان ، ما دام ذلك يفيد .

ونظرت في وجهه وعضت على شفتها . وسألت فجأة :

- اتظن انه من المحتمل ان يكون هو الذي اقترف تلك الجرائم فسي وايتشابسل ؟

- كلا . بالطبع لا .

قال ذلك على الفور ، دون ان يدع لنفسه المجال للتفكير . ولكنه كان يدرك ان المسألة ليست بهذه السهولة . كان اوستن الذي يعرفه هو يختلف اختلافا تاما عن اوستن الذي تعرفه جيرترود . كان اوستن الذي التقى به سورم في معرض دياغيليف رجلا قادرا على ايقاع الاذى . وقد تبدل مؤخرا ،

ولكن التبديل كان استجابة لسورم ، نشأ من إعجابه به . وتذكر التعبير الذي
لاح في وجهه ن عندما كان ينظر الى صورة الفتاة خارج مبنى السينراما .
كان ذاك أوستن الذي لم تلتق به جيرترود قط .
- ومع هذا ، أود ان اتحدث معه ... بصراحة . يجب تحذيره . هل
تظنين ان من المحتمل ان يكون الان في ليدزهيدي ؟
- ربما . يمكننا ان نذهب لنتحقق .
- كلا . يجب الا تأتي . يجب ان اكون وحلي .
- طيب . ولكن يمكنني ان اوصلك الى هناك بسيارتي .
- متى ؟
- اليوم ، ولكن الافضل ان نتصل بشقته في شارع الباني اولا .
- طيب ، حسن . وهل يمكننا ان نذهب لرؤية أوليفر في طريقنا ؟
اريد ان اطمئن على صحته .
- حسنا .
ونفضت . وقالت :
- انا ذاهبة لارتداء ملابسني .
وجاء نحو الباب وسحبها اليه .
- عزيزتي المسكينة . لقد حدثت لك امور كثيرة خلال الاثنتي عشرة
ساعة الاخيرة ؟ كيف تشعرين ؟
فابتسمت ابتسامة قصيرة ، وقالت :
- حائرة .
وجر رأسها من شعرها الى الوراء برفق وقبلها . وانفجرت شفتاها
وارتخي جسدها المشدود الى جسده . وتحركت يده تحت رداثها . وقال :
- لا تخافي . سيكون كل شيء على ما يرام .
وارتعشت فجأة وهي تضغط بجسدها عليه . واكتسحه شعور
بالغموض والنشوة .

الفصل السابع

وفيما كانت ترجع بسيارتها من نوع « كونسيل » الى الخلف لتخرج بها من الكراج ، رأى رجلين يمشيان في الممشى المؤدي الى البيت . كانت المس كوينسي تنظر في مرآة السياقة ولكنها لم تلحظهما . وقال :

— لديك ضيوف .

— صحيح ؟ من هم ؟

وظلت ترجع بالسيارة الى الوراء حتى اخرجتها من الكراج .

— رجلان . الا تعرفينهما ؟

فاوقفت السيارة ووضعت عتلة التعشيق في وضع متعادل .

— كلا ...

واطفات المحرك .

— ربما يكونان من موظفي شركة تأمين ؟

— لا اظن ذلك ...

— ربما من رجال الشرطة .

كان الرجلان قد رايا السيارة فوقفا عند الباب الامامي ، وهما ينظران نحوهما .

وقال سورم :

— اسمعي . اذا كانا من الشرطة فبالله عليك ليكن لديك شيء ميسر

العقل . لا تخبريهما شيئا عن اوستن بتانا .

— ولكن ... كيف اشرح وجودك هنا ؟

— ليس هذا من شأنهما .

فنزلت من السيارة ومشيت على حلبة العشب وهي تقول :

— هلا أفلقت باب الكراج ، رجاء ؟
وسره ان يراها تسير برباطة جأش نحوهما . فافلق الباب ووضع فيه القفل ، ثم وقف الى جوار السيارة وهو يرقبها تدخل المفتاح في الباب الامامي وتتقدمهما داخل البيت . وتردد في اللحاق بها . اذا كانا من رجال الشرطة فمن الافضل الا يتدخل . واخذ يحرق في السماء ، كانت زرقاء شاحبة بعد السيل الغزير . كانت شمس كانون الاول دافئة .
ونادته جيرترود . كانت تقف في المدخل ، وهي تلوح له . وعندما راح يجتاز الحلبة المشبعة بالماء جاءت للقائه ، وقالت على عجل :

— يريدان رؤيتك ايضا .
— هل انهما من الشرطة ؟
— نعم . يبدو انهما يعرفانك .
لم يكن هنالك اثر للارتباك في صوتها . وقال مبتسما :
— لا يهم . ليس لدينا ما يقلقنا .
ودخلا البيت . كان الرجلان في غرفة الجلوس يقفان في وسط البساط . وكان اكبر الاثنين يقطع اصابعه . وقد ذكره وجه الرجل الاحمر وشعره المتقهقر الى الخلف بالاخ روبنز . وقال الرجل الضخم :
— المستر جيرارد سورم ؟
— نعم .

— نحن من ضباط الشرطة . اسمي ماكردو — المفتش ماكردو .
وهذا المحقق هو العريف جيمس . اعتقد انك صديق للمسترن .
كان يتكلم ببطء ، وبطريقة رسمية تتفق ومهمته كمحقق وكان يتكلم برطانة اسكوتلاندية خفيفة .
فقال سورم :
— نعم صحيح .

وانحنى ليشعل المدفأة الكهربائية . وفيما هو يفعل ذلك ، ادرك ان المحقق قد لاحظ انه يالف البيت ، ولكنه فكر بامتعاض : ليس هذا من شأنه على كل حال .

وقالت المس كوينسي :

— الا تجلسان ؟

— كلا ، يا مدام ، لا نفعل ذلك . لا نريد ان نؤخركما . وقد راينا انكما خارجان . نحن نحاول ان نعثر على المسترن . اتعرفين اين هو ؟
— اوستن ؟ كلا . . . هل حاولتم البحث عنه في شقته ؟

- نعم ، مدام ، لم يعد اليها منذ يومين .
 - ولكن لماذا تبحثان عنه ؟ ماذا فعل ؟
 فابتسم ماكمرودو :
 - لا داعي للارتباك ، مدام . اكثر الناس الذين تحقق معهم الشرطة لم يفعلوا شيئا . مستر سورم ، هل لديك فكرة اين يمكننا الاتصال بالمستر ن ؟
 - لا اعتقد ذلك . وبيت والديه ؟
 - كلا . انه ليس هناك . متى رأيته اخر مرة .
 - ! ... اعتقد ... يوم السبت . تناولت الغداء معه يوم السبت .
 - ولم تتصل به منذ ذلك الوقت ؟
 - كلا . حاولت مخاطبته تلفونيا في شقته عدة مرات .
 - آه . لسبب معين ؟
 - كلا . انه صديق مقرب لي .
 - هل لديك فكرة اين يمكن ان يكون ؟
 - كلا ابدا . قد تعرف ذلك المس كوينسي اكثر مني .
 وهزت المس كوينسي رأسها وقالت :
 - لا اظنني اعرف . ولكنه غالبا ما يغيب اياما كثيرة دون ان يهمله
 ان يخير احدا .
 ووجه ماكمرودو السؤال الى سورم :
 - هل اخبرك انه قد يسافر لبضعة ايام ؟
 - كلا .
 - آه . طيب ، اشكرك جدا . نأسف لأزعاجكما .
 وقالت المس كوينسي :
 - ولكن الا يمكنكما اخبارنا ماذا في الامر ؟ لا بد ان والديه فزعان لرؤية
 الشرطة تبحث عنه .
 - لماذا ، مدام ؟ هل لديها اسباب للقلق عليه ؟
 - على كل ... كلا . ولكن عندما تبدأ الشرطة بالتحقيق ... ليس
 من المدهش ابدا ان يقلقوا عليه . هل يمكنك ان تبين لي اذا كان الامر خطيرا ؟
 وقبل ان يجيب ماكمرودو قال سورم :
 - انكما تبحثان في جرائم وايتشابل ، اليس كذلك ؟
 - نعم . كيف عرفت ؟
 - قرأت اسمك في الصحف .
 فجلست المس كوينسي وقالت :

— جرائم ؟ هل لاوستن علاقة ... ؟
وماتت بقية الكلمات في فمها . وراح سورم يرقبها بدهشة وسرور .
كانت تبدي الدرجة الصحيحة من القلق . فقال ماكردو مهدئا :
— نريد ان نلقي عليه بعض الاسئلة فقط . قد يكون في امكانه مساعدتنا .
وقال سورم :
— ظننت ان القاتل القبي عليه القبض ؟
وتبادل المفتش والمحقق النظرات . فاجاب المحقق :
— نحن ايضا ظننا ذلك ، حتى الليلة الماضية .
— هل وقعت جريمة قتل اخرى ؟
فقال ماكردو :
— اجلس .
ومشى نحو الباب يتبعه العريف . وقالت المس كوينسي :
— ولكن ماذا يمكن لاوستن ان يعرف عن الجريمة ؟
فقال ماكردو :
— ربما لا يعرف شيئا ، مدام . ولذلك نريد ان نراه . اذا وصلك منه
نبا فسنكون ممتنين لو اعلمتنا . وانت كذلك يا مستر سورم . طاب صباحكما .
وجلست المس كوينسي تحديق فيه حتى انطلق الباب . وظلا يرقبان
الرجلين وهما يتعدان . وقالت :
— اذن ... يبدو انهما يبحثان عن اوستن ؟
— لـ ... لست ادري . اذا كانت قد وقعت جريمة الليلة الماضية ...
فليس في ذلك ما يدهش ، ها ؟ انهم يريدون استجواب كل شخص ، حتى من
له علاقة بعيدة بها . وبلاضافة الى ذلك ، لا يبدو عليهما انهما يشتبهان
باوستن بقوة ، والا لوجها اسئلة كثيرة . ولم يسألاني حتى عن الشقيقة
في كينسغتن ...
— هل تظن انهم يعرفون عنها شيئا ؟
— لا بد ، بالتأكيد . ليسوا مهملين الى هذا الحد .
وتوقف ، واخذ يحديق من خلال النافذة ، وسمعا صوت سيارة تتحرك .
وقال ببطء :
— انا ... لست افهم هذا كله . ولست ادري ماذا اعتقد .
وقالت بهدوء :
— اذا كان مذنبا ، ليس هنالك ما يمكننا ان نفعله .
وخرجت من الغرفة قبل ان يعي كلماتها . واطفا النار ، وخرج . وسمع

صوت باب غرفتها يفتح . وعندما دخل الفاهما تضع المساحيق على أنفها من طاولة الزينة . وقال :

— اسمعي ، يا جيرترود . دعيني أخبرك بشيء . لنفرض أنه مذنب ، هل تدعينهم يأخذونه الى المشنقة ؟

ونظرت اليه في المرأة ، وكانت الدهشة ترسم في وجهها .

— ماذا في وسمي أن افعل ؟

— الا تحاولين حتى أن تساعديه ؟

والتفتت لتحقق في وجهه .

— تعني اذا كان أوستن هو الذي قتل كل هؤلاء النسوة ؟

وفيما هي تتفوه بهذه الكلمات لاحظ التصديق يشع من عينيها . لم يعد الامر احتمالا بعيدا ، بعيدا الى حد لا داعي للتفكير فيه . وكانت الصدمة هذه المرة في وجهه هو . ولاول مرة اخذ يعتبر الامر مجرد مسألة جريمة وعقاب . وقال :

— لا يمكنني ان اصدق انه هو القاتل . على كل حال ؟ انه منحرف جنسيا . ولكني واثق من انه يعرف شيئا عن الجرائم . كل الدلائل تشير الى هذا الاحتمال .

— ولكن كيف ؟ كيف يعرف ؟

— انه يزامل المنحرفين جنسيا . وهم متفقون فيما بينهم كأنهم في جمعية ماسونية . على كل حال ، من المحتمل الا يكون المسؤول رجلا واحدا . يحتمل ان يكونوا كثيرين . . . جمعية كاملة .

— تعني . . . جمعية هدفها القتل ؟

— ربما . حدثت اشياء اقرب من ذلك . كانت في الهند جمعية دينية هدفها القتل .

ولاحظ انها تدور حول هذا الموضوع . وجلس على حافة السريزر ففصص فيه .

وقالت :

— هل تعتقد ان أوستن قد دفع به في هذه القضية بطريقة من الطرق .

وفهم مراميها . كانت كلمة « دفع به » تعبيراً مهدداً لـ « ضلل » او « افسد » . وقال :

— من المحتمل . تبدو اكثر هذه المغامرات السادية ذات طبيعة جماعية .

وعلى كل ، ربما يعرف شيئا عنها .

وقالت :

— ينبغي علينا أن نبحث عنه . اتظن ان ذهابنا الى ليندهيد مأمون ؟
— يمكننا المحاولة . ربما لو ذهبنا لزيارة غلاسب في طريقنا فلن يكلفوا
انفسهم مشقة ملاحظتنا . كما يحتمل ألا يكونوا مكترئين .
وفيما هو يتكلم ، تذكر أن ماكمردو هو المسؤول عن القضية . ومرت
به لحظة ، اغراه فيها احساس بان يترك الامور وشأنها . ولمس نفس هذه
الشكوك ترسم على وجه كوينسي . وقال :
— الاجدر ان نتحقق عن حادثة القتل الجديدة قبل ان نفعل اي شيء
آخر . قد لا تكون لها علاقة بجرائم القتل السابقة . وربما القي القبض على
القاتل ...
وقالت :

— اذا كان القاتل اوستن نفسه ، فلن يكون هنالك ما في وسعنا ان نفعله .
ونظر اليها ، ووجد عينيها تنطقان بالخيبة المتوقعة . وقال على عجل :
— ربما .

— انك ولا شك لا تعتقد انه اوستن ، اليس كذلك ؟
وقاوم رغبته في تجنب السؤال . وقد احس بالدافع لمقاومة هذه
الرغبة لشعوره بالحاجة الى حمايتها ، او قد تكون فترة حمايتها قصيرة . وقال بروية :
— عزيزتي ، لا فائدة من تجاهل الامر . من الجائز ان يكون اوستن هو
القاتل . انه امر ممكن . انا لا اريد تصديقه ، ولا اريد ان يكون كذلك . ان مخيلتي
لتمجيز عن مواجهة تلك الحقيقة . ولكن لو فرضنا ان اوستن هو القاتل ،
علينا ان تواجه الموقف .

وراح يرقب تتابع الانفعالات في عينيها : عد التصديق ، حدة تشبه
التوجع ، ثم انتقال اهتمامها من المعاني التي كانت تصورها كلماته الى تعابير
وجهه ، واخيرا تكييف نفسها الى الموقف ، والامل . وقال :

— لا اعلم انا ايضا كيف اشعر . لا ادري هل اتخلى عنه . كيف السبيل
الى معرفة ماذا يجب ان يجيزه القانون وماذا يجب ان يحظره ؟ انك تفترضين
ان الجنس من الرذائل لأن الكتاب المقدس يحرم الزنى . غير ان التجربة تجعل
من الصعب الايمان بذلك . حتى اني ، الليلة الماضية ، كدت ان اشعر بانك
كنت تحاولين تعديل القيم التي كنت تؤمنين بها — كنت تحاولين الوصول
الى قرار فيما انك تقترفين خطيئة ام لا ...
فقالت :

— ليس ثمة شبهة بيس الحب والقتل .
وادهشته للمرة الثانية السيطرة التي استطاعت خلال ساعات قليلة

ان تحققها على مشاعرها ، تلك القابلية على تكييف نفسها لحقائق جديدة .
— هذا صحيح . على كل حال ، انا لست احاول الدفاع عن الرغبة في
القتل . انا اقوم بمجرد محاولة لتفهم هذه الرغبة دون ان الجأ الى تبسيط
دوافعها اكثر مما ينبغي . فمثلا ، الا يمكنك ان تتصورى جريمة قتل ترتكب
بدافع الحاجة للتعبير عن الحرية ؟
فقالت بصبر :

— لا اختلاف في الامر . ليس لاحد الحق في القتل للتعبير عن حريته .
— انا لا اتكلم عن الحق . بل اتكلم عن المسؤولية . اصفي ، يا عزيزتي ،
لنفرض جدلا ان اوستن هو القاتل . فما هو مدى مسؤوليته في القتل ؟ اذا
انت قطنك امرا قدرا على البساط ، فانك تضربينها بضع ضربات ثم تلقين بها
خارجا . لانك تعتبرينها مسؤولة . ولكنك اذا علمت ان القطعة كانت تعاني من
تأثير طعام تناولته ، فلن تعتبرها هي المسؤولة ... لانك تفترضين انها
لم تستطع منع نفسها . طيب ، اليس المسألة كذلك بالنسبة لجريمة
القتل ؟ كيف علمت ان القاتل لم يبلغ درجة من الضجر واحتقار الذات
والتعاسة مما يجعل تجنب اقرار جريمة القتل امرا يكاد يكون مستحيلا ؟
يصبح القتل شهوة طاغية بغية استعادة حريته ...
فهزت رأسها :

— لست افهم . ما هي علاقة القتل بالحرية ؟
— الا تفهمين ؟ من الممكن ان يصبح الانسان سجيناً في زنزانه حقه على نفسه .
لناخذ قضية كريستي مثلا . فهو رجل صغير ضعيف المظهر لا يستطيع
الاذى ويعاني من حساسية في اعصابه . وينمو فسيه هوس عصبي للجنس
— اتعلمين ، كانوا يدعون في مدينة ليدز « كريستي العاجز » ؟ على كل حال ،
ينبغي ان يكون الجنس تحررا من الشخصية ، بيد ان المصاب بهوس الجنس
لا يمكنه مطلقا تحقيق تلك الحرية الا في خياله . وفي الاخير ، يبلغ مرحلة لا
يعود خياله فيها يكفي . مرحلة يخونه فيها خياله . فيلجأ الى القتل ، حيث
يجد فجأة كل ما كان يريد . امرأة حقيقية ترقد عند قدميه . وفي تلك
اللحظة يحس بالحرية القصوى ، يحس باتصاله بالازل — انه يصبح في الواقع
جزءا من الازل . وتلي بعد ذلك العودة المحزنة الى الارض — امرأة فاقدة
الوعي ترقد عند قدميه . لقد كان يقتلها بالغاز . وينتابه الشعور ، يا الهي ،
ماذا افعل عندما تستيقظ ؟ ثم يعود الى عالم القلق القاتل والتفاهة — فيخونها
ويخفي جثتها تحت لوحات الارضية ، وهو قلق بشأن الرائحة التي ستفوح
منها . افهمت ما اعنيه ؟ لولا احتقار الذات والشعور بالاجهاد والتفاهة

لما كانت هنالك جريمة قتل . انه يقتل لنفس السبب الذي يدفع القديس الى التأمل والذي يدفع الشاعر الى الكتابة عن الطبيعة . ان القتل طريقة للهروب من الذات . وللسبب نفسه يصبح دي كوينسي مدمنا على المخدرات وادجار الان بو سكيلا . ولكن بدون وجود الحساسية المرهفة لا تكون هنالك حاجة للهروب . انهم يريدون حياة اكثر شدة وعمقا ، غير ان الباب الوحيد الذي ظل مفتوحا امامهم هو القتل . . .

ونظر اليها باشفاق . كانت تصغي دون ان تعي شيئا . وعندما توقف عن الكلام ، ظلت تحديق باتجاهه في ورق الجدار . لقد غمرته الرؤيا ، ولكنها ان تفهم . انها لا تعرف غير القوالب وغير فصول سفر الملوك . انها لن تفهم الخير الحقيقي والشر الحقيقي . لو فهمتهما لحطمتها المعرفة . كان هذا هو جواب اهتمامه بها - لقد اورثته هذه الرؤيا الخيبة والحنان . ان عالم المرأة ، هو عالم الاشخاص . وبدون « كالي » ، تلك الام المعتوهة ، لا شيء هنالك غير قابلية لامتناهية على التدمير وقابلية لا متناهية على الخلق . وقال :

يجدر بنا ان نرحل . لا نفع هنالك في جلوسنا هنا . ونهض ، ونهضت بصورة تلقائية وتبعته الى الباب . وفي اعلى السلم التفت اليها وقبلها ، غير ان فيها لم يستجب له . وهبط السلم ، وهو يفكر: ترى هل هناك امرأة لا تمتد جذورها الى حدود ، والى الشك الذاتي ؟ ربما لا . غير ان البحث لم ينته بعد .

* * *

وعندما مرا بسيارتهما قرب هاوندسديتش ، قال :
- لو اعلم اين وقعت الجريمة ؟ كان ينبغي ان نسال ماكمر دو .
- لماذا ؟
- اوه . . . مجرد فضول . اتجهي نحو اليسار عند اضواء المرور .
ثم لنذهب في الشارع التجاري لعلنا نكتشف المكان .
- كيف نكتشفه ؟
- اوه ، ربما سنرى جمهورا من الناس . بي مرض الفضول .
- ما انعس هذا المرض .
- هل هناك ما يدل على اننا ملاحقون ؟
- لا اظن ذلك . لا استطيع القول . . . الشارع مزدحم جدا .
- اتجهي عند الكنيسة الى الشارع الاخر . كلا ، انتظري . اعتقد اننا
اهتدينا الى المكان .

وحالما وصلت السيارة في موازاة الكنيسة استطاع ان يرى حشدا من الناس في منعطف شارع برشفيلد ، مقابل السوق . وقال :

— قفي هنا لحظة .

وسار في محاذاة الحشد ووقف على طرفي قدميه لينظر عبر الرؤوس . كان اهتمام الجمهور يبدو مركزا في مدخل إحدى البنايات على بعد اثنتي عشرة ياردة على طول الشارع . وكان رصيف السوق من الاسمنت مزدحما بالرجال والنساء الذين كانوا يحدقون في جماعة من رجال الشرطة خارج المدخل . ولم تكن هنالك عربة اسعاف .

وشق طريقه عائدا الى السيارة . وقال :

— لا يمكن رؤية شيء . علينا ان نقتني صحيفة الظهيرة .

وخرج من بين الحشد رجل قصير في بدلة عمل بيضاء مبقعة ومسر بهما . فقال سورم :

— من فضلك . . . ماذا يجري هنالك ؟ ماذا ينتظر الجمع ؟

فقال الرجل :

— الا تعلم ؟ جريمة قتل اخرى .

فقال سورم وهو يتكلف الدهشة :

— ولكني ظننت انهم قبضوا على القاتل !

— كل الناس ظنوا ذلك . ولكن يلوح انهم مخطئون ، اليس كذلك ؟

— ماذا حدث ؟ اتعرف ؟

فقال الرجل :

— لم يحدث شيء يذكر . وجدوها في غرفة ، مقطعة الاوصال .

ثم هز كتفيه ومضى في طريقه . ودخل سورم السيارة وسال :

— اسمعت ؟

— نعم . يلوح الامر فظيحا .

— ربما يبالغ الرجل في القضية . الا تعلمين كيف تنتشر الشائعات .

كم الساعة الآن ؟

— النصف بعد التاسعة .

— لنعد بطريق شارع فليت ، فنحصل على الطبقات الاولى من الصحف

خلال نصف ساعة .

وضغطت على عتلة الوقود :

— الى اين الآن ؟

— لنذهب في زيارة الى اوليفر .

وبينما كانت السيارة تسير في شارع هانبري ، قال :
- لا شك ان هذه الحادثة وقعت لصالح اوليفر . اذ ليس للشرطة الوقت
للاهتمام بقضية مثل قضيته . على كل حال ، لا يبدو انهم حملوا قضيته
محمل الجد والا لما سمحوا له بالخروج بكفالة ... قفي هنا . يجب ان تسري
في شارع وايتشابل . انه ذو ممر واحد .
وفي نهاية شارع دارورد قال :

- الا تنتظرين هنا حوالي عشر دقائق ؟ ساحاول ان اسرع . ولكنني
اشك في ان غلاسب يرغب الان في مجاملة احد ...
- كلا . انهم ذلك تماما . لا تقلق .

وانفتح الباب الامامي . وطرق الباب بقفا اصابعه ، وهو ينادي :
- هل في البيت احد ؟

ولم يجبه احد . فارتقى السلم بخدر وبصره ما زال اعشى من تأثير
نور الشمس ، وقد اكتنفته رائحة زيت البارافين المألوفة . وتحسس طريقه
نحو الباب وطرقه . فهتف صوت غلاسب :
- هـلـو ؟

ففتح الباب ودلف الى الغرفة . كان غلاسب مضطجعا على السرير
بكامل ملابسه . وقال سورم :

- هـلـو . كيف تسير الامور ؟
فقال غلاسب :

- على ما يرام . كيف وصلت الى هنا ؟
- اوصلتني جيرترود كوينسي بسيارتها . انها تنتظر في نهاية الشارع .
جئت لاجرد السؤال عنك .

وجلس على المقعد الى جوار المدفأة النفطية وقال :
- هل سمعت شيئا ؟

- لقد اسقطوا الدعوى .

- عظيم ! تهانينا ! متى سمعت بذلك ؟

- منذ ساعتين .

وقال سورم :

- اذن ، ماذا هناك ؟ لا تبدو مسرورا لذلك . لماذا اسقطوا الدعوى ؟
هل ظهرت كريستين ؟

- نعم .

- طيب . وهل فحصوها ؟ - كلا .

— اسم لا ؟

فقال غلاسب بصوت واهن :

— اسمع ، يا جيرارد ، ارجو المذرة ولا تسال اسئلة كثيرة .
ونظر اليه سورم ، كان يحدق في السقف . واستطال الصمت . وقال
سورم :

— طيب . انا ذاهب الان . هل انك واثق من ان كل شيء على ما يرام ؟
ونظر اليه غلاسب وهو يرفع رأسه . ثم اسند رأسه على الوسادة ورفع
جسده فجأة واسند كتفيه على قضبان السرير النحاسية . وقال :
— اعترفت بانها ليست عذراء ، على كل حال . ولكن الذي فعل ذلك
بها هو ابن عمها الذي يسكن معهم . وقد اعترف هو ايضا بذلك . ولذا
اسقطوا الدعوى .

فقال سورم : يا الهي !

وهز سورم كتفيه ثم اسقط رأسه ثانية على الفراش . وقال سورم اخيرا :
— لا شك انها ... صدمة . كيف تشعر نحوها ؟
كان صوت غلاسب هادئا خاليا من العاطفة :
— انها ليست ابنتي ، فلم اكثرت ؟
ونفض سورم ، وقال وهو لا يعني ما يقول :
— انه موقف معقول . ليس في الامر ما يدهش . لا اخالك تشعمر
بالامتعاض ؟
— كلا .

— وستبقى تلتقي بها ؟

— كيف يمكنني ذلك ؟ انهم لا يسمحون لها بذلك .

— ولكنها ... ستبقى ترغب في لقاءك ؟ — ربما .

ووقف سورم عند الباب ، يتردد في الخروج . لقد اغاظه ما لمسه
من الفتور في موقف غلاسب . وقال :

— بالتأكيد ليس هذا من الامور التي تقلق ؟ لعل هذا حدث قبل ان
تلتقي بها .

وانك لتمنحها شيئا لم تمتلكه من قبل . فلا يغير هذا في الامر ولا ريب ؟
ولوى غلاسب رأسه لينظر اليه وقال :

— انظر يا جيرارد . لا اعلم كيف اشعر نحو القضية . اشعر كأنني
وقعت من ارتفاع عشر طبقات . كما انني لست واثقا كيف شعرت تجاهها ،
لعل هذا ما كنت ابفيه طول الوقت . لست ادري ، انا لا استطيع ان افهم

شيئا وحسب . لم تريد ان تقوم بهذه الفعلة .؟ اود ان اتحدث معها ...
حتى انها قالت لي مرة بانها تريد الزواج بي . اعلم ان الامر سخافة، ولكنني
شعرت بانني فهمتها ... لا استطيع ان افهم شيئا وحسب .
- ربما تفهمها انت اكثر من والديها - او ابن عمها هذا . على كل
حال ، لا يمكنك ان تلفظ الفتاة لجرد هذا السبب . انه هو ما تريد منك
ان تخلصها منه بالذات - هذا المحيط الواطيء ..

فقال غلاسب : ربما .
- الاجدر ان اتركك الان . ستشعر بتحسن فيما بعد . هل ازورك
فيما بعد ؟

- ان اردت . ليس اليوم ..
- طيب . لا تدع الامر يقلقك . وداعا ، يا اوليفر .
واغلق الباب على عجل ، وهو مسرور لمغادرة الغرفة .. لقد ضايقته
شفقة غلاسب على نفسه ، كانت مشكلته تافهة بمقارنتها مع مشكلة اوستن .
كانت تدخن سيكارة . وقالت :
- لم يطل غيابك كثيرا .
- كلا ..

- كيف حاله ؟
- بخير . لقد اسقطت الشرطة الدعوى . نستطيع الان ان نسترجع
الكفالة ان اردت ...

- صحيح اسقطوها؟ عظيم . كنت واثقة من ذلك . هل هو مسرور ؟
- كلا . لقد ازعجني . اكتشفوا ان الفتاة ليست عذراء ، ولكن
ابن عمها كان المسؤول عن ذلك .
- ما افزع الامر !

- وهو لهذا يمعن في تعذيب نفسه .
- لماذا ؟ هل هو غاضب ؟
- لست ادري ماذا به . انه لمجنون . اتريد ان الذهاب الى الشرطة
لاستلام المال ؟

- ليس الان . لا خير ان يبقى . واتوقع انهم مشغولون الان ، على
كل حال .

واتجهز ثانياة نحو زحمة المرور في شارع وايتشابل ، وسارا نحو
المدينة . وغاص في مقعده وراح ينظر خلال الشباك وهو مقطب
الوجه . وقال :

— كنت اظن اوليفر فنانا موهوبا . ولكني بدأت الان اشك ... انه شديد الاستسلام للانفعالات . ماذا يهم اذا كانت الفتاة غدراء ام لا ؟ انها لا زالت الفتاة نفسها .

— هل هو ساخط بشدة ؟

— لا استطيع ان اجزم . اعتقد انه كان يحاول ان يخلق من الفتاة رمزا للبراءة وما شاكل . لقد اضناه عالم الكبار ، فتحول الى الصغار . ولما اكتشف ان الصغار يخضعون لنفس عوامل القساد اضحى كئيبا ذا رغبة انتحارية ... ان اوستن اكثر نضجا منه على الاقل .

— ولم يتغير موقفه لهذا السبب ؟ لا ادرك العلاقة . يجب ان يسره انهم اسقطوا الدعوى . فقال بامتعاض :

— الله اعلم . انه نموذج للرومانتيكي . لقد توصلت الى نتيجة ، وهي ان القرن العشرين يعاني من بقايا اثار الرومانسية . اناس مثل اوليفر ، لا يمكنهم ان ينظروا بصورة مستقيمة . يجب ان يكون الشيء مريضا ليكسب اهتمامهم ... اوه ، لا تكثرني لقولي . لعلني افسو في حكمي عليه . عرجي على شارع فينتشرش .

وفي شارع فليت ، توقفا لشراء جريدة « ايفننغ ستاندرد » وكان العنوان البارز : البحث عن القسيس المفقود مستمر . والقي نظرة على عمود آخر الانباء فلم يجد ذكرنا لحادثة القتل . فقدف بالجريدة على المقعد الخلفي .

— لا فائدة . لنذهب ونتناول شرابا على عجل . انا بحاجة اليه .

كانت صالة البار خالية . كانت الصالة عينها التي تحدث فيها سورم الى بيل بين في اليوم السابق . وشرب قدحا من البيرة المرة بينما كانت جيرترود كوينسي تتفحص خارطة للطرق لتبحث عن اقصر الطرق للوصول الى ليدرهيد . ولاحظ باهتمام السهولة التي شربت بها قدحا مضاعفا من الويسكي الصرف . واكسبته البيرة وشعاع الشمس احساسا بالانسحاب . واغلقت المس كوينسي اطلس الخرائط . وقال :

— انظنين الاجدر ان نذهب مباشرة الى ليدرهيد ؟ ام الافضل ان نجرب شقته في كينسنغتن اولا ؟

— اتعتقد ان الافضل ان نجرب كينسنغتن ؟

— ربما لا . لا اعتقد انه سيبقى في لندن اذا ... اذا كان يعلم عن الامر .

فلمست قدحها الفارغ بطرف اصبعها وقالت :

— احسن حالا ، شكرا .

— ولكن ... عن القضية كلها ؟

والقت نظرة حواليتها ورات ان صاحب الحانة كان خارج مدى صوتها .

— كانه شيء لا حقيقي . لا استطيع ان اصدق ان الامر جدي . اشعر

بطريقة ما... كأنك واوستن والشرطة ، كلکم تدبرون اجبولة لايقاعي بها .

فقال بلهجة متعاطفة :

— اعلم . اشعر انا بالشيء نفسه . اعتقد ان جميع جرائم القتل

الحقيقية ربما تكون كذلك — ما لم يكن المرء مرتبطا بها ارتباطا مباشرا . لا

يحدث الا في القصص ان يعثر المحقق على الادلة والاجساد مبعثرة هنا

وهناك . اما في الواقع فجرائم القتل تحدث خارج المسرح ، وكلها مشوشة

لا سبيل الى تصديقها .

وانهى بيرته . وقال :

— الافضل ان نذهب . من يدرينا ، ربما نجد الشرطة قد سبقتنا

الى المكان . هل يعرف والدا اوستن عنوان ليدرهيده ؟

— اجل ، بالطبع .

— لا ادري هل اعطوه الى ماكمردو ؟

— هل اتصل تلفونيا للتأكد ؟

— فكرة صائبة .

ولاحظها وهي تخرج من الحانة ، وادهشه ثانية الهدوء الذي استقبلت

به الموقف . وطلب قدحا اخر من البيرة ، ووقف عند طاولة البار

ليحتسيه ، وهو يفكر : لن استطيع ابدا ان افهم النساء . هل كلهن على

هذه الشاكلة ؟ كانت بالامس من شهود يهوه ، وهي اليوم خليلتي وشريكتي

في معرفة حقيقة ما . ليس في الامر انسجام . كان القدماء على حق .

ارملة ايفسوس ، هيلين طرواده . لعل الامر لا يعدو ان يكون افتقارا

الى الحيوية .

وغابت فترة طويلة . وعادت وهي تسير بخفة وعدم اكتراث المرأة

التي كانت توا تصلح من زينتها ، ووقفت امامه تنتظر .

وقال : شراب آخر ؟

— كلا شكرا .

وانهى بيرته ثم خرجا .

— طيب ؟

— كلا . لم تتصل الشرطة بالديه .
— انت متأكدة ؟ هل سألتهم ؟
— كلا . ليس بصورة مباشرة . سألتهم فقط اين يستطيع ان اجد
اوستن . فقالوا لعله في اوكسفورد مع بعض الاصدقاء . قلت ان احدا
قد بعث له رسالة بواسطتي ، وان احدا اتصل بي تلفونيا ليسال عنه .
— عظيم ! وماذا قالوا ؟
— كانت امه . . قالت انها لم تفهم الامر ، فهي لا تظن انه في ورطة .
قلت لها ظننت ان الذي طلبه قد يكون بائع كتب او دائئا . .
فقال باعجاب :
— لك قابلية فطرية على تدبير الدسائس !
وابتسمت باقتضاب :
— يبدو انه لم يحقق احد معها ، اذن .
— من الغريب . لم اخبرنا ماكرمردو بانه حقق معهم ؟
— لا اظنه قال ذلك . قال فقط ان اوستن ليس في بيت والديه .
لعلهم يراقبونه .
واستدارت السيارة يسارا نحو الشارع المحاذي للنهر . وقال :
— يلوح الامر غريبا .
— لم يدربخلدي شيء اقله لاحد منهم . بدا الامر فجأة مضحكا . .
— احسن شيء يمكننا فعله هو ان نجد اوستن . كم يستغرق من
الوقت الذهاب الى ليلزهيدي ؟
— حوالي الساعة ، اذا لم يكن المرور مزدحما . .
وعندما اقتربا من جسر ويستمنستر ضبط ساعته مع ساعة « بيع
بين » ولاح النهر كانه صفحة من الورق الثقيل تحت اشعة الشمس .
كان من العسير الايمان بالقتل في مثل هذا الدفاء المفاجيء .

* * *

وقالت :
— اوستن هنا بالتأكيد .
واعتمدل في جلسته وراح يحدق فيها . كانت صامتة منذ ان تركها
ميسرتن .
— ايسن ؟
— هنا في ليلزهيدي . كانت هذه سيارته خارج الفندق .
— هل انت واثقة ؟ لم ار سيارة حمراء .

- لم تكن السيارة الحمراء . كانت سيارة « ام.جي » الرمادية .
- والتفت ونظر من خلال الشباك الخلفي . كان من المتعذر تمييز سيارة واقفة من خلال زحمة المرور .
- اليس الافضل ان نعود ونتأكد ؟
- لا حاجة لذلك . انا واثقة . عرفت رقمها . انها احدى سيارات والده التي يستعيرها احيانا .
- ولنفرض انه في الفندق .
- لا اظن ذلك . من المحتمل ان يكون في البيت الريفي . ولكنني سأذهب الى الفندق بينما تذهب انت الى البيت .
- ولكن ليس من المسموح له الوقوف بسيارته طويلا في شارع رئيسي .
- ليست سيارته في الشارع الرئيسي - انها في شارع فرعي .
- كم يبعد البيت ؟
- حوالي الميلين من ذاك الطرف .
- هل ذهبت اليه قبلا ؟
- مرة واحدة . خرج بي في جولة في الطائرة .
- وقال :
- اعتقد انه وصل باريس الان .
- لا اظن ذلك . لو كان ينبغي مغادرة القطر لما ترك سيارته خارج الفندق .
- ونظر اليها باعجاب وقال :
- لك ميزات المحقق البارع !
- وابتسمت دون ان تجيب . واستدارت السيارة يسارا الى زقاق جانبي في مدخله رقعة مرور كتب عليها « الطريق مسدود من الطرف الآخر » ، وبعد مسيرة خمسمائة ياردة اخرى استدارت الى اليسار ثانية حيث وقفت .
- عليك ان تقطع بقية المسافة سيرا على الاقدام . فلا استطيع العودة بالسيارة اذا ما تقدمت اكثر .
- ايسن هو البيت ؟
- وراء تلك الاشجار . عند وصولك الى الاشجار سيمنحك رؤية البيت . انه ينتصب وحده .
- وماذا ستفعلين انت ؟
- سانتظر حوالي عشرين دقيقة .
- طيب . اذا لم اعد خلال هذه المدة فمعنى ذلك هو اني وجدت

اوستن . واين اجلك ؟

— ساعود الى الفندق . وعليك ان تعود اليه مشيا . يدعى الفندق « كراون » وستجد عنوانه في دليل التلفون ان اردت الاتصال .
— حسنا وداعا يا عزيزتي .

ومال اليها وقبلها . واحس باحساس غريب ، فمئذ ان جاءت الشرطة لم يعد يشعر بانه حبيبها . كانت شفتاها باردتين متصلبتين .
وتسبم الحاجز القرميدي وسمع صوت السيارة وهي تعود الى الخلف في الزقاق . كانت ايكه الاشجار على بعد مائة ياردة ، على حافة الحقل . ولم يستطع ان يميز ورائها شيئا غير السماء . وعلى الرغم من نور الشمس كانت ارض الحقل المحروثة تلوح قاسية متجمدة . وتبع الطريق المحاذية للسيج ، ومشى وهو يسرع الخطى واضعا يديه في جيبه . وشعر بعد حرارة جو السيارة ، ببرودة الهواء .

كانت بين الاشجار بركة ماء ، وكان ملاؤها الطيني يبدو راكدا بلا حياة ، وقد برز في وسطها جذع شجرة مكسورة كانه الذراع . ولما وقف على حافة البركة لمح البيت على طرف الحقل الاخر . واجتاحه شعور بالانتقباض والتوجس . وظل واقفا دقائق عديدة وهو يأمل ان يبصر دلائل الحياة . لم يكن هنالك دخان يتصاعد من المدخنة . ورأى نافذتين تواجهان البركة ، ولكن ستائرهما كانت مسدلة .

كان الهواء باردا بين الاشجار . والقي نظرة على ساعته فتذكر ان المس كوينسي تنتظره في السيارة . فانطلق عبر الحقل ليعجل في الوصول الى البيت . وكانت تداعبه الرغبة في ان يجد البيت خاليا ليعود مسرعا الى السيارة التي تقف في انتظاره ومن ثم الى لندن .

كانت بوابة الحديقة الصغيرة الامامية مفتوحة . كانت جدران البيت الريفى مطلية بالكلس الابيض غير ان امطار الشتاء كانت قد شقت الاخاديد فيها وخلفت رواسب الصدا التي انجرفت من سطح البيت المعدني . وكان خارج الباب الخلفي حوض ماء امتلأ حتى قاض .

وطرق الباب بمقرعة الباب الصدئة هاتفا : اوستن !

ولما لم يسمع حركة في الداخل صاح :

— هل هناك احد ؟

وخطر له فجأة احتمال وضع البيت تحت مراقبة الشرطة . والتفت وراح يجيل بصره محدقا في مجموعة الاشجار التي خلفها ورائه قبل قليل وفي اسوار الحقول الجرداء ، وفي كومة التبن المغطاة بالقماش المشمع في ركن

الحقل الآخر . وفيما هو ينظر، سمع حركة في الداخل. والتفت فرأى عيني
أوستن تنظران اليه من خلال شق الرسائل تحت مقرعة الباب . وظل يحرق
مشدوها لا يقوى على الكلام. وانسدل غطاء الشق وسمع صليل سلسلة وحركة
مزلاج . وانفتح الباب . كان أوستن يقف مرتديا القميص والسروال . كان
وجهه تعباً غير حليق . وقال سورم :
- هلو أوستن .

وابتسم نين ابتسامة مترججة ، وشم سورم من فمه رائحة الويسكي .
وقال نين :
- ادخل ايها الصديق العزيز ... واقبل تشايلد رولاند الى البرج
المظلم ...

الفصل الثامن

كانا كأنهما يلتقيان للمرة الاولى . فخلال اليومين الماضيين ، لم يصد
نن شيئا حقيقيا بالنسبة لسورم . وكاد الارتياح الذي احس به لهذا اللقاء
يعبر عن نفسه برغبة في الضحك ، وقال :

— ما اجمل ان اراك ، يسا اوستن !

— اشكرك ، يا جيرارد . مرحبا بك ايضا .

كان للمطبخ رائحة الرطوبة ، وكانت خلف الباب اسطوانة للغاز لم يفك
ختمها بعد . وكان حوض الماء وموقد الغاز والة الغسيل جديدة على ما
يبدو . وعلى الرف ثلاث زجاجات ويسكي فارغة .

— اين الطريق ؟

— اليس اليسار .

كانت الغرفة نموذجا مصغرا لشقة نن في شارع الباني . وكان لون
البساط هو اللون الازرق نفسه ، والجدران مطلية باللون الابيض المائل الى
الاصفرار والازرق البحري . وكانت الغرفة خائقة الحرارة ، اذ كانت هنالك
مدفأة زيتية تتوهج في وسطها اسلاك على هيئة نصف كرة . وكان يضيء
الغرفة مصباحان زيتيان لهما زجاجتان طويلتان ، وكانت مشوشة المظهر ،
مبعثر على بساطها رماد السكاير بكمية كبيرة وكذلك قشور الفول
السوداني . وكانت على المنضدة بقايا طعام وزجاجتا ويسكي مليئتان . وازاح
نن الصحيفة وبعض الكتب التي كانت ملقاة على الكرسي وقال :

— اجلس .

— شكرا . ارجو ان تسمح لي بان اخلع معطفي .

— كيف جئت ؟

- جيرترود اوصلتني .
- اين هي ؟
- عادت الى الفندق .
- والقى نن بنفسه على الكرسي وتناول قدحا من المنضدة وقال :
- هيا تناول شيئا من الويسكي . افتح زجاجة جديدة . لم قررت المجيء .
- ومزق سورم الغلاف الرصاصي من قعة احدى زجاجات الويسكي
- وصب لنفسه كمية كبيرة وقال :
- كانت الشرطة تبحث عنك .
- واضاف شيئا من الصودا والتفت الى نن فالفاه يبتسم . كانت اسنانه
- صفراء كأنها انياب افعى . وقال :
- نعم .
- وخلع سورم سترته وقذف بها على ظهر احد الكراسي . وقال :
- هل افتح النافذة ؟
- بالتأكيد . اين وجدك رجال الشرطة ؟
- في بيت جيرترود .
- متى ؟
- صباح اليوم .
- آه .
- كان نن ما يزال يبتسم . وكان سورم يتوقع السؤال الذي كان يجول
- في ذهن نن ، فتأهب للإجابة بصدق . غير ان اوستن بدلا من ذلك سأل :
- كم سيطول انتظار جيرترود لك ؟
- طول اليوم ، اذا اقتضى الامر . والا فيمكنني ان اتصل بها في فندق
- كراون .
- طيب . قد نفعل ذلك فيما بعد . يمكنني ان اوصلك بسيئارتي
- الى المدينة .
- ولم يدع سورم الدهشة تلوح على وجهه وقال :
- طيب . هل انت عائد اليوم ؟
- اظن ذلك . . . ما دمت قد جئت انت . ولكن امنحني بضع ساعات
- كيما اصحو .
- وتمدد في الكرسي وتناهب ثم أفرغ كأسه .
- اذن فقد قطعت كل هذه المسافة لكي تحذرني ؟ ما اعذبك !
- شكرا . ليس في ذلك اية مشقة .

وتوجه نن نحو الطاولة وصب لنفسه المزيد من الويسكي . كان يتناوله غير ممزوج بالماء . واثناء عودته الى الكرسي توقف بالقرب من سورم ووضع يده على رأسه وقال :

— لا يمكنني ان اعبر عن مدى سروري بلقائك ، ايها الصديق العزيز . واستطاع سورم ان يميز صدق مشاعره من خلال الويسكي . وقال : — شكرا .

واستند نن على ظهر الكرسي . وكان ما يزال يترنح قليلا . وقال : — انك لصديقي حقا ، اليس كذلك يا جيرارد ؟

ورفع سورم بصره اليه واحس مرة اخرى بتدفق الحنان . وقال : — اجل . انا صديقك .

وابتسم نن ومضى يترنح في طريقه عائدا الى كرسيه . وقال سورم : — ولكنك ان اردت ان تصحو ، فليس بهذه الطريقة . فقال نن ببطء :

— كلا . احسبك على صواب . اجل .

وعاد الى النافذة وسكب ما في قدحه خارجا . وقال :

— لسوء الحظ ، اظل احس بالرغبة في شرب شيء بمجرد ان اشرب جرعة واحدة . وليس لدي حليب .

وذهب الى المطبخ . وسمعه سورم يقول :

— لا تظن ان الشمبانيا تصلح من حالي . حتى ولا نبيد نيرشتاينر .

وعليه فلم يبق لدي غير حساء الاطفال او عصير الليمون .

وعاد وهو يحمل ثلاث زجاجات من عصير الليمون وفتاحة قناني ، وسكب محتويات إحدى الزجاجات في قدحه واخذ يذوقه . وقال :

— اوف ! ما افظعه !

ووضعه على مسند الكرسي كأنه سائل النتروغليسرين المتفجر ثم

اعتدل في جلسته وقال :

— طيب ، استمر . ماذا اراد رجال الشرطة ؟

— مجرد ان يعرفوا مكانك .

— آه . وهل قالوا شيئا اخر ؟

— كلا . ولكنني عندما سألت ماكمردو ان كان هو المسؤول عن التحقيق

في قضية وايتشابل اجاب بالايجاب . واخبرني بأن حادثة قتل اخرى وقعت الليلة الماضية .

وقال نن بعدم اكتراث :

- وهل افضى اليك بأية تفاصيل ؟
- كبلأ .
- متى تسم العثور على الجثة ؟
- في وقت متأخر ، على ما اظن . حيث لم تذكر الجرائد الصباحية شيئاً عنها .
- ومد نن يده وسحب مقعداً صغيراً . ثم اغمض عينيه ومد جسده وسقط راسه الى الامام . وقال :
- موقف محرج ، اليس كذلك يا جيرارد ؟
- لست ادري .
- وابتسم نن وهو مغمض العينين . كان يلوح كالتائم في استسلامه التام الى الشهور بالاجهاد . وقال :
- ظلت افكر في هذه المشكلة خمس ساعات . غير ان الويسكي اخذ يطفئى علي .
- وفتح عينيه فجأة وحذج سورم بنظرة :
- ماذا ينبغي علي ان افعل ؟
- فقال سورم :
- لست ادري . فلست افهم مشكلتك تماماً .
- وابتعد بكرسيه عن النار . كان النسيم المقبل من خلال النافذة قد خفض حرارة الغرفة . غير ان الحرارة كانت ما تزال شديدة . ونهض سورم وذهب نحو النافذة ثانية . ولمس سورم شيئاً من القلق والتوتر لدى نن مما لم يستطع الويسكي ان يحسوه .
- هل أنت واثق من ان احداً لم يتبعك الى هنا ؟
- ليس من المحتمل . كنت اراقب باستمرار . حتى ان جيرترود ادارت مرآة السيارة باتجاهي كي استطيع ان انظر خلال الشباك الخلفي .
- ما مدى معرفة جيرترود بالامر ؟
- بقدر ما اعرفه انا تقريبا .
- وتجاهل نن التحدي الذي كانت تنطوي عليه كلمات سورم . واسدل الستار وعاد الى كرسيه .
- لا اريد ان يقاطعني احد . يا الهي ، احس بانني متعرج بالوحل .
- يمكنني ان اكفي بحمام بارد . لا تهتم . اريد ان اتحدث اليك .
- ومسح وجهه بيديه ودفع شعره الى الخلف . ثم احتسى نصف قدح الليمون وجلس وهو مقطب الوجه . وقال :

- اني لفي موقف حرج ، كما ترى ، ايها الصديق .
 - ما مدى حراجته ؟
 - لست واثقا . هل كان ماكمردو يحمل امرا بالقاء القبض علي ؟
 - واحس سورم بالتوتر في صدره لهذه الكلمات . وقال :
 - كلا . لا اظن ذلك .
 - كان نن باسطا جسده على الكرسي ، وظل يحدق في سورم حتى
 طال الصمت . كانت عيناه تلوحان محمرتين واهنتين ، غير انهما كانتا
 تنطقان بالسخرية . وقال اخيرا :
 - طيب ، يا جيرارد ؟
 - ولم يجب سورم ، ولكنه هز كتفيه . وقال نن :
 - انك ما زلت اكثر ادبا من ان تدس انفك في شؤوني . ولكنك صرت
 تحس بشيء من المسؤولية تجاه القضية ، اليس كذلك ؟ وقطعت الطريق
 لتحذرني . لماذا جئت ؟
 - اعتقد لاحذرك . كنت احاول الاتصال بك تلفونيا طوال الاسبوع .
 - كنت هنا . ولكنني جد ممتن لك ، يا جيرارد ، جد ممتن ... ماذا
 تفعل لو القى القبض علي ؟
 - وقال سورم بتأن :
 - تعني ... بسبب حوادث القتل ؟
 - فقال نن بهدوء : اجل .
 - هل يمكنهم القاء القبض عليك ؟
 - لست ادري . ربما لا . وحتى ولو قبضوا علي ، فانهم سيضطرون
 الى اخلاء سبيلي .
 - وافرج سورم قدحه . كان قد شرب مقدار اربعة اصابع من الويسكي
 ولكنه لم يتأثر مطلقا ، بل احس بمقدار ما كان يدين به الى الويسكي للهدوء
 الذي كان يشعر به . ومد يده نحو الزجاجاة وسكب المزيد . وانتزع سورم
 غطاء قنينة اخرى من عصير الليمون . وقال سورم :
 - ما الذي يحملك على الافتراض بانه لن يلقي عليك القبض ؟
 - ليس لديهم دليل .
 - ونهض ثانية وذهب نحو النافذة وقال :
 - لا اريد ان يأتي ماكمردو زاحفا تحت هذه النافذة وهو يحمل
 مسجلة صوت . الافضل هو ان ندع النافذة مغلقة . ساطفيء المدفأة .
 - وقال سورم :

— هل انت على يقين من عدم وجود الادلة لديهم ؟

— تقريبا . ليس هنالك دليل قاطع في المحاكم .

فقال سورم :

— سيحاولون جهدهم . انهم في امس الحاجة للقبض على احد .

— اعلم . وربما سيبحثون عن سبب لحجزي لديهم ريثما اضطر الى

الاعتراف . من اليسير ان يفعلوا ذلك . وهم يأملون ان انهار . ولكني لن انهار

— لا ؟

— كلا . هل لاحظت ان اكثر القتلة يسرفون في الكلام ؟

وجعلت هذه الكلمة سورم يشد بيده على القدح . كان القاتل بينهما

كانه ورقة لعب مقلوبة على وجهها . وقال نن :

— وايتوي ، القاتل في قضية تيدنغتون توباث . نيفيل هيث . بيتسر

عمانوئيل . كلهم ظلوا يثرثرون طوال طريقهم الى المشنقة .

فقال سورم ببطء :

— هل تعتبر نفسك في عداد هؤلاء ؟

ونظر اليه نن نظرة جادة ، نظرة استحسان لا تكاد تتميز ، كانه استاذ

يرد على المع تلاميذه . وقال :

— كلا ، لا اعتبر نفسي منهم . ولكن ذلك لا يمنعي من الاهتمام بهم .

انك لا تحصر قراءاتك بغوته ودوستويفسكي فقط بالرغم من انك تعد نفسك

اقرب اليهم من معاصريك . والمشكلة هي ان اكثر المجرمين اوغاد حمقى . لقد

كان عمانوئيل وهيث وغيره زمرة حقيرة . ولكن كورتن كان اكثر اشارة

للإهتمام ، ولو كان في قطر اكثر حضارة كالسويد مثلا — لما شنقوه . كان

شديد الاهتمام بدوافعه ورغباته ، وقد قرأ لومبروزو وهافيلوك اليس . لو

ساعده نفر من الاطباء اللامعين لكان اضاف افقا جديدا الى علم النفس .

كانت آثار الويسكي قد تلاشت كلها ، سوى بعض الشبهات التي

كانت تنتابه بين الحين والآخر . وكان في عينيه بريق كبريق الحمى وهو

يتكلم . وقال :

— اتعلم ، يا جبرارد ، لقد حاولت مرارا ان احاسب نفسي . انسا

لست حيوانا . انا انسان ، ويمكنني الحكم على نفسي . ولو كنت كاتباً او

شاعرا ، لاتفق البشر على انني استطيع ان اضيف شيئا الى معرفتهم . وهذا

يعني انني امالك ذاتي . ويمكنني ان احلل دوافعي بالرغم من اني لا املك

السيطرة عليها . واذا استطعت ان اتحدث عنها للآخرين فمن الممكن حتى

ان اتعلم السيطرة عليها . وعليه فلماذا يصدر الحكم بادانتني واساق الى

المشقة كالكلب المكلوب ؟ ليس لاحد الحق في ان يفعل هذا . انها جريمة قتل بحقي .

فقال سورم :

— هذا ما كنت تفكر فيه طوال هذا الصباح ؟
— كلا . كلا ابدا . ولكنني كثيراً ما فكرت في ذلك ...
وذهب الى النافذة ثانية واطل من خلالها . ثم فتحها وأزاح الستار قليلا . كانت الغرفة مليئة برائحة الإبخرة الحادة التي تصاعدت من المدفأة وهي تنطفئ . وقال سورم :

— وماذا ستفعل الان ؟

— أه ، تلك هي المشكلة ؟ هناك شيء واحد اكيد ، وهو أنه ينبغي علي ان اكف .

— ولكن ... هل تظن أنك ستفعل ؟

— لم لا ؟ اذا لم يكن لديهم دليل ضدي ...

— ولكن طالما يبحث ماكمردو عنك ، معناه أنه لديه شكوك اكيدة .

ليس هذا شيئاً يذكر . لم يرني احد الليلة الماضية ...

فقال سورم :

— كنت أنت ايضا الليلة الماضية ؟

ولاول مرة لاح الشعور بالاثم في وجه نون وقال :

— أجل .

— هل كنت ... على معرفة بالمرأة ؟

وجلس نون وقال :

— أه ، اذا كنت تريد التحدث عن ذلك ... فمعناه يجب ان نبدا

ممن جديد .

فقال سورم :

— لا اريد ان نتحدث عن هذه الحادثة بصورة خاصة .

— أترى ... تلك هي مشكلتي . لا يمكنني البقاء في انكلترا . لو كنت

على يقين من اني اريد ان اشفي نفسي ...

— الا تريد ان تشفي نفسك ؟

— الى حد . ولكن الامر لا يشبه المرض . لا شك أنك تفهم ذلك ،

يسا جيرارد ؟

— اظن ذلك ...

— الا ترى ... ان اردت ان تفعل شيئاً ذا قيمة ، عليك ان تدع لنفسك

المجال للاندفاع . اترى ، لقد ولدت على هذا الشكل . لقد جرى ذلك في عروقي . انه يشبه القلق الذي تحس به انت . لم استطع ابدا ان استقر في حياة اعتيادية . عندما كنت في السابعة عشرة كنت ابتهل الى الله ان يجعل مني فنانا عظيما . كنت افرس في صور فان غوخ او مونش وافكر : كان لهؤلاء الناس دوافع غريبة . واعتقد انه كانت تراود مونش رؤى الدماء . كنت اعتقد بانى لو كنت املك القوة الكافية لاصبحت فنانا عظيما . . .

وبدا عليه الانهيار فجأة ، والقى برأسه مرة اخرى بين يديه . واحس سورم بشقطة هائلة تعصره في اعماقه وشعر برغبة ليمد اليه يديه عبر الغرفة . وقال نن :

— ولكن لم تكن هنالك فائدة ترجى . كنت سعيد الحظ اكثر مما ينبغي . وكان لعائلتي الكثير من المال . لكي تقوم بشيء كهذا ، عليك ان تشعر بالوحدة .

وقال سورم بهدوء :

— مسكين يا اوستن .

ورفع نن بصره وهو يتسم . كانت عيناه حمراوين حيث كان يدعكهما . — كلا . انا لست اوستن المسكين . انا اوستن القدر القني . ولكن اصغ ، يا جيرارد . لدي نظرية . في عقلي الباطن كنت دائما احاول خلق حالة متازمة في حياتي . لكي اتخلص من المال والامتيازات . وقد نجحت بذلك فعلا . لقد خلقت الازمة ولم يعد هنالك طريق للعودة . تأمل ، لو كنت غادرت القطر يوم امس ، لكانوا اذاتوا هذا الشخص المسكين من بريكستون لجرائم القتل هذه ولما كان علم احد .

وقال سورم :

— انا لست واثقا . كانت الشرطة تراقبك . وقد اخبرني الاب كارائز بان احذر . كان شتاين قد اخبره .

فقال نن :

— الاب كارائز ؟ هل بقي احد في لندن لا يعلم ؟

— لا ادري اذا كان يعلم . ولم اكن انا اعلم الا عندما رأيتك . ولم استطع ان اصدق .

وقال نن :

— وقد صدقت الان ؟

— كلا . كلا في الواقع . اوه ، اني اصدق كلماتك . . . ولكن الامر لا يبدو حقيقيا بالنسبة لي .

ومدّ ثن يديه على فخذيّه وراح يحدّق فيهما وقال :

— لكن ما قلته صحيح ...

فقال سورم :

— ولكن لماذا ؟ لماذا كان عليك ان تفعل ذلك .

ونظر ثن اليه . كانت عيناه تبدوان محتقنتين بصورة غريبة وقال :

— كيف لي ان اعرف ؟ يعود هذا الدافع الى الماضي البعيد حتى انني

لا استطيع ان اتبع اثره . ألم تشعر قط باحساس كهذا ؟

— ا... اظن ذلك . عندما كنت في السادسة كان لي ميل قبيح وهو

ان اضرب الاطفال الذين كانوا اصغر مني سنا... اذا ضايقتني شيء منهم

ولا ادري هل كان ذلك الدافع من الدوافع السادية ام مجرد الميل الى المزاح .

فقال ثن مبتسما :

— يبدو ذلك دافعا ساديا بكل معنى الكلمة .

— ولكنني كنت دائما استطيع ان افهم دوافعي في وقتها . لم يكن الامر ،

على كل حال ، كان شيطانا تملكني ، كما يقولون . كنت دائما انا المسيطر

على نفسي .

— بالطبع . هذه هي الحال دائما .

— ولكنك ... حدثتني مرة عن القيام بفعل جعلك تشعر وكأنك

انقلبت الى حيوان .

— صحيح ؟ ربما حدثتك بذلك . ولكن ذلك لا يعدو ان يكون طريقة

مسرحية للتعبير عن الحالة . لو نظرت الى نفسك نظرة موضوعية ، فستشعر

بالطبع بانك كالحَيوان . غير ان الواقع ليس غريبا الى هذا الحد . اتعلم ،

ان الواقع ليس غريبا الى هذا الحد . اتعلم ، ان لدى أحد علماء النفس نظرية

تفيد بان الاساطير القديمة عن الوطاويط والدثاب المسوخة انبثقت كلها عن

اعراض السادية — انفصام الشخصية . انا لم احس مطلقا بانني ذئب في

صورة انسان .

— كيف شعرت اذن ؟

كان يحدّق في يديه مرة اخرى . وقال على مهل :

— استطيع ان اعطيك فكرة . عندما قتلت تلك العاهرة السوداء

احسست بنشوة هائلة . احسست كأنني نبي يطهر العالم ، كأنني المسيح

يقذف بالصيارفة خارج المعبّد . وعندما رأيتها راقدة على الارض ، كان علي

ان اكبح في نفسي الرغبة في الصراخ لجلب انتباه كل من في الشارع ليأتني

وينظر اليها . كنت اريد ان اقول : انظروا ، لقد ماتت . انها عبرة للعالم ...

ورفع نظره فجأة فلمح مزيجاً من الدعر والافتتان يرتسم في وجهه
سورم . لقد بدا نن ، بشكل من الاشكال ، أنسانا اخر ولاح وجهه وعيناه
اكثر عتمة . وذكره منظر سورم باحد الفجر تعرفت عليه وهو طفل .. وقال
نن بلهجة كثيبة :

— اعلم . أنك لا تفهم . لا يمكنك ان تفهم .

وقال سورم :

— كلا ... افهم قليلا . هل كانت هذه هي الاولى ؟

وحقق فيه نن . وكانت عيناه اصلب من ذي قبل ، تلوحان خاليتين

من العمق .

— كلا . ولكني ... لا أريد ان اخوض في الموضوع .

— طيب ... عم تريد ان نتحدث ؟

— مشكلة ماذا يمكنني ان افعل .

— ماذا تريد ان تفعل ؟

— لست ادري . اتعلم ... تركت هذا الدافع ينمو ويشتد . وانسي

لاحس اليوم بأنني قد تطهرت منه تماما — كانه مضى الى غير رجعة . ربما
مضى فعلا لغير عودة .

كان الامل يشرق في وجهه ، وقد استطاع سورم ان يميزه بوضوح .

اذ كان الافتعال محالا . وقال سورم بهدوء :

— بسبب الليلة الماضية .

فهز نن رأسه وقال :

— بسبب الليلة الماضية . اتعلم يا جيرارد ؟ احسست في الليلة

الماضية ، ولاول مرة ، بالغشيان المفاجيء من نفسي . بدأ الامر سخيفا لا معنى

له . وكنت طوال الطريق الى هنا اقول لنفسي : اذا لم يقبض علي هذه

المرة ، فهي الاخيرة . لن يحدث شيء من هذا القبيل ثانية .

— وهل تعني ذلك ؟

— اظن ذلك . لست ادري ، يا جيرارد ، انا لم ازل ارغب في عمل

شيء اخر . انا لم ازل واثقا من ان في امكاني ان افعل شيئا جيدا ، شيئا

مهما . الا تعتقد ذلك ؟ انه الدافع نفسه — الحاجة لان ادع شيئا يخرج

من ذاتي .

فقال سورم :

— اسمع . ارجو ان تعذرني اذا بدا سؤالي سخيفا ، ولكنني اريد ان

اوجهه مع هذا . لنفرض ان الامور جرت بالطريقة التي تريدها انت ولنفرض

انك عدت الى لندن ولم تقبض عليك الشرطة فتبدل حياة جديدة . ان تعود
بذاكرتك ... الى الماضي ؟ ام تعتبر ان الامر مضى وطواه النسيان ؟
- لست ادري . اظن ذلك .

- الا تحس ... ا ... بتبكيت الضمير ؟
- وما الفائدة من ذلك ؟ قضي الامر . واذا كان الدافع قد اختفى
نهائيا فمعناه انه لم يكن عديم الجدوى كليا ...
- وماذا عن النساء ؟
فهز ن ن كتفيه وقال :

- اف ... نفر من العاهرات . نساء بعن حياتهن على ايسة حال .
اندرى ماذا قالت تلك المرأة لي في الليلة الماضية ؟ « من المحتمل ان تكون انت
ذلك الذي يدعو نفسه الفوطة الجلدية » . لقد علمت بانى ربما اكونه .
- لا احسبها كانت تعتقد بذلك .

- ولكنها كانت تعلم ان الامر ممكن . ولم تكثرث . لو انك وجدت
حشرة كريهة في قطعة السجق فانك تكف عن شراء ذلك النوع من السجق ،
اليس كذلك ؟ اما اذا مضيت في تناول هذا النوع من السجق فمعناه انك
لم تكثرث في الواقع .

- او ان الجوع بلغ بك حدا لا يمكنك فيه الكف عن تناوله .
- كلا . ليس هؤلاء النسوة الى هذه الدرجة من الفقر حتى انهن لا
يستطعن التخلي عن حياتهن . وفي استطاعتهم ان يعيشن حياة افضل لسو
عملن بائعات في المخازن او عاملات في مصانع النسيج . ولكنهن لا يكثرثن .
- ولكنك لم تقتلن لمجرد انهن لا يكثرثن ؟
فقال ن ن بشيء من الفيظ :

- لست ادري . لست ادري لم اريد ان افعل ذلك .
وحرك يديه مشيرا الى معدته :

- انه شيء احس به هنا . واشعر احيانا بالرغبة في ان اتناول دواء
مقيئا فاتخلص منه برمته . انه يشبه الملاريا المزمنة . ولكن حاول ان تفهم
يا جيرارد . ليس هذا مجرد مرض . انه انفعال شديد . انه ضرب من
الدافع الخلاق المعكوس . احس كاني اخدم شيئا اعظم من نفسي . انه ...
انه حاجة ... الى البناء .

ورسم بيديه شكلا في الفضاء . ثم ضحكك فجأة ضحكة دهش لها
سورم . كانت ضحكة منبسطة ، فيها شيء من السروز .
- اترى ، انك لتحس ان وراء هذه الحاجة دافعا دراماتيكيًا - كرغبة

مؤلف المسرحيات في حبك ذروة لمسرحيته . اتفهم ؟

فهز سورم رأسه . وقال ببطء :

— تعني ... كما نشرت الجرائد : القاتل انتقل الى غرينتش ، واذا
بجريمة مضاعفة تقع ؟ ثم يلقي القبض على انسان ، فيتنفس السكان
الصعداء . واذا بجريمة اخرى تقع ...
ولاح الجد في محيا نـن فجأة :

— من زاوية معينة . نعم . ولكن ، يا جيرارد ... كم اود لو تخلى
هذا الشعور عني ، وللابد . لقد كان هذا الدافع يسوقني ... منذ ثلاث
سنيين .

— منذ حادثة هامبورغ ؟

وبدت الدهشة في وجه نـن وقال :

— نعم . هامبورغ . كيف عرفت ؟

— الاب كرائرز ايضا ، شتاين هو الذي اخبره .

فقال نـن باقتضاب :

— توقعت شكوكهم .

— الم يكن القتل رجلا في هامبورغ ؟

— كان شابا . يتعاطى الجنس .

— كان الاول ؟

فهز نـن رأسه بالايجاب .

— و ... لماذا شعرت بالحاجة ... ؟

فقال نـن وهو يهز رأسه :

— لا اعلم . لا يمكنك ان تفهم .

— ربما يمكنني ان افهم . هل كنت تكرهه ؟

— كلا . على العكس . كنت اهواه ... قليلا .

— ولماذا لم يقبضوا عليك ؟

— لم يعلم احد انه كان معي . وكان لبيـه زبائن كثيرون .

— ولكن ... ماذا فعلت له ؟

— هل يهـمك ان تعرف حقا ؟

— اجلس .

— دعني اخبرك . غطسته في حوض الحمام المليء بالماء المثلج — كان
الوقت في منتصف الشتاء في هامبورغ — وتركته هناك ساعة واحدة . ثم
حملته ثلاثة طوابق وتركته في غرفة رجل علمت انه سيغيب تلك الليلة عن

غرفته . وعاد الرجل في الخامسة صباحا فايقتظ كل من كان في الفندق . ثم جاء احد الاطباء وفحص الجثة وقرر من درجة حرارتها ان الجريمة وقعت قبل ثماني ساعات على الاقل . وقد استطعت ان اثبت اني كنت غائبا عن الفندق حتى الساعة الثانية صباحا ، فسمحوا لي بان اترك الفندق فسي اليوم التالي .

— الم يكن في الامر خطورة ؟ كان من الممكن ان يراك احدهم وانست تصعد به السلم .

— هذا صحيح . كان الامر خطرا . وكان الرجل الذي يسكن في الغرفة المجاورة قد سمعني افتح صنبور الماء في الحمام في الساعة الثالثة صباحا وذكر ذلك صباح اليوم التالي . ولحسن الحظ، كنت اتخذت حيلة شديدة الا ادع شعر راسه يبتل . كانت مسألة خطرة جدا .

كان نن يتكلم بشيء من الزهو . كأنه يقص على سورم تفاصيل نزهة للصيد . ونظر سورم الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد الواحدة . كان قد مضى عليه حوالي الساعة . وكان سلوك نن قد تغير تماما . فلم يعد يلوح ثملا ، وكان يتحدث بدقة متناهية ، وكان صوته هادئا مرحا . وكان الويسكي قد اثر في سورم ، واحس باكثر من سكرة خفيفة ، بالرغم من انه لم يفقد قوته على التركيز . لقد احس بقبول غريب لنن . لم يعد كون نن قاتلا اغرب من كونه شاذا جنسيا ، او اغرب من كون جيرترود كوينسي خليلته . لقد تغيرت الاشياء ، والعالم في جريان مستديم . ليس ثمة نهاية للمكان او للزمن ، ليست هنالك غير حرية هائلة لا حدود لها .

وقال نن :

— قل لي ، ماذا يدور في ذهنك ، يا جيرارد ؟

— ليس ذلك سهلا . يمكنني ان ابدأ بالفهم ... ولكن لم تول هناك حلقات مفقودة .

— مثلاً ...

— الا تفضل ان تكون ... طبيعيا ؟ او ...

فقاطعه نن بسرعة :

— بالطبع افضل ان اكون طبيعيا . ولكن ارجو الا تبالغ في اصفاء الشذوذ علي . اعتقد ان مهنة الجلاد ، مثلاً ، مهنة غير طبيعية ولكنه يعاملها على انها مهنة مع هذا . والشيء نفسه ينطبق على الجزار . كنت اعرف رجلا قضى سني الحرب يدرب المراهقين على القتل بسهولة وصمت . كما اعرف فدائيين قتلوا عددا لا يستطيعون احصاءه من الالمان . وكان احدهم

يذهب دائما الى المانيا لقضاء عطلته ويقول انه يفضل الالمان على اي شعب آخر في اوروبا .

فقال سورم باكتئاب :

— تعني ان القتل هو جزء من الذهنية الحديثة ؟

— جزء من اية ذهنية كانت ، يا جيرارد . يقوم المجتمع دائما على القتل . لا نفع في محاولة تحريم القتل بالقوانين والسنن الاخلاقية . يجب ان يترك ليختفي من ذاته — على الناس ان ينضجوا ذهنيا الى ما وراء هذه الشهوة . الا تفهم ما اعنيه ؟ صديقي من الفدائيين الذين ذكرته — انه انسان يحترم القانون احتراما تاما . ولكن القتل لم يزل في كيانه . واذا وقعت حرب اخرى ، فلا يلبث ان يبدأ بالقتل ثانية . انه لم يرتفع عقليا فوق القتل . ولكنه يقبل بالقوانين التي تحرمه . ليست هذه الطريقة التي ينمو بها الانسان ... هل بدأت تظن بانني من الجزويت (١) ؟

فقال سورم بتردد :

— لست من الجزويت . ولكن دفاعك هذا لن يجدي في اية محكمة ...

فقال نن على الفور :

— اتفق معك . ولا اتوقع ان يجدي دفاعي شيئا . انه ليس في الواقع دفاعا . انا لا انكر ما فعلت ، وكيف لي ان انكره ؟ بل اني لا افهم ما فعلت . لقد ولدت بهذا الدافع .

— اعلم ... ولكن الذي لا افهمه هو ... على كل حال ، لماذا ينبغي ان تفعل ذلك . يمكنني ان افهم كل شيء ما عدا فعل القتل نفسه . يمكنني ان افهم الكراهية والحقد . لقد كتبت مرة قصة عن رجل يرتكب جريمة قتل نتيجة لحض الشعور بالسأم والرغبة في فعل شيء ايجابي . ولكن ... الاسباب ليست بهذه الاهمية . وانك لا تقتل الاسباب وانما تقتل مخلوقا ادميا .

فقال نن بجهد :

— هذا صواب ، من زاوية معينة . ولكن الشعور ليس ادراكا عقليا الى هذا الحد . وانما ضرب من الاستهجان اللاعقلي على ما اعتقد . ليس للناس فقط ، وحتى للمجتمع فقط ، وانما للعالم . لم يكن ينظر الى سورم وهو يتكلم . كان قد لوى وجهه ، وكان سورم لا يرى غير قمة راسه وشعره الاسود الكثيف المغسول حديثا . وعندما تأمل في سبب غسل شعره مرت به رعدة . وبدأ الحديث فجأة غيسمر

(١) يستخدم اعداء الجزويت هذه الكلمة لتعني الخبث والدهاء — المترجم

حقيقي ، وحاول ان يبذل جهدا عقليا ليعيده الى نقطة واحدة . وقال :
اعتقد اني افهمك . فلقد خبرت هذا النوع من الشعور بالاشمئزاز .
اذ قبل ثلاثة أشهر من استقالي من وظيفتي الى الابد ذهبت لقضاء اجازة
في كينت ، ومر بي شعور مماثل .
وقال نـن وهو لم يزل مشيحا بوجهه .
— ماذا حدث ؟

— اوه ... لقد شعرت بالملل من المكتب . جعلني احس بالجمود في
اعماقي . وفي الاخير ، لم تكن العطل الاسبوعية كافية لتطهر نفسي من هذا
الملل . ولم استطع قراءة الشعر او الاستماع الى الموسيقى . كنت احس
كأنني مصاب بامساك . على كل حال ذهبت في اجازة الى كينت مسدة
اسبوع . وقضيت اليومين الاولين وانا لا احس بشيء على الاطلاق ، لاشيء
غير الموت في اعماقي . وذهبت ذات يوم الى حانة تقع في محل يسمى
« مارتون » وتناولت قدحين من البيرة . وعندما خرجت احسست كأن
قنطرة انفجرت في نفسي وبدأت احس بالاشياء من جديد . واجتاحني فجأة
شعور بالكراهية للمدن والدوائر والناس وكل ما يدنو نفسه مدنية ...
كان يرغب نفسه على الكلام ، وقد سره ان يتحدث عن نفسه ليعيد جوا
طبيعيا الى الموقف :

— ثم خطرت في ذهني خاطرة . جلست على جانب الطريق واخذت
اتأمل فيها . كنت قرأت في مكان ما ان الزنادقة كانوا يعتقدون بان الشيطان
هو الذي خلق العالم وان كل ما يتصل بالمادة شر . ولكن لاح لي فجأة ان
القوى التي تكمن وراء هذا العالم ليست خيرة او شريرة ، وانما شيء لا يقوى
البشر على ادراكه . وان الشيء الوحيد الذي تريده هذه القوى هو الحركة ،
الحركة الابدية . شعرت على هذا النحو فجأة . يرسد البشر السلام ،
فيشيّدون مدنياتهم ويضعون قوانينهم لتوطيد السلام . غير ان القوى التي
تكمن وراء العالم لا تريد السلام ، فلذا ترسل اناسا وظيفتهم اثارة الاضطراب
في العالم — اناسا مثل نابوليون وهتلر وجنكيزخان . ولقد دعوت هؤلاء
الاشخاص « الاعداء » . وفكرت : انا انتمي الى هؤلاء « الاعداء » ولهذا كرهت
هذه المدنية الملعونة . وبدأت فجأة احس بتحسّن .

كان نـن ينظر اليه الان ، وهو يهز براسه ببطء بينما كان مسورم
يتكلم . وقال نـن ، مبتسما :

— تماما . انك لتفهم ايضا . ان القوة التي تقف وراء العالم ليست خيرة
ولا شريرة . ليس البشر على جانب من النضوج الكافي لمعرفة شيء عن الخير

والشر . هذا ما شعرت به ... وكان يحدث لي لأول مرة في لندن . كنت في زيارة للاب كارائز وخرجت من عنده وأنا امقت كل شيء . كان على ما يظهر لا يعني ما كنت اتحدث عنه . ومشيت في شارع تشارترهاوس ، وكانت الشمس تنحدر للمغرب خلف اعالي السطوح بطريقة غريبة . وفجأة احسست بالازدراء لكل شيء . هل قرأت في كتاب شتاين عن كورتن تلك الفقرة التي يصف فيها كيف كان كورتن يحلم بنسف المدينة كلها بالديناميت ؟ لقد شعرت انا بنفس الشيء .

وتوقف فجأة وراح يلوي اصابعه . ثم حنى يديه الى الوراء فطقت مفصلهما . وكان صوته قد صار اجش بطريقة غريبة . واخذ سورم يرقبه باهتمام وهو يحس بالتوتر الذي كان يتولد في اعماقه . ونهض نسن فجأة وذهب نحو النافذة ، وصب في قدحه قليلاً من الويسكي وابتلعه جرعة واحدة . وعندما شرع يتحدث ثانية لاح صوته مختنقا :

— لا يمكنني ان اوضح شعوري ... ولكنك تفهم .

فقال سورم :

— اجل ، افهم .

قال ذلك ليدخل الطمانينة في نفس نسن اكثر من يقينه بانه فهم فعلا . وتوقف نسن بضع ثوان وظهره الى سورم وهو ممسك بقدحه الفارغ . ثم استدار بجسده ومر باصابعه في شعر سورم . وكان يتسم ثانية . وقال :

— اتمنى لو كنت تفهمني حقاً ، يا جيرارد .

وجلس مرة اخرى ، ولكن على حافة الكرسي ، وقد وضع قبضتيه على ركبتيه . وبالرغم من البرودة التي كانت تسري في الغرفة الان كان العرق يسيل على وجهه . وقال سورم :

— اعتقد انني فهمت فعلاً ، اوستن . ولكن ... اتعلم ... ينبغي عليك ان تكف الان . ان توقفت الان ، ربما تكون في مأمن . ولكنك ان مضيت في هذا السبيل ... فلن ينقذك احد .

فقال نسن : اعلم ، تلك هي المشكلة .

فمال سورم الى الامام وقال :

— ولكن لا تدرك موقفك ؟ انك حي الان ، وبعد شهرين من المحتمل ان تكون في زنزانة الاعداء تنتظر مصيرك . انهم يشنقونك ، يا اوستن . عليهم ان يشنقوك . انهم لا يجرؤون على ادخالك في مستشفى المجاذيب . اهرب ما دمت قادراً . اذهب الى سويسرا . ابحث عن طبيب نفسي جيد واعطه

خمسة الاف باون واعترف له بكل شيء . ولكن لا تبقي في لندن .
ورفع نن نظره الى سورم وابتمسم . وكان الاجهاد قد عاد الى وجهه .
وقال :

— اعلم انك على حق ، يا جيرارد .
وسعل لينقي حنجرتة ومر بيديه خلال شعره . وشرع يحكم ازوار
قميصه .

— انا شديد الامتنان لك ، يا جيرارد ...
— هراء .

— انا لا استحق صديقا مثلك .

فقال سورم :

— لا تكن سخيفا .

فنهض نن :

— اعتقد انه ينبغي ان نرحل .

وفيما هو يتكلم سمعا جلبة . كان صوت شيء معدني يضرب فسي
الخارج ، ومكثا لحظة يحرق احدهما في الآخر . ونظر سورم نحو
النافذة . وقال بسرعة :

— من المحتمل ان يكونوا من رجال الشرطة .

وبينما هو يتكلم ، سمعا طرقا على الباب . وقال نن :

— لعلهم كانوا يتبعونكما .

— انا آسف ...

— لا تكثر .

وفتح الباب المؤدي الى الصالة ، فتبعه سورم وامسك بلرامه .
وقال بهدوء :

— لا تبج بشيء .

فالتفت الى نن وابتمسم . كانت ابتسامة هادئة ساخرة ذكرت نن
بلقائهما الاول ، ابتسامة تنم عن الثقة والاستعلاء . وقال نن :

— لا تقلق ايها الصديق . كن انت على حذر .

وخرج الى الباب الامامي . وبعد قليل استطاع سورم ان يميز صوت
ماكردو .

— المستر اوستن نن ؟

— نعم . هل من خدمة ؟

- نود ان نتحدث معك ، ان امكن . انا ضابط شرطة .
 - بالتاكيد . تفضل . كنت اتوقعك .
 واستطاع سورم ان يرى اللهفة على وجه ماكردو . وبعد قليل
 دخل الغرفة يتبعه العريف ونن . وكان يقول :
 - صحيح ؟ كنت تتوقعني ، لماذا ؟
 فقال نن :
 - لان صديقي هنا جاء خصيصا ليطلب مني الاتصال بكم .
 كان سورم ما يزال جالسا . فأوما برأسه باقتضاب لماكردو .
 - كيف حالك ؟
 فقال ماكردو :
 - لم اكن اتوقع رؤيتك هنا . ظننت انك لم تكن تعلم اين يمكن ان
 نجد نن ؟
 فقال سورم ببشاشة :
 - لم اكن اعرف . ولكني ظللت ابحث باستمرار .
 كان عدم التصديق واضحا في سيماه لماكردو . وقال :
 - آه .
 والتفت الى نن :
 - مستر نن ، الا تفضل وتخبرني اين كنت الليلة الماضية ؟
 - بالتاكيد . كنت هنا .
 - طول الليل ؟
 - كلا . ذهبت لاستنشاق شيء من الهواء . مجرد نزهة في السيارة .
 - كم كانت الساعة ؟
 - اوه .. في الواقع ، لست ادري . بعد منتصف الليل . كان لدي
 راديو بطارية وقد نفذت البطارية .
 - كم امضيت خارجا ؟
 - اوه .. حوالي الساعتين ، ربما .
 - اين اوقفتك سيارتك ؟
 - في الزقاق خارجا .
 - ومتى تركتها خارج فندق كراون في ليدرهيد ؟
 وجلس نن على حافة الطاولة . كان وجهه متجهما شديد التركيز .
 - صباح اليوم . ذهبت لشراء صحيفة . وكان اليوم جميلا للغاية

فقررت العودة مشيا على الاقدام . وقد تناولت شيئا من القهوة ..
فقاطعه ماكمردو بعنف :

— انك تعلم سبب توجيه هذه الاسئلة ، اليس كذلك ؟
فقال نن :

— اظن ذلك .

— لماذا اذن ؟

— انك تقوم بالتحقيق في جرائم وايتشابيل . وتريد الانتهاء مني
كواحد من المشبوهين في قائمتك .

ورأى سورم الامتعاض في وجه ماكمردو يزداد شدة كلما اجابه
نن بثقة . وكان العريف يقف قرب الباب ، يرقب الموقف باهتمام . وقال
ماكمردو :

— الا يضيرك ان نتحرى البيت ؟

فسال نن برقة :

— هل لديكما تصريح بذلك ؟

— كلا . ولكن يمكننا الحصول عليه حالا .

فقال نن على عجل :

— اوه ، كلا ابدا ، تفضلا .

وخرج العريف من الغرفة . وبعد قليل سمع سورم عددا اخر من
الرجال يدخلون . وجلس ماكمردو على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه .
ووجه سؤاله الى سورم :

— وهل لي ان اسألك كيف جئت الى هنا ؟

— بالسيارة . جاءت بي المس كوينسي — عمة اوستن .

— كيف علمت ان المستر نن هنا ؟

— بعد زيارتكما ظللنا نتحدث طويلا وحاولنا ان نهتدي الى المحسل
الذي يحتمل ان يكون فيه . واخيرا ، تذكرت العمة هذا المكان ..
اين هي الان ؟

— في فندق كراون .

وللمرة الاولى احس سورم بالدعر . لم يكن يخشى شيئا لنفسه او
لنن ، ولكن جيرترود كانت من فصيلة اخرى . واحس بالندم يقرصه
لاخبارها عن نن . ولكنها كانت تعلم قليلا ، حتى لو اهتمرت ..

ودخل الغرفة احد رجال الشرطة في ملابس مدنية واثار لماكمردو

والتقت نظرتا نين وسورم لبرهة بينما خرج المحقق من الغرفة . وبعد قليل عساذ المحقق وسأل :

— الا تتفضل وتخبرني ، يا مستر نين ، ما هو سبب وجود الرماد الدافئ في موقد الغرفة العلوية ؟
فقال نين مبتسما :

— اوه ، بالطبع . كنت بدأت اشعل النار في غرفة النوم ، ثم اقبل جيرارد فنسيت امرها . وتجدون الخشب والقحم في الغرفة .
— هل وضعت الخشب في النار ؟

— كلا . كنت اشعر بالبرد ، فملأت المشبك بالورق وبعض الخرق المزينة واشعلت فيها النار . كنت جالسا استمتع باللهيب عندما جاء جيرارد :
— من اين جلبت الخرق المزينة ؟

— من النسقيفة في الخارج . تركها الصباغون .
— وهذا ما يفسر رائحة زيت البارافين ؟
— تماما .

فقال ماكمر دو :

— يستعمل الصباغون التريبتين .

فقال نين وهو يهز كتفيه :

— اعتقد اني لست مسؤولا عما يخلفه الصباغون . ولم يكون لذلك اهمية ، على كل حال ؟

فاهمل ماكمر دو السؤال وقال :

— ولماذا ترتدي القميص فقط ان كنت تشعر بالبرد منذ ساعة ؟
فقال نين :

لان هذه الغرفة كانت دافئة جدا في الواقع قبل ساعة ، كما يمكن ان يخبركم به صديقي هنا . ويمكنكم ان تجدوا سترتي و قميص الصوف على الفراش في غرفة النوم .

— وماذا كنت تشعل في موقد المطبخ ؟

— اوه ... نفايات اخرى . اكثرها من الصحف . اني مفسرم باشعال النيران .

— الم تكن تحرق اشياء اخرى ... ملابس ، مثلا ؟

فقال نين ، وقد نفد صبره :

— تعني ملابس ملطخة بالدماء ؟ اسمع ، ايها المحقق ، لا داعي للسي الف والدوران . اني اريد مساعدتك ، اسألني عما تشتبه به ، فاجيبك بكل

ما يمكنني من الدقة .
 فكرر ماكمردو السؤال باصرار :
 - هل كانت هنالك اية ملابس ؟
 - كلا .
 - انك لتعلم بأن هذا من الاشياء التي يمكننا اكتشافها بسهولة ؟
 وذلك بتحليل الرماد ؟
 فقال نن :
 - عظيم . يسرني ان اسمع هذا . فانه يوفر علينا المتاعب .
 فقال ماكمردو :
 - آه .
 ومال الى الامام كانه يحلق في المدفأة . ثم التفت الى نن فجاذ وقال :
 - ماذا فعلت بميلي روجرز ؟
 وشعر سورم بقلبه يعتصر بطريقة كريهة ، وراى نن يفاجأ
 بالسؤال . وقال نن :
 - ارجو العذرة .
 فقال ماكمردو :
 - شوهدت تحدث الى امرأة تدعى ميلي روجرز خارج ناد فسي
 بادينغتن . نادى البلايكا . وقد سمعها احدهم تقول بانها ستذهب معك
 الى البيت . ولم يرها احد منذ ذلك اليوم .
 فقال نن ببرود :
 - ليست لدي اية فكرة عم تحدث ايها المحقق ؟ وان كنت لا تعرف ،
 فان ميولي ليست في هذا الاتجاه .
 - اتنكر معرفتك بامرأة بهذا الاسم ؟
 - بكل تأكيد .
 - وتنكر انك تحدثت معها .
 - كلا . ليس بالضرورة . من المحتمل اني تكلمت الى امرأة من هذا
 النوع اذا كانت قد تحرشت بي . وكذلك على ما اتصور ، اني تحدثت الى
 الاف الرجال .
 - وكيف علمت انها كانت من « هذا النوع » ؟
 - حقا ! ايها المحقق ، انك لا تدع مجالا للشك !
 وعاد العريف الى الغرفة . كان ممسكا بقبعة نسائية حمراء . فتناولها
 ماكمردو منه . وقال العريف :

- وجدتھا في درج الملابس في غرفة النوم ، يا سيدي .
- فسأل ماكمرودو نن :
- لمن هذه ؟
- صدق او لا تصدق ، ايھا المحقق ، ان هذه القبعة تخص عمتي .
- تركتها هنا .
- السيدة التي تنتظر الان في فندق كراون ؟
- نعم .
- هل سبق ان جاءت الى هنا ؟
- مرة واحدة عندما اخذتها في نزهة بالطائرة .
- هل هي السيدة نفسها التي قالت انها لا تعرف اين يمكن ان نجدها ؟
- كان ماكمرودو قد وجه السؤال بلهجة ساخرة .
- هي نفسها .
- ولم ، في اعتقادك ، انها لم تذكر لي هذا المكان عندما سالتهم
- صباح اليوم ؟
- فتدخل سورم قائلا :
- يمكنني ان اخبرك . كانت قد نسيتھ . وبالإضافة لذلك ، كانت
- صدمة بالنسبة لها ان ترى الشرطة تبحث عن ابن أخيها .
- وحدق ماكمرودو في وجه سورم بنظرة عدائية . ومرت لحظة ، توقع
- سورم ان ماكمرودو سينفجر بتقريع شديد . ثم لوى الشرطي برأسه وهو
- يهز كتفيه وناول القبعة الى العريف . وقال :
- خذ بعض النماذج من الرماد ، ايھا العريف .
- ثم التفت ثانية الى نن :
- الا تسمح لي برؤية يديك ؟
- ومد نن يديه دون ان يتكلم . فتناولهما ماكمرودو في يديه ثم قلبهما ،
- وقال :
- لقد نظفت اظافرك اليوم .
- بالطبع افعل ذلك كل يوم .
- يبدو انك بالفت في تنظيفها اليوم .
- كلا . ليس بصورة خاصة .
- وترك ماكمرودو يدي نن . ولاحظ سورم خيبة ماكمرودو . اذ بدا فمه
- يتوتر بطريقة اظهرته بمظهر كلب كبير . ولكن قبل ان يجلس نن مرة اخرى
- سألھ ماكمرودو :

- هل لديك مديّة ؟
 فقال نن :
 - بالطبع .
 واخذ بتحسس في جيب سرواله واخرج مديّة صغيرة . فقال ماكمردو :
 - لا اعني هذا النوع . الديك سكين اكبر - مثلاً ، سكين ذات غمد
 من النوع الذي يستخدمه الكشافة ؟
 - كلا .
 - هل كانت لديك واحدة قبلاً ؟
 - كلا منذ ان كنت طفلاً .
 - اليست لديك اية مديّة يمكن استعمالها في القتال ؟ مديّة ذات
 نابض مثلاً ؟
 - كلا . . . لدي في شفتي سكيناً مطبخ حادثان على ما اعتقد . .
 ولكنهما ليستا خطرتين .
 وعاد العريف داخلاً الغرفة وقال :
 - ليس هناك شيء آخر يذكر . اخذت نماذج من الرماد .
 فهز ماكمردو رأسه ، وقال :
 - مستر نن . اخشى انه يجب ان ناخذك معنا الى الدائرة لاستجوابك .
 فاطلق نن زفرة وقال :
 - حسناً . اعتقد انه امر ضروري .
 وسأل سورم :
 - وانسا ؟
 فقال ماكمردو :
 - لن نحتاج اليك الان
 فقال نن :
 - الا يضيرك ان ذهبت لارتداء بعض الملابس الدافئة ؟
 فأوماً ماكمردو برأسه موافقاً . وقال :
 - ايها العريف !
 فأوماً العريف برأسه وتبع نن خارج الغرفة .
 وحالماً بقيا لوحدهما جلس ماكمردو على الكرسي المواجه لسورم . ثم
 مال الى الامام وقال بعناية :
 - انك تدرك بانه اذا ما وجدنا اي دليل ضد نن فهذا يعني انك معرض
 للسجن مدة طويلة بصفتك شريكاً للمجرم بعد وقوع الفعل ؟

- فقال سورم بفلاظة :
- اسمع ، ايها المحقق . انك تبحث في الاتجاه الخاطيء . اوستن ليس بمجرم ، بصرف النظر عن خصاله الاخرى .
- فقال ماكمردو :
- هل انت واثق ؟
- اظن ذلك .
- قل لي ، مستر سورم ، عم كنتما تتحدثان قبل مجيئي ؟
- مواضيع عامة ، من ضمنها جرائم وايتشابل .
- الم يوضح لك ن الاسباب التي جعلنا نشتبه فيه ؟
- لم يذكر لي شيئا لا اعرفه ؟
- وماذا تعرفه ؟
- لاوستن بعض الميول الجنسية الخاصة ، تكفي لان تجعل منه مشبوها في قضية كهذه .
- ويانه سادي ، في الواقع ؟
- طيب .
- ولكنك لا زلت تعتقد بانه لا يستطيع ان يحمل نفسه على القتل ؟
- وظل سورم يحقق في وجه المحقق بهدوء ، وقال :
- انه نزاع الى الجنس المشابه . ولكن ضحايا وايتشابل كلهن من النساء .
- ربما يضم الكراهية للنساء .
- ربما .
- فالح ماكمردو قائلا :
- الا تتفق معي ؟
- لم الحظ تلك العلائم .
- وعاد ن ، وكان يحكم ازرار معطفه . وابتسم لسورم ، ورد سورم له ابتسامته . وكان كلاهما يعلم ان ماكمردو كان يرقبهما جيدا لئلا يتبادلا الاشارات . وحول ن ابتسامته الى ماكمردو قائلا :
- حاضر ، ايها المحقق ؟
- فقال ماكمردو :
- طيب ، بوب .
- وتقدمهما العريف خارج البيت .
- كان احد الشرطة الذي يرتدي الملابس المدنية يسير الى الامام ، وتبعه

نن والعريف . ومشى الشرطي الآخر خلفهما . وكان سورم وماكردو يسيران الى الخلف على بعد عشر ياردات . وأدرك سورم ان ماكردو كان يحاول ان يستفز نن . كان الامر يشبه لعبة الشطرنج . يريدون ان يجعلوا نن قلقا لا يعلم هل باح سورم بشيء ، وتهديد سورم بتهمة الاشتراك بالجريمة قد سببت له مخاوفه ايضا . وعندما تسلقوا الحاجز القرميدي القى سورم نفسه يفكر : اذا ما اعترف اوستن بكل شيء ، هل تبقى تهمة الاشتراك قائمة ؟

مسكين اوستن — لقد اضعف موقفه باشتراكي في سره . ترى ، هل هنالك اساس من الصحة لهذا الهراء عن ميلي روجرز ؟ الملابس نسي الشقة الارضية . هل يعرفون شيئا عن هذه الشقة ؟ اتمنى لو استطيع التحدث الى اوستن .

وقال ماكردو :

— انا لا افهمك .

— لماذا ايها المحقق ؟

— انك لم تلتق بنن الا منذ اسبوع . حتى اذا ثبتت ادانته ليس هنالك شيء ضدك ، فلم تزج نفسك بالقضية ؟

فقال سورم ببرود :

— لأول مرة اعلم بانني زججت نفسي في قضية .

— لقد هرعت الى هنا هذا الصباح لتحذيره . لملك ادركت بانه ربما

يكون هو الرجل الذي نبغيه .

فقال سورم :

— اتفق ان يكون صديقي . ولقد طلبتم مني بانفسكم ان اتصل به .

ولولا مجيئكم لجاؤكم هو بنفسه . كنا على وشك الرحيل الى لندن .

وفيما هو يتفوه بهذه الكلمات ظن بانه لمح امارات الشك في عيني

ماكردو . وفجأة ، طاف في ذهنه يقين . لم يكن لماكردو دليل ضد نن .

ان كل ما فعله هو خداع وامل . ولقد وقعت اربع جرائم قتل خلال

اسبوع واحد . كان القبض على بريسكتون فشلا ذريعا ، وكان على ماكردو

ان يقبض على احد . واحس بجلده ينكمش للارتياح بهذه الخاطرة كما

لو سكب عليه ماء بارد . وقال ماكردو :

— انك لصديق مخلص ، مستر سورم .

— امل ذلك .

كانت هنالك سيارتان سوداوان تقفان في الزقاق الذي انزلته فيه

- المس كوينسي . وسأل سورم :
- هل يمكنك ايصالي الى فندق كراون ؟
- يمكننا . اريد ان ارى السيدة هناك — اسمها مس كوينسي ؟
- كان نن يصعد الى السيارة الاولى . ولاحظ سورم ان ماكمردو كان يحاول ان يمنع اي اتصال بينهما . فهتف سورم :
- اوستن !
- والفتت نن اليه . وقال سورم :
- اذا خرجت في الوقت المناسب ، فلنتناول العشاء معا .
- فكرة جيدة يا جيرارد .
- ولوح بيده فيما هو يصعد السيارة . واحس سورم بالانتصار . لقد افلح في مخاطبة نن ، وعلم نن ان كل شيء على ما يرام . وصعد سورم في السيارة الاخرى وجلس الى الخلف ، وتبعه ماكمردو . وقال ماكمردو :
- اشك في ان موعذك سيتحقق الليلة .
- كلا ؟ لماذا ؟
- ربما سنحصل على ترخيص لالقاء القبض عليه عندما نصل .
- صحيح ؟ وهل ذلك من الحكمة ؟
- فقال ماكمردو بلهجة حادة :
- اظن ذلك .
- وجعل الخبث يظهر على محيا سورم ، وقال مبتسما :
- القاء القبض على رجل اخر غير الرجل المقصود قد يفسد الامور .
- ان انطباعي عن المسألة هو ان الناس بدأ صبرهم ينفد تجاه الشرطة . وافترض انكم قبضتم على اوستن ووقعت حادثة قتل اخرى غدا ليلا ؟
- فعبس ماكمردو . وادرك سورم الشك في وجه ماكمردو ، خوف ان يقترب خطأ اخر ، خوف السخرية على صفحات الجرائد . وقال ماكمردو بامتعاظ :
- هذا من شائي .
- فقال سورم :
- اعلم .
- واسترخى على مقعد السيارة وراح ينظر خلال النافذة . كانت السيارة الامامية قد اجتازت الفندق .
- وقال ماكمردو :
- توقف هنا قليلا .

وتوقفت السيارة عند انوار المرور . فسأل سورم :
- هل انزل ؟
فقال ماكردو :
- الافضل ان تفعل .
- ان تأتي ؟ ظننتك تريد رؤية المس كوينسي .
فقال ماكردو باقتضاب :
- فيما بعد .

وترجل سورم من السيارة وصفق الباب بينما كانت انوار المرور
تتغير . وبقي واقفا برهة من الزمن ، وهو يرقب السيارة تختفي بين بقية
السيارات ، ثم عبر الشارع الى الفندق .

الفصل التاسع

وقادته الفتاة التي تقف خلف طاولة الاستعلامات الى الصالة . كانت المس كوينسي تجلس لوحدها على كرسي من القش ، وهي تقرأ إحدى المجلات . ورفعت نظرها حالما دخل الغرفة . كانت ابتسامتها دافئة تلقائية . واحس بالارتياح ان يكون الى جنبها مرة اخرى . وقالت :

— يسرني ان جئت . بدأ القلق يساورني . هل كل شيء على ما يرام ؟ وتناولت يده فيما هو ينحني عليها ، ثم خلتها مباشرة . وقال :

— ليس سيئا ، ايها العزيزة . سأذهب لاحضار شراب . هل لك في قدح آخر ؟

— كلا شكرا . هذا قدحي الثاني . لقد تناولت الغداء توا .

وعاد الى طاولتها وهو يحمل قدح البيرة ، وسحب كرسيها الى جوارها . وقال :

— لحسن الحظ لم يأت رجال الشرطة معي هنا . وصلوا بعدي بحوالي ساعة .

— هل وجدوا أوستن ؟

— نعم . ولكن الامور على ما يرام . لا تجزعي ، اعتقد انه لن يحدث شيء .

وجالت بنظرها حواليتها في الصالة ثم سألت هامسة :

— هل أوستن هو ... ؟

فقال بلا مبالاة :

— سأحدثك عن الموضوع في الخارج . هل انت على استعداد للخروج ؟ فهزت رأسها . فرفع قدح البيرة واحتسى جرعة كبيرة وكاد ان

يفرغ القدرح . وسألت :

– اين اوستن الان ؟

– في طريقه الى سكوتلانديارد . للاستجواب .

– هل لديهم امر بذلك ؟

– كلا . ولا اعتقد انهم سيحصلون عليه . لقد اتفقت معه على العشاء الليلة .

ورسفت من شرابها . كانت يداها ترتعشان قليلا . وقال :

– لا تقلقي . لعله واحد من خمسين مشبوها تم استجوابهم اليوم وهذا لا يعني شيئا .

لاحظت هذه الكلمات كأنها ادخلت الاطمئنان الى نفسها . وانهى بيرته ونهض وقال رجل البار : طاب مساؤكما ، بينما كانا يغادران .

– اين اوقفت سيارتك ؟

– هناك في ساحة وقوف السيارات .

ولم ينس احد منهما بكلمة الى ان تركت السيارة شارع ليندريد ودلفت في طريق ابسوم . وقال :

– ذكريني بالاتصال بكارولين عند وصولنا . من المفروض ان التقى بها الليلة على العشاء .

وتجاهلت سؤاله وراحت تحقق امامها خلال زجاج النافذة . ثم سألت :

– ماذا حدث لاوستن ؟

وادرك ، لأول مرة ، بانه لم يقرر بعد ما الذي سيقوله لها . ودفعته رغبة فطرية في حمايتها لان يقول لها :

– سيكون بخير . انه في ورطة ، ولكنها ليست وخيمة ..

– ولكن ... هل يعرف عن ؟

– حوادث القتل ؟ لم يذكر لي ذلك بصورة خاصة . اعتقد انه كان يخشى ان يزوج بي في المسألة ، لاجلي . ولكني اظنه يعرف ما يكفي لرجسه في متاعب ، بصفته شريكا ...

– اذن فهو ليس ...

– كلا . انه ليس القاتل .

– اوافق انت ؟

– واثق تماما .

– شكرا لله .

واثر فيه الارتياح الذي احست به ، وجعله يشعر بالاثم . فانطلقت

ضاحكة وهي تميل الى الامام . فأنحرفت السيارة ثم استقامت . وقالت:
- لا يمكنك ان تدرك فظاعة الكابوس الذي جثم على صدري طوال
الساعتين الماضيتين .

فقال بشيء من التعاطف :

- ادرك ذلك ، ايها العزيزة .
- ولكنني علمت أن في الامر خطأ . اعلم ان اوستن ينتابه الحمق
احيانا ... ولكنه لن يستطيع ابدا ان يفعل ذلك .
- ان عوائل اكثر القتل يفكرون بهذه الطريقة ، الديرين .
- ولكنه ليس قاتلا . انت قلت ..
- كلا . ليس هو القاتل . ولكنه قد يقع في مشكلة كبيرة .
- ولكن لماذا ؟ وبالتأكيد لا يبدو عليهم الاهتمام بانسان غيره ؟
- بل انهم مهتمون . لقد قلبت اجراءات التحقيق هذا العالم السفلي
رأسا على عقب . لقد اثاروا كل القذارة التي تكمن هناك .
- ولكن ماذا فعل هو بالضبط ؟ لا يمكن ان يكون فعل شيئا خطيرا؟
ويمكن لوالده ان يكلف محامين ..
- أمل الا يصل الامر الى ذلك الحد . لو كان على جانب من العقل
لغادر انكثرته فترة ستة اشهر . اسمعي ، عزيزتي ، هل يمكنك التوقف
مند دائرة بريد ابسوم ؟ الافضل ان ابغث ببرقية الى كارولين . اتعرفين
عنوان منزلها ؟

* * *

وقالت المرأة الاسكوتلاندية :

- انه نائم الان . هل يمكنك المجيء في الساعة السادسة ؟

فقال سورم :

ان الامر مستعجل . شيء سيهمه ان يعرف عنه حالا . قد تكون
مسألة حياة او موت .

- آسفة . لا يمكنني ازعاجه عندما يكون نائما .

وكبح في نفسه الفيظ الذي اثار رغبته في ان يدفعها بالقوة عن
طريقه . واقبل القسيس الهنغاري من خلف الطاق ، وقال بأدب :

- المصلحة .

فقال سورم :

- اسمع ، ايها الاب . ينبغي ان ارى الاب كارائز. ان الامر مستعجل
فنقل القسيس بصره من سورم الى المرأة الاسكوتلاندية ، ولاح عليه

الاحراج والتردد . وسأل :

– وهو نائم الان ؟

فقال المرأة :

– ولا يريد ان يزعجه احد .

فسأل الاب راكوسي بقلق :

– هل الامر مهم ؟

فعاد سورم خطوتين الى الوراء واقترب من القسيس وقال بصوت

منخفض :

– تتعلق المالة بجرائم وايتشابيل . وقد طلب الي ان اخبره حالا عن

كل ما يستجد من امر .

ونظر القسيس الى المرأة ، ثم قال باعتدال :

– اعتقد يجب ان تنتظر في الداخل . ساذهب لارى ان كان مستيقظا .

واستدارت المرأة دون ان تتفوه بكلمة اخرى ، ومضت في سبيلها .

وتبع سورم القسيس الى داخل البناية المظلمة حيث تنتشر رائحة التنظيف

والمسح . وقال القسيس :

– انتظر هنا لطفا .

ووقف سورم الى جوار النافذة ذات الزجاج المعتم وهو يتفوه بكلمات

الشتم بصوت غير مسموع للمرأة الاسكوتلاندية . لم يكن رفضها الذي

اغاظه ، ولكن موقفها العدائي ورغبتها في عرقلة . وفكر : كيف تتجسرا

ان تقف مني موقفا عدائيا،الكلبة ؟ هل هذا ايضا شكل من اشكال السادية؟

وطرب لهذه الفكرة ، وجلس على الكرسي وطفق يتأمل فيها.السادية

هي ايقاع الالم . هل التفاهة العقلية التي من هذا النوع،ضرب من السادية؟

اختيار البلادة بدلا من الذكاء ؟ ولكن كيف افهم سادية اوستسن ؟ الحب

المعكوس ...

وعاد القسيس وقال على عجل :

– انه مستيقظ .

والتفت ومضى الى الغرفة المجاورة . وصعد سورم السلم مسرعا

وسار في الدهليز وهو يكاد يتوقع ان تعترض طريقه المرأة الاسكوتلاندية.

كان باب غرفة القسيس مفتوحا قليلا ، فنقر عليه بقفا اصابعه ودخل .

كان الاب كارانرز يجلس في فراشه ، وكان الغطاء الصوفي يلتف

حول كتفيه . وكان وجهه يلوح مجهدا زائغ البصر . كانت الغرفة اكثر

برودة من المألوف والنافذة مفتوحة .

- هلو ، ايها الاب .
- فقال القسيس :
- ماذا وقع من الاحداث .
- فاغلق سورم الباب بعناية وجلس على حافة السرير . وقال :
- اخذوا اوستن الى مركز الشرطة للاستجواب . وقعت حادثة قتل اخرى الليلة الماضية .
- سمعت عن الجريمة . ماذا يريدون من اوستن ؟
- واعتدل في جلسته ، وسحب جسده في وضعية اكثر راحة . ومال سورم الى الامام وامسك بالوسادة لئلا تسقط حتى استطاع القسيس ان يعمل جلسته . وقال :
- يشتبهون بقيامه بجرائم القتل .
- هل تحدثت اليه ؟
- اجل ، ايها الاب . كنت هناك عندما اقبل رجال الشرطة .
- هل تعتقد بانه يحتمل ان يكون مذنب .
- وتردد سورم . ولاح القسيس ، وهو لم يزل يفرك عينيه ليزيل اثار النعاس ، تعباً مسناً لا يقوى على تحمل نأ مؤلم . وفيما كان سورم ينتظر ، شد القسيس الاغطية الى كتفيه وغاص بين الوسائد . وقال :
- افهم من ترددك بانه مذنب .
- فقال سورم :
- اجل ايها الاب .
- يؤسفني ذلك .
- وقبل ان يستأنف الكلام ، طرق احدهم الباب . كانت المرأة الاسكوتلاندية . وقالت ، دون ان تنظر الى سورم :
- ايها الاب ، هنالك سيد اخر يريد مقابلتك . انه الطبيب الالماني .
- ونظر القسيس الى سورم :
- اتود ان تراه ؟
- فقال سورم :
- لا يهمني ذلك ايها الاب . يمكنني ان اذهب .
- هلا بمثته ؟
- واغلقت المرأة الباب بهدوء وقال سورم :
- انها مصادفة غريبة ...
- لست ملزماً بالكلام معه .

- ليس لدي ما اخفيه ايها الاب . ولكن ... لا تذكر امر اوستن ،
هنا ؟

- كلا . ولكنك ان كنت واثقا بان اوستن مذنب ، فليس هنالك ما
يمكن ان يفعله احدنا .

- اعلم ايها الاب . ان هذا اعترافه هو . ولست عازما على ان ابوح
لسواك بانه مذنب .

- واذا كان للشرطة دليل .. ؟

- ليس لديهم اي دليل .

فقال القسيس :

- هذا ما سنتحقق منه سريعا .

وبينما هو يتكلم ، دخل شتاين الغرفة . كان يلوح نشطا معافى ،
والظلة تتأرجح في يده . ولم تبد عليه الدهشة لرؤية سورم ، ولكن
ابتسم ببشاشة وهز رأسه . والتقى بمظلته على احد الكراسي وخلع
معطفه وهو يقول :

- كيف حالك ، يا لاري ؟ تبدو بخير . وانت يا مستر سورم، يسرني
ان اراك هنا .

وقال القسيس :

- ليس الوقت مناسباً للزيارة ، يا فرانز .

- اعلم . لم اكن احلم بأن اقلقك .. ولكنني رايت صديقنا الشاب
يدخل . كنت خلف الطاق عندما جاء . اريد ان اتحدث اليه .. طالما هو عندك .

وبال سورم :

- كيف علمت اني جئت ؟

فقال شتاين :

- لم اعلم .

وقال القسيس لسورم :

- هلا اغلقت النافذة ، رجاء ؟ وضع المزيد من الفحم على النار .

وذهب نحو النافذة طائما . وقال القسيس :

- لماذا تريد ان تتحدث الى سورم في حضوري ، يا فرانز ؟

فقال شتاين :

- اظنه يفهم .

ونظر سورم الى وجهه عندما كان يتحنى على السطل الذي يحتوي

على الفحم ، كانت دلائل اجتهاد اليوم الماضي قد تلاشت ، وبدا هادئا واثقا من نفسه . وقال سورم :

— لو شرحت مرامك ايها الدكتور .

— حسنا . انك تعلم بان صديقك أوستن الان في سكوتلانديارد ؟

— نعم .

— وانك تعلم ايضا بانه ربما سيبقى في سكوتلانديارد الى ان يذهب الى السجن ؟ واعاد سورم كلابة الفحم الى مكانها ، وسأل :

— لماذا ؟

ومال شتاين الى الامام ، وقال بكلمات متروية :

— انك تعلم لماذا . لانه الشخص الذي تبحث عنه الشرطة بصدد جرائم وايتسابل .

وجلس سورم ثانية . وقال :

— اوائق انت ؟

والقى شتاين نظرة عجلى على القسيس ، كأنه يشك في انه يؤيد سورم في هذه الخدعة . وقال :

— انا جاد واثق . واعتقد بانك واثق ايضا .

وقرر سورم ان يمضي في الخدعة ، وحدث في عيني شتاين وقال :

— ان الذي لا افهمه هو : لماذا تخبرني عن الامر ؟ ماذا يمكنني ان افعل .

اما شتاين فاستمر محملا ، فاضحت عيناه نفاذتين مخيفتين .

— كنت معه صباح هذا اليوم ؟

— نعم .

واحس سورم بالاسترخاء واللامبالاة ، وترك امر توجيه دفعة الحديث الى شتاين ، وهو غير راغب في التعاون . وقد احس شتاين ولا شك بذلك في موقفه الهادئ . وقال بنفاد صبر :

— اظنك لا تدرك خطورة موقفك .

فhez سورم كتفيه وقال :

— ما هو ، بالله ، موقعي ؟

— سأخبرك . هنالك رجل يدعى أوستن نن ، وقد ورث ميولا سادية من والده . وقد ارسل لرؤية طبيب نفسي ، فكتب هذا الطبيب عسن حاله وتطورها وبعد سنة من ذلك اشتبه فيه بقتل شاب في هامبورغ . ثم عاد الى انكلترا واصبح معروفا في اوساط معينة بانه رجل ذو اذواق خاصة غريبة . واخيرا ، يقوم بقتل عدد من مومسات القطاع الشرقي .

وتتخلص المدة بين حادثة واخرى . وقبل اسبوع من اهتمام الشرطة به
اهتماما سافرا ينشئ صداقة معك ويتدله بك . انت لست نزاعا الى
الجنس المشابه ، فتقوده خيبته الى اقتراف المزيد من جرائم القتل . هل
اوضحت الموقف لك ؟

فقال سورم بهدوء :

— تماما . فاذا كان اوستن القاتل، فهل انا مسؤول بصورة غير مباشرة ؟

وهز شتاين رأسه .

— انا لا اقول بانك المسؤول ، بصورة مباشرة او غير مباشرة . ما

اقوله هو انه يمكنك معاونة الشرطة ان اردت .

— كيف ؟

— حدثهم بالتفصيل عن اتصالاتك به خلال الاسبوع الماضي .

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

— سافعل ذلك بكل سرور . ولكنهم لن يجدوا شيئا ذا اهمية .

وقبل كل شيء ، فاطن بانك مخطيء في اعتقادك بان اوستن متدله بي .

كان يميل الى اتخاذي قسيس اعتراف . ولكن ما اعترفه الي لم يكن عن

جرائم قتل .

— كلا ؟ ما الذي اعترف به اذن ؟

— بعض الهراء من احساسه بالضجر واللاجدوى والتفاهة وغيرها .

وثانيا ، اذا كانت ميوله الجنسية شريرة جدا ، فقد احتاط الا يبوح لسي

بها . ان الانطباع الذي كونته هو ميله للتبجح حول اشياء كثيرة . . اشياء

تتعلق بحياته الجنسية . ولكنه مع هذا يعلم بانني لا اشاركه ميوله . وربما

لا يريد ان يفرضها علي .

وقال شتاين :

— ولكنك تتفق معي في انه من المحتمل جدا ان يكون هو القاتل ؟

— لا . . . لا اريد ان انكر الامر . ولكنني لا اعتقد انه محتمل جدا .

— ومع ذلك عندما بدأت بالدفاع عن قاتل يوم امس . .

فقاطعه القسيس فجأة :

— فرانز ، اليس الافضل ان تذهب بجيرارد الى غرفة اخرى لتوجيه

هذه الاسئلة اليه ؟ لا يمكنني ان اساعد في شيء ، كما لا اريد ان ارج

بنفسي في هذه القضية .

فقال شتاين ، باهتمام :

— اعتذر اذا كنا نتعبك ، يا لاري ، ولكننا . .

وقاطعه القسيس :

— انك لا تتعيني . ولكني اعتقد انك تريدني ان اكون شاهدا ، ولا اريد انا ان اكون شاهدا . ان سني اكبر من ان تتيح لي الظهور في قاعات المحاكم ، كما لا اريد ان ياتي رجال الشرطة لآخذ افادتي . فقال شتاين بادب :

— انا آسف ، يا لاري . ولكنك مخطيء . لن اسالك ان تكون شاهدا اريد ان تؤيدني . ان صديقك يعيرك اذانا صاغية . وقال القسيس :

— انا لا افهم ..

وقال شتاين بجذ :

— دعني اوضح . اعتقد ان المستر سورم هنا يعلم بان اوستن ن هو الرجل الذي نبحت عنه . واعتقد بان الشكوك قد ساورته بهذا الشأن منذ ايام . واعتقد بانه يشعر بانه مدين بالاخلاص لصديقه فراح يخلق الاعذار لتبرير القتل . اريدك ان تخبره : لا اعذار في جريمة قتل .. فقال القسيس بملل :

— انا لا افهم . تقول ان الشرطة واثقة من ان اوستن هو القاتل . ففي هذه الحالة انه من شأنهم ان يبحثوا عن الادلة او يستخلصوا اعترافا منه . وحتى اذا كان اوستن قد اعترف بصراحة لجيرارد ، لا اجد فائدة من ذلك في المحكمة . ستكون شهادة غير مدعومة . واذا استطاع جيرارد مساعدتك ، واراد ذلك ، فخير على خير . ولكن لا تطلب مني التدخل . فقال سورم :

— اسمع ، دكتور شتاين ، دعني اشرح ما احس به . اذا كان اوستن مذنباً ، فلا اريد ان اهيء السبيل لادانته ، واذا كان بريئاً فلا اريد مساعدته في الهروب . لا اجد مبرراً لزجي انا في المسألة كلها . وقال شتاين ، وهو يشير باصبعه الى سورم :

— انت لا تريد ان تزج بنفسك في المسألة ! ولنفرض ان خلي سبيل ن غدا — فماذا تعتقد انه سيحدث ؟ انه سيعود الى القتل . وقال سورم :

— ولكنك تفترض انه القاتل .

— انك لتعلم بانه القاتل .

— طيب . لنفرض جدلا انه القاتل . فلم يعود الى القتل ثانية ؟ اذ سيكون اول من يشتبه به في اية جريمة جنسية تقترب في لندن خلال

السنوات العشر القادمة . سيشعر بأنه تحت المراقبة الدائمة . فهل تعتقد بأنه سيعود الى القتل تحت هذه الظروف ؟ .
وابتسم شتاين ابتسامة خفيفة ، ومال الى الوراء . لقد ابتدا يحس بان الحديث اخذ يسير نحو هدف معلوم .
— حسنا . انك على حق . ستراقبه الشرطة ليلا ونهارا ، بحثا عن الادلة . وربما سيفادر التطر . وحيثما يذهب ، ستعلم الشرطة كل شيء عنه . انه في الواقع رجل لا يستقر في مكان واحد قط . وعاجلا او اجلا سيقترف جريمة قتل ، ذلك امر محتوم — توتر عصبي ، خوف ، شعور بالاضطهاد . فاذا ما اقترف جريمة قتل اخرى، انك انت المسؤول . فكر في الامر مليا . انه صديقك . ولكنه قاتل ايضا ، ولو ادانته المحكمة ، فلربما اعتبرته مجنونا وارسلته الى مستشفى المجانين الجرمين . اما اذا اخلت سبيله ، فسيواجه عدوين امامه — الاول رغبته الشديدة في القتل والثاني شعوره بأنه تحت المراقبة الدائمة . افليس الافضل له ان يكون في مستشفى المجاذيب ؟

كان شتاين يتكلم بطريقة مقنعة . وكان سورم يدرك بان شتاين كان يستخدم كل ما في وسعه من قوة الشخصية للتأثير عليه . فاختد يحس بالندم للدخول في النقاش . كان من العسير عليه الا يقتنع . فاشاح بوجهه ، عالما ان التردد كان واضحا في محياه . فhez كفيه وقال كمن يشك :
— لست أدري .

وابتسم شتاين فجأة :

— الا تدعني اريك شيئا ؟

فرمقه سورم بنظرة .

— ماذا ؟

— لن يطول بنا الامر .

ونظر سورم الى القسيس . كانت عيناه مغمضتين ، وكان يلوح

نائما . كان وجهه الابيض قد انسحب عن الموقف . وقال سورم :

— طيب . اين هو ؟

فنهض شتاين .

— انتظر هنا لحظة ، رجاء . لدي مخابرة تلفونية اولا . ثم يمكننا

ان نذهب معا .

وخرج من الغرفة . وظل سورم يحرق في الباب ، لعل شتاين كان

يقف خارجا يسترق السمع . وبعد هنيهة ، اتجه نحو الباب وفتحه بهدوء .

لم ير احدا في الرواق .
وعندما التفت وراءه الفى القسيس ينظر اليه . فابتسم ابتسامة
نم عن الضيق وقال :

- انا لا اثق به تماما ايها الاب .
- انه رجل مستقيم .
- صحيح ؟ ماذا ، تعتقد ، يريد ان يريني ؟
- ربما البثة . لست ادري .
- لا ؟

ونار في معدته واطرافه شعور غريب . وجلس على الكرسي الذي
اخلاه شتاين . وقال :

- يؤسفني ان ادفعك الى هذا الموقف ، ايها الاب .
- المشكلة مشكلتك يا جيرارد .
- ولكن - اترى ما احس به ؟ لا يمكنني ان اخون اوستن مهما فعل ،
- حتى اذا كان ما قاله شتاين صحيحا - من ان الافضل لاوستن ان يدخل
- برودمور - مستشفى المجاذيب ..
- تشعر بانك مدين اليه بالاخلاص ؟

- كلا . ليس هذا ، ايها الاب . تحدثت اليه هذا الصباح . انه ليس
معتوها . انه لا يختلف عني - له مشاكل تحتاج الى كل جهده ليتغلب
عليها . انه رجل حر ، ايها الاب . اني لم افقه قط معنى الحرية الا خلال
هذا الاسبوع المنصرم . اتلاحظ ايها الاب ، اني على يقين من شيء واحد،
وهو ان اوستن فعل ما فعل لحاجته الى الحرية . لقد اخبرني هذا الصباح
بانه يعتقد بانه يسوق حياته بطريقة لا شعورية نحو حالة من التنازم .
اسمعت ما قاله شتاين ؟ لقد ورث السادية عن ابيه ولا يعلم الا الله ماذا
ورث بالاضافة لذلك . لقد عاش حياة جعلت منه انسانا مضطرب الاعصاب
انه يحس كانه في سجن وبان لديه الشجاعة الكافية ليفعل شيئا مهما
كان يائسا لتحطيم جدرانها . اعلم بان القتل خطأ - ولكن قضي الامر الان .
لقد اصبحت جرائمه حدثا ماضيا . فلو افلت هذه المرة فسيكون ادراكه
للحرية ادراكا اشمل . الا ترى ؟ انه يخوض حربا ضد نفسه وحربا اخرى
ضد المجتمع . فلم علي ان اتخذ جانب المجتمع ؟ لقد اشفقت على المجتمع
اكثر مما ينبغي .

فقال القسيس :

- لعلك مصيب في قولك ، يا جيرارد . ولكن لا تحاول اكثر مما

ينبغي ان تجد في اوستن صنوا لك .
— هذا بالضبط ما اعنيه ، ايها الاب . ان في امكاني ان اجد فيه
صنوا لي . سيكون القضاة الذين سيحكمون بادانته قد اساؤوا الفهم .
عليهم ان يدينوه ، لان المجتمع يجب ان يسير بطريقة من الطرق . ولكني
لا استطيع ان اتعاون معهم . ان شتايين هذا انسان له قابلية على الاقتناع،
وطريقة جذلة تبدو سليمة . ولكن بيلاطيوس كان كذلك ايضا . انه ينتمي
الى هذا العالم . وهو لا يفهم ..

فقال القسيس بصوت خافت :

— كن على حذر ، يا جيرارد .

— لماذا ، ايها الاب .

— انك تظن بان اوستن مجبول من الطينة التي جبل منها القديسون
والشهداء هذا الهوس المقدس . قد تكون مخطئا . قد يتضح انه مجرد ..
وانفتح الباب ودخل شتايين الغرفة وقال :

— آسف . كان علي ان اطرق الباب . هل قاطعتكما ؟

فقال القسيس :

— كلا . تفضل يا فرانز .

وقال شتايين :

— اذا كان المستر سورم على استعداد ، فلن نقلق راحتك بعد .

فنهض سورم :

— انا حاضر .

وقال شتايين :

— ربما اراك فيما بعد ، يا لاري . حاول ان تأخذ قسطا من النوم .

— اشكرك يا فرانز . ويا جيرارد ... ان اردت العودة ، ساكون

مسرورا برؤيتك .

— شكرا ايها الاب .

— وداعا يا لاري . ربما اعود .

* * *

وفي السيارة ، ظل شتايين ينظر خلال النافذة دون ان يتكلم . وسال
شتايين اخيرا :

— ماذا يجعلك على يقين من ان اوستن هو الرجل الذي تبحث عنه ؟

فالتفت شتايين اليه مبتسما :

— التقرير .

- تعني تقرير الطبيب النفساني ؟

- نعم .

- ماذا قال التقرير ؟

- اشياء كثيرة . هذه احداها : عندما كان اوستن في الثالثة عشرة من العمر طرد من المدرسة لانه كان رئيس غصابة في حادثة تهديد واقلاق احد الصبية مما ادى الى وفاته . لم يكن هو المسؤول المباشر - اذ ان الصبي مات بمرض ذات السحايا الدماغية - ولكن اوستن كان مذنباً مع هذا . وبعد ذلك مباشرة ، طراً على اوستن تحول ديني ، فتوصل الى ذويه ان يرسلوه الى دير كطالب مستجد . فرفض والداه ذلك ، ولكنهما عينا له احد القساوسة ليرشده .

وكان شتاين متكثراً الى الخلف ، وهو يرمق سورم بنظرة من تحت حاجبيه الكثيرين . وكانت عتمة السيارة من الداخل قد ابرزت وجهه كأنه كان منحوتا من الصخر . وقال سورم بتردد :

- لست افهم تماماً .

- كلا ؟ لعلك ستفهم هذه الحادثة اذن . بعد مقتل شاب يدعى غرانز كان يتعاطى الامور الجنسية في هامبورغ في احد المنازل دخل اوستن ديسرا في مقاطعة الازراس ، حيث مكث حوالي ثلاثة شهور . وفي نهاية تلك الفترة ، اشتعلت النيران في احدى كومات القش المجاورة ، وكان اوستن من بين الذين هرعوا لاصحابها . وترك الدير في اليوم التالي وعاد الى انكلترا .

- لا ... لا افهم ما علاقة كومة القش بذلك .

- كلا ؟ كان بيتر كورتن مصاباً بجنون الحريق . كان مولعاً باشعال النار في الاشياء - وبالاخص في كومات القش . ان مشهد النار يعمل على اثارة مشاعر الساديين في اكثر الاحيان .

- تريد ان تثبت لي ... بان اوستن به نوع من انفصام الشخصية يتنقل بين القتل والدين ؟

- اظن هذا ممكناً .

- وماذا قال التقرير بالاضافة لذلك ؟

- لا شيء مما يثير اهتمامك .

- هراء عن عقدة التعلق بالام ؟

- اجل عقدة التعلق بالام .

وتوقفت سيارة التاكسي عند انوار المرور خارج مركز شرطة الدغيت ايسست ستيشن . وقال سورم :

— هل نحن في طريقنا الى مركز الشرطة ؟

— كلا ، الى مستشفى لندن .

— لماذا ؟

فقال شتاين :

— اريدك ان ترى المرأة التي قتلت في الليلة الماضية .

— لماذا ؟

— كي تفهم خطورة الشيء الذي تغض الطرف عنه .

وفتح سورم فاه ليتكلم ، ولكنه ما لبث ان غير رايه . وعندما مسرت السيارة امام اكشاك السوق في طرف شارع فالانس ، لمح سورم غلاسب يقتني شيئاً ويضعه في كيس من الورق . والتفت وظل يحديق من خلال زجاج النافذة الخلفية الازرق ، ولكن سيارة اخرى اعترضت نظره . وحسب انه رأى فتاة صغيرة تقف الى جواره . وبعد قليل توقفت السيارة خارج محطة قطار نفق وايتشابل . فترجل شتاين وتقد السائق . ووقف سورم على الرصيف ومد عنقه ليحظى بلمحة اخرى من غلاسب . وقال شتاين :

— هل نذهب ؟

فقال سورم معتبراً :

— ظننت اني لمحت احد الاصدقاء . . .

وعبرا الطريق برفقة حشد من المارة . واحس سورم بالبرد يجتاح صدره وينفذ الى معدته . ولما رأى الثقة التي يظهرها شتاين في مشيته ، هيا نفسه لصدمة عنيفة تخلق هدوءه . وتصور في مخيلته وجها منتفخا وشفتين مسودتين ولغامة تشد على الرقبة . كانت هذه صورة فوتوغرافية رآها في كتاب نن عن الطب العدلي . واحس ، وهو يسير الى جنب شتاين في ساحة المستشفى ، بشيء من الاشمئزاز كان من العسير عليه ان يغممه . وكان قلبه يخفق بطريقة كريهة ، فيجعل الاشمئزاز يسري من حنجرتيه وشحمته اذنيه .

وكان يقف عند اسفل السلم المصبوب من الاسمنت فرد من رجال الشرطة في ملابسه الرسمية ، وابتسم لشتاين وحياء . وقد لاحت تحيته في غير محلها ، كعبارة الجلال عندما يقول : « ارجو ان يكون كل شيء قد انتهى بصورة مرضية ، يا سيدي ؟ » وتقدمه شتاين خلال الباب الاخضر وظل ممسكاً به حتى دخل سورم . واستقبلته رائحة الايودوفورم المألوفة واشاعت الراحة في نفسه . وسمع سورم صوت شتاين يقول :

— لماذا جلبوها الى هنا ؟

— يريد الطبيب ان يقوم بفحص دقيق . مخزن الجثث التابع للشرطة
بمسيد جدا .

كانت الغرفة خالية ، وكانت الميولات البيضاء تتدلى من مسامير
في الجدران . وكانت هنالك دكتان من الحجر ، كلتاها مغطاة بقماش ابيض
يبرز انحناءات اجساد بشرية . ولم يضيع شتاين وقته في الاهتمام بجسو
الغرفة المسرحي ، فازاح الغطاء عن اقرب الدكتين وقال :
— اريد منك ان تنظر الى هذه .

واقترب سورم لينظر . وتلاشت صعقة الرعب على الفور ، الصعقة
التي اورثه اياها منظر الشعر المتجمدة عليه كتل الدماء . لم يكن مخلوقا
ادميا ذلك الشيء الملقى على الدكة . انه لم يشعر سوى بشيء من الاشمزاز
الذي قرص معدته للرائحة التي كانت تذكره بدكان الجزار . واحس بالحاجة
لل كلام ، فقال :

— هذا ما يشير اليه الاطباء « بالرفات » .
ولم يكن ثمة شبه بين الجثة وبين انسانية حية . كانت لا تمت الى
الحياة بصلة ، كانها تمثال لم يتم ملقى في ستوديو النحات ، او وجه مومياء
في احد التوابيت الحجرية القابعة في المتحف البريطاني . لقد اتلفت الجروح
اي اثر للتعبير . كان في امكان سورم ان يضع جدولا موضوعيا دقيقا
بتفاصيل الجثة كالجدول الذي يضعه الطبيب الذي يفحص الجثة بعد
الموت ، ولكنه كان من المحال عليه ان يقفز بخياله فيتصور انسانا يفعل كل
هذا بكيان حي . كان الموت قد تغفل في الجثة الى حد بعيد ، حتى لم يعد
يتصور انها كانت حية يوما ما . وبعد ان تفرس في الجثة مدة نصف دقيقة
كان معناها قد تلاشى تماما . وراح بدلا من ذلك يحرق في الغطاء البلاستيكي
الذي يفصل الرفات عن الغطاء الابيض فيحميه من لطخات الدم .
وقال شتاين :

— كيف تشعر ؟
— لست افهم . كيف المفروض في ان اشعر ؟
فقال شتاين بهدوء :
— في هذه الساعة من يوم امس كان من المحتمل ان تلتقي بهذه الفتاة
في الشارع .

ونظر سورم الى الجسد المتفسخ وقال :
— اعلم انك على حق . ولكنني لا استطيع تصديق ذلك .
ورفع نظره ، فالتفت عيناه بنظرات شتاين ، فالفاهما تنم عن الخيبة . وقال :

— اعلم ماذا تريد ان تقول . هنالك فرق شاسع بين اقرار الجريمة من الناحية النظرية وبين فعل القتل الحقيقي . اعلم هذا ، ولكن ما الفرق ؟
كان على وشك ان يقول : « ما الفرق بين ان اقر جرائم اوستن او لا اقرها ؟ » ولكنه توقف . وبدلاً من ذلك ، اشار الى الدكة الاخرى وقال :
— وماذا هناك ؟

فقال شتاين باقتضاب :
— امرأة .

— هل يمكنني رؤيتها ؟
ودون ان ينتظر سورم الموافقة ، رفع الغطاء الذي كان يغطي الجزء العلوي من جسدها . كان يرتاب في ان هناك مخبر شرطة يدون حديثهما . وصعقه مشهد الوجه المحروق . وسال :
— ماذا حدث له ... لها ؟

لقد اصلحت خطاه رؤية الشديين . كانا كما لو نحتا من العاج .
وقال شتاين :

— ماتت حرقا . قذف عليها زوجها مصباحا نغطيا .
— لماذا ؟

فهز شتاين كتفيه :

— لست اعلم لماذا نشأ بينهما عراك . ربما كان ثملاً .
— من هي ؟

— لست ادري . لقد سمعت فقط ما حكوه عنها عندما جيء بها صباح اليوم . امرأة متزوجة ولها ثلاثة اطفال .
— كم تبلغ من العمر ؟

— في اواسط العقد الثالث . اسمح لي لحظة ، سأعود .

وسره ان يبقى لوحده . لم يورثه منظر الجثة اي شعور بالاشمزاز او الفزع ، وانما اورثه ادراكا لانسانيتها . وازاح الغطاء عن الجثة باكملها ومضى يتأمل فيها . كان جسد امرأة شابة ، يصرخ الشباب منه . كانت البقع غير المتفحمة تماماً لم تزل حية . وكانت هناك نتف من الملابس ما زالت عالقة بساقيها وذراعيها . وجذبه اليها شعور بالشفقة والقربى . كان من الممكن ان تكون جيرترود كوينسي او كارولين . لقد كان هذا الجسد موضع غول وتدليل ، ولقد حمل هذا الجسد يوماً اطفالاً . واحس بميل عنيف الى النفوذ الى اسرارها . لماذا ماتت ؟ ومن كانت ؟ كان موتها عبثاً . كيف تنتهي خمسة وعشرون عاماً تقضيها كإنسانة الى دكة الجثث ، وينحول

نديها وبطنها الناعمة الى نموذج من الفحم للاصل الحي ؟ كان لبطنها وفخذيها شكل جميل . حتى انه لو كان رآها حية وهي نائمة لاحس بالشهوة تتحرك فيه . ولكن انعدام الشهوة الان يقف رمزا لسخافة موتها .
وعاد شتاين الى العرفة . ووقف الى جوار سورم ثم اعاد الفطاء فوق الجثة . وقال سورم :

— انك لرومانتيكي .

واصلح وضع الفطاء فوق الدكة الاخرى . وتبعه سورم الى الباب . وقبل ان يهم بفتحه ، قال شتاين :

— فكر في الامر . ايها اهم ، الاخلاص ، ام ... ذلك ؟

فقال سورم ووجهه متجههم :

— اتفق معك . ولكن ... ليس هنالك ما يمكنني فعله .

كانت عينا شتاين المتصلبتان كقطعتي جليد تحاولان ان تنفذا داخل مينييه فتستخلصان منهما اعترافا . وقال :

— ان اردت ، يمكن ان تفعل الكثير .

فhez سورم كتفيه وقال :

— ان اردت .

وقال شتاين ببرود :

— ماذا تعني ؟

فقال سورم :

— هل تجيبني عن سؤال واحد ، ايها الطبيب ؟

— نعم ؟

— هل كنت تؤيد هتلر ايام الحرب ؟

كان السؤال مفاجئا لشتاين ، فراغت عيناه قليلا ثم عادتا الى وضعهما وقال :

— نعم . كبقية السبعين مليونا الاخرين من الالمان .

فقال سورم :

— ولكنك كنت 'عضوا في الحزب . وكنت طبيبا ايضا . ولا شك انك

كنت على علم بما كان يحدث في امكنة مثل اوشفيتس وبيلسن .

وحل الفيظ محل الدهشة ، ولكنه كظمه حالا وقال بجفاء :

بـ لا افهم ماذا تحاول ان تبين .

— اصحيح انك لا تفهم ايها الطبيب ؟

— هل تعني اني اذا كنت غضضت النظر عن جرائم هتلر ، يجب ان

اغض النظر الان عن جرائم اوستن ؟

— كلا . ولكني لا افهم لم تنظر اليهما على انهما امران مختلفان الى هذا الحد .

فقال شتاين بشيء من الغظاظلة :

— ليس صحيحا اني غضضت النظر عن جرائم بيلسن واوشفيتس . كنا نسمع الاشاعات عنها — كما سمع عنها كثير من الالمان . ولكننا كنا نفضل الا نصدقها . على كل حال ، لم يكن في وسعنا أن نفعل شيئا . وبالرغم من ذلك ، فان جرائم هتلر وجرائم اوستن مختلفة فعلا . كان هتلر سياسيا يبحث عن مثل . وربما كان هو على خطأ ، ولكنه لم يكن ساديا . كانت المانيا النازية تقتل القتل الجنسيين كما تفعل اكلترا .

— ولكن لماذا تريد ان تقبض على مجرم وايتشابل ؟

— لاني اشعر بالمسؤولية تجاه المجتمع . تذكر هذا : حتى ان هتلر نفسه كان يعتقد بانه كان يخدم البشرية بالقضاء على اليهود . بينما يقترف مجرم وايتشابل جرائم القتل ارضاء لشهوته اللاتية . انه يعلم بانه لا يخدم غير نفسه .

فقال سورم بلطف :

— ولكن الضرر الذي يولده اقل كثيرا من الضرر الذي سببه هتلر .

— هذا خارج عن الموضوع .

وقال سورم :

— اذن . دعني اوضح نقطتي . اخبرني الاب كارترز بانك انضمت الى صفوف النازية في عام ١٩٣٩ . لا بد وانك كنت على علم بالوسائل التي كان هتلر يستخدمها — كل اوروبا عرفتها . ولكنك لم تشعر بانه من واجبك القبض على هتلر ، او حتى ان تتخلي عن الحزب . ومع ذلك ، تقول لي بانه اذا كان اوستن هو القاتل فعلي ان اساعد في ادائه ، كمسألة مبدأ . وكل ما اريد معرفته هو كيف يمكن لمبادئك ان تتجاهل هتلر وتدين اوستن . ان كنت اسرفت في القول ، فارجو المعذرة . ولكني يا للاسف لا استطيع متابعة منطقك .

فقال شتاين بامتعاض :

— ان قولك هذا سخف وليس صحيحا اني غضضت النظر عن معسكرات الاعتقال . وحتى لو اني فعلت ذلك ، فليس هذا سببا لفض النظر عن القتل الجنسي .

فقال سورم :

— ربما لاني لا اغض النظر . ربما اني اشعر كما كنت انت تشعر تجاه وسائل هتلر — اي اني لا اريد ان افعل شيئا وحسب .

فلوى شتاين وجهه وهز كتفيه ، وقال :
- فى هذه الحالة ، آمل ان تكون على استعداد لمواجهة نتائج اتهامك
بالاشتراك فى الجريمة .

وخرج قبل ان يجيب سورم . وتبعه سورم هابطا السلم بعد ان اغلق
الباب خلفه . ولم يأسف لاغظة شتاين . فقد وفر عليه ذلك المزيد من النقاش .
وفى منتصف الطريق عبر الساحة توقف سورم وتظاهر بالبحث عن
شيء فى جيوبه . وتوقف شتاين عند بوابة المستشفى والتفت الى الخلف ،
فلما وجد سورم على بعد عشر خطوات ورائه ، هز كتفيه ومضى فى سبيله .
ولما غاب شتاين عن النظر اخذ سورم يسير ببطء . وفى شارع وايتشابل ، اخذ
يتطلع فى الجمهور والى الرجل الالماني امام شباك احد الحوانيت ينتظر .
ولما تحولت أنوار المرور الى اللون الاحمر عبر الشارع مسرعا مع حشد من
المارة ثم اتخذ الاتجاه المعاكس لشتاين ، ثم راح يمشي على عجل . وفى منعطف
شارع برادي التفت سورم الى الوراء فلم ير شتاين ولكنه لمح بعد قليل
يلوح الى سيارة تاكسي . وظل سورم واقفا يرقبه من عطفة الشارع ، حتى
اتجهت السيارة بشتاين نحو مركز المدينة . ثم سار فى شارع برادي ودلف
الى شارع داروارد .

وقرع جرس الباب عدة مرات ثم خشي ان يكون الجرس معطلا ، فقرع
الباب بمفاصل اصابعه . وبعد انتظار قليل حاول ان يدفع الباب ، فانطلق
مفتوحا والى نفسه وجها لوجه امام صاحبة بيت فلاسب . وقالت :
- اه . اهلا انت . انه لم يعد يسكن فى هذا البيت .

فقال سورم :

- ليس هنا .

ثم تذكر انها صماء ، فمال الى الامام وسأل :

- ايسن هو الان ؟

- لا حاجة للصياح . لقد ترك ، لا اعلم ايسن .

- هل ترك عنوانه ؟

- كلا . قال انه سيبعثه .

- وصوره ؟

- ما زالت هناك ؟ فوق . قال بانه سيأتي لاخلدها . اعتقد بانه لا

يريد ان تعرف الشرطة محله .

ثم ادارت ظهرها اليه واغلقت الباب .

ومرت به لحظة ، اجتاحه فيها غضب عنيف لفظاظتها ، ولكنه سيطر

على رغبته في ان يرفس الباب . وبقي في مكانه ، حتى هدأت نفسه ثم رجع بخطواته الى الخلف ووقع نظره الى شباك غرفة غلاسب ، وهو يرتاب في ان يكون غلاسب هو الذي امر صاحبة البيت بان تردده على اعقابيه ولعله يطل الان ببصره ليرى هل قفل سورم عائدا ولكنه لم يجد احدا ، فاستدار ومضى سائرا نحو اللغيت . ولم يتعمد بضع خطوات حتى سمع احدا خلفه يقول :

— رجاء ...

والقى نفسه ينظر في وجه فتاة في حوالي الثانية عشرة من العمر . كانت ملفعة بمعطف بني ، وقد احاطت ياقته بذقنها . وقالت :

— هل كنت تبحث عن اوليفر غلاسب ؟

— نعم . اتعلمين اين هو ؟

فهزت راسها .

— كلا . اردت ان اراه . هل تعتقد بانه قد غادر فعلا ؟

فسألها بفضول :

— هل انت كريستين ؟

فهزت راسها ، واحمر وجهها . ونظر اليها باهتمام متزايد . كان شعرها قصيرا يلوح كشعر صبي ، ولكن وجهها كان رقيقا جذابا ولا ريب . كان متوردا ، كأنها اقبلت راكضة ، وقد زاد هذا التوردد من جاذبيتها . وكانت عيناها واسعتين بنيتين في وجهها البيضوي . وقال سورم :

— رايته منذ ساعة في ذلك المعطف ، فمعناه انه لم يذهب بعيدا .

— ولكن صاحبة البيت تقول انه غادر .

— يبدو الامر محتملا .

— اين ذهب ، حسب ما تظن ؟

— هذا ما لا يمكنني التكهن به .

ولاح الاضطراب في عينيها .

— ما سبب مفادرتي ، حسب ظنك ؟

وشعر سورم فجأة بالندم لاجوبته المختصرة .

كان واضحا انها ارتابت في انه يمقتها . وقال :

— اوليفر انسان غريب الاطوار . اعتقد انه كان شديد الغضب والتأثر .

رايته في الصباح ، كان زدي الهيئة .

واخفضت عينيها .

— بسببي ؟

— اعتقد ذلك .

ولاحظ رغبته في اكتشاف مدى معرفته . كان وجهها واضح المعالم الى حد محرج ، يعكس انفعالاتها بوضوح تام . وادرك فجأة سبب غضب اوستن عندما تخيل انها قادرة على خداعه . وقالت :
- هل حدثك عني ؟

- نعم .

ومن الخجل حولت ثقل جسمها من قدم الى اخرى . ولاح لسورم انها كانت مرتدية جوربا قصيرا . ولح ستائر نافذة فوق رأسها تتحرك : كانت صاحبة البيت الذي كان غلاسب يسكن فيه تطل من النافذة . فقال سورم :

- من اي اتجاه ذاهبة انت ؟

فقالت بلهجة بائسة :

- لا يهم اي اتجاه .

- تعالي نتمش معا .

وانتظمت الى جواره ، وسارا معا نحو المسرح المهدم في الطرف الاخر من الشارع . ولم يتبادلا الكلام طول شارع داروارد . وسالت اخيرا :
- اتظنه سيعود ؟

- لست ادري . امل ان يعود . ولكن ربما بعد وقت طويل .

وتوقفا عند منعطف شارع فالانس . وطاف في عينيها شيء من السخط الخائب وهي تنظر اليه . وقالت :

- ولكنه لا يمكنه ان يرحل على هذه الشاكلة . الا يودعني قبل ان يذهب ؟ فقال سورم باحراج :

- اعتقد انه سيعود .

- ربما ... ربما يظن انه لا يستطيع ان يراني .

وحاول سورم ان يغلي الامل الذي بزغ في وجهها .

- اعتقد بان هذا هو السبب ، وخاصة وان والدك يعلمان ...

- ولكن كل شيء على ما يرام الان ! فتحت امي الموضوع مع ابي وحملته على الموافقة على مجيء غلاسب لزيارتنا . قالت انها ستترك البيت ان لم يتوقف عن تعذيبنا جميعا ...

وتورد وجهها ثانية ، ولكن من فرط الانفعال هذه المرة . ولاحظ انها كانت تتكلم باهتمام ولباقة ، غير ان غضبها ابرز لهجتها اللندنية . وقال مهدئا ايها :

- ربما سيكتب اليك .

- اتظنه سيفعل ؟ ان رايته ، دعه يكتب لي . لا اريده ان يذهب . انه
 سخف . لقد انتهى كل شيء . اخبره بان كل شيء عاد الى مجراه . هل افعلت ؟
 - اذا رايته فساخبره . ولكنه قد لا يتصل بي ايضا .
 فقالت وقد استشاطت غيظا :
 - ما اسخف الامر ! لم يريد ان يهرب على هذه الصورة ؟
 وهز كتفيه وحاول ان يتغوه بجواب ما ، ولكنها قاطعته بقولها :
 - هل يحاول ان يهرب منك ايضا ؟
 فابتسم لامعانها في التساؤل :
 - اعتقد انه يحاول ان يهرب من كل الناس في الوقت الحاضر . انه
 في احدي حالاته النفسية .
 - هل تدوم طويلا هذه الحالات ؟
 ولم يشعر بالميل للاعتراف بانه لم يختبر هذه الحالات قبلا . فقال :
 - اوه ، ليس طويلا جدا . فهو لاشك سيتصل باحد اصدقائه ان عاجلا
 او اجيلا .
 - ولكنه لن يتصل بي . واذا لم يكن يريد ان يراني فلا فائدة من ..
 - ولكني سادعه يتصل بك .
 فحدقت في وجهه وقد غمرها الامل وقالت :
 - كيف ؟
 - ساطلب منه ان يراك .
 - ولكنه ربما لا يريد ذلك .
 - طيب . سارسل اليك عنوانه ، ويمكنك ان تكتبي اليه انت .
 - صحيح ؟ هل تفعل ذلك ؟ انا واثقة من انه سيعمل من تصرفه اذا
 تحدثت اليه .
 - ما هو عنوانك ؟
 واخرج دفتر الملاحظات ، وكتب ما املته عليه . وسالت :
 - اعتقد بانك ستراه في وقت قريب ؟
 - لا ادري . اخشى ان يطول انتظارك .
 - اوه ، يا الهي . او لو امرف سبب هربه .
 وقسال :
 - اعتقد بان احساسه قد جرح .
 وحلجته بنظرة مرتابة برهة وجيزة ثم قالت :
 - حول تومي ... ابن عمي ؟

فأوما برأسه . وقالت :
 - توقعت انهم سيخبرونه بذلك . ولكن قل له ان الخطأ لم يكن خطئي .
 ارجوك ان تخبره بذلك . اجعله يفهم : ها ؟
 - سأحاول .
 - اوه ، ارجوك ... لقد كنت عازمة على ان اخبره بذلك .
 وقال على عجل :
 - لم يكن هذا وحده . اعتقد ان المشاكل التي تسببت مع ابيك والشرطة
 قد ازعجته ...
 كانت تضرب بطرف حداثها على بلاط الرصيف ومن ثم تقوس ساقها
 قبل ان تنتقل الى القدم الاخرى . وقال :
 - علي ان اذهب الان ...
 فقالت بلهجة حزينة :
 - اعتقد بأنني ربما لن اراه ثانية .
 وومض في اعماقه شعور يشبه الغيرة ، فشد حزام معطفه بقوة ليخفق
 هذا الشعور . وقال :
 - كلا ، بل سترينه ثانية .
 - ربما ليس لفترة طويلة .
 - وهل يعني ذلك بالنسبة لك شيئا ؟
 فهزت رأسها بهيئة جادة وقالت :
 - بالطبع . كنت أحب الحديث معه . كان واسع المعرفة ... وكان
 ظريفا . وأحب ان ازوره .
 ورفعت نظرها اليه وازافت بصراحة مفاجئة :
 - انا لا اميل الى اخوتي واخواتي .
 ودفع يديه في اعماق جيبي معطفه ، وهو يتسهم لها وقال :
 - لحسن حظك لم تتطور الامور الى اسوأ .
 - اعلم . ولكن القضية كانت تستحق كل المتاعب . لا يهمني ان اتورط
 في متاعب ، ولكنني امقت الضجر .
 وقال :
 - اذا بلغ بك الضجر مبلغا شديدا تعالي لزيارتي .
 واحس على الفور بالندم لهذا الدافع الذي حدا به الى التفتوة بهذه
 الكلمات ، لقد اخجله ان يقول ذلك لفتاة تعني شيئا كبيرا بالنسبة لفلاسب .
 كان احساسا بالخيانة لفلاسب . وسألته الفتاة :

- هل انت رسام ؟
- كلا .
- ما انت ، اذن ؟
- كاتب .
- هل تقطن قريبا من هنا ؟
- كلا مع الاسف . اظن في كامدن تاون .
- هل هي بعيدة جدا .
- ليست بعيدة جدا .
- زارك اوليفر يوما لتناول العشاء ، اليس كذلك ؟
- اجل .
- قالت بتردد :
- اود ان آتي . ولكني لا اريد ان يعلم والدي بذلك .
- فقال مبتسما :
- آمل الا تكوني معتادة على قبول دعوات الغرباء ؟
- اوه ، كلا . ولكنك لست غريبا .
- اشكرك . ولكنك لا تعرفين حتى اسمي .
- ما اسمك ؟
- جيرارد .
- نعم . اعرف عنك شيئا . اخبرني اوليفر عنك .
- وكتب عنوانه ورقمه التلفوني على ورقة من دفتر الملاحظات ثم اقتلمها .
- انظري . خذي هذه الورقة . ان رغبت في المجيء فيمكنك ان تتصلي بي تلفونيا . هل تعرفين كيفية استعمال جهاز التلفون ؟
- فقالت بمسحة من السخرية :
- بالطبع .
- وطوت الورقة بعناية ودستها داخل معطفها . وقال :
- علي ان اذهب الان . وداعا يا كريستين .
- هل يمكنني المجيء يوم السبت ؟
- طيب ... ان اردت . ربما من الافضل ان نلتقي في محل ما . هلا
- خابرت اولا ؟
- حسنا .
- هل لديك المال اللازم للنداء ؟
- وهزت راسها بعنف . وقال :

– لا تفتمي كثيرا بشأن اوليفر .

– كلا .

– وداعا يا كريستين .

– وداعا .

ومشى نحو محطة نفق الدغيت : ما اغرب هذه الطفلة ، ماذا سافعل معها ؟ اعتقد بان الافضل ان اذهب بها الى جيرترود لتناول الشاي . ثم اجعل جيرترود توصلها بسيارتها . يا الهي ! اللعنة عليك يا اوليفر الاحمق!.. . وتذكر نسن برجة عنيفة . لقد كان قد نسي كل شيء عنه خلال الدقائق العشر الماضية . ومرت به لحظة وفي ذهنه صورتان : وجه هذه الطفلة ، ووجه المرأة القتيلة المندثرة المعالم في محل الجثث . وتحرك الاشمزاز في معدته كالابخرة الراكدة ، وتبع ذلك شعور كثيف بالاشفاق والحزن . ووعى على نفسه وهو يقول بصوت عال :

– مسكينة انت يا كريستين ...

الفصل العاشر

- كان يوشك ان يضع المفتاح في الباب ، عندما اخذ جرس التلفون يرن .
فانزوى خلف حافة الجدار كي لا يظهر ظله على الزجاج . وبعد قليل سمع
صوت كارلوتة تقول :
- هلو ... كلا . غير موجود . ذهبت قبل قليل لالتحق . ساخبره
بانك اتصلت . نعم ، سيتصل بك . وداعا .
واصدر التلفون قرقرة عندما اعادت السماعة الى مكانها . فادار مفتاحه
ودخل . كانت قد بدأت تكتب شيئا في دفتر الملاحظات .
- اوه ، يا مستر سورم . لقد فاتتك مخابرة تلفونية توا .
- فقال :
- اعلم . انا اردت ذلك .
- صحيح ؟ كان هو مستر نن . لم يترك لك خبرا .
- اذا اتصل اي شخص بي ، هلا قلت له بانني خارج البيت رجاء ؟
- لا تريد ان تتحدث مع احد .
- اجل .
- اتصلت سيدة قبل قليل . وقالت بانك ستعلم من هي .
- اوه ، شكرا
- ولا تريد ان تتحدث مع احد ؟
- ارجوك . اذا لم يكن لديك مانع .
- لا ابدا ولكن ماذا افعل اذا اقبل احدهم لزيارتك ؟
- ا ... اعتقد ، دعيه ياتي . ساقول بانني جئت توا . اني متعب واريد
ان انام الان .

فابتسمت بشيء من الحنان .
 - حسنا . سأخبرهم بانك لست في البيت .
 وذهبت نازلة السلم . اما هو فقد عثر على بعض النقود في جيبه وادار
 رقم المس كوينسي . فاجابت في الحال . لا بد انها كانت تقف بجوار التلفون .
 - جيرارد . اين كنت ؟
 - اوه ، في كل مكان . لقد عدت توا .
 - هل تأتي ؟
 - كلا ، يا عزيزتي . انا تعب قليلا واريد النوم .
 - يمكنك ان تنام هنا . هل آتي لاحضارك ؟
 - ليس هذا . لدي امور كثيرة اريد ان افكر فيها .
 - عمن اوستن ؟
 - نعم . ولكن لا تقولي شيئا في التلفون . اريد ان اخلو الى نفسي بضع
 ساعات لاتأمل في القضية كلها .
 - هل سيأتي اوستن ؟
 - كلا . لقد اتصل بي قبل قليل واخبرته الفتاة بانني غير موجود . لا
 اريد ان اراه الان .
 - لماذا ؟
 - سأشرح الامر فيما بعد . قد اتصل بك فيما بعد . اكاد اموت من
 التعب .
 - طيب . نوما هنيئا .
 - سأراك فيما بعد يا عزيزتي .
 لاحت غرفته غريبة عنه ، وكأنه غاب عنها زمنا طويلا . وملا ابريق
 الماء ووضعه على الموقد الغازي ، ثم اشعل المدفأة الغازية . وتناهى اليه من
 الغرفة العليا صوت اسطوانات موسيقية وضعها الرجل العجوز في الغرامافون .
 وقال لنفسه : يا الهي ، لقد بدأت حفلته في وقت مبكر . ونظر الى ساعته
 فتبين ان الوقت لم يكن مبكرا . كان قد تناول الطعام في مطعم صغير للعمال
 في شارع كينتشن تاون قبل مجيئه . لم يكن في الواقع تعباً . كان ذلك علدا
 تلزع به كي لا يقابل جيرترود .
 وازاح ما كان على الطاولة من الاكواب والاقداح القذرة وغطاها ببطانية
 جيش مطوية تناولها من السرير . فعل ذلك ليطمس ضجيج الالة الكتابة
 كي لا يؤثر على الغرفة التي تحت غرفته . وطفق يكتب على الالة فورا .
 وعندما شرع ماء الابريق بالغليان ، اخفض الغاز ومضى يكتب . واستعمل

ورقا من الحجم المتوسط يحمل في اعلاه الكلمة : « ملاحظات » . ولم تمض نصف الساعة حتى كان قد ملأى ثلاث صفحات .
وتوقف ليقرا ما كتبه . وكانت الانفعالات تسري في جسده كمفعول الخمر . وقبل ان يبلغ نهاية الصفحات الثلاث ، سمع طرقا على الباب .
فنهتف : تفضل .

ودخلت جيرترود كوينسي وقالت :

— اسفة . هل قاطعتك ؟

وقال مجاملا :

— كلا . ابدا . تفضلني بالجلوس . ما الذي حدا بك الى المجيء ؟

وجلست على الطرف الثاني من الطاولة . كانت مرتدية معطفا من الفرو ، فاتح اللون شاحبه ، كلون فراء الدب . وقد قلبت ياقته الكبيرة الى الاعلى وذكره منظرها بكارولين قليلا . وقالت :

— اردت ان اراك .

فسألها مبتسما :

— كنت ترتابين في وجود كارولين معي ؟

— كلا .

ودله الامتقاع الذي ظهر على وجهها بان حدسه لم يكن خاليا من الدقة

تماما . وقال :

— هل لك في قدح شاي ؟

— نعم ، رجاء .

واخفض النار الغازية . كانت الغرفة خائقة الحرارة . ونضت عنها معطفها والقت به على الفراش . كانت ترتدي تنورة صوفية زرقاء لم يرها قبلا ، ولاحت منسجمة وقوامها المشقوق . واحاطها بذراعيه وقبلها على جبينها ، قائلا :

— مميم . ما اللذ ؟

وتخلصت منه وامسكت بممصميه .

— ماذا ستفعله بشأن أوستن ؟

— لست أدري ، يا عزيزتي . كان هذا سبب رغبتني في بقائي وحيدا

هذا المساء .

— انسا اسفة ...

— سامود بعد لحظة .

وحمل ابريق الشاي والاكواب على صينية وصعد بها الى المطبخ ، وراح يغسلها في المفصلة . ولما عاد بعد دقائق قليلة الفاها تمسك بقطعة قماش وقد

اخذت بتنظيف المكتبة من الغبار .
- اليس هناك احد ينظف غرفتك ؟
- المفروض في تلك الفترة ان تقوم بذلك مرة واحدة في الاسبوع .
- تلك الفتاة التي ادخلتني اليك ؟ ليست نشيطة الحركة . هناك من
الشعر والزغب تحت السرير ما يكفي لتحشية فراش كامل .
وازاح الالة الكاتبة من الطاولة والقى بالبطانية على السرير . وقطبت
وجهها لرؤية حصير البلاستيك ملطخة ببقع الشاي والبيرة .
- هل لديك اسفنجة ؟
- اعتقد هناك واحدة في المطبخ . ولكن لا ضرورة لهذه المشقة الان .
- لا اريد ان يتسمر نظري في هذه اللطخات . هناك فوق ؟
وخرجت من الغرفة وصعدت السلم . وصب الماء الساخن على الشاي
ثم اطفأ الغاز . وعادت بعد هنيهة ويدها قطعة من القماش المبلل ومسحت
البقع من حصير البلاستيك . وتناهى اليهما خلال الباب المفتوح صوت
جرس التلفون .
- اتظن المخابرة لك ؟
- ربما . ولكني اخبرت الفتاة ان تدعي بانى خارج البيت .
- ولنفرض انه اوستن ؟
- لا اريد ان ارى اوستن . ليس الان .
- آه .
وعادت بقطعة القماش الى المطبخ . وصب سورم الشاي . ثم رجعت
واغلقت الباب باناة وجلست .
- لم لا تريد رؤيته ؟
- لان ... لدي امور كثيرة اريد ان افكر فيها .
فقالت بهدوء :
- انه الرجل الذي تبحث عنه الشرطة ، اليس كذلك ؟
والتقت نظراتهما . لم يكن به ميل الى الكذب .
- حتى لو كان هو ، فهو لم يزل طليقا .
- اعلم . هذا ما ذكره الراديو الليلة .
- ذكر ماذا ؟
- بان الشرطة قد استجوبت اثنين في سكوتلانديارد ثم اطلقت سراحهما .
- ممم . صحيح ؟ امر يثير الاهتمام .
- هل هو الرجل المطلوب .

وادرك فجأة سخافة ان يخفي الامر عنها . فhez رأسه بالايجاب .
واطلقت زفرة عميقة ، واشاحت بوجهها عنه . وراح يرقبها مليا . وسالته
اخيرا :

- الم تكن عازما على اخباري ؟
- لم اكن اريد اثارة قلقك .
- ماذا تعتزم ان تفعل الان ؟
- ليس هنالك ما يمكنني فعله .
- لم غيرت رأيك حول لقاءه الليلة ؟
- فhez رأسه وقال :
- اريد وقتا للتفكير .
- هل انك ... تتخلى عنه ؟
- فقال :

- اسمعي ، ايتها العزيزة . اريد ان تحاولي فهم ذلك . كنت اشك منذ
اكثر من اسبوع في ان يكون اوستن هومجرم وايتشابيل . ولم ادع هذا الشك
يقلقني . بل بالعكس وجدت لذة بذلك . اردت ان افهمه ، لا ان ادينه . على
كل حال ، فقد بدأت الان فقط ان افهمه . فان التقيت به الان ، يجب ان اجعله
يدرك بانني ادينه . وافضل الا افعل ذلك . افضل ان يظل يتصور بانني صديقه .
- هل كففت عن صداقته ؟

- ليس هذه هي المسألة . كنت اعتقد صباح اليوم بانني افهمه خيرا
من رجال الشرطة . والان علمت بانني كنت مخطئا .
- ولكن جبرارد ... انه لم يزل انسانا . انه بحاجة الى العون . انه
بحاجة الى الاصدقاء . واذا كان مدنبا ، فهو بحاجة الى الاصدقاء اكثر من
اي وقت مضى .
وقال :

- ذهبت في المساء لمشاهدة المراه التي قتلها . كانت في غرفة الجثث في
مستشفى لندن لقد ادركت امورا لم اكن ادركها قبلا .
- وما هي ؟

ومال الى الامام فوق المنضدة وهو يتكلم بروية تامة :
- اكتشفت شيئا لم اكن ادركه في اوستن . انه انسان مجنون .
وامتقع وجهها .
- انه ليس بمجنون . انا واثقة من انه ليس بمجنون ...
- انا لا اعني بانه فاقد العقل تماما ، كهذا الذي يسكن في الطابق

العلوي . ولكن في دماغه ركنا متعفنا كالتفاحة المتعفنة . اتعلمين لم يقترب جرائم القتل ؟ لانه يعلم بانه يعاني مرضا قاتلا . مثله مثل الرجل المصاب بالشلل الذي يحتاج الى المحفزات اكثر فاكثر كلما توغل الشلل فيه . انه لم يعد يكثرث لشيء .

وعندما كان يتحدث ، كان وجهها لا ينم عن التصديق في بادئ الامر ، ثم تحول التعبير الى مسحة من اليأس .

— ولكن ارجوك، يا جيرارد، الا تفهم ان كان هذا صحيحا فعلينا ان نبقى الى جانبه . انه بحاجة الى العون اكثر من ذي قبل .

— وماذا عن كتابك المقدس ؟ « سوف لن تقتل » ؟

— ولكن العهد الجديد يتحدث عن الحب، لا العقاب . يكفيه عقاب القانون .

— ماذا يحملك على التفكير في ان القانون سيعاقبه ؟ انه يعرف بان ليس

للشرطة اي دليل ضده . انهم لن يعثروا على لطخات الدم على حداثه ، او اي شيء من هذا القبيل . انه فرح لان الشرطة اخذت تعقبه . انه يحب الوقوف امامهم وجها لوجه . هذا محفز اخر بالنسبة له . وهو يعلم ان الشرطة لا تملك دليلا واحدا ضده ما لم تقبض عليه متلبسا بالفعل . الا ان هنالك شيئا واحدا يقلقني ...

— ما هو ؟

— كان غير آبه الى حد الغباء في نهاية الاسبوع الماضي . وقد اتصل بي من سويسرا تلفونيا ليطلب مني ان اذهب الى شقته في كينسنغتن لآخذ بعض الملابس النسائية . يلوح هذا الفعل دافعا لا واميا يدفعه الى تعريض نفسه للقبض ...

— لمن كانت هذه الملابس ؟

— لست ادري . ذكر رجال الشرطة اسم بغي شوهدت تتحرش به خارج نادي البلايكا . من يدرينا لعلها مدفونة تحت ارضية شقته في كينسنغتن .

وانحسر الدم من وجهها تماما ، وظن انها ستغيب عن وعيها . وقال :

— خذي حذرك ، يا عزيزتي . هل انت على ما يرام ؟

وهزت رأسها هزة قصيرة ، وانتقلت من الكرسي الى السرير . وجلست على حافته مستندة الى الجدار .

— هل انت جاد ... ؟

— كلا . كلا . في الواقع . لاعتقد جادا انه قتل المرأة . انه اكثر حذرا

من ان يقوم بذلك .

— ولكن لمن كانت هذه الملابس ؟

— من المحتمل ان تكون هذه ملابس مستعملة اشتراها من احسد الدكاكين لغرض ما . كان يريد ان يوليني ثقته . ولو كنت ذهبت الى الشرطة ، لما كان يهمه ذلك في شيء — ربما كان سيذهب برجال الشرطة الى الحانوت الذي ابتاع الملابس منه واختلق عدرا بانه لا يريد احد اصدقائه من الصبيان ان يعثر عليها في شقته . ولكنه كان يريد الكتمان حول هذه المسألة الى حد سخيف . ولم يكن مضطرا للسفر الى سويسرا . وكان يشك في احتمال كونني متعاطفا معه . كان بحاجة الى شخص يوليه صراحته . فاخترني وقد وجدني مفعما بانواع النظريات حول الثورة والمدنية الحديثة وغير ذلك ، فاعتقدت بانني ساكون خير كاتم للسـر — على شرط الا اطلع على حقيقته اكثر مما ينبغي . ولسوء الحظ ، خطرت للبروفسور شتاين ، الطبيب الألماني ، فكرة اخذي لمشاهدة الجثة . وحتى في تلك اللحظة ، فشلت خطة الدكتور معي . كانت جثة هذه المرأة مشوهة تشويها يقطع كل علاقة لها بالانسان . وكنت خرجت من المستشفى وانا لم ازل لا افهم شيئا . ولكن كانت هنالك جثة لامرأة اخرى — ماتت حرقا . وفجأة ادركت ما يعنيه الموت عن طريق العنف . اتعلمين ماذا يعني ؟ يعني انتفاء تاما لجميع الدوافع . يعني أننا لا نملك مستقبلا ، على حين علينا ان نؤمن بالمستقبل . والامر لا يتصل بمستقبلي فقط وانما بمستقبل الجنس البشري . واذا كان للحياة ان تنتهي على هذا الشكل — تنطفئ بنفخة واحدة — فكل ما يتشدد به الناس عن كرامة الانسان ضلال وخداع . ربما تكون الضحية في المرة القادمة انت او انا . وادركت فجأة شيئا خطر لي مرة او مرتين ولكني لم اكن افهم كنهه قط . اذا كان العالم طبيبا ، ذلك لان الحياة ، بطريقة ما ، كلها شيء واحد . وهذا ما تعنيه صحة العقل — كل الاشياء هي كل لا يتجزأ ، ليس الحياة فقط وانما الماء والاحجار . وهنا يكمن جنون أوستن . هل ادركت ذلك : انه بحاجة الى الآخرين ولكنه لا يؤمن في الحقيقة بانهم موجودون ؟ الحياة خالية من المعنى بالنسبة له . انه رجل لا مستقبل له . وله القدرة على سلب حياة الآخرين لانه لا يعلق اهمية على حياته هو .

وكانت تهز رأسها عندما كان يتكلم .

— انك مخطيء . انه لم يهبط الى هذا الدرك . كان دائما انسانا مفسدا انانيا ، ولكنه ينطوي على طيبة كبيرة في اعماقه ...

— حاولي ان تفهمي ، يا عزيزتي . انه مجنون . ان احسن ما يمكن فعله له الان هو ارساله الى مستشفى برودمور .

— ولكن ... ماذا ستفعل الان ؟ تخبر الشرطة ؟

— كلا . لا يمكنني ذلك . كان يثق بي .

— لسم كان يثق بك ؟

— كان يعلم بانني اشعر مثل شعوره حول كثير من الاشياء . اتعلمين ، لم ادرك انذاك بانه كان معتوها . ظننته يريد التعبير عن الثورة بوجه الطريقة التي تسير عليها الحياة في العصر الحاضر . اتعلمين ... اخذ التنظيم يشمل كافة نواحي الحياة ، وكل انسان مدفوع الى الانتظام في هذه الماكنة . بيد انهم كلما ارادوا ان يسلبوا الانسان حريته ، اشتد التعبير عنها عن طريق العنف . وكلما تحدثوا عن القانون والمجتمع ازدادت نسبة الجرائم . ويترك الناس مصائرهم يتلاعب بها السياسيون ومروجو الاعلانات الى خد معين ، غير ان التمرد يستفحل في نفوسهم شيئا فشيئا . وتظل نسب الجرائم الجنسية وجنوح الاحداث والانتحار ترتفع باطراد . لا يمكن للانسان ان يستغني عن اللامعقول . فالانسان ، في الاخير ، ليس مخلوقا عقليا . انه في الواقع لا ينبغي مدنية كاملة وفردوسا ارضيا .

فقالت بهدوء :

— وسبب ذلك الخطيئة الاولى .

— ربما . ولكنني لا اميل الى خرافة جنة عدن . لا يريد الانسان ان يكون آدم متحررا من الخطيئة في جنة عدن ، وانما يريد ان يكون الها . امنحي الانسان فرصة اخرى ، وسيبادر الى اكل التفاحة . انه يريد ان يكون اكثر من انسان ، ولا يهمه مطلقا ان يتمرغ في البؤس والقدارة . اذ انها على الاقل برهان على حريته . وهنا موطن الخطأ في موقفني تجاهه اوستن . ظننت جرائمه من دلائل التحدي . مثل اكل التفاحة . ولكنها لم تكن كذلك . انه يقتل لعين السبب الذي يدفع المدمن الى تناول المسكرات — ليس فسي وسعه ان يتوقف .

وكف عن الكلام ، وقد احس باجهد غريب . لم يكن بعد قد لمس قدح الشاي . ومال الى الامام وناولها الكوب المألن من الجانب القريب منها من الطاولة ، ثم راح يحرك كوبه . كان فاترا . وشربه جرعة واحدة دون ان يخفض الكوب . وقال :

— اتعلمين لم لم استطع معاونة شتايين ؟ لانه لا يختلف شرا عن اوستن ، سوى انه لا يدرك ذلك . انه يريد ان يلقي القبض على اوستن لخير هذه المنظمة — خير المجتمع . ولكنه خلال الحرب ، ربما اقر القضاء على الساميين ولخير المجتمع ايضا . وهو لا يكثرث لحرية الانسان مطلقا .

كان يتكلم الآن لانه رآها مشدوهة . وكانت هذه محاولة لاصلاح نفسيتهما ، كمحاولة لصرف اهتمام الشخص الذي اکتوت اصبغه حتى يذهب الالم . وقال :
- لقد تعلمت الكثير من اوستن ، يلوح ائني تعلمت الكثير خلال الاسبوع المنصرم . تعلمت مثلا الا فائدة من الهروب . خذي اوليفر المسكين مثلا . حاولت ان ازوره هذا المساء فوجدته قد رحل - حزم امتعته ورحل . تلك هي طريقته في تحاشي الاشياء التي يكرهها .
وبدت عليها الرغبة في التمسك بموضوع غلاسب خلاصا من التفكير في اوستن .

- اوليفر ؟ الا تعرف اين ذهب ؟
- كلا . لم يترك عنوانه . ولكنني التقيت بهذه الفتاة - كريستين - الفتاة التي سببت كل متاعبه . انها فتاة صغيرة حلوة - تبدو اكبر من سنها .
لقد وعدتها بلقائها يوم السبت .
- لقائها ؟

- اجل . فكرت في ان آتي بها عندك لتناول الشاي ؟ كان تأثيرها لمفادرة غلاسب ظاهرة على كل حال ، لم ارد ان اتركها دون الاتصال بها . اعتقد ان اوليفر احمق . انها لا تعدو ان تكون طفلة وهو يعاملها وكأنها فتاة بالغة خاتنه . انه نموذج للرومانتيكي - لا يكلف نفسه مشقة تحليل عواطفه . مثله مثل اوستن من هذه الناحية . بدلا من تحليل مشاعره ، يعمل بموجيها . ما عدا ان رد فعل غلاسب هو ابداء نفسه . في حين ان اوستن يؤدي الآخرين .
وسألته ببطء :

- هل تعتقد حقا بان اوستن ... مجنون ؟
- اجل . انه مجنون .
- وهل توافقك المحكمة على ذلك ؟
- لست ادري . اشك في ذلك . فجنونه ليس من النوع الظاهر .
- ماذا تعني ؟

- ان جنونه اقرب الى جنون العصر . اخبرني اوستن صباح اليوم باننا نعيش في عصر القتل . انه يفهم ذلك تمام الفهم ؟ هل اخبرك ما هو اوستن ؟ مثله مثل الجرذان التي هي اول من يموت عندما ينتشر وباء الطاعون . لقد لسعه المكروب . وليست له اية مقاومة . وهو يعتقد ان المقاومة لن تنفع في شيء . ان حرية الانسان في طريقها الى الزوال ، وهو يسعى الى معاونتها في هذا الطريق بقليل من القتل . هنا يكمن جنونه . الجنون هو الكف عن المقاومة . ضعي اوستن في مستشفى المجاذيب ، ولسوف تظهر

عليه علائم الجنون التام خلال اسابيع معدودات .
- ما الذي يحملك على هذا القول ؟
- لان مثل ذلك مثل حرمان المدمن على المخدرات من مخدراته . لانه
عندما يحس بالتوتر يبدأ بالقتل . ولكنه ان وضع حيث لا يمكنه ارتكاب
القتل ، يبدأ بالهيجان .
- وهل ... سيستمر الان ... اعني ؟
- اظن ذلك .
- اذن ... اعتقد انه يجب ان نفعل شيئا .
- ماذا ؟
- يجب ان ارى والديه . ينبغي ان تأتي انت ايضا . فلن يصدقا ذلك .
لديهما المال ويمكنهما وضعه في مستشفى خاص .
- يجب ان يثبت ذلك الطبيب . وينبغي ان يعرف الطبيب . تفاصيل
حالته وتاريخها . فسيذهب الى السجن .
- كلا . لديهم اصدقاء .
وراحت تحرق في النار . وقالت بصوت خافت :
- يا الهي ... ما افظع ما يجب ان تواجهه فجأة ؟
- لقد نجحت في مواجهة ذلك .
- ولكني ... لست على صلة وثيقة به . ثم انك افضيت بالنبا ...
برفق .
وقال سورم بنفاد صبر :
- يبدو ان والديه بحاجة الى صدمة .
فارتعشت :
- لا يستحق احد ان يصدم بهذا الشكل .
- اعتقد ان الامر فحتوم الان . ربما ستكون الصدمة اعنف قريبا ...
وفهمت ما يعنيه حالا :
- كلا ... ليس الان ، بالتأكيد ؟
فقال سورم وقد هز كتفيه :
- لا اريد ان افزعك يا عزيزتي . ولكنه قادر على اتيان جريمة اخرى
هذه الليلة لا شيء الا للتباهي . لقد اصبحت القضية بالنسبة له قضية
العوية . هذا ما لم ادركه عندما تكلمت معه في الصباح . لا يمكنه ان يمنع
نفسه من التحدي .
ونظرت الى ساعتها :

- وعليه فيجب ان نذهب فوراً .
 - كنت اعتقد ان والديه يقطنان في شروشاير ؟
 - والده يسكن في المدينة . سأتصل به تلفونيا .
 - هل انت بحاجة الي حقا الان ؟
 - انا ... ربما لا . ولكنني قد احتاج اليك فيما بعد . هل ستبقى
 فسي البيت ؟
 - اجل . سانتظر هنا . ولكن كوني على حذر ، بالله عليك . لا تفعل
 شيئا يجعل من كليتنا شريكين في الجريمة . واذا اتصلت به تلفونيا فسيلا
 تذكرني شيئا في التلفون .
 وساعدها في ارتداء معطفها . كان الدهول قد تلاشى من وجهها . فقد
 اعاد اليها عزمها على العمل الفوري ثقتها . وفتحت حقيبتها واخرجت
 منها باوناً .
 - اترك اليك بعض النقود . اذا اتصلت بك تلفونيا . قد اطلب اليك
 القدوم بتاكسي .
 - لا اريد النقود . لدي ما يكفي .
 - احتفظ به الان . ربما اتصل بك خلال ساعة . ساكون في شوارع
 الباني . واذا لم اجدك . سانتظره هناك . لا تنعب نفسك بمرافقتي الى الباب .
 وطبعت على انفه قبلة قصيرة وخرجت . كانت المرة الاولى التي تتقدم
 هي بتقبيله . وظل واقفا في مدخل الباب يصفي الى وقع خطواتها على السلم
 ثم انصفاق الباب الخارجي . ولسبب ما ، اراد ان يتحقق من كونه وحيدا .
 ثم صب له كوبا اخر من الشاي وازضاف اليه بعض الماء لتخفيفه . وبالرغم
 من التعب ، طاف فيه احساس باليقين وبالنظام . احس كأنه بدأ ينظر فسي
 داخل نفسه ويرقب عمليات كانت غير منظورة قبلا . ولم يسعد برقب في
 البساطة ، كان تراكم معرفته لذاته قد قلل من اهميتها .
 وبدأ جرس التلفون يرن في الطابق الاسفل . وتردد قليلا عند الباب ،
 ولكن عندما استمر الرنين ذهب ليرد عليه . لم يعد لتجنب اوستن اي معنى
 الان . واحس كأنه معلق ، ينتظر وقوع امر ما .
 وهتف صوت فتاة :
 - هل المستر سورم موجود ، رجاء ؟
 - يتكلم .
 - اوه ، لم يبد كأنه صوتك . كارولين تنكلم ؟
 وقال بشيء من التردد :

— كيف حالك يا عزيزتي ؟
— استلمت برقيتك . متى وصلت ؟
— منذ عشر دقائق . اين انت ؟
— في البيت . ماذا حدث ؟
— لا يمكن ان اخبرك في التلفون . ساخبرك عندما اراك .
— متى يكون ذلك ؟
— واحس كأنه ينزلق من منحدر ، لا يقوى على التوقف . وقال بحذر :
— متى يمكننا اللقاء .
— ليس غدا . لدي تدريب . وربما يكون لدينا تدريب اخر يوم
الاربعاء . لست واثقة . أنا طليقة يوم الخميس ...
— يجب ... يجب ان اؤكد من مفكرتي .
— يوم الخميس يناسبني . اخبرت امي بانني ذاهبة الى حفلة ساهرة
طول الليل . وقد اقيمت الحفلة . وعليه فلست ملزمة بالذهاب الى البيت .
ومضت تتكلم ، وهو في موقفه هناك ، يحدق في صندوق النقود ، متظاهرا
بتصفح مفكرته ليغتني الفرصة ويفكر . واحس فجأة بالامتعاض من نفسه وقال :
— اجل الخميس لا بأس . هل تاتين الى هنا ؟
— طيب ، يا عزيزي . حوالي السابعة ؟
— عظيم .
وقالت على الفور :
— يجب ان اغلق التلفون . امي عند الباب .
وانقطع الصوت .
وذهب الى غرفته ، واحتسى الشاي ، وهو يقف الى جوار الموقد .
واحس بهجة غريبة تحركه ، ويقبول للتعقيد . ومضى يتفرس في وجهه في
المرآة ، وهو يقول بصوت عال :
— ماذا ستفعل الان ، يا ايها النفل البيلد ؟
وابتسم لنفسه مكشرا عن اسنانه ، ثم رفع انفه كما يفعل الارنب .

« انتهى الكتاب »

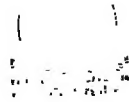
مؤسسة محمد السادس للتصوير
هاتف: ٩٤٢-٨٢ - بكيوت - لبنان



مؤلفات كولن ولسون



- ضياع في سوهو
- ترجمة يوسف شرورو وعمر يمي
- المعقول واللامعقول في الأدب الحديث
- ترجمة أنيس زكي حسن
- أصول الدافع الجنسي
- ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- اللامتني
- ترجمة أنيس زكي حسن
- ما بعد اللامتني
- ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- القفص الزجاجي
- ترجمة سامي خشبة
- طقوس في الظلام
- ترجمة فاروق محمد يوسف
- سقوط الحضارة
- ترجمة أنيس زكي حسن
- رحلة نحو البداية
- ترجمة سامي خشبة
- الشعر والصوفية
- ترجمة عمر الديراوي
- الحالم
- ترجمة سامي خشبة
- إله المتاهة
- ترجمة سامي خشبة
- الانسان وقواه الخفية
- ترجمة سامي خشبة
- الشك
- ترجمة يوسف شرورو
- خفايا الحياة
- ترجمة مجاهد عبد النعم مجاهد



General Organisation of the Alexandria
Library (G.O.A.L.)

General Organisation of the Alexandria Library

مؤلفات كولن ولسون من منشورات دار الآداب

- | | |
|------------------------------|---|
| ترجمة يوسف شرورو وعمر يمتق | <input type="checkbox"/> ضياع في سوهو |
| ترجمة أنيس زكي حسن | <input type="checkbox"/> المعقول واللامعقول في الأدب الحديث |
| ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب | <input type="checkbox"/> أصول الدافع الجنسي |
| ترجمة أنيس زكي حسن | <input type="checkbox"/> اللامنتمي |
| ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب | <input type="checkbox"/> ما بعد اللامنتمي |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> القفص الزجاجي |
| ترجمة فاروق محمد يوسف | <input type="checkbox"/> طقوس في الظلام |
| ترجمة أنيس زكي حسن | <input type="checkbox"/> سقوط الحضارة |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> رحلة نحو البداية |
| ترجمة عمر الديراوي | <input type="checkbox"/> الشعر والصوفية |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> الحالم |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> إله المتاهة |
| ترجمة سامي خشبة | <input type="checkbox"/> الانسان وقواه الخفية |
| ترجمة يوسف شرورو | <input type="checkbox"/> الشك |
| ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد | <input type="checkbox"/> خفايا الحياة |